

سيرة مدينة القدس

خالد محمد غازي

اهداءات ٢٠٠٢

السفير فتحي الجويلي

دمنهور

القدس .. سيرة مدينة

دراسة وشهادات

القدس .. سيرة مدينة

خالد محمد غازى

الناشر: دار الهدى للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى 1998

رقم الإيــداع: 3103/1998

الترقيم الدولى: 1-14-5772-977



المنيا ـ شاهين ـ 6 ش أحمد عرابى
ت: 346713

دار القبس للطباعة وفصل الألوان
ت: ٣٦٤٠٨٣٥ ـ ٣٦٨٥٦٢٨ ـ ٥٢٤٣٣١٤

القدس .. سيرة مدينة

دراسة وشهادات

خالد محمد غازى

دار الهدى للنشر والتوزيع

اهداء خاص جدا :

إلى جدى " عوض "

سيأتيك الحرف وما فيه .. وكل شئ ظهر فهو فيه

وسيأتيك منه أسمى ما بقى من الإنسان ذكرى وتاريخ

وسيأتيك منه العلم .. وفى العلم عهودك ووصاياك ..

وسيأتيك منه السر وفى السر محادثتى إليك وإيمانى ..

المؤلف

ليست مقدمة

القدس :

زهرة المدائن.. مدينة السلام والحرب.. مدينة الرسالات والأنبياء .. حملت على كاهلها تاريخا طويلا يضرب بجذوره عبر العصور إلى ما قبل الديانات السماوية .. وعبر القرون الممتدة تبرز عروبتها ، ولتعرف الأجيال .. كل الأجيال عربية كانت أو غير عربية ، أن القدس بالنسبة لليهود ليست مجرد شعار.. بل هى حلم قديم ومرجع لابد منه ، لأن الهوية اليهودية الإسرائيلية تحتل شقين .. أحدهما يتعلق بالكيان ذاته. بينما يتعلق الشق الثانى بالقدس ، فبدون القدس ليس هناك كيان..و القدس يتبعها الكيان تلقائيا طالما تحتل جوهره .. هكذا إسرائيل قد انطلقت من القدس بمجرد احتلالها عام ١٩٦٧لتعد هذه الانطلاقة .. وكأنها تجديد للنشأة الأولى باعتبار أن القدس فى قاموس الطموحات اليهودية هى إسرائيل .. وإسرائيل هى القدس .

ومن أجل إيضاح جوانب عديدة لعمليات التزوير والتعتيم وإبراز الحقيقة التاريخية كان لابد لنا أن نقلب أوراق التاريخ .. رغبة فى كشف الحقائق

ووضعها فى موضعها الذى يجب أن تكون عليه فى ظل تضحيات فلسطينية عربية تبذل ودماء تراق.. وسلام يشبه السراب .. لعلنا نلمسه من مقولة الحاخام الاسرائيلى «جونا ثان بلاس » : « إن السلام يعنى الكثير لكن القدس شيء أثمن من السلام ؟ » فهل تصبح القدس بالنسبة للعرب أرخص من السلام الإسرائيلى ؟

وبعيدا عن المؤامرات والدسائس والمزايدات .. و أبواق الدعاية لندع الحقائق تجيب: من هو صاحب الأرض ؟ ومن هو صاحب الحق فى السيادة عليها ؟

وإذا كذب اليهود الحقائق ..ورضى العرب بماهو كائن .. علينا إذن أن نتساءل : لماذا يقبل العرب بعد أكثر من ١٤٠٠ عام من عروبة القدس تهويد المدينة راضين بالصلاة تحت الحراب الإسرائيلية فى الأقصى الأسير .. وتحت حصار الكنائس، ويشترون بما يتوهمونه سلاما .. مصيرا مشكوكا فيه ، ومستقبلاً يكتنفه الغموض.

غير أن التساؤل الذى يفرض نفسه هنا - أيضا - هو: هل يمكن لإسرائيل أن تتنازل عن القدس ، خاصة فى ظل مايعانيه العرب .. وما تتمتع به إسرائيل اليوم ؟!

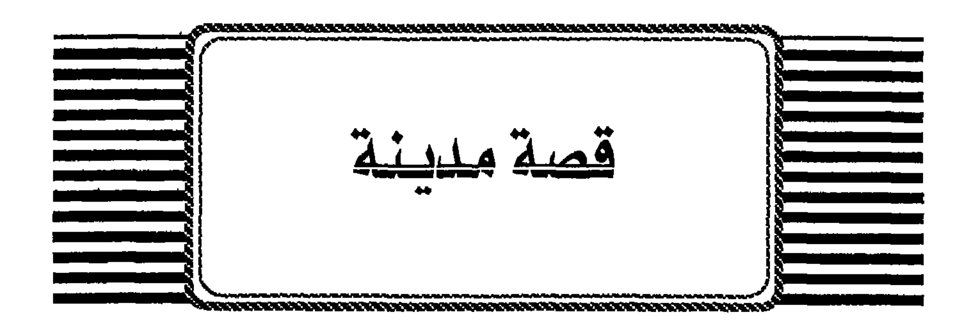
لعل بن جوريون - أول رئيس وزراء لإسرائيل - أجاب عن هذا التساؤل حين قال : مسألة القدس ليست مسألة ترتيبات فى أساسها ، ولا حتى مسألة قدرة عسكرية ، رغم أننا لانستطيع حل كل مشاكل القدس بالقوة العسكرية وحدها ، لكنها المرحلة الأولى لاحتلال القدس تعقبها بعد ذلك عدة مراحل ، تتعلق بالجانب الاقتصادى والاجتماعى وأيضا الديمغرافى..

إن ما أردت أن أقوله ونقبت عنه هو الحقيقة .. نعم الحقيقة لا أقل.

وطرحت آراء وشهادات وتساؤلات وتصورات حول القدس لنخبة من المفكرين والمثقفين والسياسيين من مختلف الانتماءات والتيارات والأجيال .. رأينا من واجبنا أن نجمع شهاداتهم لقضية ساخنة .. متفجرة .. قضية الأمس واليوم و المستقبل .. والقضية الحقيقية للصراع العربى - الإسرائيلى فى الشرق الأوسط.

إذا كانت تلك المدينة بالنسبة لهم قضية الهوية المفقودة ، فإنها للعرب الكيان المغتصب.

المؤلف


قصة مدينة



المدينة و التاريخ

القدس : يعود ميلادها كمدينة إلى أكثر من ٣٠٠٠ عام قبل الميلاد .. ويذكر علماء الآثار والتاريخ أنه قد شيدتها إحدى القبائل الكنعانية - العموريه - التى نزحت من الجزيرة العربية .. ومنذ نشأة المدينة تبدلت عليها القبائل والأجناس والحضارات واللغات وتبدلت عليها كذلك الأسماء، فيذكر أن مدينة "القدس" كانت تحمل إسم "أورشليم" وهذا الاسم عمورياً - حيث ذكر فى الكتاب المقدس - وهى الصيغة العربية لإسم "أوروسالم" الآرامى .. الذى ورد فى بعض رسائل تل العمارنه فى القرن ١٤ ق . م .. وكلمة "أوروسالم" تتكون من مقطعين : المقطع الأول "أور" بمعنى موضع أو مدينة ، والمقطع الثانى "سالم" بمعنى السلام ومجمل مقطعى الكلمة يعنى مدينة السلام ونشير إلى ما ورد فى العهد القديم "هكذا قال الرب لأورشليم : مخرجك ومولدك أرض كنعان ، أبوك أمورى وأمك حثية" (حزقيال ١٦ : ٢-٣) .. وأطلق عليها فى بعض النصوص المصرية التى تعود إلى القرن ١٨ ، ١٩ ق . م إسم "روشاليم" .. وسميت كذلك "يبوس" نسبة إلى اليبوسيين ، وهم فرع من الكنعانيين نسبة إلى أولاد كنعان - وظل إسم "يبوس" علماً على المدينة ، حتى إستولى عليها داود ، وصار إسمها بعد ذلك "مدينة داود" .

وقد وجد اليهود صعوبة فى نطق وكتابة "أوروسالم" باللغة العبرية فوردت فى أسفار العهد القديم بإسم "يروشاليم" ولكنها وردت بدون ياء .

ونجد إسم القـدس ورد فى بعض النقوش التى تعـود إلى عهد الإسكندر الأكـبر .. وقد سمـاها اليونان "هيروسوليمـا" ثم صار إسمها "ايليـا كابتيولينا" فى عصـر الامبراطور الرومانى "ايليوس هدريان" بعد أن قضى على الكيـان الدينى اليهودى .. وفى أعقاب ذلك أصدر مرسوماً يتضمن أمراً بقـتل كل من يدخل القدس من اليهود .. وعرفت بإسم "ايليا" فى أوائل الفتح الاسلامى ، وسميت كذلك فى العهدة العمرية .

قال الفرزدق :

وبيتان بيت الله نحن ولاته　　　　وقصر بأعلى إيلياء مشرف

وقيل أن من أسمائها : ايليا ، اليا ، إيلياء و (بيت ايل) ومعناه بيت الرب .

ومن أسمـائها (القرية) ، وإلى ذلك تشـير الآية :﴿ ادخلوا هذه القـرية ، فكلوا منها حيث شـئتم رغداً ، وادخلوا البـاب سجداً وقـولوا حطة نغفر لكم خـطاياكم ﴾ ، ومنها ﴿ الأرض المباركـة ﴾ وإلى ذلك تشيـر الآية : ﴿ونجيناه ولوطاً إلـى الأرض التى باركنا فيـها للعالمين﴾ .

ومنها (الساهرة) جاء فى الآية : ﴿فإذا هم بالساهرة﴾ .

ومن أسمائها : (بيت المقدس) و (البيت المقدس) و (الأرض المقدسة)

روى أن مروان بن الحكم قال يوما للفرزدق :

قل للفرزدق والسفاهة كاسمها　　　　إن كنت تارك ما أمرتك فاجلس

ودع المدينــة إنهــا محـذورة　　　　والحـق بمكـة أو بيـــت المقـدس

وذكر ابن حجر العسقلانى البيت المقدس فى شعره فقال :

إلى البيت المقدس جئت أرجو　　　　جنان الخلد نـزلا مـن كريـم

قطعنــا فـــى مسـافته عقابـاً　　　　وما بعد العقاب سوى النعيم

ومن أسمائها : (المسـجد الأقصى) وفى ذلك نزلت الآية الكريمة :﴿ سبحان الذى أسرى بعـبده ليـلا من المسجـد الحرام إلى المسـجد الأقصى الذى بار كـنا حوله ﴾ ، ومنها : (الزيتون) وفى ذلك نزلت الآية ﴿ والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين ﴾ قال إبن عساكر نقلا عن إبن عباس : "إن التين بلاد الشام ، والزيتون بلاد القدس ، وطور سينين الجبل الذى كلم الله موسى عليه ، وهذا البلد الأمين مكة" .

ومن أسمائهـا : (القدس) قال الأستاذ عيسـى اسكندر المعلوف فى الجزء الثانى من مجلة المقتبس مايلى : "ولعل أقدم من ذكرها بهذا الإسم المطران سليمان الغزى أسقف غزة والشام حوالى القرن الرابع عشر للميـلاد إذ قال : أيدعوك للقدس الخيال الذى يسرى فهل لك فى ترك الزيارة من عذر .

إن المؤلفين العـرب ذكروا (القدس) فى مـؤلفاتهم قبل ذلـك التاريخ بزمن طويل ، فقد ذكرها أبو العلاء المعرى فى شعره (٤٤٩هـ ١٠٥٧م) .

ياشاكى النوب انهض طالباً حلبا — نهوض مضنى لحسم الداء ملتمس

واخلع حذاك إذا حاذيتهـا ورعـاً — كفعل موسى كليم الله فى القـدس

وللعماد الأصفهانى كتـاب اسمه (الفتح القسى فى الفتح القدسى) ١٢٠٠م ولأبى الفرج التـميمى المعروف بإبن الجـوزى كتاب اسـمه (فضائل القـدس) ١٢٠٠م وللقاضى أمـين الدين هبة الله الـشافـعى (الأنس فى فضـائل القـدس) ١٢٠٦م ولشهـاب الدين بن سـرور المقدسى (مـثيـر الغـرام إلى زيارة القدس والـشام) ١٣٦٣ م . ولمحـمد بن إسـحق القدسى كـتاب اسـمه (تاريخ القـدس) ١٣٧٤ م .. هذه وغيـرها من الكتب تدلنا على أن اسم القدس كان معروفاً منذ أوائل الحكم الإسـلامى فى هذه البلاد وقد احتفظ الأتراك فى بادىء الأمـر باسم (القـدس) ، ثم أضـافـوا إليـهـا وصف الشـرف فـراحت تعـرف باسم (القدس الشريف) ، وعرفت بذلك طيلة وجودهم فى البلاد (١٥١٧ - ١٩١٧م).

وقد سـميت أيضـاً باسم مـدينة داود ، صهـيون ، مدينة الله ، ومن أسـمائهـا أيضاً "قدتيس" التى ذكـرها المؤرخ اليونانى "هيرودت" ت ٤٢٥ ق . م وأطلق عليـها إسم "بيت المقدس" بدءاً من العصر الإسلامى ، لقدسيتها فى الأديان السماوية .

ولعل أجمل وصف يليق باسمها ما قاله أمير الشعراء أحمد شوقى :

بلد على أرض الهدى وسمائه — المجد حائطـه ورأس بنائـه

بلد بنوه الأكرمون قبـورهـم — وقصورهم وقف على نزلائه

طبوغرافية القدس

تقع مدينة "القدس" على هضبة غير مستوية يتراوح ارتفاعها من ٢١٣٠ - ٢٤٦٩ قدماً .. ومتوسط إرتفاعها فوق سطح البحر المتوسط من اتجاه الغرب ٢٥٠٠ قدم وترتفع تجاه الشرق من سطح البحر الميت ٣٨٠٠ قدم ، وتبعد ٣٢ ميلاً عن البحر المتوسط غرباً .. وحوالى ١٨ ميلاً عن البحر الميت شرقاً و١٩ ميلاً عن الخليل "حبرون" جنوباً و ٣٠ ميلاً عن السامرة شمالاً .. وطقس المدينة قارى ، صحراوى ، فهى تقع على خط عرض ١٣٣١/ ٤٥ْ شمال خط الاستواء ، وعلى خط طول ١٣٣٥ / ٢٥ْ شرق جرينتش.

وتحيط بالهضبة التى تقع عليها القدس أودية عميقة أهمها وادى قدرون الذى يعرف باسم الوادى الشرقى ووادى "سلوان" أو "هنم" فى الغرب ويلتقى الواديان جنوباً كذلك يمتد من الشمال الغربى للهضبة إلى جنوبها الشرقى وادى الجبانة ويمتد إلى وادى سلوان الذى يصل بدوره بوادى قدرون .

أما أهم جبال القدس فهو **جبل الزيتون** : الذى يسميه العرب "جبل الطور" وتقع أسوار الحرم فى مواجهة الجبل من الجهة الشرقية وعرف عند اليهود باسم "جبل المسح" أى جبل التتويج ، لأنهم كانوا يستخلصون من زيتونه الزيت المقدس المستخدم فى تتويج ملوكهم .

كذلك يعتبر **جبل بطن الهوا** إمتداداً لجبل الزيتون من الجنوب الشرقى للقدس ، واشتهر عند اليهود بالجبل الفاضح ويزعمون أن المعابد الوثنية لنساء سليمان الأجنبيات قد أقيمت عليه .. أيضاً جبل رأى المشارف الذى عرف عند اليهود بجبل المراقبين هو امتداد طبيعى لجبل الزيتون من الشمال الشرقى وحتى الشمال .

أما **جبل صهيون** فيقع فى الزاوية الجنوبية الغربية للقدس ، وكانت توجد عليه القلعة المسماه "مدينة داود " .

أما **جبل بيت المقدس** فعرف عند اليهود باسم جبل "الموريا" وهو قريب جداً من المسجد الأقصى .. وقيل عنه أنه أطلق عليه "جبل الحرم ".

ونظراً لموقع مدينة "القـدس" المتميز فـمنذ القدم - قبل الميلاد - وحتى الآن تربطها بمدن فلسطين وما يحيط بها من بلدان شبكة جيدة من الطرق .. وإن كان حدث الكثير من التغيرات نتيجة سياسة اليهود لتشويه المعالم التاريخية للمدينة وإضفاء طابع المدينة الحديثة عليها بالإلغـاء والتحديث وأبرز الطرق الرئيسية للقـدس الطريق الساحلى والذى يبدأ من مصر ويمتد على ساحل البحر المتوسط ويسـتمر حتى صور وصيدا ماراً بخان يونس وغزة ويافا وعـكا .. أما الطريق الأوسط فـيمتـد من بئر سـبع حتى القـدس والتى كانت مـحطة مواصلات دولية فى الشرق القديم .. بمعنى أن هناك طرقاً كانت تؤدى إليها وأخرى تخرج منها ، وإذا كان للقدس عـدة طرق مرصوفة تربطها ببقية الضفـة الغربية ، إلا أن هناك عدة طرق أخرى لكن غير مـشهورة أو مألوفة .. كمـا أن للمدينة مطاراً على بعد ١٠ ك . م فى طريق رام الله فى الشمـال .. وكان بها قبـل حرب فلسطين عام ١٩٤٨ نحو ٥٢٣ شـركة صناعية وزراعية ، و١٦ بنكاً حكومياً وأجنبياً .

أسوار القدس القديمة

أول من أحاط المدينة بسورٍ هم اليبوسيين العرب سكان القدس (نحو ٢٥٠٠ ق .م) وقام داود وسليمان بترميمه بعد استيـلائهما على المدينة وفى عهدهما كان يمتد هذا السور اليبوسى من الأحيـاء الغربية فى البلدة القديمة حتى التلال الواقعة شرقى الحرم الشريف ، وكان عليـه آنذاك ٦٠ برجاً وبعد ذلك خرب يوآش ملك إسـرائيل جزءاً منه يوم أن تغلب على أمـصيـا ملك يهـوذا (٧٩٠ ق . م) وبنى الملك منسى السـور الثـانى أثناء الاحتـلال الأشورى لفلسطين (٦٤٤ ق . م) ثم دخل السـور أحياء جديدة هى التى تقع عليـها اليوم حارة النصارى وكان عليه ١٤ برجاً وقد هدمه الملك نبـوخذ نصر (٥٨٦ ق م) فأعاد نحميا النبى ترميمه فى عـهد الفرس (٤٤٠ ق . م) وكان يقوم بالبناء ليلا خـوفاً من بطش جيرانه الحورانيـين والعمونيـين العرب وفى عـهد بطليمـوس الأول هدم جزءاً منه (٣٢٠ ق . م) ودك أنطونيـوس أبيفانوس جنبـاً منه (١٦٨ ق.م) وأتى بومبى الـرومانى على ما تبـقى منه (٦٣ ق.م) وقيل أن جزءاً من سور نحـميا ظل حتى إستخدمـه الملك هيرودس فى تحصين

قصره ، الذى كان يقع فوق دير مار يعقوب وكنيسة المسيح فى جنوب غربى المدينة القديمة وفى عهده بدأ فى إنشاء السور الثالث (٣٧ ق.م) وتوسعت المدينة فضمت مناطق الباب الجديد وقبور السلاطين وباب الساهرة فى الشمال الغربى وكان لهذا السور ٩٠ برجاً ، وقد دمر تيطس الرومانى جانباً منه (٧٠م) وكذلك فعل أدريانس (١٣٥م) ومن بقاياه الحالية جزء من مدرسة المطران على طريق نابلس والباب ذو القوس المدفون عند باب العمود ، وبعد ذلك شيدت الملكة أفدوكسيا الرومانية سوراً جديداً (٤٣٨م) وقد أدخلت فى حدود القدس قرية سلوام ولكن هدمه الفرس (٦١٤م) وعندما أعيد بناؤه فى عهد هرقل كان على أساس ما كان عليه فى عهد أدريانوس وقام الصليبيون ثم صلاح الدين الأيوبى بإصلاحه وحفر الأخير حوله خندقاً وقد إستخدم فى ذلك أسرى الفرنجة وتهدم معظمه فى عهد الملك عيسى (١٢١٩م) ورممه العادل زين الدين (١٢٢٥م) ثم قلاوون (١٢٣٠م) .

أما السور الحالى فقد جدده السلطان العثمانى سليمان واستغرق ذلك خمسة أعوام (١٥٣٦ - ١٥٤٠م) وله ٣٤ برجاً وطوله ٤ ك . م وطوله من الشمال ٢٩٣٠ قدماً ومن الشرق ٢٧٥٥ قدماً ، ٢٠٨٦ قدماً فى الغرب ، و٣٢٤٥ جنوباً وبه ٧ أبواب فى الشرق : باب الدهرية (الجميل) ، باب ستى مريم (أو أسطفانوس) وسمى قديماً بباب الضأن وفى الغرب باب الخليل (أو يافا) وفى الشمال باب العمود (ويسمى أيضاً باب دمشق أو باب النصر) باب الساهرة (باب هيرودس) الباب الجديد وجنوباً باب داود (أو صهيون) وباب المغاربة وارتفاع السور الحالى ٤٠ قدماً وينغمس أساسه نحو ٣٥ قدماً أخرى فى الأساس ، وحجارته ضخمة ، وأبوابه مشيد عليها أبراج عالية لحمايتها وظلت هذه الأبواب حتى سنة ١٨٥٨م تغلق عند كل غروب وتفتح عند الفجر ولكن بعد تشييد المبانى الجديدة خارج الأسوار كانت تفتح الأبواب ليلا وتمتاز المبانى القديمة بالقدس بأنها من الصخور الصلدة وتغطى المنازل بقباب (جمالونات) لتقيها من تجمع الأمطار والسيول الشتوية التى تنساب إلى الآبار والخزانات المنزلية التى توجد فى كل منزل .

أما عن مساحة القدس القديمة فيذكر أنها كانت (داخل الأسوار) تبلغ ٨٦٨ دونما (أى ٨٦٨,٠٠٠ متر مربع) والقدس الجديدة (خارج الأسوار) ١٩٢٣١ دونما وكان العرب

قبل حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ يملكون ٨٨,٥٪ من المساحة الكلية للمدينة واليهود ١١,٥٪ فقط فى القدس القديمة وفى المدينة الجديدة كان للعرب ٥٣,٨٪ من المساحة ولليهود ٢٦,١٪ وللحكومة ٢,٩٪ و١٠ , ١٧٪ طرق وميادين عامة وسكك حديدية وكان بالقدس سنة ١٩٤٧ (بالقطاع العربى الأردنى) ٢٠٥ مدرسة (منها ٣٧ مدرسة مسيحية خاصة) ، كما ضمت المدينة ٤٩ مكتبة كبيرة ، وأنشئ بها متحف حكومى للآثار سنة ١٩٣٨ ، ويقع فى الزاوية الشمالية الشرقية للسور أما المتحف الاسلامى فقد شيد سنة ١٩٢٣ م بداخل أبنية الحرم الشريف وأدخلت التليفونات سنة ١٩١٨ .

صخور وينابيع مقدسة

تتكون تربة القدس من صخور جيرية .. يذكر الجيولوجيون أن صخورها تحللت من الزمن الثالث ما عدا تل جبل الزيتون وغيره من التلال المجاورة له .. إلا أن هذه التربة الصخرية لاتصلح لتكون زراعية بستانية لأن الأمطار عندما تهطل تغسلها وتدفعها نحو شقوق الصخر .. ولكن فى بعض المناطق - نتج عن تفكك الصخور - تربة رغوية غنية ويستخدم الحجر الطباشيرى فى عمليات البناء والتشييد حيث يمتاز بعدم تشققه وميله إلى البياض ، ويتصلب بتعرضه للعوامل الجوية .. ومن صخور تربة القدس ، نوع من الصخور لا ينكسر ولا يتأثر بالنار .

وقد زرعت مساحات محدودة - وغالباً على التلال - بأشجار الفاكهة كالتين والزيتون والكروم معتمدة على المياه الجوفية فى الرى إلا أن أشجار الزيتون تكثر فى شرق القدس على التل المسمى باسمها (جبل الزيتون) .

ومازال القمح والشعير يسودان السهول المنخفضة التي تعتمد على مياه الأمطار .

وقد تعرضت التربة لزلازل أرضية كثيرة ، فقد تعرضت للهزات الأرضية الكبيرة أكثر من ٥٠ مرة ، وكان أعنفها ما حدث عام ٧٨٠ ق . م ، وقد وصفه يوسيفوس بأنه شق الجبل ، فهبطت الطرق وسقطت الأبنية .. وقضى زلزال عام ٣١ ق . م على نحو ٢٠,٠٠٠ نسمة فى عهد هيرودس .. وفى عام ٧١٢م استمرت الهزات المدمرة أربعين

يومـاً فى كل بلاد الشام .. ويذكـر المؤرخون أن زلزالي ١٩٢٧ ، ١٩٣٧ هدمـا الكثيـر من المنازل وتوفى الكثير من السكان .. ويكثر هطول الأمطار على المدينة مـا بين شهرى أكتوبر ومايو .. ويندر مـابين شهرى سبتمبر ويونيه .. ومتوسطه السنوى الحـالى ٢٥,٥ بوصة ويتسـاقط الجليد من ديسمبـر حتى مارس ويندر فى إبريل ، ويتـكون بكثرة فى يناير – فى الليل ويذوب أثناء النهار – ومتوسط درجـة الحرارة (صيفاً – ٧٧° ف) و (شتـاءً – ٣٤° ف) .. وفى فصلـى الربيع والخريف تهب رياح السيروكـو التى تنفذ للمـدينة من الفتـحة الجنوبية الشرقية آتيه من صحراء موآبا فى الجنوب .. وتسود الرياح الشمالية الغربية الجافة ، لكن نسيم البحر المتوسط يجلب معه الرطوبة إليها .

وتعتمد "القدس" علـى مصدرين للمياه فى الزراعة والحياة البـشرية هما مياه الآبار الجوفـية والينابيع وميـاه الأمطار الموسميـة ، ويلاحظ أن صرف ميـاه الأمطار جوفى وعند سـقوط المطر بغـزارة – فى بعض الظروف أو عندمـا تذوب الثلوج فجـأة على المرتفعـات يتكون المستـنقع الضحل فى أحد الوديان وصـرف المياه – كمـا هو معـروف – يسير طبـقاً لتضـاريس السطح أى من الشمال الغـربى إلى الجنوب الشرقى ، وبينمـا نجد أن خط المطر يرتفع إلى ٢٦٧٥ قـدماً فـإن واديى قدرون وهنوم يرتفـعا٢٠٦٥ قـدماً فـوق سطح البـحر المتوسط ، وعلى ذلك فليست هناك مياه راكدة فى البرك التى تفيض خلال موسم المطر .

وقد ورد فـى أسفـار العهـد القديم (التـوراة) ذكر لثـلاثة ينابيع هى جيـحون عـين روجل (حالياً عـين أم الدرج) دراجون وما ورد من نصوص فى العهـد القديم ينطبق على النبع الموجود فى وادى قـدرون قرب القدس الـقديمة ويغـذى بركة سلوام ويسمى حـالياً بعين العذراء (أو عين الخطوات بسبب الهبـوط إليه عن طريق سلم حجرى) ويغطيه قوس حجـرى لحمايته من الأتربـة إذ أنه يوجد فى فجوة تنخـفض ٧٥ قدماً أسـفل أكوام الأتربة المحيطة به وفى الشـتاء ترتفع مياهه ثلاث أو أربع مـرات يومياً وفى الصيف مـرة أو مرتين وفى الخريف مرة واحدة فقط وسبب ذلك أن للنبع مصـدرين أحدهما دائم والآخر متغير، وهو يتغـذى من المياه الجـوفية ويذكـر أن ميـاهه حلوة ولكنها حـالياً تميل إلى الملوحـة وقد سمى نبع عـين ورجل (يشوع ١٥ : ٧ ، ١٨ : ١٦) وهو يوجـد فى وسط الحدائق الواقـعة جنوب شرقى القـدس عند إتحاد وادى هنوم بقدرون .. ويوجد بئـر آخر يسميه العرب بئر

يعقوب وعمقه ١٢٢ قدماً وله حوائط صخرية ويمتلىء فى موسم المطر وتخرج منه المياه وعلى بعد ثلث ميل إلى الجنوب منه يوجد نبع آخر يسمى بئر دراجون ويسميه نحميا .. باسم نبع التين ومن الجدير بالإشارة فى هذا المجال أنه منذ عهد داود كانت المدينة تحصل على المياه من البرك وبحفر الآبار أو المدنية بإنشاء أحواض صناعية لتجميع المطر ومازالت لها آثار حالياً ، ويذكر أنه كانت بأورشليم (كما ورد فى العهد القديم "نحميا النبى ٣ : ١٦) بركة صناعية كبيرة بجوار البرك الطبيعية الموجودة مثل البركة العليا ويبدو أنها كانت شمال غرب المدينة القديمة ، أما بركة "شيلا" فقد قرر الكثير من علماء الآثار أنها بركة "سلوام" جنوبى الأسوار الحالية .. كما كانت هناك قناة تمر فى أسفل التل الشرقى بالقرب من بوابة المياه كشفها شارل وارين سنة ١٨٦٨ م وكانت مياهها تدخل القدس من نبع جيحون عبر تل صخرى ، كما كان هناك نفق إكتشفه الأثرى الألمانى كونراد فون شيك سنة ١٨٩٠ واتضح أن جزءاً منه كان مغطى ، أما المصدر الثالث لمياه المدينة القديمة فهو نفق سلوام ، وكان محفوراً فى نفق ملتوى حتى بركة الملك .

وهناك الكثير من المخطوطات القديمة يشير إلى قيام عدة محاولات فى عهد الملك داود وبعده لتوصيل المياه من مسافات بعيدة من جنوب القدس عن طريق قنوات طويلة تصب فى نهايتها فى أحواض حجرية ، وليست هناك آبار أو موارد مياه أخرى معروفة الآن غير ذلك .

القدس قبل وجود اليهود بها

يذكر علماء الآثار أن أول من سكن القدس قبائل بدائية فى العصر الحجرى القديم .. وقد عثر العلماء على أدوات حجرية من العصر الباليولوثى الأدنى والعصر الموستيرى الذى تمثله جمجمة وجدت فى مغارة الزيتية عام ١٩٢٥م ، موجودة حالياً بمتحف القدس .. ويذكر كذلك أنه منذ عام ٤٠٠٠ ق.م اتخذت الهجرات إلى القدس صورة منتظمة أولها الأموريون إلى الشام وفلسطين الذين استطاعوا أن يقفوا فى وجه العبرانيين فيما بعد.. ويذكر المؤرخون أن الكنعانيين والأموريين تحركوا فى هجرة واحدة نحو غرب الأردن وسيطروا على سواحل البحر المتوسط ، ثم امتدوا نحو الشام شرقاً ويرى البعض أنهم جاءوا مباشرة من الجزيرة العربية بينما يرى البعض الآخر أنهم هاجروا من

فارس ، وتشير التوراة والتى تعتبر من أهم الوثائق التاريخية فى هذا المجال إلى مدى التقدم الذى وصل إليه الكنعانيون ، فقد شيدوا القصور والمبانى الفخمة .. وأسسوا المدن والحكومات المستقلة ، وبلغوا درجة كبيرة من الرقى فى الزراعة والصناعة حيث ينسب إليهم إختراع الزجاج كما كانوا من أكبر التجار فى حوض البحر المتوسط فى تلك العصور .. وقد كشف علماء الآثار والحفريات عن مدن كنعانية تدل على حضارة هذا الشعب ، لكنهم فشلوا فى نظمهم السياسية حيث لم يستطعوا توحيد دولتهم تحت قيادة حاكم واحد وإقامة دولة كنعانية قوية ، مما سهل على العبرانيين - فيما بعد - الإستيلاء على أجزاء كبيرة من أرضهم ، وإحتلال مدينة بعد أخرى فى عهد القائد اليهودى يشوع بن نون - كما تصف التوراة - إلا أنه رغم ذلك لم يتمكن الإسرائيليون من بسط سلطانهم بصفة دائمة على كل الضفة الغربية للأردن ، لأن جزءاً كبيراً ظل تحت سيطرة الكنعانيين ، وظلوا فى صراع دائم معهم نحو مائتى عام .

وقد قام الأراميون فى منتصف الألف الثانية قبل الميلاد بهجرة إلى بلاد الشام عرفت باسم الهجرة الكبيرة ، وظلوا بعد غزو العبرانيين فى عداء مستمر معهم فدست إسرائيل لدى أشور فتم القضاء على الأراميين سنة ٧٣٠ ق . م ،لكن إسرائيل جنت نفس المصير جزاء خيانتها فأزالتها آشور من الوجود بعد ذلك ، ولكن ظلت اللغة الأرامية سائدة فى الشام ألف عام أخرى ، أما الفلسطينيون (ويعنى إسمهم سكان المناطق المنخفضة) فقد جاءوا فى الموجة الرابعة من جزيرة كريت التى تسمى فى التوارة بكفتور (تث ٢ : ٣٢ ، أرم ٤٧ : ٧) من هجرة سامية مرتدة - ربما بسبب ضغط الهلينيين (الإغريق) الذين احتلوا كريت فسكن الفلسطينيون بين يافا وغزة ، ثم توغلوا إلى الداخل حتى جبل يهوذا وعاشت بقايا الكنعانيين بينهم وبين بنى إسرائيل فيما بعد ، وإتخذ الكنعانيون اللغة الكنعانية ومارسوا عاداتهم وكان يحكم كل مدينة من مدنهم أمير يشغل - فى نفس الوقت - منصب قائد الجيش وقد أثبتوا كفاءتهم فى الحرب ضد الإسرائيليين فأخضعوهم لهم عدة مرات . وظلوا فى حروب مستمرة معهم نحو ٣٠٠ عام ، جاءت أخبارها بالتفصيل فى التوراة فى سفر القضاة .. أما الهجرة الأخيرة فقد قام بها العبرانيون وهم قبائل بدوية سامية عاشت فى شمال بلاد العرب وعلى أطراف سوريا الجنوبية الشرقية ، وقد جاءوا إلى فلسطين إبان فترة الفراغ التى تلت إنهيار الدولة الحديثة فى مصر ، وقد توقفت هذه القبائل الإسرائيلية شرقى الأردن لتسمين العجول التى نهبوها من أرض بشان ، التى كانت تحت

سيطرة الملوك الأموريين ، وهزمهم العبرانيون فى معركة أذرعى Edrei عام ١٩٤٥ ق . م . .يذكر المؤرخون أن اليبوسيين رحلوا إلى أرض القدس وأسسوا المدينة التى عرفت باسم "يبوس" قبل الميلاد بـ ٣٠٠٠ سنة ، واتخذوها عاصمة لهم ويرجع بعض المؤرخين أنهم كانوا بطناً من بطون العرب الأوائل الذين تعود نشأتهم إلى الجزيرة العربية ، ثم نزحوا عنها مع القبائل الكنعانية فى الألف الثالثة قبل الميلاد ، ومن أشهر ملوك اليبوسيين "ملكى صادق" وكان أول من خطط لبناء مدينة "يبوس" وقام بتحصينها .. ويقال أنه كان معاصراً لسيدنا إبراهيم عليه السلام .. ومن ملوكهم أيضاً "سالم اليبوسى" الذى بنى قلعة على جبل يقع فى الزاوية الجنوبية الغربية للدفاع عن "يبوس" ، ويذكر أن هذا الجبل الذى بنيت عليه القلعة هو الجبل الذى عرف منذ عهد داود باسم جبل صهيون .. وكانت مدينة "يبوس" تحتل موقعاً متميزاً على طريقين للتجارة .. الطريق الأول يربطها بالبحر المتوسط والثانى يربط حبرون (الخليل) ببيت آيل (بتيين) ومن بيت آيل كان الطريق يتفرع إلى إتجاهين واحد نحو (نابلس) والآخر إلى أريحا ووادى الأردن ..وفى عام ١٤٧٩ ق .م إتخذت المدينة إسم "أورسالم" وخضعت لمصر فى عهده .

ويؤكد الباحثون على أن أقدم النقوش التى ذكر فيها اسم القدس هى تلك النقوش الموجودة فى مجموعة اللوحات المسمارية المكتوبة باللغة الأكادية والتى تتخللها تفسيرات قليلة بالكتابة الأوحاريتية الكنعانية المبسطة .. وتلك النقوش عرفت (لوحات تل العمارنة) وهى وثائق دبلوماسية ترجع إلى عهد فرعون مصر أمينوفيس الثالث (١٤١١ - ١٣٧٥ ق . م) وإبنه إخناتون (١٣٧٥ - ١٣٥٠ ق . م) ، وذلك عندما إستنجد حاكمها عبد يخيبا - وكان حاكماً من قبل فرعون مصر بأمينوفيس الثالث لصد غارات الحابيرو .. وهى مجموعة من القبائل البدوية التى هاجرت من الجزيرة العربية قبل موسى عليه السلام .. وقد خضعت القدس لحكم إخناتون عام ١٣٧٥ ق . م - وكانت فى عهده أهم ممتلكات مصر ، ثم توت عنخ آمون عام ١٣٥١ ق. م ، ثم سيتى الأول عام ١٣١٤ ق . م وقيل أنها خضعت بعد هؤلاء لمنفتاح ويدل على ذلك لوحة إكتشفها العالم الأثرى سير فلندز بترى سنة ١٨٦٦م (وترجع لنحو ١٢٩٩ ق . م) ومكتوب عليها بالهيروغليفية "لقد غلب الملوك وقالوا سلاما وخربت تحينو وهدئت أرض الحيثيين فإنتهت كنعان وحل بها كل الشرور وخربت إسرائيل ولم يعد لأبنائها وجود وأضحت فلسطين أرملة لمصر وصمتت كل البلاد وهدأت وكل من كان ثائراً قيده الملك منفتاح" .

وكان الفراعنة يحكمون فلسطين عن طريق ولاة من أهلها بشرط أن يدفعوا الجزية ولم يكونوا يتعرضون لمعتقداتهم الدينية أو عاداتهم المحلية ولم يصيبوهم بسوء ولما أغار الحيثيون من الشمال على الشام وفلسطين كان على فراعنة الأسرة التاسعة عشر أن يطردوا الحيثيين منها واتفق رمسيس الثانى مع ملك الحيثيين حتسيب الثانى Hattuslb على أن تكون فلسطين كلها من نصيب مصر (وكان ذلك نحو ١٢٧٩ ق . م) لكن المتاعب بدأت ثانية بظهور الإسرائيليين الذين يحتاجون منا أن نرجع معهم إلى الوراء قليلا إلى أول هجرة لهم ، مع هجرات الهكسوس والحوريين (بين ٢١٠٠ - ٢٠٠٠ ق م) وقام بها الآباء الأولون لليهود وعلى رأسهم إبراهيم الخليل الذى تقول التوراة أنه جاء غريبا لأرض كنعان (فلسطين) مع ابن أخيه لوط وعائلتيهما ، ويرجح بعض المؤرخين أن ذلك كان فى عصر الأسرة الثانية عشرة المصرية (وفرعونها سنوسرت) ويحتمل أن يكون قد عاش فى عهد الملك حمورابى المشرع البابلى المشهور ، الذى تسميه التوراة أمرافيل (تك ١٤ : أ) وعاش هؤلاء العبرانيون الغرباء وسط الكنعانيين والحيثيين (الذين يرجح أنهم من سلالة كنعانية عربية) واتخذوا لغة أهل البلاد الكنعانية وسمى سيدنا إبراهيم بالعبرانى لعبوره نهر الأردن فى طريقه لفلسطين ، أو نسبة لجده عابر بن سام بن نوح (تك ١٠) .

وفى القرن ١٧ ق . م هاجر العبرانيون من فلسطين لمصر (رحلة سيدنا يعقوب والأسباط بناء على دعوة إبنه يوسف الوزير فى البلاط المصرى) فاستقروا فى أرض جاسان (بمحافظة الشرقية) وكانوا فى مجموعهم سبعين فردا فقط ، وتم خروجهم من مصر عبر البحر الأحمر بقيادة موسى النبى عليه السلام .. بعد أن بقوا فى مصر ٤٣٠ عاما كاملة وقيل أن سيدنا موسى تربى فى بلاط الملكة حتشبسوت (نحو ١٥٢٧ ق م) طبقا لحفريات جلاستنج .. عضو بعثة جامعة ليفربول - فى مقابر مدينة أريحا ، ويؤكد كل المؤرخين بأن الخروج من مصر يمثل البداية الحقيقية لتاريخ اليهود فى الأرض المقدسة ، ويذكر الكاتب " يوجين هود " أنه لما تراخت قبضة مصر على فلسطين سمح ذلك للعبرانيين أن ينفذوا ببطء إليها تدريجيا (نحو ١٤٠٠ ق . م) حتى تم التهام أكبر مساحة منها فى عهد داود (نحو ١٠٠٠ ق .م) وكان يابان JAPAN الملك الكنعانى (وقائده سيسرا) قد سيطر عليهم من عام ١٢٢١ - ١٢٠١ ق م ثم أخضعهم المديانيون العرب سبع سنوات ثم ساد نفوذ الفلسطينيين عليهم بعد هزيمة قائدهم المشهور شمشون (نحو ١١٠٠ ق م) ،

والجدير بالذكر أن الفلسطينيين كانوا أكثر تقدما فى أسلحة الحرب فكانوا يستعملون عربات حربية ثقيلة تجرها الثيران (كما تشير التوارة .. والنصوص المصرية القديمة) .

وكانت إسرائيل قد بدأت تظهر طموحها وتستهدف الاستقرار ولكن الفلسطينيين إستطاعوا أن يؤكدوا وجودهم ضدها لأنها لم تكن قد عرفت الوحدة السياسية والإدارية على أن ضغط الفلسطينيين عليها كان من أهم العوامل فى تجميع قواها وإنشاء أول مملكة لها - كان ملكها الأول شاول بن قيس ولكن الفلسطينيين استطاعوا أن يقضوا عليه ثم تولى الحكم بعده داود النبى ، الذى عاش طوال حياته فى حروب مستمرة مع جيرانه العرب واقتبس الإسرائيليون الحضارة الكنعانية فتركوا - الإسرائيليون - معيشة الخيام وسكنوا بيوتا مثل الكنعانيين ، وتعلموا منهم التجارة وبعض الصناعات اليدوية وخلعوا ثياب الجلد ولبسوا بدلا منها ثيابا منسوجة من الصوف كثياب الكنعانيين .

يذكر أنه خلال غزو بنى إسرائيل لفلسطين كلها تحت قيادة القائد اليهودى يشوع بن نون ، فقد اتحد ملك اليبوسيين "أدونى صادق" مع أربعة من الملوك المجاورين (ملك حبرون - ملك يرموت - ملك لخيش - ملك محكون) وتصدوا ليوشع بن نون إلا أنهم وقعوا فى الأسر ، فأعدمهم ، لكن سكان "يبوس" أو القدس قد تحصنوا بالتلال الجبلية المحيطة بالقدس بعد محاولة الملك يوشع تدميرهم ، إلا أن أهل المدينة قاوموا وكان لسور مدينتهم العظيم الفضل فى صد هجمات بنى إسرائيل ، فانهزم الإسرائيليون وتشتت شملهم .. وأعاد اليبوسيون بناء مدينتهم من جديد ، إلا أنه بعد مرور أعوام أعاد الإسرائيليون الهجوم على المدينة وحاصروها وقاموا بتدميرها وكان ذلك بعد وفاة الملك يوشع .. لكنهم لم يستطعوا الإستيلاء على قلعة اليبوسيين - والتى عرفت بإسم حصن صهيون فيما بعد - وبقيت تحت سيطرتهم مدة عهد القضاة وفترة حكم الملك شاءول أول ملوك بنى اسرائيل .

وقبل وفاة يوشع قسم فلسطين إلى أنصبة قبلية بين أسباط بنى إسرائيل الاثنى عشر محددا مكان كل سبط .. وأصبحت "يبوس" فى قطاع سبطى ويهوذا ، ورغم ذلك التقسيم إلا أن يبوس ظلت مدينة تنتمى لسكانها الأصليين حتى عصر داود "عليه السلام" .. وقد ورد هذا صراحة فى سفر يوشع (الإصحاح ١٥ - الفقرة ٦٣) .. أما اليبوسيون الساكنون

فى أورشليم "القدس" فلم يقدر بنو يهوذا على طردهم فسكن اليبوسيون مع بنى يهوذا فى أورشليم (القدس) إلى هذا اليوم .. وقد ظلت المدينة المقدسة إلى عهد داود مدينة لليبوسيين وعاصمة لهم أكثر من ٢٠٠٠ عام قبل عهد موسى .

وتجدر الإشارة إلى أن اليهود عاشوا أقلية وسط اليبوسيين فى المدينة منذ غزوة فلسطين بقيادة "يوشع" واليبوسيون معظمهم من الأدموميين والكنعانيين والموآبيين .. وغيرهم وهم عرب .. أى أن العرب كانوا السكان الأصليين للمدينة ، إلا أن اليهود يغالطون فى التاريخ ويدّعون أن حرب "يوشع" لغزو فلسطين كانت حربا مقدسة متذرعين بالوعد الإلهى الوارد فى سفر التكوين (١٥ : ١٨) فى ذلك اليوم قطع الرب مع إبراهيم ميثاقا قائلا لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات .

ولايوجد خارج التوراة أى إشارة أو وثيقة تعود إلى هذه القصة القديمة عن إسرائيل .. وقد أثبت الباحثون والمؤرخون أن الجزء الأول من العهد القديم وهو المعروف بالتوراة – توراة موسى – لم يكن على هذه الحال التى نراها عليه اليوم ، إذ يذهب الباحثون إلى أن الشطر الأكبر منه قد تم تدوينه فيما بين عذرا (٤٢١ ق .م) والفتح الرومانى (٦٣ ق م) ويعتمد العلماء على أدلة كثيرة منها نصوص من التوراة نفسها "فمات هناك موسى .. ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم" (تثنيه ٢٤ : ٥ – ٦) ولا يمكن أن يصدر هذا القول عن موسى عليه السلام ، وهذا يقطع أن التوراة فى وضعها المعروف لنا حاليا ما لايمكن نسبه إلى موسى .

ولعله من المناسب إيراد بعض أقوال عدد من العلماء والمؤرخين الأجانب :

١ – يقول دى لاسى أوليرى De Lacy O'Leary : وفى حالة فلسطين مايحمل على الإعتقاد بأن أكثرية الفلاحين الحاليين هم أحفاد من جاء قبل الإسرائيليين .

٢ – ويقول و . ف . أولبرايت W.F. Albright : إن العنصر السامى قد بقى العنصر الأساسى فى التركيب العرقى لفلسطين منذ ذلك الوقت (١٠,٠٠٠ – ٣٠٠٠ق.م) إلى الآن .

٣ – ويقول السيرجيمس فريزر James Frazer : إن الناطقين بالعربية من فلاحى فلسطين مازالوا متصلين بالأرض ، لم ينفكوا عنها ولا أقتلعوا منها ولئن طرأت عليهم

موجات من الفتوح فإنهم ثبتوا وأقاموا.

٤ - وقد أجرت مسز فن Finn زوجة القنصل البريطانى فى القدس فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر تحقيقاً مطولاً عن أصول الفلاحين الفلسطينيين نوجزه فيما يلى :
إن بقاء الأسماء الكنعانية للمدن والقرى والمواقع على حالها متجاوزة كل المراحل التاريخية يؤكد أن الفلاحين الفلسطينيين هم أحفاد الكنعانيين ومن ذلك إسم "أوروسالم" أو (يبوس) الذى ظل معروفا عبر العصور كاسم لمدينة القدس وانحدر من الكنعانيين .. جاء الفاتحون وذهبوا وبقيت البلاد تحمل أسماءها الكنعانية القديمة فلا العادات ولا التقاليد ولا الدين تحول بيننا وبين القول : إن الفلاحين الحاليين هم أنسال الكنعانيين .

وخلصت السيدة إلى القول : لقد حققنا فى أصول السكان الفلاحين العرب الحاليين فى فلسطين فثبت لنا على الأرجح أنهم من ذرارى الشعوب الكنعانية القديمة للأسباب التالية :

أولاً : أن خمسة من تلك الشعوب القديمة استمرت فى فلسطين إلى العهد المسيحى ، ولم تبد أو تنف من الأرض بعد ذلك .

ثانياً : الواضح أن الفلاحين شعب أصيل فى البلاد وليس هناك من أثر أو سجل يدل على غربتهم عنها .

ثالثاً : إن عادات كنعانية كثيرة قد حرمت فى شريعة موسى ومازالت متبعة عند الفلاحين حتى اليوم .

رابعاً : لأنهم حافظوا على الأسماء الجغرافية القديمة .

من هنا فإن عرب فلسطين هم شعب البلاد التاريخى .. المؤلف من عناصر من شعوب كثيرة سكنت البلاد فى الماضى .. وهم لهذا السبب أصحاب فلسطين الشرعيون ، لأنها كانت وطنهم على الدوام .

ونتساءل : أتستطيع أى مجموعة بشرية مهما كان وضعها على بقية شعوب المنطقة أن تكذب الحقائق التاريخية والأثرية بمجرد إيمان تلك المجموعة بأنها مجموعة سامية منتقاه مختارة من قبل الإله وتجوز على تقاليد وموروثات أخرى فوق مستوى الشبهات !

مملكة داود وسليمان

سادت الفوضى والتمزق بنى إسرائيل خاصة بعد وفاة "يوشع بن نون" .. إلا أن صمويل النبى - وهو من سبط بنيامين والذى تقع القدس فى قطاعه الذى يحكمه - نجح فى أن يجمع مجلسا من ممثلى أسباط الشمال والجنوب جميعا ، ورشح لهم شاءول ملكا على كل بنى إسرائيل ، فبايعوه ونصب ملكا عليهم (١٠٢٠ - ١٠٠٠ ق . م) إلا أن نظام حكمه كان غير ثابت الأركان فعجز عن السيطرة على المعارضين له داخل فلسطين ، كما كان نزاعه مع داود زوج إبنته ميخال من الأسباب التى عجلت بسقوطه وكان شاءول قد خاض سلسلة من الحروب ضد أعدائه وفى مقدمتهم شعب فلسطين ، ولكنه إنهزم أمامهم فى معركة فاصلة على جبل "جلبوع" وإنتهت بمقتله منتحرا مع أبنائه الثلاثة (أنظر سفر صمويل الأول) .

وحاول داود أن يسيطر على زمام الأمور لصالح بنى إسرائيل ، بأن يبايعوه ملكا على بنى اسرائيل إلا أن أسباط الشمال رفضوا مبايعته أشبوشت (اشبعل) ملكا عليهم بينما بايعت الأسباط الجنوبية داود ملكا عليها إلا أن الحرب ظلت دائرة بين الشمال والجنوب وإنتهت بموت ملك أسباط الشمال ، وفى أعقاب ذلك اجتمع ممثلو بنى إسرائيل من الشيوخ وقواد الجيش وبايعوا داود ملكا على كل بنى إسرائيل (١٠٠٠ ق .م) وبعد تلك المبايعة شعر داود بخطر الفلسطينيين وكذلك فى تغيير عاصمته حبرون فى الشمال - الخليل حاليا - إلى (يبوس) فى الجنوب التى كانت تحت سيطرة اليبوسيين العرب فطارد الفلسطينيين حتى السواحل الشمالية ، وخطط للزحف نحو (يبوس) بجيش قوامه ٣٠٠,٠٠٠ ألف مقاتل .

ولما علم اليبوسيون برغبة داود فى الاستيلاء على مدينتهم أغلقوا أبوابها ووضعوا حراسا على أسوارها ، فأمر داود بحصارها وقرر الإستيلاء عليها مهما كانت مقاومة أهلها، حتى يبسط سلطانه على بقية فلسطين ، فاستولى على المدينة السفلية بالقوة وفشل فى الاستيلاء على القلعة التى تعتبر نواة للمدينة ويذكر المؤرخون أنه أعلن مكافآت للجند ووعد أن أول من يخترق الخنادق التى أسفل القلعة ويستولى عليها سيتولى قيادة الجيش

(سفر أخبار الأيام الأول ١١ : ٤) ولهذا طمع الجنود فى أن تكون لهم الأولوية فى الدخول للقلعة ، لنوال القيادة واستطاع أحد الجند واسمه "يوآب بن صرويه" أن يقتحم القلعة وينال غرضه .. وهكذا خضعت المدينة المقدسة للإسرائيليين بعد أن فشلوا فى الإستيلاء عليها فى عهد "يشوع" أى منذ ٥١٥ عاما من بعد محاولة يشوع .. وقد ظلت "حبرون" عاصمة لملك داود سبع سنوات ونصف .. أما "يبوس " أو القدس فقد بقى بها ٣٣ عاما .

ويقال أن داود بعد انتزاعه جبل صهيون بنى عليه قصرا حصينا اتخذه قاعدة لإنطلاقه ..ومقرا لحكمه وأقام مقابر أسفل الجبل وقام بتقوية الأسوار والأبراج .. ومازالت بعض الآثار باقية حتى الآن وكان إختياره للقدس يعد دليلاً واضحاً على حنكته السياسية لأنها مدينة محايدة تتمتع بمزايا كثيرة فهى ذات موقع استراتيجى وسط فلسطين على تل يرتفع حتى ٢٦٠٠ قدم فوق سطح البحر وتحيط بها وديان عميقة ومن ثم تصلح أن تكون عاصمة حصينة ، ورغم كل هذه الأحداث فلم يحدث إندماج حقيقى بين أسباط الشمال والجنوب وبقى هذا الانفصال قائما فى ضمائرهم ونلاحظ أن مقدرة داود نفسها لم تكن كافية لحفظ السلام داخل مملكته بل إنه فى وقت من الأوقات حين تزعم إبنه أبشالوم الثورة ضده إضطر إلى الفرار إلى ماوراء نهر الأردن لينجو بنفسه .. ومما يجدر ذكره أن الملك داود لم يستطع طرد السكان اليبوسيين المتمسكين بأرضهم ومساكنهم ، ولما كانت عشيرة داود هى سبط يهوذا ،فقد بدأ الإسرائيليون يسمون باليهود أيضا منذ ذلك الحين .

ويعتبر داود هو مؤسس الدولة العبرية ، فحارب جيرانه وأرجعهم إلى الجبال شمالا والصحراء جنوبا وبهذه الحرب إتسعت مملكة داود حتى وصلت إلى جبل الشيخ والكرمل شمالا وإلى حدود مصر ونهر الموجب جنوبا وإلى الصحراء شرقا .. أما الساحل الممتد شمال يافا إلى غزة فكان تابعا لمصر، والجدير ذكره أن من أسباب اتساع مملكة داود ، الإنحطاط الذى مر ببلاد مصر وآشور ، فداود جمع بين الملك والنبوة وقد ذكرت التوراة ذلك ، كما ذكره القرآن بالإسم فى عدة سور منه وكانت تقوم سياسته على عنصر المحالفات مع مدينة صور الفينيقية إذ كان حاكمها آنذاك أحيرام ، فكفلت تجارته إلى البحر الأحمر عبر التلال العبرانية وقد أنشأ أحيرام أسوار القدس ومعبدها كترتيب على حسن العلاقات مجتمعة .

يقول غوستان لوبون فى كتابه "اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى عن شئون الحضارة التى لم يتعرف عليها اليهود" : لم يجاوز قدماء اليهود أطوار الحضارة السفلى التى لاتكاد تميز من طور الوحشية وعندما خرج هؤلاء البداة الذين لا أثر للثقافة فيهم من باديتهم ليستقروا فى فلسطين وجدوا أنفسهم أمام أمم قوية متمدنة منذ زمن طويل ولم يقتبسوا من تلك الأمم سوى أخس ما فيها من حضارة ودعارة وخرافة فقربوا لعشتروت ولبعل أكثر مما قربوه لإله قبيلتهم "يهود" العبوس الحاقد .. وأن أرض الميعاد لم تكن غير بيئة مختلفة لبنى إسرائيل فالبادية كانت الوطن الحقيقى لهم وتاريخ اليهود لايبدأ فى الحقيقة إلا فى عهد ملوكهم زمن داود الذى إتخذ القدس عاصمة ، فإبنه سليمان .

سليمان الحكيم خلفا لداود

بعد موت داود خلفه ابنه سليمان (٩٧٣ ق م) فجمع بين الملك والنبوة وكان على عكس والده يميل إلى حل المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية بسلام وهدوء واشتهر حكمه بالإستقرار .. والعمران والتقدم التجارى .. واشتهر بالثراء والحكمة .

وقد دعم سليمان علاقاته بجيرانه ، فتزوج ابنة فرعون مصر - أحد ملوك الأسرة الحادية والعشرين - الذى أهدى له مدينة جازر ، وكان فرعون مصر قد إستولى عليها من الكنعانيين .. ودخل سليمان مع ملك صور "حيرام" شريكاً فى الأسطول التجارى ، وأدى ذلك إلى مساعدة ملك صور سليمان فى بناء الهيكل عن طريق إمداده بالمواد اللازمة للبناء إضافة إلى العمال المهرة ، وتذكر التوراة أن سليمان قام ببناء سور حول القدس ، ونظرا لعدم معرفة مساحة المدينة أو إمتدادها فى عهده ، فلا يمكن تحديد طول هذا السور ويبدو أنه وضع فى إعتباره فصل مدينة داود (الحصن اليبوسى القديم) عن أورشليم التى توجد على التل الجنوبى الغربى .

وقد أكتشفت أخيرا بقايا حائط فى جنوبى شارع الملك داود فى وسط القدس القديمة عند ما يسمى ببوابة ويلسون ، ويرجح أنه جزء من سور سليمان .. وقد اكتشف المهندس الإنجليزى مودسلى MAUD SLEY والأمريكى بلس PLISS عدة بوابات فيه

وكذلك حـددا اتجاه التحـصينات ولكنهمـا لم يستطعا أن يحـددا زمناً مؤكدا لهـذه الأبنية سواء فى أيام سليمان أو بعـده ، أما أولاد سليمان الذين حكموا بعده فـقد أقاموا بدورهم تحصينات جديدة للقدس .

هيكل سليمان

يذكـر أن بنى إسرائيل منذ أيام مـوسى عليه السـلام حتى داود يـقيمـون شعـائرهم الدينية فى خيـمة تفك وتركب فى أى مكان .. وتسمى خـيمة الاجتمـاع .. ورأى سليمان الاستغناء عن الخـيمة بمعبد يبنى مـن الحجارة وجاءته هذه الفكرة بعد الإسـتقرار فى أرض كنعان (فلسطين) فـاختار موقـعا للمعبد على جـبل "موريا" جنوب شرق القـدس القديمة ويعتـقد اليهـود رغم عدم وجود دليل بأن ذلك المكان هـو الذى امتحن الله فـيه "إبراهيم" الخليل ليقـدم إبنه ذبيحاً .. وتعـتقد بعض الـكتابات المسيـحية أن هذا الفـداء تم فى منطقة كنيسة القيامة ، وليس مكان الهيكل .

والهيكل يقع علـى تل مستطيل يحـده شمالا تل يسـمى "صخر بزيتـا" وإلى الشرق وادى قدرون وفى الغرب وادى تريبيون ، ويجتمعان عند الجنوب على شكل زاوية حادة .

ويقع الهيكل مجاوراً لقصر سليمان ومساكن أسرته ومقار الكهنة القائمين بالخدمة فى الهيكل .. ويذكـر أن الذى بنى الهيكل هو مهندس معمـارى فينيقى وقد إسـتوحاه من الفن المعمارى السامى ، فالتـصميم العام للمعبد السليمانى يكـاد يماثل المعبد الكنعانى مع إختلافـات غيرجوهرية وتجدر الإشارة إلى أن العـرب ساهموا فى بنائه لعدم خبـرة اليهود بالفن المعمـارى وقتها ، فكانت رسـومه على طراز مصرى أشـورى .. وساهم الفينيـقيون العرب بخشب السرو والأرز من لبنان .. وأقيم الهيكل على شكل مربع طول ضلعه ١٨٠ مترا ، واسـتخدمت فيـه حجارة كبـيرة .. وكان موقع الصـخرة - التى تقع حاليا تحـت قبة مسـجد الصخرة - هو هـيكل " الذبائح " التى يسميـها اليهود بـالمحرقات وكان مكشـوفا ومغطى بصفائح من النحاس فى جوانبه الأربعة .

وكان الكهنة اليهـود يقدمون عليه الذبائح الحيـوانية المختلفة يوميـا فى الصباح وفى المساء عن طريق حـرقها بالنار ويقع فى وسـط ساحة تدعى دار الكهنة وهى فـضاء داخلى

مرتفع يستقر فيه الكهنة لمقابلة اليهود الذين يرغبون فى تقديم الذبائح تكفيراً عن خطاياهم ويوجد هنا أيضاً حوض نحاسى كبير محمول على ١٢ ثوراً من النحاس المسبوك ومداخل الساحة تشبه واجهات هياكل قدماء المصريين .

ويرقى بعد ذلك على سلالم حجرية عليها عمودان مسبوكان من النحاس طول كل منهما ١٣ متراً وأمامهما إلى الغرب الباب الكبير الذى يقود إلى حصنين إرتفاعهما ٣٢متراً ويقع أمامهما واجهة المكان المسمى بالقدس وعرض مدخله ١٠ أمتار ، وأبعاده هى ٢٠× ١٠×٥ متراً وفيه ما يسمى بهيكل البخور والموائد الذهبية الخمس التى كان يوضع عليها الخبز اليومى والمنائر العشر الذهبية ذات الشعب الأربعة .

ونصل بعد ذلك إلى المكان المسمى « قدس الأقداس »، وهو غرفة مربعة طول ضلعها ١٠ أمتار ، وهو مكان مظلم (أى بلا نوافذ) ويضم تابوت العهد الذى صنعه موسى النبى ليسير أمام بنى إسرائيل فى البرية وبداخله لوحا الشريعة اللذين كتبت عليهما الوصايا العشر المشهورة ، وقسط يضم القليل من المن الذى كان يرسله الله لبنى إسرائيل فى البرية وعصا هارون رئيس الكهنة وأخو موسى النبى ، وكان هذا التابوت موضوعاً على مائدة ذهبية تحت جناحى لوحتين معدنيتين على شكل ملاكين فى عهد سليمان ثم فقد بعد سبى اليهود إلى بابل ولم يعثروا عليه بعد رجوعهم هذا وكان غير مسموح لأحد بدخول قدس الأقداس إلا لرئيس الكهنة مرة واحدة فى السنة ، ولهذا كانوا يربطونه بسلسلة ذهبية حتى إذا ما مات داخله يمكن جره منها ، دون دخول أحد ، ولم يفصله عن المسكن الآخر المسمى القدس سوى حجاب حريرى ومن خارج الهيكل كانت تقع دار الشعب وهى تحيط بدار الكهنة ولم يكن يدخلها سوى اليهود فقط ، وبها مكان خاص بالنساء ويمكن الصعود منها إلى دار الكهنة بخمسة عشر درجة وكانت تتلى فيها مزامير المصاعد أو المراقى Graduals وكان لها باب نحاسى ضخم يحتاج إلى ٢٠ رجلا لفتحه وكان يوجد خارجه صندوق لجمع التبرعات وعن شماله كانت تقع قاعة فسيحة حيث إجتمع علماء اللاهوت اليهود مع السيد المسيح وهو فى سن الثانية عشر من عمره ، وفيها أيضاً قدم اليهود للمسيح إمرأة خاطئة سائلين إياه بخبث عما يحكم به عليها حتى يصطادوه بكلمة ليشتكوه بها حيث كانت الشريعة الموسوية تحكم عليها بالرجم ولكنه أفحمهم بكلمته المشهورة « من منكم بلاخطيئة فليرجمها أولاً بحجر» .

وكان الفناء الخارجى لمعبد سليمان يحتوى على حوض ضخم جداً مصبوب من البرونز وقائم على تماثيل لاثنى عشر ثورا تمثل الأسباط الاثنى عشر وكان هذا الحوض يسمى "بحر النحاس" ولعله المقصود به "جفان كالجواب" كما جاء فى القرآن الكريم ﴿ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير يعملون له ما يشاء من محاريت وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادى الشكور﴾ سورة سبأ - آية ١١ ، ١٢ .

وما ذكر فى القرآن الكريم لا يختلف فى مضمونه عن ما ذكر فى العهد القديم (سفر الملوك الأول - اصحاح ٥ - ١٣ - ١٦) "وسخر الملك سليمان حشوداً كبيرة من بنى إسرائيل تقدر بحوالى ثلاثين ألف رجل فأرسلهم إلى لبنان عشرة آلاف فى الشهر من التوبة يكونون شهرا فى لبنان وشهرين فى بيوتهم وكان أدونيرام على التسخير ، وكان لسليمان سبعون ألفا يحملون أحمالا وثمانون ألفا يقطعون فى الجبل .. وأمر الملك أن يقطعوا حجارة كبيرة ، حجارة كريمة لتأثيث البيت ، حجارة مربعة" ، ويحاط الهيكل من الخارج بدار الأمم حيث كان يجوز لغير اليهود دخولها وكانت فيها عدة لافتات باليونانية واللاتينية والعبرية للتحذير بعدم تجاوزها وإلا تعرض المخالف للقصاص الشديد (وتوجد إحدى هذه اللافتات بمتحف اللوفر بباريس) وكان فى شرقى هذه الدار مكان واسع يضم دكاكين الصيارفة لتغيير العملات الأجنبية وباعة الحمام والحيوانات التى تباع للتضحية ، وفى المواسم الدينية والأعياد كان هذا المكان يمتلىء بالباعة.

وقد تهدم هذا الهيكل عدة مرات كان آخرها وأشدها سنة ٧٠م وبقيت بعض أساساته حتى سنة ١٣٥ م حيث أتى عليها الإمبراطور الرومانى هدريان تماما وبنى محلها معبدا لجوبتر وبعد ذلك تهدم المعبد الوثنى ، وذكر أحد المؤرخين أنه لم ير منه شيئاً سنة ٣٣٣م ومما يؤخذ على سليمان أنه اهتم بقصره أكثر من إهتمامه بهيكل الرب السابق وصفه فكان قصره مثلا - أكبر من الهيكل أربع مرات واستغرق بناؤه ثلاثة عشر عاماً.. بينما شيد الهيكل فى سبعة أعوام فقط كما تذكر التوراة ، ولذلك - كما تواتر فى الأقاويل الموروثة - أن سليمان بعد أن إنتهى من بناء قصره وهيكله واستقباله ملكة سبأ قد تمردت

عليه بنى إسرائيل بسبب البذخ والنفقات الضخمة التى كان يبذلها ، مما أرهقهم بالضرائب إلى حد أنه لكى يقر عدالة التوزيع بين بنى إسرائيل جعل الإنفاق على المملكة على كل سبط من الاثنى عشر شهراً فى السنة .

الحرم والهيكل

لكن : ماذا عن مزاعم اليهود اليوم أن الحرم الإسلامى يقوم مكان هيكل سليمان؟

يرد على هؤلاء د. حسن ظاظا فى كتابه (إسرائيل ركيزة الإستعمار) : من المفيد أن نذّكر اليهود بأن الحرم الإسلامى الشريف أقيم فى نفس المنطقة التى كان "ملكى صادق" يدعو فيها بإسم الله العلى فى زمن سيدنا إبراهيم ومن المرجح أن السور الذى كان يحيط بمنطقة الهيكل على عهد سليمان ، كان مربعاً ضلعه مائة وثمانون متراً ولقد وقفنا على دراسة دقيقة للأثرى الفرنسى "دى سولسى" فى كتابه "تاريخ الفن اليهودى" يشير فيها إلى أن مقاييس الحرم الإسلامى الشريف فى نفس المنطقة هى "الضلع الشرقى لسور الحرم طوله ٣٨٤ متراً " والضلع الجنوبى ٢٢٥ مترا ثم يمتد الضلع الغربى فى خط مستقيم بزاوية منفرجة وبذلك يصبح الضلع الشمالى من السور أطول بكثير من الضلع الجنوبى وعلى ذلك فمساحة الحرم الشريف أكبر من ضعف مساحة جبل الهيكل داخل أسوار سليمان أو نحميا أو هيردوس" .. وقد يكون من أبرز المعالم التى تميز الحرم الاسلامى الشريف أنه مستطيل ويأخذ الإتجاه من الشمال إلى الجنوب فى إتجاه قبلة مكة المكرمة على خلاف هيكل سليمان فبرغم إستطالته فهو يأخذ الإتجاه من الغرب إلى الشرق .

إن مزاعم اليهود لايسندها أى دليل أو حجة على صحة ما يروجون إنما هى سلسلة من الأكاذيب بهدف هدم الحرم الإسلامى الشريف ، وبعد موت سليمان (١٠١٥ - ٩٨٤ ق م) سادت الفرقة والخلاف بين اليهود خاصة بين الأسباط الشمالية والجنوبية وأخذ كل منهما يناوئ الآخر ويسعى للقضاء عليه ، فما أن تولى "رحبعام" إبن سليمان العرش خلفاً لأبيه حتى ثارت عليه الأسباط الشمالية ورفضوا مبايعته ربما - كما يقول البعض - بسبب رفضه تخفيض الضرائب عن كاهلهم لكن بايعه فى الجنوب سبطى يهوذا وبنيامين ملكاً على بنى إسرائيل فى الجنوب .. فى الوقت نفسه بايعت الأسباط الشمالية "يربعام" من سبط "افرايم" ملكا على الشمال ، وإتخذ شكيم (نابلس الآن) عاصمة له ثم نقل العاصمة لـ "فينوئيل" .

ولسنا هنا بصدد سرد تاريخ بنى إسرائيل وإنقسامهم على أنفسهم ، لكننا نؤكد أنه نتيجة لتشتتهم وانقسامهم جاءت الغزوات من الخارج تلاحقهم فى فلسطين لتنال منهم ، فالأراميون فى سوريا والعمونيون والمؤابيون والأدوميون والفلسطينيون العرب كل هؤلاء ضيقوا الخناق على مملكتى إسرائيل (الشمالية والجنوبية) حيث بدأت القوات المصرية والآشورية تزحف اليهم .

وعن تلك الحقبة فى تاريخ بنى إسرائيل يقول المستشرق د . جرمانوس رئيس قسم الدراسات الشرقية بجامعة المجر (جريدة "الأخبار" القاهرية ٢٦/ ٣/ ٦٩) : إن الدولة وقتها كانت تعيش على الطبقية الحادة ، فالطبقة الأرستقراطية (المسماه الكوهنيت) هى وحدها التى كان لها حق دراسة التوراة والعلوم الخاصة بها ثم طبقة الليفى (وهم حراس التوراة) ، ثم عامه الشعب وهى الأكثرية التى عاشت فى فقر مدقع لتخدم هاتين الطبقتين نتيجة لنظام السخرة الذى فرضه سليمان .. وعاش هذا الشعب متعصباً جداً يدَّعون الهداية عندهم وحدهم وأنهم .. على هذا الأساس .. متميزون على غيرهم من الشعوب المحيطة بهم .. وقد غذَّت الطبقية التى كانت سائدة فى مجتمعهم هذا الاتجاه العنصرى ولهذا لم تعش هذه الدولة طويلاً . فانشقت بعد رحبعام بن سليمان - الذى كان جاهلاً وقاسياً - إلى دويلتين صغيرتين إحداهما فى شمال فلسطين وسميت مملكة إسرائيل تحت حكم القائد يربعام وضمت عشرة أسباط وصارت عاصمتها السامرة أما المملكة الأخرى فكانت أصغر إذ ضمت سبطين فقط : وقد دعيت مملكة يهوذا وإتخذت أورشليم عاصمة لها .

وقد فسد ملوك إسرائيل وعبدوا مع شعوبهم الأوثان وعاشوا فى الملذات كما تسرد التوراة أخبارهم بالتفصيل ، وظلت الضغائن بين المملكتين الإسرائيليتين وأخذت كل منهما تناوئ الأخرى وتسعى للقضاء على زميلتها وظهر ذلك عندما طلبت مملكة الشمال من مملكة آرام العربية السورية أن تقضى على المملكة اليهودية الجنوبية وفعلا نالت مأربها ، وقد هال يربعام - أول ملوك الشمال - أن تخرج القدس من يده ، وهى المدينة المقدسة ذات الدخل المالى الكبير من الحج فى مواسمه التى كانت تتكرر ثلاث مرات كل عام ، لهذا إختار مدينة أخرى هى بيت آيل لبناء معبد آخر لنفس الغرض ، لكنه عاد ونكث عهده مع الله فوضع فى معبده تماثيلاً مصرية .

وقد استمرت مملكة إسرائيل من عام ٩٣٠ - ٧٢٢ ق م وكان لها ١٩ ملكا أما مملكة يهوذا فقد عمرت من ٩٣٠ - ٥٨٦ ق . م وكان لها عشرون ملكاً ، وكان فرعون المسمى «شيشنق الأول »قد سبق الوافدين من أرض الرافدين (العراق) وصعد على أورشليم أيام رحبعام بن سليمان (٩١٥ ق . م) ومعه ٢٠٠ مركبة حديدية ، و٦٠,٠٠٠ جندى مصرى ، واستولى على المدينة المقدسة وأخذ كل خزائن الهيكل ومقتنيات القصر الملكي وخلد شيشنق إنتصاره على اليهود برسم على معبد آمون يبين جلوسه بين ٣١٨ ملكاً وواليا وأمامه يهودى (يبدو من أنفه المعكوف المعروف) ، وبجانبه كتابة هيروغليفية تقول "بوذا - فرعون (أى ملك يهوذا) ، كما هجم الملك المصرى زارح (الكوشى الأصل) على مملكة يهوذا بعد ذلك بجيش يضم مليون جندى و٣٠٠ مركبة حديدية - كما تقول التوراة - وقد دون هذا الملك أخباره هذه على معبد الكرنك .

القدس والآشوريون

غزا الآشوريون أورشليم بقيادة ملكهم شلمنصر .. والذى ظل يحارب من أجل الإستيلاء على المدينة حتى عام (٧٢١ ق . م) ولما لم يتمكن من تثبيت أقدامه فيها زمناً إرتد عنها ، وظلت أورشليم « والقسم الجنوبى من فلسطين » خاضعة لحكم الفراعنة .

ولم تدخل أورشليم فى حكم الآشوريين إلا فى عهد الملك "سنحريب" إذ أرسل لفتحها أحد قواده المشهورين "ربشاقى" فحاصرها عام ٧١٣ ق . م ودك أسوارها .. وسبى أهلها .. ولم يستطع بنو إسرائيل دفع الأذى عن المدينة ، فاتبعوا نصيحة ملكهم حزقيا الذى أمر بتحصين سور المدينة .. وحفر نفقاً طوله ١٧٠٠ قدم بين عين أم الدرج فى سلوان وداخل المدينة كما أسال الماء من بركة ماملا إلى بركة سميت باسمه فيما بعد (بركة حزقيا) وهى المسماة اليوم باسم "بركة حمام البطرك" فى حارة النصارى .. لكن كل هذا لم يكن كافياً لإنقاذ أورشليم من الآشوريين لولا الطاعون الذى نال من جيشهم فرجعوا إلى بلادهم ثم عادوا بعد حين فاحتلوها واعتقلوا ملكها "منسه" وأرسلوه إلى بابل مصفداً بالأغلال (٦٧٨ ق . م) ولكنهم أطلقوا سراحه ورجع إلى أورشليم فبنى سورها الثانى

عام (٦٤٤ ق . م) ولولا الضعف والتشتت الذى حل فى صفوف الآشوريين لما تخلوا عن هذه البلاد للبابليين .

القدس و بابل

بعد ضعف نفوذ الآشوريين راح البابليون من ناحية والمصريون من ناحية أخرى يتنازعون السيادة على أورشليم .. ويذكر أن البابليين ، إستولوا على المدينة عام (٥٩٩ ق . م) وذاق أهلها الجوع والمرض .. وإختار اليهود جانب الهروب .. ويذكر أن ملكهم "نبوخذ نصر" نهب أورشليم ودك سورها ودمر الهيكل الذى بناه سليمان وأخلى شعبها إلى بابل ، فقتل منهم من قتل وإستعبد من لم يقتل وهكذا إنقرضت مملكة يهوذا (٥٨٦ ق م) . وراحت كلمة بابل هى العليا فى أورشليم .. وكان البابليون يسمونها : أورو – سالم وأصبحت البلاد كلها مستعمرة بابلية .. تدفع الضرائب لبابل وتتكاتب معها وأصبحت اللغة البابلية هى اللغة الرسمية للبلاد .. لكن رغم ذلك فاللغة الكنعانية ظلت متداولة – بشكل غير رسمى – بين سكان البلاد حتى جاء الفتح الفارسى .

القدس والفرس

فى عهد ملك الفرس "كورش" انتصر على البابليين وسار فى فتوحاته حتى احتل سوريا وأوروسالم وذلك عام (٥٣٨ ق م) ولأن "كورش" تزوج من يهودية فقد طلبت منه أن يأذن لقومها بالعودة إلى أوروسالم فأذن لهم (فى نفس عام فتحه للمدينة) وعاد إليها فريق منهم والآخرون آثروا البقاء حيث كانوا .. وعندما تولى "أرتحشستا" (٥٢٢ ق . م) عرش الفرس إعترض الحوريون والعمونيون على هجرة اليهود إلى أوروسالم وبنائهم لهيكل جديد ، وهددوا بالعصيان ، فأصدر "أرتحشستا" أمراً بوقف بناء الهيكل الذى شرعوا فى بنائه .. ولكن "دارا" الذى إعتلى عرش الفرس عام (٥١٩ ق . م) أتاح لهم بناء سور وأتموا بناء الهيكل الثانى عام (٥١٥ ق . م) .

وظلت المدينة خاضعة لملوك الفرس .. يدفع سكانها الضرائب والعوائد وكان الفرس فى بداية حكمهم أقوياء أشداء لكن عندما فتحوا الأمصار وتوسعت دولتهم واختلطوا بالقبائل الغريبة تغيرت طباعهم فجنحوا للهو والمجون والعيشة الرغدة .

القدس واليونان

دون أن تسفك قطرة دم فتح الفاتح المقدونى الكبير إسكندر أوروشالم عام (٣٣٢ ق . م) واستقبله أهلها بالارتياح بسبب الفوضى الداخلية والتشتت اللذين كانوا يعيشون فيهما .. وقد جاء ذكر الفاتح إسكندر فى القرآن الكريم على أنه "ذو القرنين" ﴿ويسألونك عن ذى القرنين ، قل سأتلو عليكم منه ذكراً ، انا مكنا له فى الأرض وآتيناه من كل شىء سببا﴾ سورة الكهف : الآية ٨٣ .

ويذكر المؤرخون أنه عندما زحف الإسكندر تجاه المدينة كان معه - على حد بعض الروايات - أربعين ألفا وكان ينوى تدمير المدينة ، إلا أن اليهود خرجوا لاستقباله خارج المدينة يتقدمهم الكهنة .. لابسين حللاً بيضاء وراحوا يتضرعون .. طالبين العفو منه .. فلم يبطش بهم .. وأقر عاداتهم التى ورثوها عن آبائهم ، وأمرهم أن ينخرطوا فى جيشه .. وأسقط عنهم دفع الجزية .. وسمح لهم أن يسكوا نقوداً .. وكانت المدينة فى عهده تسمى بـ (يروشاليم) ثم راحت تدعى (هيروسليما) ، وفى عام (٣٢٣ ق . م) مات الإسكندر وإقتسم قواده الملك : فأخذ (سلوقس) سورية .. وأسس فيها دولة السلوقيين وأخذ (بطليموس) مصر وأسس فيها دولة البطالسة وكانت هيروسليما من نصيب البطالسة .

وقد حكم بطليموس اليهود رغم أنوفهم بالحديد والنار وأرادوا مقاومته إلا أنهم لم يفلحوا إذ ساق عليهم جيشه ، ففتح هيروسليما ودك قسما من حصونها وبطش بسكانها فأرسل منهم مئة ألف أسير إلى مصر (٣٢٠ ق . م) .. واستخدم بطليموس يهودياً يدعى (يوسف بن طوبياس) مديراً للمال ورئيساً للجباة فجمع هذه الضرائب بالقوة ، وذاق الناس على يده مر العيش .

انتقلت هيروسليما من حكم البطالسة إلى حكم السلوقيين عندما احتلها انطيوخس ابيفانس (١٦٨ ق . م) وقد هدم هذا أسوارها ودك حصونها ونهب هيكلها فنصب فوقه تماثيل وقتل من اليهود ألفاً فى ثلاثة أيام وحظر عليهم الختان ، وأرغمهم على إنتهاك حرمة السبت وأكل الخنزير وكان دليله فى معظم فعاله منلاوس رئيس أحبار اليهود الذى خان

قومه من أجل الوصول إلى منصبه ولم يتمكن اليهود من مقاومته فى بادىء الأمر إذ كانت حامية المدينة مؤلفة من عشرين ألف جندى سلوقى .. بعد وفاة أنطيوخس الرابع تولى الملك ولده انطيوخس الخامس (١٦٤ ق . م) ولما كان هذا صغيراً تولاه ليسياس الوصى على العرش (١٦٢ ق . م) وتآمر هذا مع سكان يافا على اليهود فأغرق عدداً كبيراً منهم فى البحر وثار اليهود عليه فساق عليهم جيشاً لجباً ، وحاصر هيروسليما ولكنه إرتد عنها بسبب الثورة التى نشبت فى سوريا والتى إنتهت بإنتصار خصمه ديمتريوس الأول الملقب بـ (سوتير) .. أقام ديمتريوس على رأس الإدارة فى هيروسليما : (بكيديس) وولى رئاسة الأحبار لـ (الكيمس) وهو يهودى تستهويه الحروب وإراقة الدماء وقد حرض الملك ضد المكابيين .. وقد وضع الملك تحت تصرف الإثنين جيشاً كبيراً ليحكما به البلاد وقامت بين الفريقين حروباً كثيرة .. سالت فيها دماء غزيرة .. وخلف بكيديس فى الإدارة : (نكافور) وقامت على عهد هذا أيضاً ، حرب جديدة بين اليونانيين والمكابيين وقتل نكافور فأرسل ديمتريوس إلى هيروسليما الوالى السابق بكيديس ورئيس الأحبار الكيمس ، فجاءا على رأس جيش كبير وتجددت الحروب وقتل يهوذا المكابى (١٦٠ ق . م) وألقى القبض على عدد من أبناء الزعماء وأرسلوا إلى روما فهدأت الثورة .

وقام بعدئذ خلاف شديد بين الحكام اليونانيين : ديمتريوس ومنافسه الإسكندر بن أنطيوخس ابيفانس فاستغل المكابيون هذا الخلاف والتنافس وراحوا يبحثون عن الوسائل التى تضمن لهم النصر أما الإسكندر فقد اعترف بيوناثان الذى قاد المكابيين بعد مقتل أخيه يهوذا رئيساً للأحبار وأما ديمتريوس فقد وعد سكان هيروسليما بأن يعفيهم من الجزية ومن بعض الضرائب والمكوس كما وعدهم بأن تكون مدينتهم مقدسة وحرة وأن يطلق سراح المعتقلين وأن يعفو عن المجرمين .

ولئن كانت كفة الإسكندر هى الراجحة إذ إنتصر على خصمه ديمتريوس (١٥٠ ق . م) إلا أن المكابيين كانوا فى الحقيقة هم الناجحون ، إذ أنهم استغلوا ذلك التنافس فاستقلوا ولكن إستقلالهم لم يدم طويلا إذ اختلفوا فيما بينهم وقامت حروب أهلية ،جعلت كل واحد من الأخوين (هركانس وأرسطوبولس) يستنجد بدولة من الدول المجاورة له ، فاغتنم "بومبى" هذه الفرصة .. وجاء إلى هيروسليما فاحتلها عام (٦٣ ق . م) .

وكان للعصر اليونانى بصمته الواضحة على القدس لعل من أهم مظاهر ذلك : إنتشار العنصر اليونانى فى المدينة وما جاورها بكثرة .. وامتزج اليونانيون بسكان البلاد الأصليين وناسبوهم .. كذلك إنتشرت اللغة اليونانية حتى أصبحت لغة البلاد الرسمية ، ولغة العلم والمدارس .. وأما اللغة التى كانت متداولة بين عامة الناس فى العهد اليونانى فهى الآرامية واستطاع اليونانيون نشر حضارتهم فى البلاد وأسسوا المدارس ودور العلم ونشروا آدابهم ومعتقداتهم الدينية وتقاليدهم وازدهرت التجارة اليونانية واقتبس سكان البلاد عن اليونانيين كثيراً من معاملات الصرافة وانتشرت كذلك النقود اليونانية وكانت فى عهد الإسكندر بديعة السك والنقش .. كما إقتبس سكان البلاد الأصليون الصناعات اليونانية وخاصة صناعة الزخارف والحلى .

في العصر الروماني

تاريخ القدس فى العصر الرومانى فى فلسطين ينقسم إلى ثلاثة مراحل :

- **المرحلة الأولى** .. وتمتد من عام ٦٣ ق . م بعد أن بسط بومبى القائد الرومانى سلطانه على فلسطين وحتى نهاية الثورة اليهودية الأولى فى عام ٧٠م .
- **المرحلة الثانية** .. وتمتد من عام ٧٠م وحتى عام ٣٣٧م وهو نهاية حكم الامبراطور قسطنطين (٢٧٤ - ٣٣٧م) .
- **المرحلة الثالثة** .. وتمتد من عام ٣٣٧م وحتى بداية الغزو العربى لفلسطين عام ٦٣٤م بقيادة عمرو بن العاص .

وفى عام (٦٣ ق . م) جاء "بومبى" القائد الرومانى غازياً القدس .. ونجح فى إحتلالها فى نفس العام بعد أن حاصرها وضربها بالمناجق واستباح حمى الهيكل .. وبطش بسكانها ، فقتل من قتل .. واستعبد من استعبد وأقام حاكماً على المدينة يدعى "أسكورس" استقبله اليهود فى بادىء الأمر بالترحاب ، إذ أنقذهم من الفوضى والتشتت لكنهم عادوا فإنقلبوا عليه فألغى مجمعهم وهدم السور ، وفرض عليهم أن يقدموا كل يوم ذبيحة أمام الهيكل تكريماً وتعظيماً للقيصر الذى هو رمز لروما ، ففعل اليهود ذلك مكرهين .

وتعاقب الحكام على المدينة إلى أن جاء هيرودس عام (٣٧ ق . م) وتمكن من إقناع روما بإخلاصه وولائه ، فنصبوه ملكاً على اليهود .. ويقول المؤرخون أنه رجل ظالم ..

يفعل أي شيء في سبيل الوصول لغاياته .. ويقال أنه قتل امرأته وثلاثة من أولاده ! !

ورغم أنه رمم الهيكل (١٨ ق . م) إلا أن اليهود كرهوه وكانوا يعتبرونه أجنبياً .. حاول أن يوفق بين اليهود والرومان ولما فشل في مهمته شايع الرومان ضد قومه .. وساعدهم على توطيد أقدامهم في البلاد وقد أصاب المدينة على عهده قحط شديد فجاع الناس وحاول تخفيف وطأة المجاعة بالحبوب فوزعها على السكان والأموال أنفقها على المشروعات العمرانية قاصداً تشغيل العمال ، إنه هو الذي أجرى الماء في القناة الكائنة بين برك سليمان وهيروساليما (٣٠ ق . م) وهو الذي بنى القلعة الكائنة بباب الخليل وكان له على مقربة منها قصر كبير وقد شيد الحصن المعروف بـ (أنطونيا) ، كما شيد عدداً آخر من الحصون والأبراج والهياكل والتماثيل وسكت على عهده نقود وفي آخر سنة من سني حكمه ولد السيد المسيح في بيت لحم وكان قد أمر بقتل كل طفل يولد في بيت لحم : ولهذا هربت به أمه إلى مصر ، خشية أن يبطش به ذلك الملك العنيد الجبار ، وفي السنة التي تلتها مات هيرودس بعد أن عاش في دست الحكم أربعين عاماً .

ولما مات هيرودس (٤ ق . م) عهد الرومان بالحكم لولده (أرشيلاوس) لكنه عجز عن إدارة البلاد فقامت فيها قلاقل وثورات وطغى كثيرون من رؤساء الأحزاب فنادوا بأنفسهم ملوكا واستنجد الوالي بحاكم سوريا فاروس وبالحارث ملك العرب فأنجده كل منهما بعشرين ألف فارس ، فأخمدت الثورة وأخذ الرومان من اليهود ألف أسير فقتلوهم وذاق اليهود الذل مرة أخرى، فطلبوا من روما جعل بلادهم إقليماً رومانياً وكان لهم ما أرادوا إذ جاء الرومان وإحتلوا البلاد من جديد ولكنهم في هذه المرة إتخذوا (قيسارية) عاصمة بدلا من "هيروساليما" .. وقد تم ذلك على عهد أغسطس قيصر ، وراح الولاة الرومانيون بعدئذ يتعاقبون على كراسي الحكم .. نذكر منهم كوبونيوس (٦ - ٩ م) وماريوس أمبيفيوس (٩ - ١٢ م) وإينوس روفوس (١٢ - ١٤ م) وفاليريوس غراتوس (١٤ - ٢٦م) وبيلاتوس بونتيوس (٢٦ - ٣٦م) والذي في عهده اضطهد السيد المسيح وكان على عرش روما يومئذ الملك طيباريوس قلوديوس .. وظلت العلاقات بين الرومان واليهود متوترة طوال العهد الروماني .. وتعرض اليهود مرات عديدة للاضطهاد .

ويذكر أن الوالي الروماني "بيلاتوس بوجون" عندما تولى حكم القدس أنشأ طريقين .. طريق يربط المدينة بالشمال والساحل وطريق آخر يربط المدينة بأريحا وغور

الأردن .. وكانت أريحا فى ذلك الوقت ذا أهمية تجارية كبيرة .. وكان أعظم عمل قام به أنه بنى قناة الماء الممتدة من برك سليمان إلى المدينة وأجرى فيها الماء، وكان سكانها الذين بلغ عددهم يومئذ خمسين ألفاً يقاسون قبل ذلك مر العيش ولم يكن لهم فى المدينة سوى بضع آبار ورفض اليهود رغم ماكانوا يقاسونه من عذاب وعطش ، أن ينفقوا فلساً واحداً من خزائن الهيكل على مشروع الماء وثاروا ، إلا أن بيلاتوس أخمد ثورتهم ونهب خزائنهم وعمر القناة رغم أنوفهم .. وتعاقب على حكم المدينة من الولاة الرومان كثيرون نذكر منهم : مرشلوس (٣٧م) ، طيباريوس إسكندر (٤٦م) ، فنتديوس قومانوس (٤٨م) ، فستوس (٦٠م) وجيسيوس فلورس (٦٥م) .

ونتيجة للاضطرابات والثورات التى شهدتها المدينة بسبب كراهية اليهود للرومان .. وطغيان اليهود فى البلاد .. قرر الرومان أن يقضوا عليهم نهائياً فأصدر "نيرون" أمره إلى قائده فلافيوى فسباسيان وجاء هذا (٦٧م) على رأس جيش مؤلف من ثلاثة فيالق (٦٠, ٠٠٠ مقاتل) ولكنه اضطر للرجوع قبل أن يحتل هيروساليما إذ كان نيرون قد قضى نحبه ، وكان عليه أن يرجع إلى روما ليتولى العرش من بعده فتولى القيادة ابنه تيطس .

حاصر تيطس المدينة (٧٠م) وكان الرومان يومئذ يسمونها (سوليموس) وكانت محاطة بالأسوار وكان جيشه مؤلفاً من أربعة فيالق ، منها ثلاثون ألفاً من الجنود النظاميين وكان فى عداد هذه الحملة فرقة من متطوعى الأقباط (عرب) ، فشد الخناق على المدينة وقتل من سكانها خلقاً كثيراً وحرق الجند الهيكل ودكت الأسوار وهدمت المنازل وامتلأت الشوارع بجثث القتلى ، وعانى الشيوخ والنساء والأطفال ما عانوا من جراء الخوف والجوع وأكل الناس الكلاب والجرذان والحشرات وذبح بعضهم أبناءهم وأكلوا لحومهم وقدر المؤلف اليهودى يوسيفوس الذى شهد الحصار عدد القتلى بمليون نسمة وقيل أنهم ٦٠٠ ألف ، وعندما سقطت المدينة فى يد "تيطس" أسر من أهلها من أسر . واستعبد من استعبد وبيع منهم من بيع فى سوق النخاسة .

لقد أصاب اليهود بطش شديد وهوان لم يعرفه تاريخهم .. وانحسر عددهم فى المدينة لأن "تيطس" حرم عليهم أن يكونوا سكانها .. وترك الرومان بصماتهم العمرانية على المدينة ، ففى عهدهم شيد العديد من الحصون ومهدت الطرق وبنيت الصهاريج

والسدود والجسور والمعابد ..كانت اللغة اللاتينية هى اللغة الرسمية .. أما اللغة الآرامية فقد كانت لغة التخاطب بوجه عام .

فى عام (٣١٣م) تولى الامبراطور قسطنطين عرش الأباطرة .. وفى عهده سمح للمسيحية بالإنتشار بعد أن كانت مضطهدة .. بل وصل الأمر أن تنصر هو بنفسه .. وكان قائداً لا منازع له للمملكة الرومانية فى الشرق والغرب .. وأقام على أنقاض بيزانس (استانبول) مدينة جديدة أسماها القسطنطينية عام (٣٣٠م) واتخذها عاصمة لإمبراطوريته وأصبحت ايليا – وهو الاسم الذى كانت تعرف به القدس وقتها – مدينة بيزنطية تابعة للدولة البيزنطية ، وفى عام (٤٢٦م) زارت الملكة هيلانه أم الأمبراطور قسطنطين "ايليا" وبنت فيها كنيسة القيامة (٣٣٠م) وعناداً لليهود جعلت الملكة مكان الصخرة مطرحا للقمامة وفرض الامبراطور على اليهود النصرانية فاستجاب بعضهم والبعض الآخر الذى لم يتنصر قتل والبعض أيضاً هرب خارج البلاد .

فى عام (٣٦٠م) تولى جوليان عرش الأباطرة .. وفى عهده ألغيت كل القوانين المكبلة لليهود .. وأمر باعادة بناء الهيكل .. ولكنهم ما كادوا يحفرون حتى وجدوا النيران تندلع من تحت الأرض .. وسمع انفجار شديد فهرب العمال وتوقفوا عن العمل وفسروا ما حدث أنه دليل على غضب السماء .. ومنهم من قال إن المسيحيين أعدوا النار ليحولوا دون الهيكل وتوفى جوليان عام (٣٩٥م) وتولى ولداه المملكة وجعلاها مملكتين فراح أحدهما يدير المملكة الشرقية .. والآخر يدير الغربية .. وفى عام (٤٥١م) انقسمت الكنيسة أيضاً إلى شرقية وأخرى غربية .. وكانت القدس وقتها من أتباع المملكة الغربية .

فى عام (٥٢٧م) تولى "جوستانيان" الحكم وفى عهده شهدت البلاد ثورات واضطرابات أشعلها اليهود ، لكنه نجح فى إخمادها وأنشأ عدداً من الكنائس والأديرة فى "ايليا" وما حولها وبنى فى موضع المسجد الأقصى حالياً كنيسة بإسم العذراء .. وقرر المجلس الكنسى الخامس الذى التأم على عهده (٥٣م) جعل "ايليا" مقراً للبطريركية .. لكن الفرقة دبت بين رجال الدين المسيحى فراحوا يتنازعون فى مسائل دينيه ، مما جعلهم فرقاً وجماعات جعلت البلاد تتدهور .. وواكب ذلك تولى أمور البلاد أباطرة ضعفاء لم يستطعوا رد العدوان الفارسى عنها، فأرسل كسرى جيشاً جراراً لمحاربة هرقل فانتصر عليه واحتل ايلياء (٦١٤م) وذبح من سكانها أكثر من ٩٠ ألفاً من المسيحيين .. وهدم الكثير من

الأديرة .. وأخذوا البطريرك "زخريا " إلى بلادهم أسيراً .. ويرى بعض المؤرخين لتلك الحقبة أن الفرس قد قامو بأعمال تحريضية لليهود .. جعلتهم يتحرشون بالمسيحيين ويقتلون منهم أكثر مما قتل الفرس .. ولكن هرقل عاد فجمع قواه .. وحارب الفرس وانتصر عليهم (٦٢٧م) ثم عقد الفريقان معاهدة صلح .. أعيد بموجبها الأسرى إلى بلادهم .. كما أعيدت الغنائم التى نهبها الفرس .. ودخل هرقل "ايليا" عام (٦٢٩م) حاملاً على كتفه خشبة الصليب التى استردها من الفرس .. وانتقم من اليهود فقتل منهم الآلاف .. لكن الضعف أخذ يدب فى البلاد .. وتدهورت أوضاعها .. مما هيأها للفتح الإسلامى لها دون مقاومة .

الفتح الإسلامي للقدس

ليس بأمر غريب أن يفكر المسلمون فى فتح "بيت المقدس" وهو البيت الذى ذكر فى القرآن الكريم وفى أحاديث نبيهم والصحابة والأئمة المسلمين .. فقد كانوا مدفوعين لأسباب كثيرة لهذا الفتح .. أسباب ترتبط بنواحى إقتصادية وأخرى إستراتيجية . فقد أسرى بالرسول محمد "ﷺ" من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وذكر هذا فى القرآن الكريم فى قوله تعالى "سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير "سورة الاسراء .

ذلك هو المسجد الأقصى الموجود فى القدس من قديم الأزل .. بقعة مطهرة يُعبد فيها الله تعالى .. وسمى بالمسجد الأقصى القديم .. وتجسدت قدسية القدس للمسلمين فى إسراء نبيهم إلى الصخرة المقدسة وبها صلى الأنبياء والرسل ، فثمة حديث قدسى عن رسول الله "ﷺ" يوضح مكانة القدس عند الله تعالى بقوله "أنت جنتى وقدسى ، وصفوتى من بلادى ، ومن سكنك فبرحمة منى ومن خرج منك فبسخط منى عليه" ، والحديث يوضح أن الله تعالى اختص بسكنى هذا المكان الطاهر من يرضى أمانته واستحقاقه لشرف العيش فيه ، وورد فى الحديث الشريف "لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الأقصى" .

وروى عن الإمام على بن أبى طالب أنه قال : وسط الأرضين أرض بيت المقدس وأرفع كلها إلى السماء بيت المقدس .. وروى عن أبى هريرة أن الرسول "ﷺ" قال: من

مات فى بيت المقدس ، فكأنما مات فى السماء ..

وعنه أيضاً أن الرسول قال "أربع مدائن من الجنة .. مكة والمدينة ودمشق وبيت المقدس" .

وفى الصحيحين عن أبى ذر الغفارى قال : سألت رسول الله "ﷺ" عن أول مسجد وضع على الأرض فقال المسجد الحرام قلت ثم أى ؟ قال المسجد الأقصى ، قلت : وكم بينهما ؟ قال : أربعون عاماً .

ونظراً لمكانة القدس لدى المسلمين فإنهم لم يقصروا منذ اندفعوا خارج الجزيرة العربية بعد وفاة الرسول الكريم سنة (١٠هـ) أى (٦٣٢م) فى محاولة فتح فلسطين ، وربط المسجد الأقصى بالمسجد الحرام عملياً بعد أن ربط الإسلام بينهما فى عقيدة المسلم ووعيه الدينى ، وفى سنة (١٥هـ) أى بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام بخمسة أعوام - تمكن المسلمون من فتح كثير من بلاد الشام على إثر معركة اليرموك ودانت لهم حمص وقنسرين وقيسارية وغزة واللاذقية وحلب وحيفا ويافا وغيرها .. وقد إتجه لفتح بلاد فلسطين قائدان مسلمان هما عمرو بن العاص وأبو عبيدة بن الجراح الذى إليه يعزى فضل إدخال بيت المقدس فى الإسلام وكانت تسمى بايلياء ، وكان المسلمون قبل تقدمهم لفتح بيت المقدس (ايلياء) قد اشتبكوا مع الروم فى معركة حامية الوطيس هى معركة أجنادين وانتصروا فيها بعد قتال شديد يشبه قتالهم فى اليرموك وفر كثير من الرومان المهزومين ومنهم "الأرطبون" القائد والحاكم نفسه إلى ايلياء. .وقد تقدم المسلمون لفتح (ايليا) فى فصل الشتاء وأقاموا على ذلك أربعة أشهر فى قتال وصبر شديدين .

وبعث القائد أبو عبيدة لأهل إيلياء الرسل مزودين بالإنذار التالى :
بسم الله الرحمن الرحيم من أبى عبيدة بن الجراح إلى بطاركة أهل ايلياء وسكانها سلام على من إتبع الهدى وآمن بالله وبالرسول ، أما بعد فإننا ندعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله وأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور فإن شهدتم بذلك حرمت علينا دماؤكم وأموالكم وذراريكم وكنتم لنا إخواناً ، وان أبيتم فأقروا ، لنا بأداء الجزية عن يد وأنتم صاغرون وإن أنتم أبيتم سرت إليكم بقوم هم أشد حباً للموت منكم لشرب الخمر وأكل لحم الخنزير ، ثم لا أرجع عنكم إن شاء الله أبداً حتى أقتل

مقاتليكم وأسبى ذراريكم" .. ولما رأى أهل "إيليا" أنهم لا طاقة لهم على هذا الحصار ، لما رأوا من صبر وجلد المسلمين .. أشاروا على (البطريرك) أن يتفاهم معهم فأجابهم إلى ذلك فعرض عليهم أبو عبيدة بن الجراح إحدى ثلاث :

الاسلام أو الجزية أو القتال فرضوا بالجزية والخضوع للمسلمين مشترطين أن يكون الذى يتسلم - المدينة المقدسة - هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب نفسه .. وقد أرسل أبو عبيدة بن الجراح إلى أمير المؤمنين "عمر" بما اتفق عليه الطرفان ، فرحب عمر بحقن الدماء وسافر إلى بيت المقدس وحده ولم يكن معه سوى خادمه .. وبعد قدومه أمر الخليفة من فوره أن يبلغوا البطريرك قدومه ، ففعلوا وجاء البطريرك بعد قليل حاملا الصليب المقدس على صدره، وجاء معه عدد من الأساقفة والقسيسين والشمامسة والرهبان حاملين الصلبان ولما انتهوا إلى مقام الخليفة خف للقائهم وتقبلهم بمزيد الاحتفاء والاكرام ثم تحادثوا فى شروط التسليم ، وكتب لهم وثيقة الأمان التالية وقد عرفت بالعهدة العمرية :

"بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل ايلياء من الأمان :

"أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم سقيمها وبريئها وسائر .ملتها أنه لاتسكن كنائسهم ولاتهدم ولاينتقص منها ولا من خيرها ولا من صلبهم ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولايسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما تعطى أهل المدائن وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص فمن خرج منهم فهو آمن ، وعليه مثل ما على أهل ايلياء من الجزية ومن أحب من أهل ايلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم فمن شاء منهم قعد وعليهم مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع إلى أهله فإنه لايؤخذ منهم شيء حتى يحصدوا حصادهم ، وعلى ما فى هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين اذا أعطوا الذى عليهم من الجزية .

كتب سنة ١٥ للهجرة أى سنة ٦٣٦م .

شهد على ذلك خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف وعمرو بن العاص ومعاوية بن أبى سفيان .. وكما أن عمر بن الخطاب أعطى أهل ايلياء العهد الذى تقدم ذكره فقد أخذ عليهم أيضاً عهداً ولقد جاء فى عهده هذا مايلى :

"هذا كتاب لعبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين من نصارى مدينة ايلياء ... إنكم لما قدمتم علينا سألناكم الأمان لأنفسنا وذرارينا وأموالنا وأهل ملتنا وشرطنا لكم أن لانحدث فى مدينتنا ولا فيما حولها ديراً ولاكنيسة ولا قلاية أى " مسكن الأسقف " ولا صومعة راهب .

ولانحس منها ما كان فى خطط المسلمين ولانمنع كنائسنا أن ينزلها أحد من المسلمين فى ليل ولا نهار وأن توسع أبوابها للمارة وابن السبيل وأن ننزل من مر من المسلمين ثلاث ليال نطعمهم ولا نوارى فى كنائسنا ولا فى منازلنا جاسوساً ولا نكتم غشاً للمسلمين ولا نعلم أولادنا القرآن ولانظهر مشركاً ولا ندعو اليه أحداً ولا نمنع أحداً من ذوى قرابتنا الدخول فى الاسلام إن أراده وأن نوقر المسلمين ونقوم لهم من مجالسنا اذ أرادوا الجلوس ولانتشبه فى شيء من لباسهم فى قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر ولا نتكلم بكلامهم ولا نتكنى بكناهم ولا نركب السروج ولا نتقلد السيوف ولانتخذ شيئاً من السلاح ولا نحمله معنا ولاننقش على خواتمنا بالعربية ولانبيع الخمور وأن نجز مقادم رؤوسنا ، وأن نلزم زينا حيثما كنا ، وأن نشد زنانير على أوساطنا ولانظهر الصليب على كنائسنا ولانظهر صلباننا ولاكتبنا فى شيء من طرق المسلمين ولا فى أسواقهم ولانضرب نواقيسنا فى كنائسنا إلا ضرباً خفيفاً ولا نرفع أصواتنا مع موتانا ولا نتخذ من الرقيق ماجرت عليه سهام المسلمين ولانطلع عليهم فى منازلهم" .

ويذكر المؤرخون أن أول عمل قام به عمر بن الخطاب فى القدس هو أن زار كنيسة القيامة وصادف أن حان وقت الصلاة ، فأشار عليه البطريرك - صفرونيوس أن يصلى حيث هو - داخل الكنيسة - ولكن عمر أبى ، وصلى خارج الكنيسة ، خشية أن يتخذ المسلمون صلاته داخلها ذريعة فيضعوا أيديهم عليها فقابل الأساقفة والنصارى هذا التصرف بالشكر والتقدير ، ثم زار عمر مكان الهيكل .. وكان فى حالة خراب .. وتجمعت القاذورات والمخلفات حوله ، فراح ينفض التراب عنه ، فحذا صحابته حذوه فبرزت الصخرة .. وأمر عمر أن يبنى هناك مسجد ، فبنى المسجد .. وكان من خشب عام (٦٣٧م) .

وتجول عـمر فى المدينة ، فرأى أن يبـدأ بالتنظيم الإدارى والقضـائى لها أولاً وصك النقود النحاسية التى على وجهيها عبارة " محمد رسول الله" ورسم سيف .. وعلى وجهها الآخر "ايليـاء " و "فلسطين" وحرف "ميم" والـهلال وتدوين الدواوين وتقسـيم البلاد إلى مناطق وتعـيين أميـر لكل منطقة وتعـميم اللغـة العربيـة بها ، ثم رتب أمور البـريد والجند وأسس الحسـبة (البلدية) للإشـراف على المكاييل والموازين وأقـيمت الطرق الجـديدة مثل طريق القدس – أريحـا وطريق القدس – الرملة ... وغير ذلك من التنظيـمات الإدارية ثم وضع عمر بن الخطاب التاريخ الهجرى .

ويروى أن عمـر فى أثناء تفقده للمدينـة وما أصاب سكانها من ضـيم وابتلاء أثناء الفتح أتاه رجل من النصارى له ذمة مع المسلمين فى كرم عنـب فشكا اليه همه فركب معه ولما رأى أن فريقاً من المسلمين أكلوا ما فى الكرم لشدة ما أصابهم من جوع ، أعطاهم ثمن ما أكلوه وقـد أمر رجاله بالعدل قـائلاً لهم : "متى استـعبدتم الناس وقد ولدتهم أمـهاتهم أحراراً " ، وذكر المؤرخون أن عمر زارقبـيل رحيله عن بيت المقدس أبا عبيدة بن الجراح – القـائدُ الفاتح – فى بيـته فلم يـجد فـيه سـوى لبد فـرسه (وكـان هذا هو فراشـه وسرجـه ووسادته) وكسر يابسه فى كوة بيته ولما دخل عمر جاء بهذه الكسر ، فوضعها على الأرض بين يديه ، وأتاه بملح جريش وكوز من الخزف فيه ماء فلما نظر عمر إلى ذلك بكى .

وبعد أن رتب عـمر شئون المدينة غـادر بيت المقدس متجـهاً للحجاز بعـد أن جمع جنده وأوصاهم بهذا البلد خـيراً والإبتعاد عن المعاصى وتقـوى الله .. لقد حكم المسلمون القـدس منذ عام (٦٣٦م) أى منـذ الوثيقـة العـمرية والتى كـانت صـورة فريدة من صـور التسامح الإسلامى والتى كانت نموذجاً لقانون يقرر حقوق الانسان قبل أن يعرف – العالم هذه الحـقوق .. وقـبل أن يعـرف مـبـادئ القـانـون العام .. وقـد توالت عـصور التـاريخ الاسلامى والمسلمون يعاملون أبناء الديانات الأخرى فى القدس وغيرها أفضل معاملة فى التاريخ ، لدرجة أن المؤرخ الانجليـزى الكبير "أرنولد توينبى" إعتبر ظاهرة التسامح الإسلامى والمسلمين ظاهرة فريدة وشاذة فى تاريخ الديانات.

وتتوالى صـفحات التاريخ فى القـدس ، فلا نكاد نجد فيـها انقطاعاً لفعـالية الروح الاسلامية المتسامحة العادلة التى تقوم على حراستها دروس المسجد الإبراهيمى و الحلقات العلمية الاسلامـية فى المسجد الأقصى ومسـجد الصخرة .. ولاتنطوى صفحة مـضيئة إلا

لتبدأ أخرى تحت الحكم الاسلامى فتعاقب على القدس الخلفاء وهى تحت سيطرة حكمهم فجاء بنو أمية (٢١هـ - ٦٤١م) وتلاهم بنو العباس ٧٥٠م وبنو طولون ٨٧٨م والأخشيديون (٩٣٨م) والفاطميون (٩٦٦م) والأتراك السلجوقيون (١٠٧٢م) والأرثقيون (١٠٧٧م) .

ولم يتعرض تاريخ القدس لأحداث دموية واضطهاد دينى منذ الفتح الاسلامى إلا فى تلك الفترة التى استولى فيها الصليبيون على بيت المقدس (١٠٩٩ - ١١٨٧م) - (٤٩٢ - ٥٧٣هـ) وهى فترة شغلت من هذا التاريخ نحو تسعين سنة .

الغزو الصليبي

طوال العهد الاسلامى لم يفكر أحد من الغزاة على غزو القدس ، ولم يجرؤ اليهود على الإقامة فى القدس .. لما حظيت به المدينة من رعاية وإهتمام من خلفاء الدولة الاسلامية فقد عمرت المدينة فى أيام الخلفاء الراشدين .. ولما جاء الأمويون أولوها إهتماماً كبيراً فبنى الخليفة عبد الملك بن مروان مسجد قبة الصخرة المشرفة عام اثنين وسبعين هجرية (٦٩١م) ورصد لبنائه خراج مصر لسبع سنوات كاملة وقد احتفظ المسيحيون بكنائسهم فى بيت المقدس ومن بينها كنيسة القيامة ، وعندما انتقل الحكم إلى العباسيين قام الخليفة أبو جعفر المنصور بزيارة القدس عام ٧٥٨ م فهاله الدمار الذى حل بالمسجد الأقصى من جراء الزلزال الذى حدث عام ٧٤٧م فأمر بإصلاحه وترميمه وقد أُنجزت هذه الاصلاحات فى عام ٧٧١م .. وفى عام ٧٧٤م حدث زلزال آخر أضر بالمسجد الأقصى من جديد وعندما قام الخليفة المهدى بزيارة القدس عام ٧٨٠م أمر بإصلاح وترميم ما أحدثه الزلزال من خراب للمسجد الأقصى بل أدخل تعديلات على تخطيطه وفى عهد هارون الرشيد (٧٨٦م) وفى ظل سماحة الاسلام قام الامبراطور شارلمان بترميم الكنائس وبناء كنيسة العذراء وعندما جاء الخليفة المأمون بن الرشيد (٨١٣ - ٨٣٣م) تمت التعديلات فى مسجد الصخرة وجددت عمارته .

وقد أثرت الأحداث التى وقعت فى العصر العباسى فى أوضاع الدولة الاسلامية ونشبت الخلافات داخل المجتمع الاسلامى وتضعضعت وحدته السياسية وإنتهى الأمر

بتقلص الحكم العباسى ولم تكتسب القدس أهميتها أيام الدولة الأخشيدية مثلما كانت على عهد الأمويين فظلت تقصد للأغراض الدينية فقط .. وفى عهد الخليفة الظاهر بيبرس - الذى يعد امتداداً لعصر الحاكم بأمر الله - اضطر إلى عقد صلح مع القيصر رومانوس الثالث البيزنطى ، وبمقتضاه سمح للقيصر بترميم بعض الكنائس التى هدمها الزلزال وفى تلك الأثناء أصيب مسجد قبة الصخرة من جراء الزلزال فأعاد الخليفة الظاهر تعمير المسجد وترميم قبته ، فعادت أفضل مما كانت ، وفى الوقت الذى نشبت فيه الصراعات السياسية فى الأندلس بين الإمارات المسيحية وبين المرابطين ، كانت قد بدأت فى المشرق ما اصطلح على تسميته فى التاريخ بإسم الحروب الصليبية ، وإذا عدنا إلى الجذور التى كانت دافعاً للحروب الصليبية .. نجد أنها تمتد منذ نشأة الدولة الاسلامية وتطورها ، فقد أحست الدولة البيزنطية بأن هذه الدعوة خطر يهددها فأخذت تجابهها لكن الدولة الاسلامية واجهت الخطر بالفتوحات الاسلامية وتوسيع رقعة الأمة الإسلامية لنشر الدعوة واستمر هذا منهجاً للخلفاء الراشدين .. فتوغلت الدولة الاسلامية فى الأراضى البيزنطية فى الشام ومصر وشمال افريقيا فضلاً عن بلاد فارس فى الشرق .. وعبر طارق بن زياد من شمال أفريقيا إلى بلاد الأندلس وأصبح البحر الأبيض المتوسط تحت السيطرة العربية .

ولأن الدولة الاسلامية أصبحت دولة مترامية الأطراف .. فقد انقسمت على نفسها وتعاقبت عليها الخلافات .. فإنقسمت إلى ثلاث وحدات - بعد الخلفاء الراشدين - فسقطت الخلافة الأموية فى دمشق على يد العباسيين وتأسست الخلافة العباسية فى بغداد ، بينما قامت الدولة الأموية فى الأندلس والتى تحولت إلى خلافة ، كما قامت الخلافة الفاطمية فى المغرب ومن هنا نشب خلاف بينها وبين الدولة الأموية فى الأندلس من جهة ومع الدولة العباسية فى بغداد من جهة أخرى ,وساعد على ذلك خلاف مذهبى فى الدين الاسلامى نفسه، فالأندلسيون كانوا أهل سنة مالكيين يميلون إلى فهم النصوص على ظاهرها ويكرهون التأويل أما العباسيون فى بغداد فكانوا أهل سنة يتخير المؤمن هناك لتعبده وقضائه مذهباً من مذاهب الأئمة الأربعة وكانوا مع ذلك يتعايشون مع مذاهب أخرى كالشيعة الجعفرية الأثنى عشرية والمعتزلة والمرجئة والأشعرية وغيرهم.. بينما كان الفاطميون طائفة من الشيعة الاسماعيلية الباطنية، التى تقول بالتأويل إلى أبعد ما يحتمله

النص كما كانت تقول بتقسيم التعاليم إلى علنية وسرية .. وهذه الخلافات الدينية إنعكست على الحياة الاجتماعية والسياسية والعسكرية فنالت من الكيان الواحد للأمة الاسلامية .. فى ظل هذه الظروف المتردية جاء الصليبيون غازين الشرق وبالتحديد القدس بعد أن زارها البابا "أوربان الثانى" لاعباً على أوتار العاطفة الدينية المسيحية الغربية ، مستغلاً فكرة الخطر المزعوم على المسيحية فى فلسطين .

وننقل فقرة هامة ذكرها المؤرخ وليم مالمسبورى من خطاب البابا أوربان " يا أمة الفرنج ، يا أبناء السلالة التى أحبها الله واصطفاها وصلتنا من جهات القدس والقسطنطينية ، أنباء مفجعة مفادها أن أمة من الأمم اشتطت السبيل فعاثت فى ديار المسيحية سلباً وحرقاً وقتلاً وقادوا جموعاً منهم أسرى وأهلكوا آخرين بالتعذيب المبرح ودمروا بيوت الله وإستولوا على بلاد تابعة لليونان شاسعة الأرجاء ، لاتقطع بمسيرة شهرين فعلى من تقع تبعية الثأر واستعادة الديار ألا تنهضوا أنتم بهذا الأمر ؟ يا من شرفكم الله بفضله وأسبغ عليكم العزة والسؤدد وحباكم من نصره على أعدائكم ؟ لتكن مآثر الأجداد ومآثر شارلمان ومن سار بسيرته حافزاً لكم ، وليكن إستعادة القبر المقدس سبباً ليقظتكم ..

اسلكوا سبيل الله حيث يوجد البيت وانقذوا الأرض وامتلكوها لأنفسكم فإن القدس هى من أكثر بلاد الدنيا ثماراً وهى جنة الأفراح ومركز الدنيا إنها اليوم تناشدكم المساعدة فاقصدوها بكل شوق تغفر لكم ذنوبكم وجزاؤكم دار الخلود" .. ويرى المؤرخون أنه كانت هناك أسباب أخرى للغزو الصليبى للقدس غير تلك التى ذكرها البابا فى رسالته وأن المسيحيين كانوا يومئذ يعيشون مع المسلمين إخوانهم فى الوطنية واللغة فى سلام وصفاء وأن الأسباب الحقيقية تتلخص فى :

١ - حب التخلص من الثقافة والفلسفة العربية تلك الثقافة التى تناقض الأنجيل وكانت منتشرة فى ذلك الحين .

٢ - الحيلولة دون اصطدام الأمراء الاقطاعيين فى أوروبا وتقاتلهم وشغلهم بمقاتلة أعدائهم المسلمين .

٣ - جعل الأرض المقدسة لاتينية وملاشاة الأرثوذكسية منها.. وقال آخرون إن الغاية الحقيقية لا هذه ولا تلك وإنما هى غاية تجارية بحتة .

ومهما تكن الأسباب فإن الحملة الصليبية الأولى - عام (١٠٩٩م) - وكانت مؤلفة من ٣٠٠ ألف مقاتل ينتمون إلى مختلف الشعوب والأقوام الأوروبية من فرنسيين وألمان ونمسويين ومجروبولونيين وغير ذلك واقترف هؤلاء فى طريقهم إلى الأرض المقدسة ألوان الفظائع والآثام وذلك مما حدا بالأمم التى لاقوها فى طريقهم إلى مقاتلتهم فقتل عدد كبير منهم وعاد عدد آخر إلى بلاده قبل أن يصل إلى هدفه .

ولما وصلت الحملة الصليبية الأولى أمام أسوار المدينة كان عددهم نحو خمسين ألفاً .. وقد حاصروا المدينة التى كان سكانها نحو عشرين ألفاً .. وما هى إلا أيام معدودة حتى دخل الصليبيون - المدينة فى ١٥ تموز ١٠٩٩م .

وما كادوا يدخلونها حتى حكموا على كل مسلم بقى فيها بالموت، وشرعوا من فورهم فى تنفيذ الحكم فقتلوا سبعين ألفاً ولم يجد المسلمين توسلهم ولا التجاؤهم إلى المسجد الأقصى ولم يختلف اثنان من المؤرخين لا من الفرنجة ولا من المسلمين فى إستفظاع المنكرات التى إقترفها الصليبيون تلك المنكرات التى أقل ما قيل فيها انه يندى لها جبين الدهر ، وإنها مناقضة لتعاليم السيد المسيح الذى زعموا أنهم إنما جاءوا لنصرته ..وأرسل الصليبيون بعد إنتهائهم من هذه المجزرة البشرية إلى البابا رسالة أخبروه فيها بما جرى ، قائلين له : إن القدس فتحت على يدهم وإنهم قتلوا عدداً لايحصى من المسلمين وأن خيولهم فى إيوان سليمان كانت تخوض فى بحر من دماء المسلمين حتى ركبها ....

وعاثوا فى المدينة فساداً .. واستولوا على الممتلكات والمبانى التى يملكها المسلمون والمسيحيون الذين ينتمون للكنيسة الشرقية ولقد حولوا قبة الصخرة إلى كنيسة وسموها Tempelum Domini واستعملوا المسجد الأقصى لمصالحهم وكانوا يسمونه Palatium Tempelum Solomones فأنقصوا من حجمه كثيراً وقسموه إلى أقسام : فإتخذوا قسماً منه كنيسة وقسماً آخر مسكناً لفرسان الهيكل والباقى إستعملوه مستودعاً لذخائرهم واتخذوا السراديب التى تحت المسجد الحالى إسطبلاً لحيواناتهم .

وأسس الصليبيون من القدس والبلاد المجاورة لها مملكة لاتينية، جعلوا مقرها القدس ، وأقاموا عليهم أميراً هو غود فرى دوبويون فأخذوه إلى كنيسة القيامة وتوجوه ولما مات دفنوه فى داخل الكنيسة .. وتعاقب ملوك الصليبيين على الحكم .. وتوالى كذلك حكام القدس .

صلاح الدين يحرر القدس

بعد أن انتصر صلاح الدين الأيوبى فى معركة حطين على الصليبيين (٢٥ ربيع الثانى ٥٨٣هـ - ١١٨٧م) عقد النية على تحرير بيت المقدس ، فسار إلى فلسطين .. وأخذ كل ما كان بين بيت المقدس والساحل من حصون فلما تأكد من تأمين الساحل لمنع وصول الإمدادات البحرية إلى الصليبيين فى المقدس .. حاصرهم .. وعرض على أهلها التسليم بنفس الشروط التى استسلمت بها بقية المدن الصليبية ، نظير تأمينهم على أرواحهم وأولادهم وأموالهم ، ولكنهم أبوا ذلك وعندئذ أقسم صلاح الدين أن يأخذ القدس عنوة .. وجعل يتلمس فى أسوارها نقطة الضعف التى اختارها جهة الشمال عند المكان المعروف بباب كنيسة صهيون (باب العمود) ، وبعد أن أتم ترتيباته لاقتحام المدينة أنذر السكان طالباً منهم الإستسلام .. ولم يدم الحصار أكثر من أسبوع أو عشرة أيام حتى أيقنوا أنه لا أمل لديهم فى النجاة ، فأرسلوا إلى صلاح الدين يفاوضونه فى شروط التسليم فأبى إلا أن يأخذ المدينة عنوة ليفعل بالصليبيين مثلما فعلوه بالمسلمين عندما إستولوا على القدس منذ نحو قرن .. ونذكر ما قاله صلاح الدين "لا أفعل إلا كما فعلتم بأهل القدس حين ملكتموه سنة احدى وتسعين وأربعمائة من القتل والسبى وأجزى السيئة بمثلها" .. وعند ذلك ألح أمير منطقة الرملة فى طلب الأمان ووقف القتال ، وإلا قتلوا نساءهم وأطفالهم وذبحوا من فى المدينة من أسرى المسلمين .. ويقدر عددهم بخمسة آلاف أسير .. وهنا إستشار صلاح الدين أصحابه فوافقوا على ترك المسيحيين يغادرون القدس مقابل عشرة دنانير للرجل وخمسة للمرأة ودينار واحد عن كل طفل ، فمن أدى ذلك فى مدة أربعين يوماً خرج ولجا .. ومن لم يؤده صار أسيراً مملوكاً .

وعلى هذا النحو جاءت شروط التسليم سهلة وميسرة .. كما جاء تفسير هذه الشروط

لافتاً للنظر ، ويدل على سماحة الاسلام بالمقارنة بما فعله الصليبيون عند غزوهم للقدس عام ١٠٩٩ م من ذبح وقتل للمسلمين بالآلاف .

وقد دخل صلاح الدين إلى بيت المقدس فى يوم الجمعة ٢٧ رجب ٨٣ هـ - ٢ أكتوبر ١١٨٧ .. وما أن دخلت الجيوش الاسلامية القدس ، حتى بدأوا يحفظون الأمن والنظام .. وإستهل صلاح الدين وجنوده فى بيت المقدس بزيارة مسجد قبة الصخرة والمسجد الأقصى وقام بخلع الصليب الذهبى الذى رفعه الصليبيون على قبة الصخرة ووضع فوقها الهلال كما أزال ما وجده فى المسجدين من آثار مسيحية ، وقد بذل المسلمون جهداً كبيراً فى ترميم وتعمير المسجدين وكان صلاح الدين قد أمر بنقل المنبر من مدينة حلب إلى المسجد الأقصى - والذى كان قد أمر بتصنيعه نور الدين زنكى على درجة من الدقة والفخامة بحيث يتناسب والقدس عند فتحها ، كما شيد صلاح الدين مسجداً عرف باسم مسجد النساء وذلك فى الطرف الجنوبى الغربى للمسجد الأقصى .

وقد سمح صلاح الدين للمسيحيين بإقامة شعائرهم الدينية فى حين قام بإحضار بعض القبائل العربية مثل بنى الحارث وبنى مرة وبنى سعد وبنى زيد للإقامة فى بيت المقدس كما قام بانشاء عدد من المنشآت وقام بالعديد من الإصلاحات نذكر منها :

- أنه قام بتجديد أسوار بيت المقدس وبإنشاء عدد من الأبراج العسكرية فى الجزء الواقع بين باب العمود وباب الخليل وهو الجزء المواجه للطريق العسكرى الآتى من الساحل الفلسطينى على البحر الأبيض المتوسط من يافا خصوصاً وفى سبيل تحصين المدينة ضد الصليبيين قام بحفر عدد من الخنادق حول أسوارها حتى يصعب على الصليبيين أو أى عدوان خارجى إقتحام المدينة .. وقد رأى الناس صلاخ الدين بنفسه وهو ينقل الحجارة ويشارك عمال البناء فى أعمالهم .. ورأى الناس كذلك أسرة صلاح الدين تقوم بنفس الشيء.
- أنشأ (البيمارستان) أى المستشفى فى البقعة التى كانت تقوم عليها سوق اليزار وكنيسة الألمان فى الدباغة .. وكان يداوى فيه المرضى الجرحى من غير أجر .. وقيل أنه من أفضل المستشفيات فى العصر الاسلامى .
- أنشأ (الخانقاه الصلاحية) فى جانب من منزل البطريرك الملاصق لكنيسة القيامة من الشمال والغرب .. وقد إتخذها مسجداً ورباطاً للصالحين من الصوفية .

- أنشأ عـدداً من المدارس منها : (المـدرسة الختنثيـة) ومكانها بجـوار المسجد الأقـصى من القبلة خلف المنبر (٥٨٧هـ - ١١٩١م) و (المدرسـة الصلاحية) وهى تبعـد أمتاراً قليلة من السـور الشرقى عند باب الأسـباط ، كانت فـيمـا مضى مـدرسـة للروم ، بنيت فى المكان الذى كان فـيه بيت حنة والدة مريم البـتول وبعلها يواكيم وكـان فيها على عـهد الصليبيين كنيسة يسـمونها كنيسة القديسة حنة ، فجعلها صـلاح الدين مدرسة ووقفها لفقهاء الشافعية ورباطاً للمتصوفين وكان ذلك بتاريخ ٥٨٨هـ - ١١٩٢م ، وكان لهذه المدرسة شـهرة كبـيرة فى جميـع أرجاء العالم الاسلامـى .. ومن المدارس التى أنشأها صلاح الدين كذلك مدرسة تدعى (المدرسة الميمونـية) وكانت على مئتى متر من السور الشمالى للمدينة .

إن الانتـصارات التى حـقـقهـا صلاح الديـن على الصليبـيـين قد أزعـجت أوروبا وأفزعت البابوية ، لاسيما بعد فتحه للقدس، فنادى البابا بحملة صليبية جديدة اشترك فيها ريتشارد قلب الأسد ملـك إنجلترا وفيليب أغسطس ملك فرنسا وامـبراطورى المانيا وروما وقاموا بتجـهيز أكبر حملة صليبـية من حيث العدد والعدة لإستعـادة القدس وهيبة أوروبا البابوية إلا أن جميع محاولات الصليبيين فشلت بقيادة ريتشارد قلب الأسد فى أخذ بيت المقدس ، واضطر إلى فكرة المفاوضات التى انتهت بصلح الرملة فى سـبتمبر ١١٩٢ ، وفيه اتفق الطرفان على إحـتفاظ الصليـبيين بالمدن الساحليـة الممتدة من عكا حـتى يافا على أن تستمر مدينة بيت المقدس تحت حكم المسلمين مع السمـاح للحجاج المسيحيين بالحج إليها من طريق واحد هو طريق عكا.. وفى أعقاب ذلـك رحل ريتشارد قلب الأسد من عكا إلى إنجلترا وهكذا أسـدل الستار فـترة من الزمن على الحـملة الصليبيـة الثالثـة التى فشلت فى استعادة بيت المقدس من أيدى المسلمين .

بعـد موت صـلاح الدين فى دمـشق عام ١١٩٣م إنقـسـمت دولته إلى عـدة ممالك فأصبحت الشام وفلسطين مـن نصيب إبنه على الملقب بالملك الأفضل وحلب لإبنه غازى الملقب بالملك الظاهر ومصر لإبنه عـثمان الملقب بالملك العزيز وبلاد ما بين النـهرين لأخيه الملك العادل وكـانت القدس من نصـيب الملك الأفضل والذى تنازل عنهـا بعد فتـرة قليلة لأخيه الملك العزيز حـتى يضمن لها المال والرجال للدفاع عنها ضـد الصليـبيين .. وفى عام

١٢٠٠م تمكن الملك العادل من توحيد ممالك البيت الأيوبى فى مصر والشام تحت سيطرته وأقام نفسه سلطاناً على الإمبراطورية الأيوبية - إعترف به سائر الأمراء الأيوبيين - فترة إمتدت من عام ١٢٠٠م وحتى ١٢١٨م ونتيجة لقيام وتوحيد الإمبراطورية الأيوبية قامت البابوية فى أوروبا بتجهيز حملة صليبية جديدة ، إلا أنها لم تحقق هدفها الرئيسى إلا بعد تولى الملك الكامل القيادة بعد وفاة والده الملك العادل فى دمشق عام ١٢١٨م .

وبعد فشل الحملة الصليبية الخامسة على مصر تمكن «فريدريك» من عقد اتفاق هدنة مع الملك الكامل فى سبتمبر ١٢٢٨م فى عكا وتتضمن هذه الاتفاقية أن يتسلم الصليبيون بقيادة فردريك مدينة بيت المقدس وبيت لحم مع الابقاء على طريق "عكا - القدس" فى أيدى الصليبيين بما فى ذلك يافا وعكا واللد والناصرة ، على أن يبقى المسجد الأقصى وقبة الصخرة فى أيدى المسلمين ، كل ذلك مقابل هدنة مدتها عشر سنوات لاتقوم خلالها أى حملات صليبية على مصر أو الشام ، وفى أعقاب هذا الإتفاق أنكر المسلمون فى مصر والشام والعراق هذه الهدنة التى ترتب عليها التنازل عن بيت المقدس .

وفى عام ١٢٣٩م إنقسمت الدولة الأيوبية للمرة الثالثة فأصبحت مصر من نصيب العادل الثانى بن الكامل والشام من نصيب أخوه الأكبر الصالح أيوب الذى إستعان بالخوارزمية ، واستمر الصراع بين الأخوة على قيام الدولة الأيوبية الموحدة وفى تلك الأثناء جهزت البابوية حملة صليبية جديدة للابقاء على القدس بعد نهاية الإتفاق فاستغل قادة الصليبيين الخلافات داخل الدولة الأيوبية واستولوا على القدس التى سرعان ما عادت إلى الملك الصالح أيوب والذى زارها وأمر بترميم أسوارها .

لكن لم تكف الدعاوى الدينية الغربية باستعادة بيت المقدس من أيدى المسلمين فأرسلوا الحملة الصليبية السابعة (١٢٤٨م) بقيادة لويس التاسع .. وكان يتولى الحكم وقتها الصالح أيوب .. وقد دارت بين الفريقين معارك كبيرة ، إلا أنها لم تحسم النصر لأحد الطرفين وأثناء المعارك توفى الملك الصالح ، فتولى من بعده إبنه غياث الدين تورنشاه الذى لم يحسن إدارة البلاد ، فتآمرت عليه المماليك البحرية وقتلوه عام (١٢٥٠م) وبمقتله إنتهت الدولة الأيوبية .

المماليك قادمون

تولت شجرة الدر – زوجة الصالح أيوب – السلطنة فى مصر عام ١٢٥٠م بعد مبايعة المماليك لها .. ويعد هذا التاريخ هو بداية قيام دولة المماليك ، إلا أن بعض المؤرخين يعتبرون الظاهر بيبرس هو المؤسس الفعلى لدولة المماليك ، والذى تولى السلطنة عام (١٢٦٠م) ويذكر أنه قد زار القدس مرتين : الأولى عام ١٢٦٢م والثانية عام ١٢٦٥م .. وفى أعقاب زيارته الأولى أمر بترميم وانشاء بعض المنشآت نذكر منها :

- ترميم ما تهدم من مسجد قبة الصخرة .. كما جدد قبة السلسلة وقام بزخرفتها وأنشأ حنانا ووقف بعض القرى لينفق ريعها على مصالح المسجد كل عام .
- أنشأ (دار الحديث) على طريق باب السلسلة .
- بنى على قبر موسى "عليه السلام" – قبلى أريحا – قبة ومسجداً .
- يذكر أن الفصوص التى على الرخام فى مسجد الصخرة من آثاره .

وقد تعاقب على الحكم السلاطين المماليك .. ولا يخلو عهد أى منهم من ترميمات وإنجازات ومنشآت فى القدس .. وكان آخر سلاطينهم السلطان "قنصوة الغورى" (١٥٠٠م) والذى على عهده ساءت العلاقات بين المماليك والأتراك العثمانيين .. وقد قتل "الغورى" بعد هزيمته فى موقعة "مرج دابق" على مقربة من حلب .. وقد بايع المماليك "طومان باى" سلطانا عليهم ، لينقذهم من الغزو التركى إلا أنه فشل .. وشنق طومان باى فى عام (١٥١٧م) .. ومن هنا سقطت دولة المماليك ، لتحل مكانها دولة الأتراك العثمانيين .. ولعل أبرز السمات التى تميز عصر المماليك فى القدس إهتمامهم بها .. وترميم مقدساتها الاسلامية ، حتى أننا نجد سلاطينهم يكسون قبة الصخرة المقدسة من الخارج بالفسيفساء .

الأتراك العثمانيون فى القدس

بعد أن تغلب على المماليك فى موقعة (مرج دابق) فتح السلطان سليم الأول القدس عام (١٥١٦م) واحتل كذلك أجزاء كبيرة من بلاد الشام منها حلب وحمص وسار إلى مصر .. وبذلك إنتهى حكم المماليك لفلسطين بفتح العثمانيين لها .

ويذكر أنه فى عهد السلطان سليم الأول الملقب بالقانونى قامت منشآت كثيرة فى القدس نتيجة لاهتمامه بحركة التعمير والبناء ، فأمر بتجديد عمارة سور المدينة .. كما أنشأ برجاً بالقرب من الخليل وأصلح طبقة الفسيفساء التى كانت تغطى قبة الصخرة من الخارج بالإضافة إلى إصلاحه عمارتها وعمر جدران الحرم وأبوابه .. وجدد الذهبى من أبواب الحرم .. وفتح الباب المعروف بباب "ستنا مريم" كما جدد قبة السلسلة وعلى عهده أنشأت التكية المعروفة بتكية خاصكى سلطان فى عقبة المفتى وأنشأ مسجد الطور (١٥٣٧م) فى المكان الذى تقوم عليه كنيسة الصعود .. والمدرسة الرصاصية بحارة الواد (١٥٤٠م) .

وعلى عهده سُكت نقود جديدة سميت باسمه .. وفرضت على الحجاج المسيحيين رسوم يدفعونها لدى دخولهم كنيسة القيامة .

وبعد وفاة السلطان سليم الأول تعاقب السلاطين الأتراك العثمانيون على الحكم فتولى السلطنة بعده إبنه السلطان سليم الثانى (١٥٦٦م) فالسلطان مراد الثالث بن سليم الثانى (١٥٧٤م) فالسلطان محمد الثالث بن مراد الثالث (١٥٩٤م) ، فالسلطان أحمد الأول بن محمد الثالث (١٦٠٣م) وعلى عهده عرف الناس التبغ لأول مرة واستعملوه فى هذه البلاد (١٦٠٣م) وحُرم بيع الخمور فى القدس (١٦١٣م) ثم جاء السلطان مصطفى الأول بن محمد الثالث (١٦١٧م) فالسلطان عثمان الثانى بن أحمد الأول (١٦١٧م) فالسلطان مصطفى الأول للمرة الثانية (١٦٢١م) ولم يرد ذكر كثير للقدس فى أيام هؤلاء السلاطين .. وأما فى زمن السلطان مراد الرابع (١٦٢٢) فقد كانت القدس تابعة لمصر ولقد حدثت فيها حوادث تستحق الذكر : منها أنه حظر على الناس شرب القهوة وتدخين التبغ (١٦٣٣م) واختل الأمن ، فراح الأشقياء يقطعون الطرق ويخربون ينابيع المياه وذلك قد حدا بالسلطان لإقامة قلعة سميت باسمه (قلعة مراد) عند برك سليمان على طريق الخليل وأنشأ فى داخلها مسجداً وخمسين منزلا لسكنى الجند وكان يقوم على حراستها دزدار وأربعون جنديا مسلحين بالمدافع والأسلحة الكاملة .

بعد السلطان مراد الرابع تولى السلطنة إبراهيم بن أحمد الأول (١٦٣٩م) . ثم تولاها إبنه السلطان محمد الرابع (١٦٤٨م) وعلى عهده بنيت المئذنة الكائنة بداخل القلعة (١٦٥٥م). وأنشىء المصلى الكائن بجانب سبيل شعلان فى الحرم القدسى ١٦٥١م .

إن أحسن وصف للقدس فى ذلك العهد نجده فى مخطوط للسائح التركى الشهير (أوليا جلبى) فقد زارها حوالى سنة ١٦٧٠ للميلاد ووصفها وصفا جيدا فمدح خبزها وثمارها وخضرها ، ويبدو أنها إشتهرت يومئذ بمسكها وعطرها وبخورها ومباخرها النحاسية ، وكان فيها ألفان وخمسة وأربعون دكانا وستة خانات عظيمة ومحتسب وأسواق وثلاثة وأربعون ألف كرم ورأى فى وسط هذه الكروم زهاء ألف وخمسمئة منظرة وكان يسكنها ستة وأربعون ألف نسمة أكثرهم عرب مسلمون وكان فيها كنيسة للأرمن ، وثلاث كنائس للروم وكنيستان لليهود ومئتان وأربعون محرابا للصلاة وسبع دور للحديث ، وعشر دور للقرآن وأربعون مدرسة للبنين وستة حمامات وثمانية عشر سبيلا يشرب الماء منها العطشان وتكايا لسبعين طريقة منها الكيلانية والبدوية والسعدية والرفاعية والمولوية .. ويظهر مما كتبه هذا السائح وغيره من السياح الأجانب أن كل شيء فى القدس كان يومئذ على غاية ما يرام ، ماعدا الأمن والأمان فقد كان هذا مفقوداً ولاسيما خارج أسوار القدس .. وفى عهد السلطان سليم الثالث (١٧٨٨ - ١٨٠٧م) هاجم نابليون بونابرت العريش عام (١٧٩٩) وكان قد خرج على رأس جيشه وسلك طريق صحراء سيناء ثم اتخذ الطريق الساحلى القديم إلى فلسطين واستولى على العريش وغزة والرملة ويافا ثم واصل جيش نابليون تقدمه إلى الشمال على طول سهل مرج إبن عامر ليحقق هدفه الرئيسى وهو الإستيلاء على عكا عاصمة الحكم العثمانى فى فلسطين .

وفى أثناء حصار عكا أرسل نابليون عدة وحدات من جيشه إلى صفد وإلى جسر بنات يعقوب على نهر الأردن الشمالى .. قاصدا قطع الإمدادات التى يحتمل أن يرسلها العثمانيون إلى دمشق ، وعندما علم الفرنسيون أن القوات العثمانية نجحت مع ذلك فى عبور نهر الأردن من موضع آخر واخترقت وادى مرج بن عامر ، تقدم جزء من جيش نابليون لمواجهة الجنود المدافعين عن فلسطين تحت قيادة عثمانية ولكن الجيش الفرنسى هزم فى هذه المواجهة ، وبالتالى فشل فى احتلال حصار عكا ، ولذلك اضطر نابليون آخر الأمر إلى التراجع عائدا إلى مصر سالكاً نفس الطريق الذى سلكه من قبل على أن إهتمام أوروبا بفلسطين قد بدأ يتبلور منذ ذلك التاريخ .

ويذكر المؤرخون أنه فى عهد السلطان محمود الثانى عام (١٨٠٨م) قد ألغى نظام

(الانكشارية) وطارد رجالها مطاردة لاهوداة فيها ، حتى أنه منع الناس من ذكرهم ومنع المسيحيين الأرثوذكسيين (١٨٢٠م) من تعمير معابدهم .. إذ أنه كان يكرههم ولاسيما من كان منهم يونانى الأصل وسمح للاتين ببناء غرف جديدة فى ديرهم وتعمير ما يخصهم فى كنيسة القيامة وأمر المسلمين من سكان بيت المقدس أن يخلعوا عن رؤوسهم (القاووقة) التى كانوا يلبسونها حتى ذلك التاريخ .

وعندما أعلن محمد على باشا - والى مصر - العصيان على تركيا فى عهد السلطان محمود الثانى أرسل جيشا بقيادة ابنه إبراهيم باشا إلى فلسطين والشام لم يلبث أن احتل بيت المقدس فى عام ١٨٣١م ومعظم مدن فلسطين، ولكنه واجه مقاومة شديدة من أهلها الذين أعلنوا الثورة فى مواجهة إبراهيم باشا وجيشه إلا أنه قمع هذه الثورة وقد وقفت بعض الدول الأوروبية فى وجه إبراهيم باشا وفتوحاته فى فلسطين والشام وبلاد الأناضول مما اضطره إلى الانسحاب من فلسطين بعد عشر سنوات وهكذا إسترد السلطان عبد الحميد القدس وفلسطين فى عام ١٨٤١م بمساعدة انجلترا والنمسا، وظلت تحت الحكم العثمانى حتى الحرب العالمية الأولى .

وأغلب الظن أن اليهود حاولوا استصدار أمر من محمد على باشا للسماح لهم بشراء وتملك الأراضى الزراعية والعقارات وإنشاء بعض الصناعات الخفيفة ، ولكن أعضاء مجلس القدس الشريف اعترضوا على هذا الطلب - على اعتبار أنه طلب لامثيل له من قبل فأصدر محمد على موافقته على ما جاء فى قرار مجلس القدس الشريف ولم يسمح لليهود بعد ذلك بالبيع أو الشراء للعقارات والأراضى الزراعية ، وفى عهد السلطان عبد العزيز (١٨٦٠ - ١٨٧٤م) انفصلت القدس عن تبعيتها للشام وأصبحت مستقلة تتبع الباب العالى رأساً كما أنشئ فى عهده طريق القدس يافا وطريق القدس نابلس ورصفت شوارع القدس وأسواقها .. كما قام بتجديدات فى المسجد العمرى .

وفى عهد السلطان عبد الحميد الثانى (١٨٧٦ - ١٩٠٨م) .. نشبت الحرب بين الدولة العثمانية وروسيا (١٨٧٧م) وفى أعقابها صدر قانون (١٨٨٢م) يحرم هجرة اليهود إلى فلسطين وشراءهم الأراضى الزراعية والعقارات هناك ثم صدر تعديل لهذا القانون يسمح لليهود بدخول فلسطين للحج وإقامة طقوسهم الدينية على ألا يبقوا فيها أكثر من

ثلاثة أشهر وبعد انعقاد المؤتمر التأسيسى لمنظمة الصهيونية العالمية فى بازل سنة (١٨٩٧ م) برئاسة تيودور هرتزل الذى رسم خريطة لإسرائيل - والذى فى أعقابه عرض على السلطان عبد الحميد الثانى ، أن تسدد ديون الدولة العثمانية الباهظة بسبب الحرب مع روسيا ويدفع إلى جيب السلطان خمسة ملايين من الجنيهات مقابل السماح لليهود بوطن فى فلسطين ولما إعتذر بأنه لايملك المساومة على فلسطين ، وليست من خاص أملاكه فى صفقة بيع وشراء تقرر عزله وإسقاط الخلافة الاسلامية وعلى أثر ذلك تحالفت الصهيونية وانضمت العالمية مع بعض الدول الغربية على خلع السلطان عبد الحميد وإبعاده إلى "سلانيك" .

وخلفه السلطان محمد رشاد الخامس (١٩٠٨م) وفى عهده نشبت الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٧) وانضمت الدولة العثمانية إلى جانب الألمان .. وكانت النتيجة أن خسر الأتراك الحرب وإنتقلت القدس من أيديهم إلى أيدى الانجليز فى (٩ ديسمبر ١٩١٧) .. بقيادة السير "ادمون اللنبى" بعد أن ظلت فى أيدى العثمانيين أربعة قرون - فدخلت اسما (فلسطين) تحت الحماية البريطانية حتى تسلمتها الصهيونية العالمية وكان اليهودى المتطرف "زئيف جابوتنسكى" قد إتفق على إنشاء كتيبة من المتطوعين اليهود تحارب العرب والأتراك تحت الراية البريطانية وصدر لها الأمر بالتحرك فى إتجاه فلسطين .. "فى نفس وقت صدور تصريح بلفور بإنشاء وطن قومى لليهود وبالطبع فهذا التنسيق ليس مجرد صدفه" مع الجيش البريطانى الزاحف عليها بقيادة الجنرال (السير) ادموند اللنبى وفى فبراير عام ١٩١٨م وصلت مقدمة الكتيبة اليهودية إلى فلسطين وما أن لمست أقدامهم أرض فلسطين حتى رفعوا الراية الصهيونية ذات النجمة السداسية وعليها فقرة من المزمور ١٣٧ - من المزامير المنسوبة زوراً إلى داود - " ان نسيتك يا أورشليم تنسى يمينى" وكان هرتزل قد جعله شعاراً للصهيونية .

ورغم أنه فى العهد التركى افتقدت القدس لعنصر الأمن والأمان .. وتعرضت لتقلبات أمزجة الحكام وإضطهاد أهلها من قبل بعضهم ، إلا أنه كان للعهد التركى بصمات على المدينة من مختلف النواحى نذكر منها :

- أنها كـانت مركزاً لقـطع واسع يسمى (سنجق القـدس) وهو مؤلف من خمـسة أقضية وهى :

(١) قضاء القدس.　　(٢) قضاء الخليل .

(٣) قضاء يافا .　　(٤) قضاء غزة .

(٥) قضاء بئر سبع ..

وقسمت إلى ٣٨٠ قرية وخمس قبائل كبرى

- كانت تـدار المدينة والقرى المجـاورة لها والقـبائل من قبـل وزارة المالية .. وكان لـقاضى القـدس سلطة إدارية واسعـة .. وكان يشـغل الوظائف الهـامة والرئيـسيـة أتراك وذوو الإقطاع من مشايخ البلاد .

- أنشأ بالقدس مجلس للشورى (١٨٤٠م) يتألف من عدد من كبار رجال الطوائف المختلفة .

كما كـان فيها مـجلس عمومى (١٩١١م) يتألف من عـدد محدد من ممثلى الأقـضية .. وكـانت تمثل القـدس فى البـرلمان العثمـانى (١٩٠٨م) بنسبـة ثلاثة نواب .. إثنان من القدس والثـالث من يافا .. والبرلمان مؤلف من مـجلسين "مجلس للمبعوثين" ينتخـبه الشعب وآخر "للأعيان يعينهم السلطان" .

- أنشأت بلدية القـدس عام (١٨٦٣م) لها ميـزانية يحددها السلطان وكـان فى المدينة عام (١٨٧٦م) ديوان للشرطة يضم نحـو ٢٢ شرطياً كلهم مسلمون .. وكـان اقتناء السلاح مباحا لجميع السكان ، مما كان سبباً لافتقاد المدينة لعنصر الأمن .

- اشتهرت القدس بزراعة مساحات شاسعـة من أشجار الزيتون .. وكان الزيت فيها كثيراً حتـى - يقال - أن سكان المدينة أضطروا فى سنـة من إلسنين أن يسكبوا الزيت الـقديم ليتـمكنوا من إيجاد أوعـية كـافية يـصب فيهـا الزيت الجديد .. وكـان الزيتون مـصدراً للعديد من الصناعات .

- كانت مركزا تجاريا هاما يصدر العديد من السلع للدول الأوروبية منها القمح والصابون . وزيت الزيتون والسمسم وورق الكرتون والأدوات المدرسية وكانت المعاملات التجارية لاتتم بصكوك أو عقود أو تسجيل بل بالاتفاق الشفوى .

كان يدفع سكان المدينة ضرائب للأتراك وهى أنواع منها :

١ - "العشر" وتجنى من أصحاب الأراضى والمزارعين .

٢ - "الأغنام" تجبى عن الأغنام والجمال المعدة للنقل .

٣ - "الويركور والمسقفات" وتجبى من ملاك ألأراضى والدور المعدة للسكن والدكاكين .

٤ - "التصنيع" وتحصل من أصحاب الصناعات والمهن والتجار وكانت نسبة ضئيلة جداً .

٥ - "العملة المكلفين" تفرض على كل شخص يتراوح بين العشرين والستين من العمر وكان على الشخص أن يدفعها أو يؤدى خدمة عامة للمدينة كأن يشارك فى تشييد بناء جديد أو إصلاح طريق .

٦ - "العسكرية" وكان يحصلها الأتراك من الذميين الذين لم يعتنقوا الاسلام ويكونون فى سن الجندية مقابل اعفائهم من خدمة الجيش .

٧ - "الجزية" وكانت تحصل من أهل الذمة .. وكانت تفرض بدرجات متفاوته على الأغنياء والمتوسطين والفقراء .

٨ - " الغفران " وكان يدفعها الحجاج الذين يفدون إلى البلاد بقصد زيارة الأماكن المقدسة من يهود ونصارى يدفعونها عن وصولهم الى ثغر يافا .

- فى عهد السلطان عبد الحميد الثانى أصدر قانونا عام (١٨٨٢م) يحرم هجرة اليهود إلى فلسطين وتملكهم أراضٍ بها ثم عدل هذا القانون فسمح لليهود أن يدخلوا فلسطين بقصد العبادة بشرط ألا يمكثوا فيها أكثر من ثلاثة أشهر وصدر قانون يمنع تجارة الرقيق عام (١٨٨٩م) .
- فى عهد السلطان عبد الحميد الثانى أنشأ خط سكة حديد عام ١٨٩٢م يربط بين القدس ويافا .. وأنشأ المستشفى البلدى عام ١٨٩١م وجدد عمارة السبيل المعروف بسبيل قايتباى عام (١٨٨٢م) الكائن فى ساحة الحرم على مقربة من باب القطانين .
- أولى السلاطين الأتراك عناية كبيرة بترميم قبة الصخرة وإصلاح عمارة المسجد الأقصى والمسجد العمرى وتجديد أسوار المدينة وإقامة المساجد .

الإحتلال البريطاني

يرى بعض المؤرخين أن الأتراك وقعوا فى خطأ كبير خلال الأيام القليلة التى سبقت احتلال القدس .. إذ أنهم بدلاً من الثبات فى خنادقهم ورد الغارات التى كان يشنها

الانجليز عليهم .. بادروا بهجمات مضادة على الانجليز أنهكت وبددت جزءاً كبيراً من قوتهم .. رغم أن عدد أفراد الجيش التركى المرابط فى قطاع القدس كان يقدر بنحو ١٥,٠٠٠ مقاتل .. إلا أن الإحباط واليأس قد دب فى صفوفهم بسبب نفاذ المؤن والذخيرة ، فإغتنم الانجليز هذا .. وهجموا على القدس وتمكنوا أول ما تمكنوا من إحتلال بيت أكسا والتلال الكائنة حوله .. كما تمكنوا من احتلال دير ياسين ، وكانوا قد استولوا على مواضع استراتيجية أخرى إلى الشرق من وادى الصرار . وكانت بعض كتائبهم قد وصلت إلى قطاع بيت لحم واحتلت عين كارم وراحت مدافعهم تضرب القدس من جهاتها الثلاث الشمال والغرب والجنوب فأيقن الاتراك حينئذ أنهم خسروا المعركة وأن القدس لا محالة واقعة بيد الانجليز .

عندئذ نادى المتصرف التركى عزت بك عدداً من أعيان المدينة فأخبرهم بحقيقة الأمر وحملهم الرسالة التالية :

إلى القيادة الانجليزية ..

منذ يومين والقنابل تتساقط على القدس لدى كل ملة فالحكومة العثمانية - محافظة على الأماكن المقدسة الدينية من الخراب - قد سحبت عساكرها من المدينة وأقامت موظفين ليحافظوا على الأماكن الدينية كالقيامة والمسجد الأقصى وعلى أمل أن تكون المعاملة من قبلكم أيضاً على هذا الوجه فإنى أبعث بهذه الورقة مع حسين بك الحسينى رئيس بلدية القدس بالوكالة سيدى ، وفى صباح اليوم التالى إنسحب الأتراك من المدينة فريق منهم إنسحب عن طريق أريحا وآخرون ولوا وجوههم شطر نابلس ، وكانت السماء ماطرة وكانت تخيم على المدينة سحب قاتمة من الرهبة والسكون فدخلها الإنجليز (الأحد ٩ كانون أول ديسمبر ١٩١٧م) دخلوها عن طريق الشيخ بدر ، الحى الكائن إلى الغرب من المدينة . .وبعد يومين دخل اللورد اللنبى المدينة من بابها المعروف بباب الخليل وأذاع من فوره على سكانها ومن على درج القلعة ، البيان التالى :

"إن انهزام الأتراك أمام الجيوش التى أقودها أدى إلى احتلال مدينتكم وفى الوقت الذى أذيع عليكم فيه هذا النبأ أعلن الأحكام العرفية وستبقى هذه نافذة المفعول ما دام ثمة

ضرورة حربية ولئلا ينالكم الجوع ، كما نالكم على يد الأتراك أريد أن أخبركم أننى أرغب أن أرى كل واحد منكم قائماً بعمله ، وفقا للقانون دون أن يخشى أى تدخل من أى شخص كان .

" إن مدينتكم محترمة فى نظر أتباع الديانات الثلاث الكبرى وترابها مقدس فى نظر الحجاج والمتعبدين الكثيرين من أبناء الطوائف الثلاث المذكورة منذ قرون وأجيال وأود أن أحيطكم علما بأن جميع المعابد والأماكن المقدسة ستصان وفقا للعنعنات المرعية وبالنسبة إلى تقاليد الطوائف التى تملكها " .. ويذكر أن أول عمل قام به الانجليز بعد احتلالهم المدينة أن نصبوا عند مدخلها من الغرب ذلك المدخل الذى دخلوها منه ، وهو المعروف بحى الشيخ بدر ، نصبا من الرخام الأبيض تذكاراً لفتحهم نقشوا عليه اسم اللورد اللنبى والتاريخ الذى فتحت فيه المدينة على يده ، وأنشأوا حول النصب حديقة ، وأرادوا أن يرفعوا على النصب صليبا إلا أنهم عادوا فعدلوا على ذلك إستجابة لرغبة اليهود ووضعوا الصليب بشكل لايراه الناظر من بعيد .

وفى بداية إحتلال الإنجليز للقدس حكموها حكماً عسكرياً حتى بعد إعلان الحكم المدنى تدار بأيد إنجليزية .. وقد فوجئ العرب بعد إنتهاء الحرب العالمية الأولى بعدم تحقيق آمالهم فى الاستقلال وفوجئوا بظهور وعد بلفور المشئوم فى ٢ نوفمبر عام ١٩١٧ بإنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين .. هذا الوعد الذى منحه الإنجليز على لسان وزير خارجيتهم اللورد بلفور إلى اليهود بوساطة زعيمهم روتشيلد ، إذ أرسل إليه كتابا قال فيه :

عزيزى اللورد روتشيلد .

يسرنى جداً أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالة الملك بأن حكومة جلالته تنظر بعين الرضا إلى انشاء وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين وتبذل الجهود فى سبيل ذلك على أن لايجرى شيء يضر بالحقوق الدينية والمدنية لغير اليهود فى فلسطين أو يضر بما لليهود من الحقوق والمقام السياسى فى غيرها من البلدان .

والغريب فـى الأمر أن هذا الوعد الذى أعطى بـتاريخ ٢ تشرين الثـانى ١٩١٧ بقى فى طى الخفاء فلم يذع إلا بعد أن احتل الإنجليز القدس فى ٩ كانون أول ١٩١٧ ووضعت الحرب أوزارها ولم يعد الإنجليز فى حاجة لرضا العرب سكان البلاد .

فراح هؤلاء يتسـاءلون : أين هذا من الوعد الذى قطعته إنجلتـرا للملك حسين يوم طلب منها مكافأة لقيـامه ضد الأتراك "أن تعترف باستقلال البلاد العـربية من مرسين حتى الخليج الفـارسى شمـالا ومن بلاد فارس حـتى خليج البـصرة شـرقاً ومن المحـيط الهندى للجزيرة جنوبا ومن البـحر الاحمر والبـحر المتوسط حتى سـيناء غربا .." لا بل أين هو من الثورة نفسهـا التى أعلنها الحسين بتاريخ ٢٦ حـزيران ١٩١٦ والتى قال عنها اللورد اللنبى فى تقريره الذى رفعه إلى وزارة الحربـية فور إنتهاء القتال : "إنها ساعـدت الحلفاء مساعدة كبيرة فى الحصول على نتائج فاصلة فى الحرب"

وما كـادت أنباء وعد بلـفور والوطن القومى اليـهودى تذاع فى القـدس وفى سائر أنحـاء فلسطيـن ، حتـى راح الناس يعلنون سـخطهم واسـتنكـارهم وتزعـزعت ثقـتـهـم ببـريطانيـا ، فـإندلعت الثـورات .. والمظاهرات فى أنحـاء المدن الفلسطيـنية .. وعـقـدت الجمـعيات الإسـلامية والمسـيحية فى يافـا مؤتمراً عامـا سنة ١٩١٩ قرر فيـه المجتمـعون أن ينضموا لسـوريا وفى ٤ أبريل سنة ١٩٢٠ حدثت إضطرابات قتل فيهـا ٩ من اليهود ، و٤ من العـرب وجرح فـيهـا ٢٥٠ يهوديا ، و٢١ عـربيا ، فـأعلنت بريطانيا الأحكـام العرفـية وتألفت محاكم عسكرية لمحاكمة الشـباب الثائر ، وإضطرت الحكومة البريطانية إلى إنشاء إدارة مـدنية بالـقدس وتقـرر فى مـؤتمر سان ريـمو فى ٢٥ أبريل سنـة ١٩٢٠ بأن تتحـول فلسطين إلى محـمية بريطانيـة ووصل أول مندوب سام فى أول يوليو وهو السـير هربرت صمويل Herbert Samuel وهبط إلى القدس فى حراسة الـطائرات والدبابات خشية أن يغتاله العرب لأنه فى الأصل يهودى إنجليزى ومما فعله أن حظر على السكان العرب حمل السـلاح ، فى الوقت الذى ذود فيـه المستـعمـرات اليـهودية بالسـلاح ودربهم على القتـال وجعل اللغة العبرية مـع العربية والإنجليزية من اللغات الرسمية وفتـح باب الهجرة لليهود

حتى بلغـوا فى عهده نحـو ١٠٠,٠٠٠ وسمح لهم بشراء الأراضى كـيفمـا شاؤا وزادت أملاكهم فى القدس وصـرح لشركة انجليزية يهودية بشراء حق إضـاءة المدينة مع قطاعاتها (رام الله - بيت لحم - بيت جـالا) من رجل يونانى كان قد حـصل على هذا الإمتـياز فى العهد التركى وكانت له اليد الطولى فى أن أصرت بريطانيا فى دستور سنة ١٩٢٢ على أن فلسطين وطن قومى للـيهود ، وقد عـانت القدس كثـيرا من مظالم هذا المندوب ، وعملت السلطة الانجليزية فى تدابيرها الصارمة القاسيـة للحد من الشعور الوطنى ، ولتوطيد دعائم الوطن القـومى اليهودى ليس فـى يافا فقط أو القـدس وحدها .. إنما فى فلسطيـن كلها .. فراحت تزود المستـعمرات اليهودية بالسـلاح والعتاد والذخيرة وتدريـبهم على القتال ، فى حين حظرت على أهل الأرض المحتلة حمل السلاح وفـرضت عليهم عقوبة السجن المؤبد والاعدام .

وجعـلت اللغات الثـلاث ، العربيـة والعبـرية والانجليزية ، لغـات البـلاد الرسمـية وفتحت بـاب الهجرة لليهود فـدخل فلسطين منهم فى السنوات الخمس الأولى خـمسون ألفا ومـعنى ذلك أن عددهم تضاعف فى عـهد المندوب السامى الأول فـأصبحوا مـئة ألف واختار معظمهم الاقامة فى بيت المقدس .

وفى (٢٥ حزيران ١٩٢١) عقد فـى القدس مؤتمر كبير رفض فيـه الانتداب وإلغاء وعد بلفور وطالبوا بإستقلال فلسطين وإقامة حـكم نيابى ديمقراطى فيها على أن تتحد مع البلاد العـربية الأخرى وسـافر وفد منهم الـى الغرب حامـلاً معه هذه القـرارات ولم يترك الوفد فى إنجلترا وفى سائر أنحاء أوروبا باباً إلا طرقه ، ولكنه وجد الأبواب كلها موصدة .

ونجح الإنجليز واليهود فـى ضرب الأحزاب الفلسطينية بعضها الـبعض ، فإنشغلت بخلافاتها الداخلية فى حين راح الإنجليز يدعمون سلطتهم ويقون استعمارهم .. كما اغتنم اليـهود الفـرصة ، وراحـوا يدعمـون دعائم وطنهم القـومى الذى كان هدفـه ليس إمـتلاك القـدس وحدها .. بل سـائر الأراضى الفلسطـينية .. وبينمـا العـرب يعانـون من التشـتت والحيرة فرضت عصبـة الأمم المتحدة على فلسطين نوعاً من الحكم فى (٢٤ تموز ١٩٢٢م) أسمته الإنتداب وعهدت إلى بريطانيا بإدارته نيابة عنها ، على أن يبدأ هذا الإنتداب فى ٢٩ ايلول ١٩٢٣ ، وجاء فى ديباجة وثيقة الانتداب ...

" إن دول الحلفاء وافقت على أن تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن تنفيذ التصريح الذى صرحت به حكومة جلالة ملك بريطانيا فى ٢ تشرين الثانى ١٩١٧م بأن ينشأ فى فلسطين وطن قومى للشعب اليهودى على شريطة أن لايفعل شيء يضر الحقوق المدنية والدينية التى تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة فى فلسطين الآن ولا الحقوق والمركز السياسى الذى يتمتع به اليهود فى البلدان الأخرى " .

ومنحت المادة الأولى منه " السلطة التامة للدولة المنتدبة فى التشريع والإدارة إلا حيث أقيمت لهما حدود فى نصوص صك الانتداب هذا" .. وقد نصت المادة الثانية من الصك نفسه على أن "تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن جعل البلاد فى أحوال سياسية وإدارية واقتصادية تكفل إنشاء الوطن القومى اليهودى وترقية أنظمة الحكم الذاتى وضمان الحقوق المدنية والدينية لجميع سكان فلسطين بقطع النظر عن الأجناس والأديان" .

عندئذ أيقن الفلسطينيون أن انجلترا صديقة العرب خانتهم ، وأن الاستقلال الذى كانوا ينشدونه والذى لولاه ما خرجوا على الترك ولا إنضموا لثورة الحسين قد أصبح حلما يصعب تحقيقه.. ومن الجدير بالذكر أن عصبة الأمم لم توافق على الإنتداب البريطانى فى فلسطين إلا بعد تحفظ صريح على وعد بلفور ، يقضى بإستبعاد إنشاء دولة يهودية فى فلسطين وقد قدم مجلس إدارة المنظمة الصهيونية إقراراً بذلك ، فقدمته بريطانيا بدورها إلى عصبة الأمم .

وجاء حاكم آخر هو "مارشال بلومر" عام ١٩٢٥ فأدار الأرض المحتلة بنظام عسكرى صارم .. وأكثر من عدد الموظفين الإنجليز وفى عام ١٩٢٥ حدث زلزال عنيف بالقدس قتل الكثير من سكانها وهدم أجزاء منها .. فى ١٥ أغسطس قامت عدة اضطرابات عرفت باسم (ثورة البراق) عندما حاول بعض اليهود وضع بعض الكراسى والمصابيح والستائر فى ساحة الحرم الشريف بالقرب من حائط المبكى متجاهلين بذلك العرف السائد من عدة قرون وجرح فى هذه الاضطرابات عدد كبير من اليهود والعرب .. وتدخلت الحكومة .. وهدأت القضية لكن ما لبثت أن إشتعلت فى عهد حاكم القدس السير جون نشانسلر فعقد المسلمون مؤتمراً اسلاميا فى تلك السنة بالقدس، احتجوا فيه على تصرفات اليهود فأرسل وزير المستعمرات البريطانى لجنة الى القدس (لجنة البراق)

وبعد تحقيق فى الأوضاع دام أكثر من شهر بذلت فيه اللجنة جهداً كبيراً فى سبيل تحرى الحقائق والإستماع إلى وجهتى النظر العربية واليهودية والاطلاع على المخطوطات العربية القديمة وضعت اللجنة تقريرا عام ١٩٢٨ يقرر بكل صراحة ضرورة الإحتفاظ بالوضع الراهن للقدس على أساس .

- أن للمسلمين وحدهم تعود ملكية الحائط العربى للمسجد الأقصى (المبكى) ، ولهم وحدهم الحق العينى فيه لأنه يؤلف جزءاً هاماً من هذا المسجد .
- للمسلمين أيضاً تعود ملكية الرصيف الكائن أمام الحائط وأمام حارة المغاربة لكونه موقوفاً حسب الشرع الاسلامى لجهات البر .
- أدوات العبادة التى يحق لليهود وضعها بالقرب من الحائط لايجوز بأى حال من الأحوال أن تعتبر - أو أن يكون من شأنها ترتيب حق عينى فى الحائط أو الرصيف المجاور له .

وهذا القرار الدولى له أهمية كبرى كوثيقة دامغة لإبراز عروبة القدس وفى إثبات ملكية العرب لهذا المكان المقدس .. ولم يُرض اليهود بالطبع هذا القرار .. بل راحوا يتحدونه علنا .. كما تحدوا العرب أيضا فنشط اليهود فى شراء الأراضى الفلسطينية وزادت الهجرات اليهودية لفلسطين بحجة وجود أعمال تجارية بها ومنح اليهود حقوق لا حق لهم فيها ، وقامت فى القدس ونابلس ويافا والخليل وسائر أنحاء فلسطين (شهرآب ١٩٢٩) ثورة عارمة ضد الحكومة وضد الوطن القومى لليهود ، فحدثت مصادمات عنيفة قتل فيها عدد من اليهود وبالمقابل عدد كبير من العرب المسلمين والمسيحيين ودمرت ستة مستعمرات يهودية تدميراً كاملا .. إلا أن المحكمة أدانت العرب وصدرت بخصوصهم أحكام بالإعدام والسجن المؤبد ، فأرسلت عُصبة الأمم المتحدة (عام ١٩٣٠) لجنة دولية برئاسة السير وولترشو وحضر معها ثلاثة أعضاء يمثلون الأحزاب البريطانية الثلاثة .. ونزلوا بالقدس ودرسوا المشكلة من مختلف جوانبها والتى أدت لتفاقم الأمور وأصدرت قرارها فى (آذار ١٩٣٠) برقم (CMD ٣٥٣٠) نذكر بعض نقاط منه :

١ - الفتنة نتيجة حتمية لمخاوف العرب ومخاوفهم ناجمة عن إعتقادهم بأن السياسة المتبعة بشأن الهجرة والأراضى ستؤدى حتما إلى إخضاع العرب التام ،

وإخراجهم من بلادهم كما أنها ستحرمهم يوماً من وسائل معيشتهم .

٢ - إن هذا الخوف وذاك الاعتقاد سيكونان سبباً فى إضطرابات أخرى لابد أن تقع فى المستقبل .

٣ - إن الأزمة التى وقعت فى سنتى ١٩٢٧ - ١٩٢٨ نشأت فى الواقع بسبب قدوم عدد من المهاجرين إلى البلاد أكثر مما تستطيع أن تستوعبه وهذا ما قاله السرجون كامبل أحد الخبراء فى مسائل الإستعمار الذين عينتهم لجنة الأبحاث العامة المشتركة تلك اللجنة التى ألفتها الجمعية الصهيونية بالاشتراك مع الزعماء اليهود غير الصهيونيين فى أمريكا سنة ١٩٢٧ .

٤ - إذا أجيب اليهود إلى طلبهم وسمح لهم بإدخال ٢٥,٠٠٠ مهاجر فى السنة ، فانهم يصبحون أكثرية فى سنة ١٩٤٨ .

٥ - يتوق اليهود إلى ايجاد دولة يهودية فى فلسطين ، سواء فى ذلك المتطرفون والمعتدلون وإن اختلفوا فى الطريق التى يجب السير عليها توصلاً لهذه الغاية .

٦ - يجب أن تكون الهجرة إلى فلسطين متناسبة مع مقدرة البلاد الإقتصادية بحيث لايصبح المهاجرون عبئاً على أهالى فلسطين ويجب أن يؤخذ رأى الهيئات غير اليهودية فى مسائل الهجرة .

٧ - إن التدابير التى إتخذتها حكومة فلسطين لحماية حقوق المزارعين العرب ومنها قوانين إنتقال الأراضى فى ١٩٢٠ و ١٩٢١ و ١٩٢٩ لم تأت بالغاية المتوخاة فقد بقى عدد كبير من المزارعين بسبب انتقال مساحات واسعة من الأراضى العربية إلى أيدٍ يهودية بلا أرض يعيشون منها وفى هذا ما فيه من دليل على تقصير حكومة فلسطين .

٨ - منحت بريطانيا العراق والأردن الحكم الذاتى وحرمت فلسطين من هذا الحق بسبب وعد بلفور وهذا ما جعل العرب يعتقدون أن وجود اليهود بفلسطين حجر عثرة فى سبيل تحقيق أمانيهم القومية، وهم يعتقدون اعتقاداً جازما أن الوعد الذى قطعه مكماهون بالاستقلال يشمل فلسطين .

٩ - وقصارى القول أن الشعب العربى فى فلسطين يطالب بحكومة نيابية وهو متحد

في طلبه هذا وأن شعور الاستياء الذي يسوده ناشئ عن حرمانه من حق الحكم الذاتي وأن هذا الشعور ساعد على وقوع الاضطرابات الأخيرة ، اذ يجب على الحكومة أن لا تتجاهل ذلك عندما تبحث في التدابير الواجب إتخاذها لإجتناب وقوع مثل هذه الاضطرابات في المستقبل .

هذا هو ملخص التقرير الذي رفعته لجنة شو إلى الحكومة البريطانية وبناء على توصية هذه اللجنة هبط القدس بعد قليل (أيار ١٩٣٠) السرجوم هوب سمبسون بوصفه خبيراً في مشاكل الأراضي وبعد أن درس الوضع درساً دقيقاً رفع إلى حكومته تقريراً جاء فيه :

١ - إن الأراضي التي بيد العرب لاتكفي لسد حاجاتهم .

٢ - إن الأسرة العربية الواحدة في فلسطين تحتاج إلى ١٣٠ دونما من الأرض لتتمكن من القيام بأودها وهي لا تملك الآن سوى ٩٠ دونما .

٣ - إن الأراضي التي بيد اليهود تزيد على حاجتهم .

٤ - إن الأرض التي يشتريها اليهود من العرب تبقى بأيديهم إلى الأبد فلا يبيعونها ولا يؤجرونها إلا إلى اليهود ، وعندما تؤجر إلى يهودي يشترط عليه أن لا يستخدم أي عربي فيها .

٥ - يدخل البلاد سنويا بالإضافة إلى المهاجرين الشرعيين عدد كبير من المهاجرين بطريق التهريب وهذا يزيد مشكلة الأراضي سوءاً .

ووصل التقريران إلى الحكومة البريطانية فأصدرت بيانا أسمته (الكتاب الأبيض) في (٢٤ تشرين الأول ١٩٣٠) جاء فيه :

١ - المقصود من (الوطن القومي اليهودي) في فلسطين زيادة رقي الطائفة اليهودية وليس معناه فرض الجنسية اليهودية على فلسطين إجمالا .

٢ - من العبث أن يلح زعماء اليهود على حكومة جلالته كي تسير في سياستها فيما يتعلق بالمهاجرة والأراضي حسب أماني المتطرفين من الصهيونيين فإنها إذا ما فعلت ذلك تكون قد أخلت بواجبها إزاء غير اليهود من أهالي فلسطين .

٣ - لايمكن السماح بهجرة يهودية تزيد على مقدرة البلاد الاقتصادية .

٤ - إن للوكـالة اليهـودية بموجب المادة « ٤ » من صك الانتداب حق النصح والمعونة وليس لها حق الاشتراك فى حكم البلاد .

٥ - يجب فى الوقت نفسه إيجاد الوسـائل التى تصون مـصالح السكان غـير اليـهود صـيانة تامـة وأن يتـاح لهؤلاء السكان أيضـاً الفـرصة لتـقـديم المشورة لحكومـة فلسطين فيما يتعلق بتلك المصالح .

٦ - إن الالتزامات المفروضة فى صك الانتداب بشأن الفريقين متساوية .

٧ - إن حكومة جلالته ترى أن الوقت قد حان للسـير فى مسألة منح فلسطين نوعاً من الحكم الذاتى وبناء على ذلك فـهى تنوى أن - تشكل مـجلسـاً تشريعـياً يتـمكن العـرب فيـه من وضع آرائهم الإجتـماعـيـة والاقتـصادية أمـام الحكومة بوسـائل دستورية .

٨ - ليس فى فلسطين فى الوقت الحـاضر أية أرض مـيسورة لإستـقـرار المزارعين من المهاجرين الجـدد ومساحة الأراضى المحلولة التى تملكها الحكومة ليست مما يعتد بها .

٩ - إن السياسـة التى تتبعها الوكـالة اليهودية فيـما يتعلق بشراء الأراضى واستـغلالها وتأجيرها لا تتفق مع التصريح الذى أدلى به المؤتمر الصهيونى فى سنة ١٩٢١ بأن الشعب اليهودى يرغب فى أن يعيش مع الشعب العربى بصلات صداقة وإحترام متبادلين .

١٠ - دخل البلاد كثيـر من الأشخاص دون أن يحصلوا على التأشيـرة (الفيزا) اللازمة لدخولهم ، كما دخلها وبقى فيها كثيرون ممن سمح لهم بالاقامة المؤقته فقط ذلك لأن الحكومة لاتراقب الحدود ومرافق البلاد مراقبة فعالة .

١١ - يتـحتم على الـدولة المنتدبة إمـا أن تخـفض المهاجـرة أو أن تمنعـها فى الحـالات الضـرورية ذلك لأن المهـاجرة غـير المحـددة تسبب حرمـان السكان العـرب من الحصول على الأشغال الضرورية لمعيشتهم .

١٢ - ليس ثمة أمل فى تحسن العلاقات المتبادلة بين الشـعبين ،ولا فى تحـقيق الوطن القومى اليهودى إلا إذا توطدت الطمأنينة والرفاهية وبذلك يسود الرخاء والسلام فى فلسطين .

إن ما جاء فى الكتاب الأبيض يحصن الحركة الصهيونية .. وترتب عليه فور نشره قلة عدد المهاجرين اليهود .. بل خرج عدد كبير منهم مهاجرين إلى الخارج فى حين نشطت الحركة الوطنية الفلسطينية المطالبة بالحكم الذاتى .

لكن الحكومة البريطانية بجرة قلم - على حد التعبير الدارج - محت ما جاء فى الكتاب الأبيض " إذ أصدر رئيسها المستر رمزى مكدونالد بياناً فى ١٣ شباط ١٩٣١" نصه يلغى القرارات السابقة .

لكن لم يتوان الشعب العربى الفلسطينى بجهد ولا تضحيات فى سبيل إلغاء الانتداب ومقاومة الخطر الصهيونى طيلة عهد الاحتلال البريطانى (١٩١٧ - ١٩٤٧) وتعددت سبل المقاومة العربية من إضراب إلى عمليات فدائية وثورة علنية .. وراح رجال الدين الاسلامى والمسيحى يعظون الناس فى المساجد والكنائس لمقاومة المحتل الغاصب وكان اليهود لايستطيعون التنقل أو السير من مكان الى آخر إلا فى سيارات مصفحة . لكن السلطة الانجليزية كانت طوال الاعوام متحيزة لليهود مؤيدة لهم فى مشروعاتهم ووطنهم القومى .

وقد ظلت القدس القديمة والأجزاء الشرقية من القدس الحديثة فى يد الإدارة العربية الأردنية حتى سنة ١٩٦٧ وقد ازدهرت المدينة فى عهدها جدا ، وتقسم القدس الى ثلاثة قطاعات : القطاع الشرقى (وهو القطاع المحتل الآن) ويتألف من جزئين أولهما المدينة القديمة داخل السور وبها بيوت العبادة المسيحية والاسلامية أما الجزء الثانى من القدس العربية فهو صغير ونظيف ومرتب ومعظمه مناطق سكنية ويضم منطقة جبل الزيتون وتقام عليه البنوك والفنادق الحديثه والكاتدرائية الإنجيلية ومقر محافظة القدس العربية (الذى أصبح مؤقتاً مقراً للقيادة العسكرية اليهودية بعد عدوان الخامس من يونيو سنة ١٩٦٧ وكل سكانه من العرب) .

أما القطاع الغربى من القدس الحديثة خارج الأسوار فقد سقط تحت وطأة الاحتلال الاسرائيلى منذ سنة ١٩٤٨ (ويسمى بالقدس الجديدة) وهذه المنطقة بدأ التوسع فيها لإقامة مدينة جديدة منذ سنة ١٨٥٨ فأقيمت فيها تباعا أديرة للروم الكاثوليك والأرثوذكس وكان أهم مبانيها فى أواخر القرن الماضى تلك الخاصة بالرهبان الروس وكان بعض اليهود قد

هاجروا إلى هذه المنطقة، ولكن حيهم تهدم أثناء حرب سنة ١٩٤٨م وقد إمتدت الأحياء السكنية شمال الأسوار، فأقيمت المساكن فى حى الطالبية وفى طريق جبل سكوبس العربى الذى حاولت إسرائيل السيطرة عليه بعد أن اعتدت على منطقة جبل المكبر بجنوب القدس سنة ١٩٥٧ وكانت منطقة منزوعة السلاح وواقعة تحت إشراف الأمم المتحدة طبقا لإتفاقية الهدنة ، وفى ٢٣ يناير سنة ١٥٠ قررت إسرائيل إعتبار القطاع المحتل من القدس الجديدة عاصمة لها بدلاً من تل أبيب وظلت تنقل إليها مكاتب حكومتها تدريجيا حتى سنة ١٩٦٧ وطالبت السفارات الأجنبية بنقل مقارها إلى العاصمة الجديدة ولكن أكثرها رفض لعدم الموافقة على أن هذا يرجع للأصل الصهيونى ، وفى عهد الإحتلال شيد اليهود فى القدس الجديدة الكثير من المبانى الحديثة العالية وشقوا الطرق الواسعة المرصوفة وأقاموا فيها حتى الآن نحو مائة مصنع تضم صناعات الأدوية والأحذية والزجاج والأقلام والنسيج والأخشاب والمواد الغذائية المعلبة وصناعات أخرى كالسباكة والطباعة ودبغ الجلود وغيرها .. وبلغ سكانها من اليهود ١٤٩,٠٠٠ عام ١٩٥٨ .

ومن الجدير بالذكر أنه أثناء حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ اعتدى اليهود بالقنابل على الأماكن المقدسة المسيحية والإسلامية وفيمايلى نص الوثيقة التاريخية التى أصدرتها لجنة ممثل اتحاد الطوائف المسيحية فى القدس سنة ١٩٤٨ بهذا الشأن : "لقد اشتعلت الحرب فى مدينة القدس وما كنا لنتوقعها وذلك لأن مجلس الأمن وهيئة الأمم ولجنة هدنة القدس كانوا قد وعدونا بهدنة تحمى هذه المدينة وأماكنها المقدسة من ويلات الحرب وما يلحقها من خراب ودمار إذ أن الطرفين المتحاربين وقعا أمام لجنة الهدنة المذكورة وأمام ممثلى الصليب الأحمر على تعهد بوقف إطلاق النار لمدة ثمانية أيام اعتباراً من الساعة التاسعة من مساء ١٤ / ٥ / ١٩٤٨ وأعلنت القيادة ذلك بواسطة مكبرات الصوت فساد الهدوء فى الجبهات العربية تنفيذا لهذا الإتفاق ولكن اليهود لم يكترثوا لهذا الاتفاق الذى وقعه زعماؤهم وتابعوا إطلاق النار والعرب لايجيبون مما جرأ اليهود على التقدم لاقتحام الخطوط العربية الأمامية ومهاجمة المدينة المقدسة .

وهكذا أصبحت مدينة القدس مسرحا لمعارك رهيبة وتدميرات، فصارت الكنائس والأديرة والمؤسسات الدينية هدفاً لنيران المدافع وطلقات الرصاص فتهدم بعض هذه المبانى

وأصيب الكثير من النساء والأطفال والشيوخ والرهبان بشظايا القنابل التى كانت تطلق بغير هدف فأمام هذه الحوادث المروعة رأينا نحن ممثل الطوائف المسيحية أن من واجبنا المقدس أن نرفع الصوت عاليا بالاحتجاج على انتهاك حرمات كنائسنا وأديرتنا ومؤسساتنا التى تهدم بعضها وصار البعض الآخر طعمة للنار" .

وعدد البيان المسيحى أماكن الأديرة والمؤسسات الدينية التى إحتلها اليهود وإتخذوها معاقلا يطلقون منها النار على القدس دون مراعاة لأى حرمة مقدسة وأكد البيان على أن :

أ - إن اليهود هم الذين بدأوا واحتلوا الأماكن المقدسة واتخذوها قواعد حربية .. يطلقون منها النار على المدينة المقدسة .. محاولين إحتلالها والإستيلاء عليها ولا يزال اليهود حتى يومنا هذا يحتلون هذه الأماكن .

ب - إثباتاً للحقيقة نقول لقد صرح العرب أنهم يحترمون الأماكن المقدسة والكنائس والأديرة .. وبالفعل احترموها إلى الآن فنوجه نداءنا إلى الهيئات الدينية والسلطات السياسية وإلى الضمير الانسانى فى العالم المتمدين لكى يضع حدا لهذه الفضائح فى المدينة المقدسة .. صوناً لأماكنها المقدسة التاريخية .

وقد انتهت هذه الوثيقة بتوقيعات كل من ممثل بطريركية اللاتين .. وبقية ممثلى الكاثوليك والروم الأرثوذكس والأقباط والسريان الأرثوذكس .

الاستيطان الصهيوني

عملت الدوائر الاستعمارية الدولية على تعميق وتشجيع الاستيطان اليهودى بفلسطين .. ولكن الإستجابة اليهودية الأولية لمشاريع الاستيطان إقتصرت على الطبقة البرجوازية من اليهود ذات المصلحة المشتركة مع الجماعات الأوروبية الحاكمة ، فإستغلتا معا رغبة يهود شرق أوروبا فى الهجرة منها فى "النصف الثانى" من القرن ١٩ ، حيث قامت فى بعض الدول الأوروبية وروسيا جمعيات تتخذ من الهجرة إلى فلسطين تجسيدا وشعاراً لحب صهيون ولإعلاء كلمة اليهودية فى العالم .. على أسس استهدفت تحويل

فلسطين وطن قومي لليهود ولن يتحقق هذا إلا بإمتلاك اليهود للأراضى والتوسع فى إنشاء المستوطنات عليها وإحياء اللغة والثقافة العبرية فيها .. وقد نظم المستوطنون أنفسهم داخل المستوطنات كمجتمع مستقل له كافة منشآته وخدماته وينظمون حياتهم على نمط أوروبى ، لكنهم يظهرون ميولاً عنصرية ومطامع توسعية طموحة .. بعض الباحثين المتخصصين فى التاريخ الحديث قسموا حركة الاستيطان الصهيونى إلى ثلاثة مراحل هى :

١ - **الاستيطان غير المنظم** : وهذه المرحلة بدأت منذ ثلاثينات القرن التاسع عشر .. وكانت صلة اليهود بفلسطين قبل هذه المرحلة صلة دينية عاطفية تقوم على فكرة ظهور المسيح المنتظر الذى سيعيد بناء الهيكل فى القدس .. لكن البرجوازية اليهودية فى غرب أوروبا وجدت فى إستيطان فلسطين وسيلة للتخلص من عبء فقراء اليهود الذين وفدوا من شرق أوروبا بأعداد متزايدة خوفاً من أن تؤثر هجرة اليهود الفقراء على الحقوق والإمتيازات ، التى تتمتع بها البرجوازية اليهودية فى مجتمعات أوروبا الغربية.. وفى أعقاب الثورات التى نشبت فى الأقطار الأوروبية عام ١٨٤٨ إستخدمت البرجوازية اليهودية الفكرة القومية العنصرية فى دعوتها لاستيطان فلسطين .. وتميزت هذه المرحلة من مراحل بواكير الاستيطان بتضافر المبادرات والجهود الفردية وإتخاذها شكلا خيريا لتحسين أوضاع اليهود فى القدس .. ومن أبرز مشاريع الاستيطان غير المنظم :

(أ) **مشروع مونتفيورى** : فقد قام السير موسى مونتفيورى عام (١٧٨٤ - ١٨٨٥) بدعم من الحكومة البريطانية بوضع مشروع واسع لتوطين اليهود فى فلسطين ، فأطلع محمد على باشا - حاكم مصر - وولده إبراهيم عام (١٨٣٧) على مشروعه الذى يتضمن الحصول على إمتياز إستئجار نحو (٢٠٠) قرية من منطقة الجليل لمدة خمسين عاما فى مقابل دفع ٢٠٪ من إنتاجها ، والسماح بإرسال خبراء لتدريب اليهود على أعمال الزراعة والصناعة .. ولكن الحكم المصرى فى بلاد الشام منع اليهود من شراء الأراضى الزراعية فى فلسطين بقصد تملكها .

(ب) **مشروع لورنس أوليفانت** : دعا لورنس أوليفانت (١٨٢٩ - ١٨٨٨) الحكومة البريطانية والدولة العثمانية عام ١٨٧٩ إلى دعم مشروعه بإسكان المهاجرين

اليهود فى ضواحى القدس للمساهمة فى إعمارها ولتمكين الدولة العثمانية من الاستفادة من الثروات والخبرات اليهودية التى ستحول الأرض القاحلة الى أرض عامرة تكون وسيلة لإعمار ما حولها وبذلك تبرهن الدولة العثمانية على نيتها الصادقة فى الإصلاح، ولذلك طلب السماح لجماعة من اليهود العثمانيين لإنشاء شركة عثمانية خالصة تقوم بإعمار لواء القدس وتطوير الصناعة والتجارة والزراعة فيه .

وعندما زار أوليفانت رومانيا عام ١٨٧٩ حث السكان اليهود فيها على تأييد مشروعه الإستيطانى ، ثم توجه إلى استانبول مزوداً برسائل توصية من رئيس الحكومة البريطانية ومن وزيرى خارجية بريطانيا وفرنسا لإقناع السلطات بإنشاء شركة لتوطين اليهود فى فلسطين تتمتع بحماية السلطان العثمانى والحكومة البريطانية "لأن الأمة التى تقف إلى جانب اليهود وتدعم مسألة عودتهم إلى فلسطين ستكسب دعمهم فى المجالات المالية وتأييدهم على الصعيد الإعلامى فى مختلف بلدان العالم .

وخلاصة مشروع أوليفانت كما وصفه فى كتابه أرض جلعاد The Land of Gilead عام ١٨٨٠ تتضمن فصل البلقاء عن لواء نابلس ليستطيع رعايا السلطان اليهود إستغلال أراضى البلقاء (فى شرق الأردن) بالأموال والخبرات التى سيحضرونها معهم ، وستبيع الدولة العثمانية الأراضى الأميرية بثمنها وستحصل الضرائب السنوية وستبعد البدو عن المنطقة وتفرض نفوذها المباشر على المناطق الصحراوية المجاورة ولكن أوليفانت أخفق فى الحصول على موافقة السلطان عبد الحميد على مشروعه .

(جـ) وليم هشلر (١٨٤٥ - ١٩٣١) : اهتم هشلر المؤيد لمشاريع الإستيطان اليهودى فى فلسطين بجمع التبرعات المادية وإرسالها إلى جمعيات "أحباء صهيون" لتشجيع اليهود على الإستيطان فى فلسطين تحت الحماية البريطانية وفى عام ١٨٨٤ نشر دراسة بعنوان إرجاع اليهود إلى فلسطين حسبما ورد فى أسفار الأنبياء ، إستعرض فيها الأوضاع الاقتصادية والإجتماعية السيئة ليهود روسيا ورومانيا ودعاهم إلى الهجرة إلى فلسطين والإستيطان فيها .

وإلى جانب الجهود الفردية السابقة وجدت فى أوروبا جمعيات يهودية مثل

"الإتحـاد الإسرائيلي العـالمي" (الاليانس) الذى تـأسس عام ١٨٦٠ فى باريس وهو منظمـة يهودية عالميـة لحماية أحوال اليـهود وتحسينهـا فى كل مكان ثم إنحصر هدفه فى مـساعدة اليهود في فلسطين والعمل على زيادة عددهم فـيها بكل وسيلة ممكنة وقام آل روتشيلد فى فرنسا بدور مهم فى توجيه سياسة الإتحاد نحو المصالح الإستعمارية الفرنسية .

وكان النائب اليهودى فى البرلمان الفرنسي أدولف كريميه قد حصل على فرمان من السلطان عبد العزيز عام ١٨٦٨ بالسماح للاليـانس باستئجار ٢٦٠٠ دونم بالقرب من يافا لمدة ٩٩ عامـا ، وفى عام ١٨٧٠ أقام الإليـانس عليهـا أول مدرسة زراعـية سمـيت "مكفا إسرائيل" وتعنى بالعربية "أمل إسرائيل" بتـمويل من البارون أدموند دى روتشيلد والبارون موريس دى هيـرش وساهمت المدرسة فى تدريب المهـاجرين اليهود على الزراعـة ، وأقام الاليانس عدة فـروع له فى أوروبا الغربية وفى عام ١٨٧١ إستـقل فرع لندن مكوناً "الإتحاد اليهودى الانكليزى" .

وفى عام ١٨٧٨ قـامت مجمـوعة من يهود القـدس بشراء ٣٣٧٥ دونما من أراضى قـرية ملبس التى يمتلكهـا أحـد تجـار يافـا وتم تسـجيل الأرض ، باسم يوئيل سلومـون النمسـاوى الجنسية وفى العـام التالى (١٨٧٩) وضع اليهـود أيديهم بالطريقة نفسـها على منطقة مجـاورة بلغت عشرة آلاف دونم حيث أقام اليـهود على هاتين القطعتين مـستوطنة بتاح تكفا وتعنى بالعربية "باب الأمل" .. كما تأسست جمعيات ومنظمات أخرى فى سائر مدن أوروبا الشرقية وقد تنافست هذه الجمعيات فى تأسيس فروع لها بهدف جمع الأموال لمسـاعدة اليـهود على الإسـتيـطان فى فلسطين وتأسـيس المستـوطنات والمدارس الزراعيـة والصناعيـة فيهـا لاسيما بعـد أن سجلت الهجـرة اليهودية فى عـام ١٨٨١ - بداية جديدة وحاسمة فى أوسـاط طلاب الجامعات اليهود فى أوروبا الشـرقية فعملت جمعـيات أحباء صهيون على تنظيم الهجرة إلى فـلسطين وتنشيطها على أساس قومى ووصل فلسطين فى البداية حوالى ثلاثة آلاف يهودى كان من بينهم عدد من الشباب الجامعى الذين إنتظموا فى حركة بيلو Bilu التى تأسست عام ١٨٨٢ ، وهى الأحـرف الأولى لجملة فى التوراة تقـول : "يابيـت يعقـوب تعـال ودعنا نسير" .

وكان من أهم نتائج حركة "أحباء صهيون" الشروع فى إنشاء مستوطنات صهيونية وصل عددها إلى ثمانى مستوطنات خلال الفترة ١٨٨٢ - ١٨٨٤ ، وقاوم عرب فلسطين منذ البداية الغزو الصهيونى ففى عام ١٨٨٦ هاجم الفلاحون العرب المستوطنات الصهيونية التى أقيمت فى أراضيهم التى طردوا منها فأدى ذلك إلى فرض قيود جديدة على هجرة المستوطنين اليهود عام ١٨٨٧ .

وكان متصرف القدس رؤوف باشا (١٨٧٧ - ١٨٨٩) قد بذل جهودا كبيرة لمنع إنتقال الأراضى فى متصرفية القدس ولكن خلفه رشاد باشا (١٨٨٩ - ١٨٩٠) ، ولم يتشدد مثله ، مما أدى إلى إندفاع اليهود إلى شراء الأراضى ولذلك قدم وجهاء القدس العرب شكوى إلى السلطات العثمانية فى إستانبول فى ٢٤ تموز / يوليو ١٨٩١ ضد هجرة اليهود الآخذه فى الإزدياد فصدرت أوامر الآستانه فى تشرين الثانى / نوفمبر ١٨٩٢ إلى متصرف القدس تقضى بمنع بيع الأراضى الأميرية وحظر شراء العقارات فى لواء القدس من قبل اليهود .

٢ - **الاستيطان المنظم :** قد بدأت هذه المرحلة منذ عام ١٩٠٠ حيث أن البارون إدموند دى روتشيلد تخلى عن إدارة المستوطنات التى أسهم فى تمويلها وتنازل عنها إلى "جمعية الإستيطان اليهودى" التى أخذت على عاتقها مهمة توسيع أراضى المستوطنات وتنظيم إدارتها وتزويدها بالمرافق والخدمات الرئيسية .. وقدمت لها بريطانيا الحماية اللازمة لتطوير المستوطنات .. أما إدارة المستوطنات فقد إتخذت أشكالا متنوعة يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أنواع :

(أ) مستوطنات ذات صفه قومية .. وهى التى يعمل فيها اليهود بأجر وتملكها الحركة الصهيونية التى تشرف عليها وتعطى للعامل أجره وتوفر له مسكنا والخدمات المعيشية التى تلزمه .

(ب) مزارع تعاونية .. ويتقاضى فيها العمال أجورهم حسب الإنتاج .. بالإضافة إلى توزيع جزء من الأرباح السنوية عليهم وغالبا الذين يعملون فيها هم من الشباب الذين فى مقتبل العمر .

(جـ) قرى تعاونية .. وهى تطوير لفكرة المزارع التعاونية حيث يستوطن العمال

المتزوجون فى مناطق مجاورة لمناطق عملهم فى المستوطنات القائمة ، حيث الارتباط الدائم بين الحياة المعيشية والأرض .

وتوجد مؤسسات وأجهزة تنظيم عملية الإستيطان أهم هذه الأجهزة :

- الوكالة اليهودية (تأسست فى بال ١٨٩٧) .
- الصندوق القومى اليهودى (تأسس فى لندن ١٩٠٤) .
- الصندوق التأسيسى اليهودى (أسس فى لندن ١٩٢٠) .
- الشركة الإنجليزية الفلسطينية (أسست فى لندن ١٩٠٢) .

٣ - **تأسيس الوطن القومى اليهودى فى ظل الانتداب البريطانى** : وهذه المرحلة بدأت من عام (١٩٢٢) حتى عام (١٩٤٨) فقد بلغ عدد المستوطنات اليهودية قبيل صدور وعد بلفور (نوفمبر ١٩١٧) نحو ٤١ مستوطنة يسكنها نحو ٥٦,٠٠٠ نسمة يملكون ٢,٥٪ من أراضى فلسطين .. بينما بلغ عدد السكان العرب نحو ٧٠٠,٠٠٠ نسمة لقد سمحت حكومة الانتداب البريطانى باقامة مركز للوكالة اليهودية فى القدس التى كان من أهدافها الرئيسية حيازة الأرض كملكية عامة وأبدية للشعب اليهودى والإشراف على توظيف العمال اليهود والنهوض بالاستيطان الزراعى ولذلك أدت سياستها فى تشجيع الهجرة والاستيطان إلى ازدياد مخاوف العرب من سيطرة اليهود على فلسطين بعد إستقرارهم فيها ولاسيما بعد أن أخذ اليهود بعد عام ١٩٣٠ يكثرون من تهريب السلاح وتسليح المستوطنات وإنشاء منظمات للحراسة وأكد بن غوريون مسئول الدفاع فى الوكالة اليهودية وعضو اللجنة التنفيذية فيها فى المؤتمر الصهيونى التاسع عشر ١٩٣٥ على :

إن إنجازات اليهود فى أرض إسرائيل مرتبطة بصفة رئيسية بالأرض وكان مخططه يقضى بتهجير ثلاثة ملايين يهودى إلى فلسطين حتى تكتمل القاعدة البشرية للوطن القومى اليهودى ، على أن يتم توطين مليون يهودى حتى عام ١٩٣٥ .

وعملت الوكالة اليهودية على تأسيس تنظيمات حكومية للمناطق اليهودية فصارت لها مدارس ومجالس ونقابات وهيئات متنوعة خاصة بها وبذلك أصبحت الوكالة حكومة داخل حكومة الانتداب البريطانى ورفعت الوكالة أيضاً شعار " العمل العبرى " بطرد

العمال العرب من المشاريع اليهودية وإحلال العمال اليهود مكانهم بهدف خلق طبقة عاملة يهودية فى وقت إنتشرت فيه البطالة بين العرب الذين طردوا من الأراضى التى انتقلت ملكيتها إلى اليهود .. وتجدر الإشارة إلى أن الاحصائيات تشير إلى أن مجموع مساحة الأراضى الزراعية التى إنتقلت إلى حوزة اليهود بلغت ١,١٧٦,٧٤٥ دونماً حتى عام ١٩٤٨ منها ٤٦١,٢٥٠ دونما باعها مالكوها العرب غير الفلسطينيين .. أما ما باعه فلاحو فلسطين فكان جزءاً صغيراً ولأسباب قاهرة منها : الظروف الإقتصادية الصعبة والزيادة الحادة فى الضرائب المفروضة على الأراضى والانتاج الزراعى ورفع سعر البذار والسماد وخفض أسعار المنتوجات الزراعية وصعوبة تسويقها .

تحت الاحتلال الإسرائيلي عام ١٩٦٧

كان من نتائج نكسة العرب فى حزيران (يونيو ١٩٦٧) إحتلال إسرائيل للضفة الغربية لنهر الأردن بما فيها القدس العربية وقطاع غزة وشبه جزيرة سيناء ومرتفعات الجولان .. وبعد ثلاثة أسابيع فقط من هذا الاحتلال أصدر الكنيست الإسرائيلى قراراً بضم القدس العربية وتوحيد شطريها وجعلها عاصمة لإسرائيل، وتبع ذلك بعد يومين فقط اتخاذ أول اجراءات لإذابة الكيان العربى للمدينة بحل التنظيمات العربية فيها ، وحل المجلس البلدى العربى وتأليف مجلس يهودى ، واتخذت عدة اجراءات إقتصادية لصالح إسرائيل ، مثل إقامة مراكز جمركية على الطرق التى تصل المدينة المقدسة ببقية مدن الضفة الغربية الأردنية المحتلة ، بينما تركت الطرق الأخرى المتصلة بمدن اسرائيل بلا حواجز تمر عليها السلع الاسرائيلية بلا رسوم جمركية وسحبت العملة الأردنية من المدينة واستبدلت بالليرة الاسرائيلية .

وعملت إسرائيل على إرغام السكان العرب على دفع ضرائب دفاع لصالح المحتل وسادت إجراءات نازية للبطش بالسكان العرب لكى يهاجروا من القدس ومنها إحتلال منازل العرب بالقوة بعد طرد السكان منها وإحلال يهود محلهم وهدموا فى السنة الأولى على العدوان ١٣٠ منزلاً تأوى ٦٥٠ عربياً وكان نتيجة الارهاب الشديد على المدنيين العزل أن عبر ١٥٠,٠٠٠ منهم نهر الأردن وتبقى ٧٠,٠٠٠ آخرون ، تحت هذه الظروف الصعبة

وطبق العـدو قانون أملاك الغـائبين ، الذى ينص على إسـتيـلاء الحكومة الإسرائيلـية على جميع أسلاك العرب الذين يتغيـبون ، منهم أولئك الذين كانوا خارجهـا أثناء العدوان سنة ١٩٦٧ ، فتم بناء على ذلك الاستيلاء على ٥٩٥ منزلاً جملة مساحتها ١١٦ دونماً مربعاً (الدونم ١٠٠٠ متـر) داخل أسوار القدس القديمـة وتوالت هذه العملية ، خـاصة فى حى المغاربة القريب من المسجد الأقصى ونتيجة لهذه الأعمال :

١ - أصبحت إسـرائيل تملك داخل أسـوار المدينة - بدون وجـه حق - ما يقـرب من خمس الأراضى الملاصقة للحرم الشريف والمسجد الأموى .

٢ - إستولت على ثلث الأراضى خارج أسوار المدينة وكلها ملك للعرب خصوصاً فى المنطقة التى تحيط بالقدس ، وتعزلها عن باقى أراضى الضفة الغربية .

٣ - إختارت السلطات الإسرائيلـية مساحة كبيرة من الأراضـى فى شمال المدينة (نحو ٦٠٠ دونـم) لإقامة أول حى يهـودى جديد عليها علـى أساس بناء ٢٥٠٠ وحدة سكنية لإستيعاب ٣٠,٠٠٠ يهودى وعندمـا يكتمل المشروع سيفصل القدس من الغرب إلى الشمال الـشرقى عن بقية الأراضى وهو جزء من مشـروع تتولاه هيئة برئاسة "يـهوذا تامـيـر" لإسكان ١٠,٠٠٠ إسرائيلى آخـر داخل القدس القـديمة الأردنية كـما قامت حكومـة الإحتلال بضـم جميع مـدارس القدس بالذات إلى وزارة التعليم الإسرائيلى وأستبدل معلمـوها العرب بإسرائيليين ، وغيروا المناهج بما يتمشى مع سياستهم الإستعمـارية ، فأرغموا التلاميذ العرب على دراسة اللغة العبرية والتوراة .

وقـد أقـر الكنيـسـت الإسـرائيلى "قـانون التنظيـمـات الإدارية والقـانونيـة فى ٢٣ أغسطس سنة ١٩٦٨ وصـدر بالجريدة الرسمية الـعبرية ، وهو يضم ٢٢ مادة ملخـصها أن تقوم كل شـركة وكل جمعـية تعاونية بالقـدس العربية وجمـيع أصحاب المهن والحرفـيين العرب بتسجيل أنفسهم طبقا لقواعد القوانين العمالية الإسرائيلية قبل ٢٢ فبراير سنة ٦٩ ، على أن يشـمل التسـجيل العـلامات التـجارية والاخـتراعـات ، ونصت المادة ١٨ من هذا القانون الإسرائيلى على أن كل شخص يريد القيـام بأى بناء أن يطلب رسميا الترخيص له بذلك من السلطات الإسرائيلية المختصه ومعنى ذلك هو محاولة تصـفية أموال وممتلكات ٧٠,٠٠٠ عربى فى القدس ، وتهويد المدينة العربية تماماً ، بإدماج الحياة الإقتصادية العربية

فى الحياة اليهودية ، وبالتالى إبتلاع الإقتصاد اليهودى ١٨٠ شركة عربية مسجلة بالقدس ، رأسمالها يزيد على خمسة ملايين دينار أردنى ، وقد ثارت ضجة كبيرة فى العالم العربى وفى أروقة الأمم المتحدة فى حينه ، مما أرغم السلطات الإسرائيلية على تأجيل تنفيذه مؤقتاً أمام ضغط الرأى العام العالمى .

ولعل أقرب وصف لحالة المدينة المقدسة هو ما ورد فى المقال الذى كتبه الأمريكى جون هربرت رئيس الجمعية الأمريكية لمساعدة اللاجئين ونشره فى نيويورك - مركز الثقل اليهودى فى أمريكا - ويقول فيه ما ترجمته بالحرف الواحد اننى دهشت كثيراً حينما عدت لزيارة هذه المدينة المقدسة فى أوائل هذا العام (١٩٦٩) ولاحظت مظاهر تغيير مفجع يزحف على القدس القديمة ، لتمتد معاول الهدم الإسرائيلية إلى مناطق واسعة كما تفسح الطريق أمام عدد كبير من المبانى الحكومية (الإسرائيلية) الجديدة والعمارات السكنية التى تبدو كئيبة غير جذابة ، وقد أعلن متحدث إسرائيلى أن القدس قد أصبحت الآن مدينة موحدة ، وأنها أصبحت مفتوحة لكل من ينتمى إلى العقائد الثلاث ولكن هذا ليس صحيحا ، فإن أهالى القدس قد أصبحوا الآن أكثر إنفصالا عن ذى قبل ، على الرغم من أن الأسلاك الشائكة التى كانت تفصل بين قطاعى المدينة قد أزيلت فلم يعد الوصول للأماكن المقدسة - بصفة عامة - أمراً سهلا لأكثر من ثمانية ملايين مسيحى عربى أو بالنسبة لأكثر من سبعمائة مليون مسلم ، وعلى عكس ما كان الأمر عليه - أصبحت الأماكن المقدسة مغلقة فى وجه أتباع الأديان الثلاثة على نحو أشد قسوة بكثير ، مما كان عليه الحال خلال السنوات الممتدة من ١٩٤٨ إلى ١٩٦٧ ، وأن إسرائيل لن تستطيع أبدا إدارة القدس بطريقة ترضى الأديان الثلاثة وأن سعيها إلى فرض حكمها وسيطرتها على أهالى القدس ليس خطأ من حيث المبدأ فحسب ، ولكنها سوف تجد معارضة منهم ولهذا ستجد نفسها مرغمة أكثر فأكثر على اتباع أساليب أشد قسوة ووحشية ، وخلال زيارتى لعمان وبيروت تحدثت إلى قرابة عشرين من الشخصيات العربية البارزة من أهالى القدس، الذين أكرهوا على مغادرة المدينة ، وفى معظم الأحيان بقيت الزوجات والأطفال فى القدس ، للمحافظة على منازلهم وممتلكاتهم ، والحيلولة دون إستيلاء السلطات الإسرائيلية عليها وتوزيعها على الأسر اليهودية ، تحت زعم أنها ممتلكات مهجورة ونحن

فى نظرتنا إلى مشكلة القدس لاينبغى أن نتجاهل هذه الحقيقة وهى أن القدس القديمة ظلت لقرون عديدة مدينة عربية ، سواء فيما يتعلق بممتلكاتها أو بأهلها ، وفضلا عن ذلك فإن العرب يفخرون بأنهم نجحوا طوال هذه القرون كلها فى إدارة مدينة القدس على نحو أرضى جميع الأديان بما فيها الديانة اليهودية نفسها .

ولدينا شاهد غربى آخر هو جافن يانج الذى زار القدس أخيراً ونشر مقالاً فى جريدة الأوبزرفر البريطانية تحدث فيه "عن سخط العرب على معاملة الإسرائيليين لهم" ، وأضاف بقوله " انه كانت هناك أسباب تدعو للمزيد من السخط فالقوانين اليهودية تطبق على القدس العربية بالذات دون غيرها من سائر المدن بالضفة الغربية المحتلة وإحتج المحامون العرب على نقل محكمة الاستئناف العربية من القدس إلى رام الله ، وإعتبروا ذلك خرقاً لقرارات مجلس الأمن ، التى ترفض ضم القدس لإسرائيل وبطلان كافة الإجراءات التى إتخذها اليهود ، ويمضى الكاتب فيقول إن إسرائيل إستولت على ٨٣٦ فدانا فى شمال شرقى القدس لتنفيذ مشروع الإسكان العاجل لنقل نحو ٢٥,٠٠٠ إسرائيلى للإقامة فيها ، وبذلك تجعل ضم القدس - على حد تعبيره - أمرا واقعيا ، كما قامت بتحويل أحدث مستشفى عربى فى القدس إلى مقر لرئاسة البوليس الإسرائيلى وأقيمت مدينة جامعية لسكنى طلبة الجامعة العبرية على سفح جبل أسكوبس فى أرض عربية وهناك مساحات أخرى فى جنوب المدينة قد أدخلت فى برامج مماثلة من أجل توطين الإسرائيليين فيها ، وفى داخل المدينة المسورة فإن المساكن التى يقطنها الطلبة العرب قد إنتزعت منهم أو هدمت وقد رفض أصحابها أخذ أى تعويضات عنها" .

ويختم مقاله بأن السلطات الاسرائيلية تهدف من هذا كله إلى مواجهة العالم بالأمر الواقع رغم أن العالم نفسه قد رفض هذه الإجراءات جميعها فى القرارات المتكررة التى تصدرها المنظمة الدولية بخصوص عروبة القدس ، وعدم مشروعية الإجراءات اليهودية فيها والتى تنتهى بقرارها الصادر فى ١٩٦٩/٦/٣ ، وإصرار الأمم المتحدة على ضرورة الإنسحاب الكامل من الأراضى التى احتلها اليهود بعد يونيو سنة ١٩٦٧ ، على أساس القرار الدولى الصادر فى ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٦٧ وهى فى الواقع إدانة قوية من المجتمع الدولى ، ورفض صريح لسياسة الأمر الواقع أو سياسة الاستيلاء على أراضى دول

مشتركة فى عضوية الأمم المتحدة عن طريق القوة الحربية ، مما يتعارض مع ميثاقها .

واستمرت الممارسات الإسرائيلية فى المناطق العربية المحتلة عبر عوامل الإنتاج المختلفة لجعل العرب الفلسطينيين أقلية ولتدعيم الوجود الصهيونى .. ونستطيع أن نقول إن هذه الممارسات تركزت حول ثلاثة محاور بعد ١٩٦٧ وحتى الآن :

أولاً : الاستيلاء على الأرض بهدف تبرير عمليات المصادرة والاستملاك التى قامت بها إسرائيل فى الأراضى المحتلة ، أصدرت قرارات بالغاء كافة المراجعات حول النزاعات بشأن حقوق الملكية المحتلة وكان أهم هذه الأوامر قرار بإلغاء كافة المراجعات حول النزاعات بشأن حقوق الملكية التى كانت عالقة منذ الانتداب البريطانى وصدر قرار آخر يقضى بضرورة الحصول على موافقة الحاكم العسكرى قبل القيام بأية عملية لنقل ملكية الأرض ، وعدل الكيان الصهيونى القوانين المتعلقة بالمصادرة واعتبر بموجب مرسوم حول الأملاك المتروكة من قبل الأفراد فى ١٩٦٧/٧/٢٣ ، أن الأراضى العائدة للأشخاص الغائبين يوم الاحتلال عام ١٩٦٧ هى ملك للدولة .

ويلجأ الكيان الصهيونى غالباً إلى القانون الأردنى المتعلق بمصادرة الأراضى من أجل المنفعة العامة كى يستملك الأراضى الضرورية لبناء الطرق والمنشآت الأخرى التى تحتاج إليها المستعمرات اليهودية ، ومن جهة ثانية فإن الكيان الصهيونى يبرر بعض عمليات مصادرة الأراضى ونزع الملكية بالاعتبارت الأمنية ، أو أنه يعتبر الأراضى المصادرة ، وهى أساساً أراض أميرية أو موات كأراض عامة ، ويستند الكيان الصهيونى عند مصادرة الاراضى لاعتبارات أمنية إلى المادة (٥٢) من إتفاقية لاهاى ، تلك المادة التى تسمح لقوى الإحتلال بمصادرة الأراضى لإعتبارات أمنية ويستند الكيان الصهيونى أيضاً إلى القوانين الإستثنائية البريطانية بشأن حالات الطوارئ العائدة لعام ١٩٤٥ ، أما الأراضى التى تعتبر "أملاك عامة" فهى تشمل كافة الأراضى التى لاتثبت ملكيتها بموجب إفادة ، عقارية صريحة ، علما أن الحاكم العسكرى الصهيونى لايعطى الفلاحين العرب سوى مهلة ٢١ يوما لإثبات حقوقهم والجدير بالذكر أن ٧٠٪ من أراضى الضفة الغربية تعتبر أراضى أميرية وأن نسبة الأراضى الأميرية التى سجلت فى السجل العقارى بموجب معاملة قانونية قبل عام ١٩٦٧ لم تتجاوز ٥٠٪ من أراضى الضفة الغربية ، وعلى سبيل المثال صادرت سلطات الإحتلال مؤخرا ٣٠ دونما من أراضى قرية قطنة بلواء رام الله بحجة أنها أراض حكومية ، فيما قدم أصحاب هذه الأراضى كل الوثائق التى تثبت ملكيتهم لها .

ومنذ أواخر السبعينات تزايدت عمليات إعلان الأراضى من قبل سلطات الإحتلال الصهيونى ملكا للدولة ومنذ أوائل الثمانينات تم الاعلان عن مساحات كبيرة من الأراضى غير المسجلة من قبل المواطنين العرب فى الضفة الغربية كأراض عامة تمهيداً لتملك سلطات الاحتلال لها ، ومن جهة ثانية صدر قانون بتاريخ ١٧/ ٩/ ١٩٧٩ يسمح بموجبه للأفراد الإسرائيليين حق شراء الأراضى فى المناطق العربية المحتلة وذلك تشجيعا لعملية الإستعمار الإستيطانى فيها .. وقد أظهرت نتائج حساب معاملات الارتباط بين مساحات الأراضى العربية المصادرة وبين أعداد المستعمرات الإستيطانية التى أقيمت عليها فى الضفة الغربية خلال الفترة (١٩٧٩ - ١٩٨٣) أن العلاقة قوية وطردية بين التوسع فى مصادرة الأراضى العربية وبين التوسع فى إقامة المستعمرات اليهودية إذ بلغت قيمة معامل الإرتباط بينهما ٠,٧٥ .

فى عام ١٩٧٦ أتم خبراء الأرض الصهيونيون مسح أملاك الغائبين وأملاك الدولة فى الضفة الغربية وقطاع غزة ووضعت سلطات الإحتلال الصهيونى يدها عليها بموجب أمر عسكرى رقم (٥٨) ورقم (٥٩) ، وفى عام ١٩٨٣ بلغ إجمالى مساحة أراضى الدولة التى أعلنت سلطات الإحتلال الصهيونى عن امتلاكها فى الضفة الغربية حوالى ٤٠٠ ألف دونم ، أو ٢٥٪ من المساحة الإجمالية المعنية وفى قطاع غزة كانت مساحة أملاك الدولة (الأرض الميرى) عام ١٩٨٣ حوالى ١٠٥ آلاف دونم علما بأن مساحة قطاع غزة تبلغ ٣٦٣,٨٠٠ دونم ، منها للعرب ٢٥٠ ألف دونم و١١٣,٨٠٠ دونم إنتزعها اليهود .

قُدر إجمالى مساحة الأراضى المشتراة فى الضفة الغربية من قبل القطاعين العام والخاص اليهوديين بحوالى ١٠٠ ألف دونم فى عام ١٩٨٣ وإستمر شراء الأراضى الرسمى إذ تقوم خطة شراء الأراضى للفترة - (١٩٨٣ - ١٩٨٦) على شراء ٣١,٥٠٠ دونم فى سبعين موضعا بقيمة إجمالية مقدارها ٣٠ مليون دولار .. وقد أقيمت بعض المستعمرات فى الضفة الغربية بموجب بلاغات عسكرية إعتبرت الأراضى التى أقيمت عليها مناطق مغلقة لأسباب أمنية فى بادئ الأمر وبعد أن تم مسح أراضى الدولة تبين أن أراضى هذه المستعمرات هى جزء من أراضى الدولة .

مثال : أراضى مستعمرة "تيكواع" ، أراضى مستعمرة شيلوه ، أراضى افرات ، وفى محاولة لتوسيع إحدى المستعمرات اليهودية بالقرب من مدينة البيرة فى الضفة الغربية ، قامت الجرافات الإسرائيلية مؤخرا بتجريف الأراضى الواقعة فى منطقة جبل الطويل شرقى المدينة .. وفيما يتعلق بالأراضى المغلقة الغربية لأغراض عسكرية يمكن القول أن

سلطات الإحتلال الصهيوني دأبت منذ عام ١٩٦٧ على إغلاق مساحات مختارة من الأراضي ومصادرتها من أصحابها الشرعيين من أهالي الضفة بحيث بلغت مساحة هذه الأراضي حتى عام ١٩٨٣ حوالي ١١ , ١ مليون دونم أو ٥٣٪ من المساحة الكلية التي صادرتها سلطات الاحتلال .. وقد وضع الاحتلال الصهيوني "مشروع المائة ألف" للاستعمار الاستيطاني في الضفة الغربية ، وطبقا لهذا المشروع فمن المقرر أن يتم توطين مائة ألف يهودي في مستعمرات الضفة خلال الفترة (١٩٨٣ - ١٩٨٧) وقد إستمد "مشروع المائة ألف" من مشروع رئيسي أكبر وأشمل أعد لعام ٢٠١٠ ووفقا لهذا المشروع الرئيسي سوف يتم توطين حوالي ٤٠٠ ألف يهودي في مستعمرات الضفة خلال ثلاثين عاما ، وثمة هدف مرحلي لهذا المشروع هو أن يكون قد تم ، حتى أواسط عام ١٩٨٦ ، بناء أكثر من ٥٧ مستعمرة يهودية جديدة إضافة إلى تلك القائمة هناك ليصل العدد إلى ١٦٥ مستعمرة وفي الوقت نفسه سوف يسكن في الضفة بحسب المشروع ، ٢٥ ألف عائلة يهودية أي نحو ١٢٥ ألف شخص .

إزداد عدد المستوطنين اليهود بصورة مطردة في الضفة الغربية ما بين عامي ١٩٧٥ و١٩٨٥ إذ كان عددهم حوالي ٢٥٨١ نسمة في عام ١٩٨٥ ، لذا فإن مشروع المائة ألف مستوطن يهودي لم يحقق من أهدافه في نهاية عام ١٩٨٥ سوى ٤٣٪ فقط ، وفي ضوء الصعوبات التي واجهت الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في المناطق العربية المحتلة فقد بلغ عدد المستعمرات الصهيونية التي أقيمت في قطاع غزة حتى عام ١٩٨٥ حوالي ٢٠ مستعمرة وقدر عدد اليهود الذين يعيشون في تلك المستعمرات بحوالي ٥ آلاف مستوطن وتنتشر هذه المستعمرات في كافة أرجاء القطاع الذي يزدحم بالمواطنين العرب في الأصل وقد صادرت سلطات الإحتلال الصهيوني حتى نهاية عام ١٩٨٥ ما نسبته ٤٠٪ من إجمالي مساحة القطاع ، وخصصت هذه السلطات ما مساحته ٤٠كم٢ من المناطق المصادرة لإقامة مستعمرات يهودية عليها .

ثانياً : **الإستيلاء على موارد المياه** : أعلنت السلطات الإسرائيلية أن مصادر المياه في الضفة والقطاع تحت سيطرتها الكاملة .. وفرضت حظرا على ضخ مياه نهر الأردن من قبل المواطنين العرب لأسباب أمنية وأصدرت أمرا عسكريا يحظر على المواطنين إستغلال أي بئر جديد دون ترخيص مسبق من الحاكم العسكري الذي يرفض إعطاء التراخيص لإستخراج المياه بقصد الري الصناعي ، وفي المقابل إستغل المستوطنون اليهود آبارا جديدة لري الأراضي الزراعية التابعة لمستعمراتهم في الضفة الغربية .. ويبلغ عدد الآبار التي

يستغلها المستوطنون اليهود فى الضفة أكثر من ٢٩ بئرا ، قدر إنتاجها بحوالى نصف كميات المياه التى يحصل عليها المواطنون العرب فى الضفة .. ومن جهة ثانية تستعمل المستعمرات التى أقامتها إسرائيل وسائل حديثة للحفر والضخ وتعمل على تسهيل مهمة حصولها على كميات كبيرة من المياه على حساب الكميات التى يحصل عليها المواطنون العرب وفى بعض الأحيان نضبت الآبار العربية ويحد الكيان الصهيونى من إستعمال المياه فى الآبار العربية عبر وضع عدادات على هذه الآبار .. وهناك العديد من المشاريع التى أقامتها إسرائيل للإستفادة من المياه الجوفيه العربية ومازالت هناك مشاريع مستقبلية تعد لها، لتفى بحاجاتها من المشروعات والمستوطنات التى تقيمها كل يوم .

ثالثاً : استثمار الإمكانيات الإقتصادية والأيدى العاملة فى الأراضى المحتلة : تسعى الحكومة الاسرائيلية بشكل مباشر وغير مباشر إلى ربط إقتصاديات المناطق العربية المحتلة بالإقتصاد الإسرائيلى ، مما يخدم الإقتصاد الإسرائيلى ويفتح أسواق المناطق العربية المحتلة لإستقبال المنتجات الإسرائيلية ، وأدت سياسة فرض الرسوم والضرائب الباهظة إلى إضعاف الإقتصاد الفلسطينى وبخاصة قطاع الصناعة بحيث أوجد الإحتلال تبعية اقتصادية له من خلال عدم تشجيعه الإستثمارات الرأسمالية فى القطاعات الإنتاجية .

إن المتتبع للظروف الإقتصادية فى المناطق العربية المحتلة يلاحظ الهجمة المخطط لدوائر جباية الضرائب الإسرائيلية والموجهة ضد المنتجين والتجار والمواطنين العرب فى المناطق المحتلة فقد إزدادت الضرائب غير المباشرة وتم تطبيق التعريفة الجمركية على كافة المستوردات للمناطق العربية المحتلة .

وتتلقى العديد من المؤسسات الانتاجية العربية إنذارات من مكتب الضريبة الإسرائيلية بالدفع أو إغلاق مؤسساتهم بسبب عجزهم عن دفع الضرائب المفروضة عليهم ، وتهدف سلطات الإحتلال من ممارسة الضغوط على المؤسسات الإنتاجية إلى إشاعة جو من عدم الإستقرار الإقتصادى وإضعاف الروابط مع الأقطار العربية المجاورة ، وتكريس التبعية الإقتصادية للكيان الصهيونى .. وتنفذ سلطات الإحتلال منذ عام ١٩٦٨ سياسة تهدف إلى دمج إقتصاديات المناطق العربية المحتلة بعجلة الاقتصاد الإسرائيلى ، وفى ضوء هذه السياسة تعمل السلطات على تخفيض المساحة المزروعة بالحمضيات فى المناطق العربية المحتلة فى حين تشجع إنتاج القطن والسمسم والبندورة والدخان فى هذه المناطق إضافة إلى ذلك فإن الكيان الصهيونى يقوم بتكييف النشاط الإقتصادى فى المناطق العربية المحتلة وفقا لإحتياجاته ولخدمة مخططاته نتيجة لذلك تأثرت الأوضاع الاقتصادية

الضفة الغربية وقطاع غزة سلبيا بأوضاع الاقتصاد الإسرائيلى الذى يعانى من نسبة تضخم عالية وأصبح المواطنون العرب مستهلكين للسلع الإسرائيلية التى أغرقت أسواقهم وإنعكس هذا الوضع سلبياً على مختلف قطاعات الانتاج الزراعى والصناعى والتجارى والخدمات الأخرى فى المناطق العربية المحتلة .. من ناحية أخرى تشكل الأيدى العاملة العربية الفلسطينية وسيلة تساعد الكيان الإسرائيلى على تسوية وضبط أوضاعه الإقتصادية وتساعد على دعم سيطرة هذا الكيان على المناطق العربية المحتلة منذ عام ١٩٦٧ ، وقد قارب الاقتصاد الإسرائيلى حالة التشغيل الكامل منذ عام ١٩٦٨ ، الأمر الذى أدى إلى نشوء حاجة متزايدة لليد العاملة فى الأراضى المحتلة وهناك عوامل أخرى تفسر حاجة الإقتصاد الاسرائيلى المتزايدة إلى اليد العاملة العربية ، ومنها :

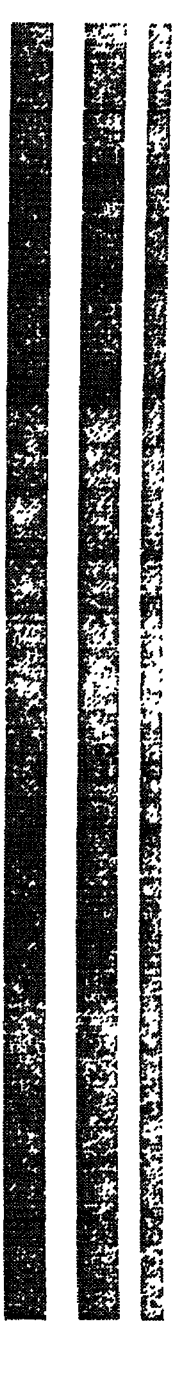
١ - نسبة المشاركة السكانية الضعيفة فى القوة العاملة ، إذ تشهد نسبة المشاركة فى القوة العاملة فى إسرائيل منذ عام ١٩٦٥ ميلا نحو التراجع بسبب البنية الشابة لأعمار السكان ، والمشاركة المرتفعة فى الجهاز العسكرى .

٢ - تناقص عدد المهاجرين اليهود القادمين إلى فلسطين المحتلة .

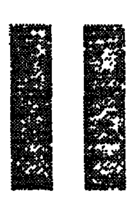
٣ - النمو السريع للصناعة الحربية الإسرائيلية أحدث تغييراً فى بنية الاستخدام الاسرائيلية الأمر الذى أوجد حاجة إلى اليد العاملة فى الفروع الاقتصادية لتحل محل اليد العاملة فى الفروع العسكرية .

والجدير بالذكر أن عدد القوى العاملة فى الضفة والقطاع قدر فى عام ١٩٨٥ بحوالى ٢٨٤ ألف عامل منهم ١٨٢ ألف عامل فى الضفة (بما فى ذلك القدس العربية) و١٠٢ ألف عامل فى القطاع وقدر إجمالى العاملين منهم فعلا بحوالى ٢٤٤ ألف عامل فى حين أن نسبة البطالة فى صفوف القوى العاملة فى الضفة والقطاع وصلت إلى حوالى ١٤٪ خلال عام ٨٥ .. وتشير البيانات الإحصائية إلى أن عدد العمال من أبناء المناطق العربية المحتلة العاملين فى القطاعات الإقتصادية الإسرائيلية بلغ مع نهاية عام ١٩٨٥ حوالى ٦٨ ألف عامل يعمل منهم حوالى ٤٠٨٠٠ بصورة منتظمة وحوالى ٢٧٢٠٠ بصورة غير منتظمة ، وهذا يؤدى بالطبع إلى تحكم السلطات الاسرائيلية الدائم فى تشغيل الأيدى العاملة العربية مما يشكل وسيلة ضغط على الفلسطينيين .

* * *



المقدسات الدينية فى القدس



المقدسات اليهودية

يؤكد المؤرخون أنه ليس لليهود فى القدس أثر يهودى مقدس بارز إلا حائط المبكى وبضع كنائس حديثة العهد - أقيمت مؤخراً - وبعض القبور على سبيل المثال : قبر زكريا وقبر أبشالوم وقبر يعقوب ، والإعتقاد السائد أن حائط المبكى هو بقية من سور أورشليم القديم وأنه الحائط الخارجى للهيكل الذى رممه هيرودس (١١ ق .م) ودمره تيطس (٧م) ويقدسه اليهود ويزورونه بشكل دائم .. ويقدسونه .. ويذرفون الدموع أمامه .. وحائط المبكى عبارة عن حائط كبير .. مبنى من حجارة ضخمة يبلغ طول بعضها ١٦ قدماً ، أما الحائط نفسه فطوله ١٥٦ قدماً وارتفاعه ٥٦ قدماً ، وهذا الحائط يقدسه المسلمون أيضاً ، بل إن تقديس المسلمين له يفوق تقديس اليهود له .. إذ أنهم يعتقدون أنه المكان الذى ربط عنده جبريل براق النبى "ﷺ" ليلة الإسراء والمعراج .. ومن هنا جاء إسمه الإسلامى (البراق) ولازال حتى اليوم جزءاً من الحرم القدسى .. أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين .. إنه جداره الغربى. وكثيراً ما حدثت إختلافات بين اليهود والمسلمين من أجل هذا الحائط ..

كما أن لليهود مقبرة واحدة تقع شرقى السور فى الوادى المعروف باسم وادى قارون .. ويطلق العرب عليه وادى جهنم .. وتمتد هذه المقبرة من الوادى المذكور حتى رأس العمود والسفح القبلى من جبل الزيتون وفيها أربعة قبور يقصدها اليهود فى أيام معينة هى :

(**قبر أبشالوم**) الابن الثالث لداود الملك ، ذلك الابن الذى ثار على أبيه وحاول

إسقـاطه عن عرشـه ويعتـقد قـوندر أن الكسندريانوس مـدفون فيه .. إنه بناء فخم مربع الشكل ، فى كل ركن من أركانه الأربعة أربعة أعمدة يعلوه أفـريز يونانى وفوقه قبة هرمية الشكل يسميه المقدسيون (طنطور فرعون) .

(**قبر يهوشافاط**) لم يجـزم المؤرخون فى معـرفة أسـماء المدفـونين فيـه ، وإن قال بعضهـم إن يهوشـافاط مدفون فيه وقال آخـرون إنه دفن فى نفس الموقع الذى دفن فيه داود على جبل صهيون .

(**قبر يعقوب**) مدفن إسرائيلى ضـخم يعتقد المسـيحيون أن القديس يعـقوب أحد الرسل الإثنى عشر ، قد توارى فيه بعد صلب المسيح .

(**قبر النبى زكريا**) ينسبـه اليهود إلى زكريا بن يهـوياراع ، ويقول بعضهـم إنـه قبر حفيده الذى كان كاهناً فى أيام أحاذيا ويهواش وقد مات رجماً بالحجارة بأمر من الملك .

ويزعم اليهـود أن القدس ككل .. مدينة مقـدسة وعاصمـة لمملكة إسرائيل على يد الملك داود وتحفل بالكثير من المنشآت والمقدسات الدينية التى أقامها .. ونحن نعرف أخبار النبى داود من الكتابات التى جاءت عنـه فى المصادر الدينيـة مثل القرآن الكريـم والإنجيـل والتوراة .. لكننا لانعرف أى شيء عن الملك داود من مصادر التاريخ وعلى الرغم من قيام رجال الآثار العالميين والإسرائيليين بالحفر فى كل شبر من أرض فلسطين فإن واحداً منهـم لم يعثر ولو على قطعة صغيرة من الفخار تشير إلى هذا الملك ! ! فكيف نعرف الوقت الذى عاش فيه داود تحديداً ؟ ! وما الدليل أنه قـام ببناء أى جزء فى القدس فالأدلة الأثرية ليست فـقط تجهـل هذه الأحداث ولكنهـا تخـتلف مـعهـا صـراحـة .. وهكذا نرى أن السلطات الإسرائيلية تريد أن تبيع الأسطورة على أنها تاريخ ثم تطلب من العالم كله أن يصدق هذه الأسطورة ، وبحسب رواية العهد القـديم فإن الاعتقاد السائد هو أن الفتـرة التاريخية التى عاش فيها داود كـانت عند بداية القرن العاشر قبل الميلاد .. غيـر أن تحديد التاريخ بدقة لم يرد فى أى من مـصـادر التـاريخ .. وإنما ورد فى سـفـرين من العـهـد القـديم قـام الكهنة بكتابتهمـا فقد جاء فى سفر صموئيل الثـانى وسفر الملوك الأول - وهما رقم ١٠ , ١١ من العهـد القديم - أن الملـك داود أقام إمبـراطورية تمتد حـدودها بين النيل والفـرات وجعل القدس عاصمة لها ، أما الأدلة التاريخيـة التى تم العثور عليها حتى الآن فهى تشير إلى أن

داود العهد القديم كان ملكاً يرأس تحالف القبائل الاسرائيلية التى كانت تسكن فى الهضاب الفلسطينية وكانت معاركه الرئيسية فى مواجهة الملوك الفلسطينيين القادمين من الساحل .. والقصة التى وردت فى الإصحاح الخامس من صموئيل الثانى بخصوص استيلاء داود على مدينة القدس تقول : إن داود قام بالاستيلاء على مدينة القدس التى كانت محصنة :

"ذهب الملك ورجاله إلى أورشليم إلى اليبوسيين سكان الأرض .. وأخذ داود حصن صهيونى" وهو مدينة داود " ، وعاش داود فى الحصن وبنى تحصينات جديدة حوله "وأرسل حيرام ، ملك صور فى لبنان ، رسلاً إلى داود وخشب أرز ونجارين وبنائين فبنوا لداود بيتاً " .. إن المدينة التى كانت قائمة فى زمن داود على شكل قلعة تحيط بها الأسوار لاتتجاوز مساحتها ٤٤ ألف متر مربع أو حوالى عشرة أفدنه تحتل الجزء الجنوبى الشرقى فقط من المدينة القديمة الحالية وهى على شكل مستطيل أكثر أجزائه إتساعا لايتجاوز عرضه مائة متر ، يحده من الشرق وادى كدرون ومن الغرب وادى حنوم الذى ينحنى شرقا جنوب المدينة ليلتقى مع وادى كدرون ، أما الأرض المقدسة وهى المسطح الذى تقام عليه الآن قبة الصخرة والمسجد الأقصى والذى يقع على جزء أكثر إرتفاعا خلف مدينة الأزمنة القديمة فقد كان يقع خارج أسوار القدس ولم تكن عليه أبنية فى ذلك الزمان وإنما كانت الصخرة التى أقيمت فوقها القبة تعتبر مذبحا لليبوسيين الذين سكنوا القدس فى تلك الحقبة من الزمان .. وعين الماء التى يتحدث عنها سفر صموئيل هى عين العذراء أو عين أم الدرج الحالية والتى كانت تقع أسفل شمالى شرقى المدينة..كما تمكن الأثريون من العثور على البئر التى حفرها اليبوسيون للوصول إلى نبع الماء وقد عثر الأثريون كذلك على أجزاء كبيرة من الأسوار واستحكامات قديمة ، ولكنهم لم يجدوا ما يدل لا على أثر تحطيم أى الاستحكامات ولا لبناء استحكامات جديدة فى عصر داود خلال القرن العاشر قبل الميلاد وإن كانوا قد عثروا على ما يثبت تجديد بعض الأسوار قبل ذلك بأربعة قرون .. وبينما الاسم العربى للمدينة هو " القدس" أو "بيت المقدس" نسبة إلى أماكن العبادة التى أقيمت بها فإن اليهود يسمونها "أورشاليم" أى "مدينة السلام" .

وعلى ذلك فإن القصة التى وردت فى سفر صموئيل الثانى بدخول داود بنى

إسرائيل إلى مدينة القدس عند بداية القرن العاشر ق . م وتحويله منطقة الصخرة المقدسة إلى مركز للعبادة لبنى إسرائيل ليس لها أى دليل من المصادر ، وأن مذبح الصخرة فى القدس - حتى قبل بناء المعبد حولها منذ مئات السنين - كان يعتبر أهم مكان للعبادة ليس فقط لكل الأقوام التي سكنت أرض كنعان وإنما كذلك للعمونيين الذين كانوا يسكنون شرقى نهر الأردن وبمجرد إعادة بناء المذبح بدأت كل هذه الأقوام - بمن فيهم اليهود - زيارة القدس للعبادة .

لهذا فعندما قرر اليهود بقيادة زروبابل إستكمال بناء الهيكل أرادت الأقوام الأخرى المشاركة فى هذا العمل .. لكن الشعوب الفلسطينية منعت اليهود من إكمال المعبد .. غير أن اليهود أعادوا المحاولة في بداية حكم داريوس .. وفى هذه المرة كذلك قرر الوالى الفارسى لمنطقة عبرَ الفرات منعهم من الاستمرار فى البناء وأرسل يستشير الملك ماذا يجب عمله وكان البلاط الملكى الفارسى يحتوى على عدد كبير من اليهود الذين نصحوا داريوس بالموافقة على قيام أهل يهودا ببناء المعبد حتى يقوموا بالدعاء له هناك فوافق داريوس على قيام اليهود بإكمال بناء معبد القدس على أن تتحمل خزانة عبر الفرات كل التكاليف بما فى ذلك تكاليف العبادة نفسها ، حتى يؤكد الطبيعة العامة لهذا العمل ويلاحظ أن ملوك الفرس لم يذكروا إسم "يهوه" إله يهودا عند التحدث عن معبد القدس وإنما كانوا يسمونه "رب السماء" ، وأكمل اليهود بناء المعبد فى أيام داريوس الفارسى ومع ذلك - ونظراً لأن المعبد قد تم بناؤه والانفاق عليه من المال العام - فهو قد أصبح مزاراً لكل الأقوام التى تسكن فى المنطقة وليس لليهود وحدهم فكانت الخطوة التالية لليهود هى محاولة بناء أسوار حول المدينة حتى يتمكنوا من منع الآخرين من دخولها ، كما أنهم كانوا يهدفون إلى إعادة بناء مدينة القدس نفسها وجلب اليهود لتسكينهم فيها ولكن الأقوام الأخرى اعترضت على هذا وأرسلوا خطابا للملك .. وهكذا فشلت محاولة اليهود الأولى .. للاستيلاء على مدينة اليبوسيين ولكن هذا لم يمنعهم من إعادة الكرة .

وكانت المحاولة الثانية أكثر نجاحاً من الأولى حيث أنهم حاولوا التأثير على الملك الفارسى نفسه فقد اختلف الملك احشويروش مع زوجته الملكة ، فتركها وتزوج من فتاة يهودية إسمها أستير ، أصبحت هى الملكة الجديدة وأحبها الملك حباً كبيراً وكان راغباً فى

عمل ما يرضيها وكان أول ما أرضاها وعملت فى تحقيقه هو طرد هامان وزير أحشويروش - الأول - والذى كان ينصح الملك بعدم السماح لليهود بالاستيلاء على القدس وتعيين عمها مردخاى مكانه .

وأراد يهودى آخر هو نحميا خصى الملك الذى كان يعمل ساقيا له ، الحصول على فرمان ملكى يصرح لليهود ببناء القدس .. وذلك بتأثير من أستير اليهودية زوجة الملك ومردخاى اليهودى الوزير الأول للملك بأن يحصل على فرمان من امبراطور فارس بتعيينه واليا على يهودا والسماح له ببناء مدينة القدس ، وعبثا حاول سكان فلسطين منع نحميا من إكمال العمل فهو كان قد حصل على أمر امبراطورى فى هذه المرة وبعد أن إستكمل نحميا بناء أسوار القدس قام ببناء بيوتها ، ثم أجبر قبائل يهودا على أن ترسل كل منها نسبة ١٠٪ من تعدادها ، ليسكنوا مدينة اليبوسيين فتصير لهم .. ويرى العديد من المؤرخين والتاريخيين أن هذه القصة هى القصة الحقيقية لإستيلاء كهنة اليهود على مدينة القدس التى كانت ملكا لليبوسيين حتى حطمها البابليون عن آخرها فى القرن السادس قبل الميلاد .. وظلت خرابا أكثر من قرن من الزمان حتى حصل اليهود على تصريح من الفرس بإعادة بناء المعبد ، فاستولوا على المدينة كذلك .

إن كل دين من الأديان التى يدين بها البشر سماوياً كان أو وثنيا له مكان تجمع يقصدون إليه من أجل الحج حتى البوذية ، حتى ديانات اليونان القدماء (معبد دلفو ومعبد الأكروبول ومعبد الكابيتول فى روما) فالكيان الدينى الذى شهد ظهور الشريعة الموسوية كان معبده المركزى قد استكمل إستقراره على أيام داود وسليمان ، بعد أن كانت هناك معابد وأماكن حج متفرقة بعد وفاة موسى بعضها فى شكيم أو الجلجال أو حبرون ، ولذلك ظهر عندهم نوع من الحنين للمقدسات تصبغه الصبغة الصوفيه وهى الحنين إلى زيارة هذه الأرض المقدسة فى القدس ، وهم فى ذلك يقلدون المسلمين فى حنينهم إلى زيارة الأراضى المقدسة فى مكة المكرمة والمدينة المنورة ، واليهود ينظرون نظرة المسيحيين إلى أماكن الحج المسيحية والتى منها كنيسة القيامة فى القدس وكنيسة الميلاد فى بيت لحم فى فلسطين وكنيسة الفاتيكان بالنسبة للكاثوليك فى روما (وهى كنيسة القديس بطرس) فحنين اليهود إلى زيارة المعالم المقدسة اليهودية ، كان نوعا من الحج يحمل فى طياته طابعا

صهيونيا روحيا بقدر ماكان تقليدا للحجاج المسلمين .

ولاشك أن الحقائق تؤكد أن اليهود تأثروا بالفكر العقائدى الاسلامى وكما ربطه المسلمون بالقرآن ، ربطه اليهود بالتوراة ، وقلدوا المسلمين فى استنباط آيات الأحكام والتوفيق بين ما جاء فى التوراة وما جاء فى التلمود ولعل أحسنهم موسى بن ميمون طبيب الدولة الأيوبية الذى ظهر فى أواخر القرن الحادى عشر وأوائل القرن الثانى عشر وجمع الشرائع اليهودية فى كتاب يسمى "مشناه توراة" بمعنى أحكام التوارة .. واشتهر باسم "يدحزقاه" بمعنى اليد القوية ، أخذ فيه ما جاء فى التوراة وما جاء فى المشنا والتلمود ورتبه على أبواب وهو الكتاب الوحيد الذى كتبه موسى بن ميمون باللغة العبرية ، بالإضافة إلى ذلك كتب كتباً كثيرة باللغة العربية أهمها كتابه المشهور "دلالة الحائرين" وهو فى العقيدة اليهودية ، وقد تأثر موسى بن ميمون فى كتابه بالفكر الدينى الاسلامى الذى لم يكن معروفاً على عهد التوراة .. كل هذا أدى إلى أن يتسلح المفسر اليهودى بهذه الثقافات حتى لايكون متخلفا عن مفسرى القرآن من المسلمين وهو يعيش بينهم ويرى جهودهم فى العناية بحفظ وتفسير كتابهم المقدس .

إن المعنى السياسى فى حنين اليهود للقدس منذ طردهم منها حتى الآن – وهو معنى لايوجد ما يقابله فى حنين المسلمين إلى الحرمين الشريفين – هو أنهم يعتقدون أن وجودهم فى الشتات كان بغضب من الله عليهم ، ولذلك فإنهم على الرغم من تأقلمهم فى ظروفهم الجديدة كانوا يترقبون زوال غضب الله عنهم، وذلك بأن يكون لهم كيان فى عاصمة سليمان ، ولهذا كانت التقاليد المعمارية تقضى على اليهودي إذا بنى بيتاً أو قصراً أن يترك فيه قطعة مكشوفة من الحجارة أو مهدمة تذكره بخراب الهيكل وتدعوه دائما ألا يسكن فى دار كاملة العمران حتى يتم عمران المدينة المقدسة ، لذلك إمتزج الحنين الدينى بهذه العقيدة السياسية والحربية ولكنهم حولوها إلى عقيدة غيبية لدرجة أن المتزمتين منهم كانوا يرفضون الصهيونية الحديثة عند ظهورها لما تتضمنه من تمرد على غضب الله الذى به كتبت عليهم الذلة والمسكنة ولم تنحل هذه العقدة إلا عندما إقتنع بعض الحاخاميين بالصهيونية فى أواخر القرن الماضى (من أمثال هيرش) فبدأ المتدينون المثقفون يقبلون الصهيونية بدون حرج .

حتى أن أحد المفكرين يعلل مسألة حنين المثقفين اليهود سياسياً إلى فلسطين فى العصور الوسطى بأنه كان وسطا بين الرضا بالعقاب الإلهى الذى أنبأهم به أنبياؤهم وانتظار العفو عنهم ، الذى لايكون إلا بوجود حاكم لهم فى الأراضى المقدسة ، فهى إذن صهيونية روحية قوامها التسليم بالإرادة الإلهية ، أى أنها بالمقارنة بصهيونية هرتزل كانت عاطفية لاتتخطى ذلك إلى عالم المال والأعمال وكذلك كانت سلبية لم تفكر فى ترجمة هذه العاطفة الصهيونية إلى مشروع عملى واجب التنفيذ .. ولذلك فحنينهم للقدس كان ممهدا للصهيونية السياسية فعندما قام هرتسل بتحويل الحركة الصهيونية من حركة فكرية إلى حركة سياسية بإرسال منهجها العام سنة ١٨٩٦م فى كتابة الشهير "الدولة اليهودية" ، إنما حورها وسخرها للوصول إلى خدمة أغراضه السياسية وأهدافه القومية .

الآثار المسيحية في القدس

على مر عصور التاريخ لم يكن عدد المسيحيين بالقدس بالعدد القليل بل كان دائماً يقدر بالآلاف .. إلا أن المسيحيين فى العصر الحديث خاصة القرنين الأخيرين منقسمون على أنفسهم داخل القدس إلى مذاهب وشيع وجماعات وطوائف .. وكل مذهب أو طائفة من هذه الطوائف لها معابدها الخاصة بها ومؤسساتها الدينية والإجتماعية ، ولها جميعها مجتمعة ماعدا "البروتستانت" كنيسة القيامة .

أولا : الروم الأرثوذكس :

وهى الجالية القديمة التى عاشت فى القدس منذ العصور المسيحية الأولى .. وقد عانت هذه الطائفة الكثير من الاضطهاد على أيدى اللاتين ، لكنهم استردوا كل حقوقهم كاملة على يد الحكم العربى .. ومن أديراتهم :

- (دير أبينا إبراهيم) فى جنوب شرق ساحة القيامة ، عمرته الملكة هيلانه عام ٣٣٥م وخربه الفرس عام ٦١٤م وظل خرابا إلى أن أخذه الروس من الأتراك عام ١٨٨٧م وبه اليوم كنيستان إحداهما تعرف باسم (أبينا إبراهيم) والثانية يطلق عليها (الرسل الإثنى عشر) .

- (دير ماريوحنا المعمدان) ويقع بين سوق علوان وحارة النصارى وبه كنيستان : إحداهما تحت الأرض طرازها بيزنطى ، شيدت عام ٤٥٠م والأخرى فوقها بنيت عام ١٠٤٨ ، وعندما احتل الصليبيون القدس اتخذوا من الدير والكنيستين مقرا لفرسان ماريوحنا عام ١٠٩٩م وعندما إسترد صلاح الدين الأيوبى القدس إسترد الدير ورممه .
- (دير العذراء) ويسمونه دير ستنا مريم .. ويقع فى الجنوب من كنيسة القيامة بينها وبين المسجد العمرى .. وهو دير بنى فى العهد البيزنطى عام (٤٩٤م) .
- (الدير الكبير) ويعرف بدير قسطنطين ويقع فى الجنوب من بطريركية الروم فى حارة النصارى ، بناه البطريرك الياس الأول (إيليا) الذى تولى شئون البطريركية عام ٤٩٤م .. ويعتبر قاعدة أديار الروم فى فلسطين .. وتوجد فيه ثلاث كنائس : الأولى : كنيسة القديسة هيلانه ، والثانية كنيسة القديسة تقلا والثالثة : كنيسة مار يعقوب .. وفى هذه الكنيسة - الأخيرة - معبدان صغيران أحدهما بإسم (الشهداء الأربعين) والثانى باسم (حاملات الصليب) .
- (دير مارسابا) على مقربة من سلوان ، بناه القديس سابا حوالى ٤٨٤م ، فيه كنيسة أنشئت عام ٥٠٢م ، وعمارات أضيفت إليه على عهد الامبراطور جوستانيان (٥٢٧ - ٥٦٥م) وتوجد به مكتبه فيها ثلاثة آلاف مجلد ، ولا يجوز دخول النساء لهذا الدير عملا بوصية القديس سابا الذى لم يسمح حتى لأمه بدخوله .
- (دير القديس تيؤدوسيوس) أنشئ فى نفس التاريخ الذى أنشئ فيه دير مارسابا (٤٨٤م) ويقع بين بيت لحم ومارسابا ، ويسميه العرب دير ابن عبيد لأنه كائن فى المنطقة التى تعيش فيها عشيرة العبديين .
- (دير المصلبه) فى ظاهر القدس إلى الغرب ، إنه دير قديم .. أنشاه الأمير ماريام الكرجى أيام الملك قسطنطين حوالى سنة ٣٣٠ للميلاد ، وفى قول آخر إن الذى بناه هو الإمبراطور يوستنيانوس بين عامى ٥٢٧ و ٥٦٥ للميلاد .
- (دير البنات) مجاور لخان الأقباط من ناحية الشمال .. بناه البطريرك إلياس

(٥٩٤م) فيه كنيستان : إحداهما أرضية باسم (القديسة ميلانيا) والأخرى فوقها باسم (مريم الكبيرة) أو (العذراء البكر) .

- (دير مار الياس) قبلى القدس ، على طريق بيت لحم .. إنه دير قديم أنشأه هرقل الملك خلال القرن السابع للميلاد عام (٦١٠م) فهدمه الفرس عام (٦١٤م) . وأعيد بناؤه عام ١١٦٥ من لدن عمتنوئيل فومنينوس .. وتجدد فى زمن البطريرك ذوستيوس عام ١٦٧٨م .
- (دير الجليل) فوق جبل الطور .. فيه كنيسة قديمة يسميها الروم (غاليليا) والمقدسيون (اليليا) يعتقد المسيحيون أن السيد المسيح ظهر لتلاميذه بعد قيامه لأول مرة فى هذا المكان ، وقد بنوا فى الموضع نفسه كنيسة تعرف بإسم (العذراء) .
- (دير القطمون) فى الحى المعروف بالقطمون غربى القدس كان بيد الكرج ، ثم صار إلى الروم ، فيه كنيسة وفى داخل الكنيسة قبر القديس سمعان وكانوا يسمونه (دير سمعان) ، إنه مقر الكرسى البطريركى فى فصل الصيف .. وكان الروم ينزلون فيه الحكام والمتصرفين .

وتوجد بالقدس أديرة أخرى صغيرة نذكر منها :

- دير السيدة على مقربة من المدرسة الصالحية .
- "مار افتيموس" ، وهو ملاصق لدير السيدة من الشمال .
- "العدس" (أو نيقوديموس) فى حارة السعدية .
- "صهيون" على جبل صهيون فى جنوب القدس .
- "مارجرجس" وهو ملاصق لدير اللاتين فى الشرق .
- "مارجرجس" شرق دير الأرمن .
- "مار ميخائيل " فى شمال بطريركية الروم الأرثوذكس .
- "القديسة كاترين " فى حارة النصارى بين الصلاحية ودير اللاتين .
- "مار سبيريدون" فى حارة الحدادين .
- "ماردیمتری" فى حارة النصارى .

- "مار نقولا" غرب البطريركية .
- "مارتادرس " بجوار مبنى الكازانوفا .
- "القديس أنوفريوس" (أبا نوفر القبطى) فى الوادى بين جبل صهيون وجبل أبى ثور فى جنوب القدس الجديدة .
- "دير أبى ثور" على جبل المكبر فى جنوب القدس .
- "اليعازر" فى اليعازرية فى شرق القدس .
- "مار الياس" على طريق بيت لحم فى جنوب القدس .
- "القطمون" أو سمعان" غربى القدس ، وبه قبر القديس سمعان .
- "حبس المسيح" على طريق الآلام .
- "مارخر الامبوس" شرق المدرسة الصلاحية .

ثانيا : الروم الكاثوليك :

أنشأ ابروشيتهم البطريرك مكسيموس مظلوم سنة ١٨٤٨ ، ويقع مقرها فى حارة الموارنة ولهم فيها نائب بطريركى يتبع بطريرك الروم الكاثوليك فى دمشق ، وممتلكاتهم بالقدس :

أ - كنيسة القديسة حنة .. وتقع بين باب حطه وباب الأسباط فى شمال الحرم .

ب - كنيسة القديسة فيرونيكا على طريق الآلام .

وللروم الكاثوليك فى القدس أديرة وكنائس أخرى منها على سبيل المثال :

- (كنيسة القديسة حنة) وتقع بين باب حطة وباب الأسباط ، إلى الشمال من الحرم القدسى ، هنا يعتقد المسيحيون أنه فى هذا المكان بركت الغنم حيث أتى السيد المسيح بإحدى معجزاته ، وفيه بنى فى القرن الرابع للميلاد معبد كما بنيت كنيسة باسم مريم البتول فى سنة ٥٣٠م ويبدو أن هذه الكنيسة احترقت مع ما إحترق من كنائس النصارى على يد الفرس عام ٦١٤م فأعاد الصليبيون بناءها عندما فتحوا القدس ١٠٩٩م وكانت تدعى كنيسة القديسة حنة . وجعل صلاح الدين هذه الكنيسة رباطا للصالحين ومدرسة للفقهاء الشافعيين سنة ١١٧٨م ، وكانت هذه تعرف فيما مضى بـ (صند حنه) وسميت بعد الفتح الصلاحى

بالصلاحية وحدث زلزال خلال المدة الواقعة بين ١٨٢١ و ١٨٤٢م . هدمت على أثره جدران الدير .. فنقلت الحكومة العثمانية حجارته وبنت بها ثكنه عسكرية مجاورة لها .

- (دار القديسة فيرونيكا) وتقع فى عقبة المفتى ، على درب الآلام .. بنيت فى المكان الذى مسحت فيه هذه القديسة وجه السيد المسيح وهو مار من هناك حاملا صليبه ، وكانت الأرض ملكا لمسلم من سكان القدس .. يسمى (عبد الرحمن)فباعها بثلاثة آلاف ليرة فرنسية ذهبا وحصل الروم الكاثوليك على فرمان من السلطان بتاريخ ١٨٩٤م .. فأنشأوا فوقها كنيسة باسم القديسة فيرونيكا .

ثالثا : اللاتين الكاثوليك :

فى عام (١٨٤٧م) أنشأ البابا الرومانى بيوس التاسع بطريركية اللاتين فى أورشليم وقد نشأ خلاف بين البطريرك "يوسف فاليركا" الذى أقامه قداسة البابا وبين الآباء الفرنسيين إذ اعتقد هؤلاء أنهم أحق من غيرهم فى إدارة الأماكن اللاتينية ، وانقسم اللاتين إلى فئتين فئة تؤيد البابا ومندوبه البطريرك وفئة أخرى تعضد الآباء الفرنسيين وراح البطريرك يحث الرهبان فى القارة الأوروبية على المجيء إلى فلسطين.. ومما شجع هؤلاء على المجيء إلى هذه الديار الضغط الذى ألم بالجمعيات الدينية بفرنسا والتشريعات الجديدة التى سنت فيها لمطاردة الرهبان بإيعاز من المحافل الماسونية .

ويرى بعض المؤرخين أن المسيحيين راحوا يزورون القدس فى الجيل السادس عشر وما بعده بكثرة ، لا بقصد العبادة فحسب بل وحماية الأماكن المقدسة بالطرق السلمية ، إذ كان المسلمون يومئذ أقوياء وما كان من السهل إشهار حرب صليبية عليهم كالحرب التى قامت فى القرن الحادى عشر ومن أديرة الرهبان التى تأسست فى القدس :

أ - (الآباء الفرنسيون) ويلقبهم المقدسيون بـ (رهبان أبى حبلة) عهد اليهم حراسة الأماكن المقدسة من عام ١٢٩١ - ١٨٤٧ ومن أملاكهم :

١ - دير المخلص (أو دير اللاتين) شمال غربى حارة النصارى وفيه مكتبة قيمة ومدرسة وكنيسة .

٢ - الكازانوفا (الدار الجديدة) بين الباب الجديد ودير الافرنج مقر للحجاج والزوار المسيحيين .

٣ - دار البطريركية قرب الكازانوفا وبها مدرسة لاهوتية وكنيسة باسم يسوع .

٤ - كنيسة الجسمانية بوادى قدرون (١٩٢٤م) وقد إشترك فى بنائها جميع لاتين العالم .

٥ - "مار فرنسيس" شمال قبر النبى داود (١٩٣٠م) .

٦ - "حبس المسيح" قرب طريق باب الأسباط ويعتقد اللاتين أن السيد المسيح جلد فى هذا المكان من قِبَل جند الرومان .

ب - الدومنيكان - جاءوا للقدس سنة ١٨٨٢م ولهم فيها :
دير و كاتدرائية سان إيتيان (أو أسطفان) شمال باب العمودية هيكل كنيسة باسم الكنيسة الملوكية الصغرى (١٨٩٨) .

جـ - الآباء الكرمليون : جاءوا سنة ١٦٣٦م ولهم دير صغير بحى الطالبية وهيكل باسم القديسة تريزا .

د - راهبات مار يوسف : جئن سنة ١٨٤٨م ولهن مستشفى قرب الباب الجديد فى الشمال ودير ماريوسف فى حارة الموارنه (١٨٥٠م) وبه مدرسة للبنات ومدرسة ثانوية أخرى خارج السور .

هـ - رهبان ماريوسف : (١٨٧٩م) ولهم مستشفى بين القدس وبيت لحم .

و - راهبات صهيون : ولهن مدرسة صناعية بجوار مقبرة ماملا فى الغرب والمنزل النمساوى فى حارة الوادى على طريق الآلام .

ز - راهبات الكرمل (١٨٧٣م) ولهن دير على جبل صهيون وهن لايظهرهن لأحد طوال حياتهن .

س - رهبان الآباء البيض : (١٨٧٨م) ولهم كنيسة القديسة حنه .

ش - راهبات الوردية : (١٨٧٩م) ولهن دير بجوار بطريركية اللاتين ودير جنوب قبر ماملا فى غرب القدس .

ص - رهبان السكركير : (القلب المقدس) ١٨٧٩ ولهم دير قرب بيت لحم وكانت لهم مدرسة لاهوتيه ثم نقلوها لفرنسا فى آخر سنة الإنتداب .

ض - راهبات مار فرنسيس (١٨٨٤ م) ولهن دير فى حارة النصارى .

ط - راهبات القديسة كلارا (١٨٨٤ م) ولهن دير بجبل المكبر ولا يختلطن بأحد .

ظ - راهبات المحبه (١٨٨٦ م) ولهن معهد للأيتام والعجزة والعميان فى طريق ماملا .

ع - الرهبان الانتقاليون (الأغسطينيون) (١٨٨٧ م) ولهم عمارة ضخمة تسمى نوتردام - دى فرانس ، قرب الباب الجديد فى الشمال لإيواء الحجاج وبه كنيستان ومتحف ومدرسة دينية ومكتبة .

غ - راهبات السجود (١٨٨٨ م) لهن دير أمام المستشفى الفرنسى على طريق سليمان ، وبه هيكل باسم القربان المقدس وترى أمامه فى أى وقت راهبتين ساجدتين وتتبادل الراهبات السجود مرة كل ساعة .

ف - الرهبان العازريون (١٨٩٠ م) ولهم عمارة بباب العمود ، إتخذها الحاكم البريطانى فى أوائل الإحتلال مقرا له ولهم دير فى جنوب مقبرة ماملا .

ق - الرهبان الترابيست (١٨٩١ م) لهم دير فى اللطرون ويعيشون فى صمت تام .

ك - راهبات مريم الفرنسيات المرسلات (١٩١٨ م) ولهن دير بباب العمود .

ل - الرهبان الكيوسيون (١٩٣٥ م) ولهم دير فى الطالبية ومدرسة بها .

م - الجزويت (اليسوعيون) (١٩٢٧ م) ولهم معهد للآثار فى حى النيقوفوريه .

وهناك أيضاً إرساليات كاثوليكية أخرى فى القدس ، منها رهبان وراهبات السالزيان فى حى المصرارة ورهبان وراهبات البندكت على جبل صهيون ، راهبات الجلجثه والآباء المعزون وغيرهم .. تلك هى الإرساليات الكاثولكية فى القدس وهى خاضعة للبابا فى روما.. وفى القدس بطريرك ينتدبه البابا لادارة شئون الطائفة اللاتينية .

رابعا : الأرمن :

كان يقدر عددهم فى القدس عام (١٩٤٥م) بنحو ٥٠٠٠ فرد أرمنى وهم فئتان : إحداهما فئة تعيش فى دير (مار آركنجل) ويسمى بالزيتونه .. ويقع فى شرقى دير مار يعقوب .. أما الفئة الأخرى فهى حديثة العهد جاءت إلى القدس بعد إضطهاد الأرمن على يد الأتراك فى الحرب العالمية الأولى .. ويعيشون فى دير ماريعقوب قرب باب النبى داود فى الجنوب ، وجدير بنا أن نشير الي أن الأرمن من حيث العقيدة فئتان : أرمن أرثوذكس وأرمن كاثوليك .. ونذكر من ممتلكاتهم :

- (دير ماريعقوب) ويطلقون عليه دير القديس جيمس الكبير وفيه دار البطريركية ، ومدرسة للاهوت وبه مكتبة تضم كتباً مخطوطة نادرة .
- (دير حبس المسيح) ويقع على جبل صهيون فى حى النبى داود وبه كنيسة صغيرة وفى ساحته عدد من قبور بطاركة الأرمن وأساقفتهم .
- وللأرمن عدة كنائس منها : كنيسة الجلجلة الثانية وهى أمام القبر المقدس وكنيسة (ماريوحنا) فى ساحة القيامة (وكنيسة المريمات) أمام قبر المسيح و (كنيسة ماركريكورلوسا فورتيش) ويطلقون عليها كنيسة القديسة هيلانة .

ولهم مدرستان : إحداهما أولية ويسمونها (تركمنشاتس) وأخرى يطلقون عليها (علم اللاهوت) .. وفى القدس عدة جمعيات خيرية ودينية أرمنية .

خامسا : الأقباط :

فى أواسط القرن الرابع الميلادى نزلت أول قافلة قبطية مدينة القدس، بهدف الاشتراك فى تدشين كنيسة القيامة .. وجاءت بعد ذلك قافلة أكبر من الأولى فى عهد صلاح الدين ، وكانوا مخلصين لصلاح الدين ، فرد لهم أملاكهم التى اغتصبها الصليبيون .. وكانت شئونهم تدار بمعرفة رجال الكنيسة الأنطاكية السريانية ، لكنهم راحوا ينفرون من السريان فى أواخر القرن الحادى عشر الميلادى ، فاستقلوا وصار لهم مطران يدير شئونهم .. وتم بعد ذلك الإتفاق بين الكرسيين (الأنطاكى والأسكندرى) أن يتولى أبرشية القدس حبر قبطى يعينه البابا الجالس على الكرسى المرقسى ، وأن يجرى التكريز بإسم البطريرك الأنطاكى .. ويذكر أن أول مطران قبطى على القدس هو الأنبا باسيليوس عام (١٢٣٦م) .. ويقدر عدد الأقباط فى عام ١٩٥٠ بنحو (١٠٠٠) قبطى .. وللقبط فى القدس أملاك ومقدسات كثيرة نذكر منها :

(دير السلطان) وهو ملاصق لكنيسة القيامة من الناحية الجنوبية الشرقية وفيه كنيستان : (كنيسة الملاك) و (كنيسة الحيوانات الأربعة) إغتصبه الصليبيون من الأقباط ورده إليهم صلاح الدين ولهذا أسموه دير السلطان .

(دير مار انطونيوس) يعرف بالدير الكبير ، وهو ملاصق لكنيسة القيامة من الناحية الشمالية الشرقية وفيه كنيستان : (كنيسة القديس أنطونيوس) و (كنيسة الملكة هيلانة) وفيه أيضاً دار الأسقفية .

(دير مار جرجس) فى حارة الموارنة على مقربة من باب الخليل .

(خان الأقباط) فى حارة النصارى بين باب الخليل وكنيسة القيامة بناه المطران الأنبا إبراهيم عام ١٨٣٩م .

(كنيسة السيدة العذراء) بالحسمانية بجبل الزيتون .

(هيكل على جبل الزيتون) .

(كنيسة ماريوحنا) وتقع خارج كنيسة القيامة .

(كنيسة الملاك ميخائيل) وهى ملاصقة للقبر المقدس من الغرب .

ولهم أيضاً مقبرة على جبل صهيون يدفن موتاهم فيها .. ويدفن فيها أيضاً السريان والأرمن والأحباش .

سادسا : الأحباش :

جاءت أول قافلة للقدس خلال القرن الرابع الميلادى وكانت لهم كنائس وأديرة كثيرة إلا أنهم أضاعوا أكثرها من أيديهم ولم يبق فى أيديهم سوى :

(دير الحبش) ملاصق لكنيسة القيامة فوق مغارة الصليب.. وقيل أنه جزء من دير السلطان للأقباط ، ذلك الدير الذى لم ينقطع الخلاف حوله بين الأقباط والأحباش منذ سنين .

(كنيسة الحبش) فى ظاهر المدينة خارج السور ، وإلى الشمال الغربى من المسكوبية ، تم بناؤها حوالى عام ١٨٩٠م .. وكان لهم فيما مضى حق التقدم على الطوائف المسيحية الأخرى لكنهم ضعفوا وراحت الطوائف الأخرى تتنازعهم فى هذا الحق .. وقد ساءت أحوالهم فى القدس فى أوائل القرن التاسع عشر وتناقص عددهم إلى عدد يقدر بنحو ثمانين نسمة عام ١٩٤٨ وكلهم ينتمون إلى الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية.

سابعا : السريان :

وقد جاءوا إلى القدس منذ القرن الميلادى الأول .. وكانت طائفة قليلة العدد ، إلا أن عددهم زاد بتوافدهم على القدس مع الصليبيين .. ولما فتح صلاح الدين القدس رحلوا عنها .. ولم يبق منهم إلا عدد قليل وهم فئتان ، أرثوذكس وكاثوليك .

وقد جاء ذكر الأرثوذكس فى العهدة العمرية التى منحها عمر بن الخطاب لنصارى القدس (٦٣٦م) ولهم فى القدس ممتلكات ومقدسات نذكر منها :

- (دير مارجرجس) فى حارة الجواعنه بين حارة الأرمن واليهود .. وفى الدير كنيسة بيزنطية بإسم العذراء ودار للأسقفية .
- (دير العدس) شمال القدس بـ "ايكوهومو" على درب الآلام عام (١٥٧١م) .
- (دير مار توما) ويقع فى الشارع المؤدى إلى حى النبى داود .
- هيكل صغير بكنيسة القيامة بإسم "يوسف ونيقوديموس" .
- هيكل فى كنيسة ستنا مريم قرب الجسمانية .
- هيكل على جبل الزيتون .

أما السريان الأرثوذكس فى القدس فلهم :

- (دير مار مبارك) الذى أنشئ عام ١٩٠٣م وهو يقع إلى الشرق من سلوان ، وفيه كنيسة ومدرسة يديرها الآباء البندكيتون .
- (دير باب العمود) ويقع على طريق سليمان .. وقد بنى هذا الدير عام (١٩٠١) وبه كنيسة صغيرة .

ثامنا : الموارنة :

ينتمون إلى مار مارون الذى عاش فى لبنان فى القرن الرابع الميلادى وغير معروف موعد مجيئهم للقدس ، وليس لهم فيها سوى دير باسمهم بنى فى عام (١٨٩٥م) .

تاسعا : الروس :

كانوا أول من بنى خارج السور فى مكان واسع يسمى المسكوبية عام (١٨٥٦م) .. وهو على بعد نصف ميل فقط بالقرب من باب الخليل فى الغرب وبه دار للأسقفية وكنيستان إحداهما كبيرة .. وتسمى بالثالوث المقدس (ولها سبع قباب مغطاة بالرصاص) والأخرى صغيرة باسم القديس إسكندر ينفسكى ، ومكان للحجاج .. وقد استخدم الإنجليز مبانى المسكوبية وعماراتها كمقار لإدارة مصالح حكومة الانتداب منذ الحرب العالمية الأولى .. وكان للروس أيضاً .

- (دير المسكوبية) وهو قريب من باب خان الزيت وإلى الشرق من كنيسة القيامة .
- (كنيسة القديسة مريم المجدلية) على مقربة من الجسمانية ومنها إلى الشرق على سفح جبل الزيتون من الجنوب ولقد أنشئت هذه الكنيسة على نفقة العائلة المالكة تخليداً لذكرى والدة القيصر وكان ذلك عام ١٨٨٩م .
- (كنيسة الصعود) وتقع على جبل الزيتون ولهذه الكنيسة جرسية مرتفعة هى أعلى بناء فى القدس على الإطلاق .

عاشرا : الألمان :

جاء الألمان إلى القدس فى أواخر القرن الثالث عشر إلى القرن السادس عشر الميلادى بهدف الزيارة .. وكانت أول إرسالية ألمانية وطدت أقدامها عام (١٨٥٣م) وللألمان حى يعرف بـ (الكولونية الألمانية) قريب من المحطة إلى الجنوب من المدينة والألمان فئتان :

الفئة الأولى : الألمان البروتستانت : ولهم حى يعرف باسم "الكولونية الألمانية" قريب من محطة السكة الحديد إلى الجنوب من المدينة ونذكر من ممتلكاتهم .

(مدرسة شنلر) والمعروفة باسم دار الأيتام السورية وتقع خارج القدس فى الشمال الغربى لإيواء المكفوفين وتعليم الحرفيين .

(مدرسة طاليثا قومى) ويطلقون عليها شرلوطة وقد تأسست عام ١٨٦٨م غرب سور القدس من جهة الغرب على طريق الملك جورج .

(المستشفى الألمانى) وتقع فى الغرب من المدينة فى الحى المعروف بالشيخ عكاشة وقد تأسست عام ١٨٩٤م .

(كنيسة المخلص) وتعرف بكنيسة الدباغة ، وقد جرى تدشينها بحضور الامبراطور غليوم الثانى عام ١٨٩٨م .

(مدرسة ترازيا) أسستها ترازيا سكس الألمانى فى عام ١٨٧١م وتقع فى الغرب من بركة ما ملا .

(منزل أوغاستا فكتوريا) ويقع على جيل الزيتون .. ويسميه العرب (أم الطلعة) بناه الألمان عام ١٩٠٥ واتخذه الإنجليز مقراً للحكم ومكاناً يقيم فيه المندوب السامى عام (١٩١٨م) .

أما الفئة الثانية : من الألمان فهم الكاثوليك ومن أملاكهم بالقدس :

(كلية شميت للبنات) وقد أسستها الجمعية الألمانية الكاثولكية للأراضى المقدسة عام (١٨٨٦م) .. ويقوم بالتعليم فيها راهبات ألمانيات يساعدن راهبات عربيات .. والمدرسة تقع فى الشمال من مصر .

(دير القديس شارل بروميوس) تأسس عام (١٨٨٧م) وهو مخصص لنزول الحجاج الألمان الكاثوليكيين وهو كائن فى حى الألمان فى البقعة .

(منزل القديس بولس) ويقع شمال باب العمود إلى الشمال وبنى عام (١٩٠٨م) وجعلته الحكومة البريطانية مقراً لحاكمها عام (١٩١٧م) .

(كنيسة نياحة العذراء) ويسمونها "الدورميشيو" وتقع على جبل صهيون .. غرب مقام النبى داود .

حادى عشر : الإنجليز :

حركة التبشير للدين المسيحى من ناحية البروتستانت بدأت فى القدس عام ١٨٢٢م وكان يتزعم هذه الحركة يهودى تنصر إسمه يوسف وولف .. ولم تكن نقمة المسلمين على هذا الرجل بأقل من نقمة اليهود أنفسهم وكهنتهم .. وزادت حركة التبشير فى عهد المطران نيقولا ياسون عام (١٨٣٣م) والمطران ميخائيل الكسندر الذى كان مقره كنيسة مار يعقوب وهو يهودي تنصر أيضاً وكان حاخاما فى إنجلترا ، واستخدمه الإنجليز فى الدعاية للمسيحية بين اليهود فى القدس وبنى كنيسة يسوع تجاه قلعة دواد وتولى بعده صمويل جوبات ١٨٤٦ وقضى ٢٣ عاما فى مدرسة صهيون ثم المطران يوسف باركلى سنة ١٨٧٩، ثم جورج فرنسيس سنة ١٨٨٧ الذى أسس مدرسة القديسة مريم لليتامى من اليهود وكنيسة ومدرسة أخرى باسمه ومستشفى فى ظهر المدينة .

وتلاه المطران جورهام يراون سنة ١٩٣٢الذي أسس (مستشفى مار يوحنا) ١١٢ .. وللإنجليز في القدس مستشفى يطلقون عليه ويسميه المقدسيون (مستشفى البقعة) لأنه واقع في الحي المعروف بهذا الإسم . وقد تأسس هذا المستشفى سنة ١٨٦١ م .

ولهم المكان المعروف بـ Gavden Toom على مقربة من باب العمود وإلى الشمال من السور ويعتقدون أن السيد المسيح صلب فى هذا المكان لا فى المكان الذى تقوم عليه كنيسة القيامة الآن .

الثانى عشر : الأمريكان :

جاءت أول قافلة أمريكية للقدس عام (١٨٨١م) وكانت هذه القافلة مؤلفة من ١٣ شخصاً على رأسهم هوراثيو سبافورد Horiatio.Spafford وإمرأته وطفلاهما أنا وغريس ، فكانت هذه هى النواة الأولى التى تكونت منها بعد قليل المؤسسة المعروفة بالكولونية الأميركية بحى الشيخ جراح .

ونشب بين رجال هذه القافلة والقنصل الأميركى بالقدس فى ذلك الحين صلاح مريل خلاف شديد بسبب قطعة من الأرض كانت للأمريكان على جبل صهيون باعها القنصل المذكور إلى الآباء الفرنسيين (١٨٩٨م)، وكان الأمريكان قبلا يدفنون فيها موتاهم فاشتروا على أثر ذلك أرضاً على سفح الجبل (جبل الزيتون).. وإتخذوها مقبرة لهم .

ويذكر المؤرخون أنه بلغ عدد الأمريكيين المسيحيين فى القدس عام (١٩٤٨م) نحو ١٥٠ شخصاً بالإضافة إلى اليهود والعرب الذين تجنسوا بالجنسية الأميريكية بحكم مولدهم أو مصالحهم الشخصية .

وللأمريكين المسيحيين بالقدس :

(الكولونية الأمريكية) بالإضافة إلى كنيسة واقعة فى شارع الأنبياء ومدرسة للبحث عن الآثار الشرقية .. ودار للقنصلية ومنزل للزوار والمسافرين .

المقدسات المسيحية والخلافات الطائفية

يقول أحد المؤرخين : "إن السلام الذى بشر به السيد المسيح قد يكون ظاهراً فى أى مكان آخر ، إلا بين جدران كنيسة القيامة حيث تأصلت العداوة والبغضاء منذ عصور وأجيال اللاتين والأرمن والأقباط وما إلى ذلك من الطوائف المسيحية المتنافرة .. من منهم يصلى قبل الآخر .. ومن منهم يكنس هذه الناحية أو تلك من أنحاء الكنيسة - كنيسة القيامة - وأيهم على صواب فى اعتقاده أكثر من الآخر .. وإنه ليخيل للمرء الذى يتتبع أنباء هذه الاختلافات أنه ليس لهذه الكنيسة التى يقدسها جميع الطوائف المسيحية فى العالم أية صلة بتعاليم السيد المسيح".. وكما ذكرنا سالفاً أن الطوائف المسيحية مختلفة

حول مقدساتها ودور عبادتها .. لكن منذ بنيت كنيسة القيامة والخلافات حولها كثيرة نذكر منها بإيجاز :

إنه بلغ الخلاف أشده بين الروم واللاتين خلال إحتلال الصليبيين للقدس (١٠٩٩م) إذ كانت كلمة اللاتين فى غضون ذلك الاحتلال هى العليا . فاستبدوا بالروم وإغتصبوا منهم بعض أملاكهم ، ولما إحتل صلاح الدين القدس (١١٨٧م) تقلص النفوذ اللاتينى وتنفس الروم الصعداء . فردت إليهم أملاكهم ، ومن الأمثلة الأخرى اختلاف اللاتين والكرج حول الكنيسة عام (١٤٩٣م) ورفع شكواهما للقاضى المسلم بالقدس الذى أمر بأن تقسم بينهما فى خط من الشمال إلى الجنوب ، كما تعددت شكاوى الأرمن وغيرهم لقاضى القدس ، كانت أحياناً تصل إلى دار الخلافة العثمانية فى أسطنبول ، ومن أبرز المشاكل التى مازالت حتى الآن ادعاء الأحباش بملكية دير السلطان التابع للأقباط ولهذا قام الحكام المسلمون بتنظيم ملكية الطوائف ومنع حدوث المصادمات عن أحقيتها في دخول القبر المقدس قبل الأخرى يوم سبت النور ،فرتب هذه العملية مجلس انعقد فى د المحكمة الشرعية سنة (١٥٤٢م) برئاسة مجموعة من القضاة المسلمين ، بحضور ممثل الطوائف ، وحدد طريقة الدخول إلى قبر المسيح ومواعيد الزيارة ، واتفق الحاضرون على أن يحمل الرؤساء الدينيون الشموع المضاءة بنفس الترتيب عند خروجهم من كنيسة القيامة.

واختلفت الطوائف المسيحية فى أواسط القرن السادس عشر : من منها يحق لها تدخل القبر المقدس قبل الأخرى فى سبت النور فانعقد على الآثر مجلس فى دار المحك الشرعية حضره عدد من قضاة المسلمين ورؤسائهم ومن ممثلى الطوائف المختلفة ، وشهد الشهود ، فتقرر أن يكون الدخول إلى القبر المقدس على الترتيب التالى :

(١) رئيس الأحباش (٢) رئيس الروم (٣) رئيس الأرمن (٤) رئيس الكر
(٥) رئيس السريان (٦) رئيس الأقباط .

وتقرر أن يحمل هؤلاء الرؤساء الشموع المضاءة عند خروجهم من الكنيسة ع الترتيب نفسه . وإختلفت الطوائف فى عام (١٦٠٧م) حول الجلجلة فأصدر السلط أحمد الأول فرمانا جاء فيه : (إن الجلجلة يخص الروم) .. وفى عام (١٦٣٢م) حص اللاتين على أمر من السلطان يقضى على الروم والأرمن بإخلاء القبب الثلاثة الكائنة كنيسة القيامة وتسليمها مع المفاتيح للآباء الفرنسيين .. وفى عام (١٦٣٤م) حصل الر

على فرمـان من السلطان مراد الرابع يمنحـهم فيه حق التـقدم على الأرمن فى إحتـفالات كنيـسة القيـامة . ويمنع الـلاتين من التعـرض لهم فى الكنيـسـة المذكورة ، ولقـد وردت العبـارات التاليـة فى الفرمان الذى وجـهه السلطان إلى نائبـه فى القدس ، قـال .. " اعمل بموجب أمـرى الشريف هذا وإلا قطعت رأسـك هكـذا ، فاعلم" .. وفى عـام (١٦٣٦م) صدر بمساعى البابا وفرنسا فرمان ينقض ما جاء فى فرمان ١٦٣٤م ويثبت حقوق اللاتين .

وفى المدة الواقـعة بين عـامى ١٦٤٠ ، و١٦٥٨ قامت منازعات خطيـرة بين الروم والأرمن من أجل بعض الأمـاكن المقـدسـة ومنهـا الدير المعـروف بـ (دير مار يـعقـوب) . فاستولى عليه الأرمن فى بداية الأمر . ثم استصدر الروم أمراً من السلطان بانتزاعه منهم ثم عاد الأرمن فـتغلبوا ، وحـصلوا على أمر باسـترجاعـه . وما كان الخـلاف حول هذا الدير ينتهى فى كل مرة إلا بسـفك الدماء وتدخل السلطة الحاكمـة ، وفى عام (١٦٦٠م) حصل خلاف بـين الروم واللاتين من أجل الصلاة فى أحـد الشعـانين ودام النضال بيـنهما سـبع سنين .. وفى عـام (١٦٧٣م) اتـفق الأرمن واللاتين ضـد الروم . فـقـامـت على أثر ذلك أعمال شغب .. وحصل الروم على فـرمان من السلطان عام (١٦٧٥م) يقضى بنزع كل ما وضعه اللاتين فوق القبر المقدس ، وسلم القبر للروم .. وفى عام (١٦٨٩م) حصل اللاتين على فرمـان يقضى بمنحهم القبـاب التى فى كنيسة القـيامة مع المغتـسل ونصف الجلاجل . كما منحوا حق الصلاة على القبر المقدس . تم ذلك كله إثر تهديد الحكومة الفرنسية لتركيا . وكـانت هذه قد غلـبت على أمرها فى الحـرب التى قـامت بينهـا وبين روسيا وبولونيـا والنمسا .. وفى عـام (١٧١٠م) حصل اللاتين على أمر بتعـمير الأماكن المقـدسة ، وأعفى رهبان الروم من المثول أمام المحاكم لا فى القدس ولا فى الشام ، وإنما فى استانبول . واتفق الفريقان (الروم واللاتين) على أن تبقى كنيسة القيامـة على حالها ، فلا يجرى تعميرها ولا تجديدها .

واصطدم الروم بالأرمن عـام (١٧٣١م) إذ حـصل الأرمن على حـقوق قـال الروم أنهم ما كانوا ليحصلوا عليهـا لولا أنهم حرفوا الفرمان الذى صدر فى زمن السلطان سليم الأول فـإسـتبـدلوا إسم (عطا الله) بـ (سـركـيس) وكلـمـة (الروم) بـ (الأرمن) ، ولكن السلطان مـحمود عـاد فألغى ذلك الـفرمان ، وأعـاد للروم ما أخـذه منهم ، وإزدادت النار تأجـجاً عندمـا أخـذت فرنسـا بعـد معـاهدة (١٧٤٠) تؤيد اللاتيـن وروسيـا تؤيد الروم . ووصل الخلاف إلى درجة أن اللاتين أدخلوا إلى الكنيسة فى أحد الشعانين عام (١٧٥٦م)

رجالاً مسلحين . وفى أثناء الصلاة هاجموا الروم . وراح الفـريقان يتضاربان ويتشاكيان ، فحصل الروم على بعض الحقـوق واللاتين على البعض الآخر ، وأما قبر يسوع فـقد أعتبر مزاراً للفـريقين .. وفى عام (١٨٠٣م) أصـدر السلطان سليم الثالث أمراً خص فـيه الروم بعطفه . ويظهر أن هذا الأمر قد أغاظ الأرمن فراحوا يبحثون عن طريقة للإنتقام . فأحرقوا كنيـسة القـيامـة عام (١٨٠٨) وأقـفلوا أبواب الكنيسـة فى وجوه رهبـان الروم ، واللاتين هرعوا إلى المكان ليطفئوا النار . ولم تنطفئ النار إلا بعـد أن كانت قد أتت على الكنيسة ، ولم يسلم منها سوى جزء ضئيل ، وتمكن الروم من الحـصول على أمر من السلطان بتعمير الكنيسـة وقامت إثر ذلك بين الروم والأرمن مشـاغبات لم يكن فى القدس عـدد كاف من الجند لإخـمادها . لولا أن جاءت قوة من الجند أرسلهـا أميـر الشام . فـشتتت هـذه شمل الثائرين وحكمت على ٣٤ شخصاً منهم بالموت . فأعدموا شنقاً عام (١٨١٠م) .

أما عام ١٨١١م فكان أقسى الأعوام على المسيحيين فى القدس إذ توترت الصلات بين الروم واللاتين وبين الروم والأرمن بسبب إختلافـاتهم المتكررة وكانت الخلافات حول شئون تتـعلق بالكنيـسـة .. وقد وصلـت إلى حد الهـجـوم وسفك الدمـاء وانتـهت تلك الإختـلافات بمنح الروم حق تعميـر ما احترق من الكـنيسة وتسليم الأرمن جمـيع الأماكن التى كانت لهم من قبل على أن يدفعوا للروم المبالغ التى أنـفقها هؤلاء من أجل تعميرها ، وفيما عدا ذلك فقد تقرر أن يبـقى كل شيءفى الكنيسة وفى الأماكن المقدسة الأخرى على ماكان عليه من قبل .

وفى عام ١٨٢٩م حصل الأرمن على فرمان من السلطان يخولهم فيه نفس الحقوق التى يملكها الروم واللاتين فى كنيسة القيامة .

وفى عام ١٨٣٣م اخـتصم الروم والأرمن من أجل كنيسـة القيامة ووصـلا إلى حد التضارب فى داخل الكنيسة بالعصى والحجارة ، ودام الخصام إثنين وعشرين يوما ولم ينته إلا عندما صدر الأمر بأن يرجع الأرمن الحجر الذى رفـعوه إلى مكانه على مقربة من القبر المقدس .. وفى ١٨٥٢م نشـأ بين الروم واللاتين خلاف من أجل نجم فضى وضـعه اللاتين فى المحل الذى ولد فيه السيد المسيح بمغارة بيت لحم ، زاعـمين أنه كان فى ذلك المكان نجم آخر سرقه الروم وتدخلت روسيـا فى الأمر ، وإعتبرت تركيا تدخلها هذا ماسـاً باستقلالها وكـانت هناك عوامل أخـرى أدت إلى نشـوب الحرب بين الفـريقـين وعرفت هذه بعـدئذ بحرب القـرم وانتهت بإنتـصار الأتراك عام ١٨٥٦م وربح الانجليـز والفرنسـيون إثر ذلك

بعض الإمتيازات ذلك لأنهم وقفوا إلى جانب الأتراك ، يؤيدونهم ضد الروس .. وفى عام ١٨٦٢م اختلفت الطوائف .. من منها تعمر قبة القيامة فتم الاتفاق بين تركيا وروسيا وفرنسا على أن تعمر تلك القبة على نفقة روسيا وفرنسا باسم الطوائف المختلفة وأن تتولى تركيا نفسها التعمير فعمرت (١٨٦٩م) .

وفى عام (١٩٠١م) قامت مشادة عنيفة بين الروم واللاتين إنتهت إلى معركة دامية أدت إلى إصابة نحو عشرين شخصاً . وجرح مثل هذا العدد من خيرة الروم . وسبب المعركة أن الروم اعترضوا على اللاتين لأنهم (كنسوا) بعض الدرجات فى ساحة الكنيسة . وقال اللاتين إن ذلك من حقوقهم ، فتدخل الجنود الأتراك فى الحال . وأعادوا النظام إلى نصابه بعد عناء شديد .. وما أسلفنا هى مجرد أمثلة وليست كل الأحداث التى حدثت بسبب اختلاف الطوائف المسيحية .. وهذه بعض الآثار التى مازالت محل خلاف بين الطوائف المسيحية :

أولا : كنيسة القيامة :

أجمع المؤرخون وعلماء الآثار على أن كل الجلجثة (مكان الصلب) كان واقعاً خارج أسوار مدينة القدس فى عهد السيد المسيح .. وكان بالقرب من باب يسمى باب الجنة أو القضاء .. وقد حاول الإمبراطور الرومانى "هدريان" أن يمحى هذا الأثر فعمد إلى ردم القبر والجلجثة .. ووضع اليهود فوقها طبقات كثيفة من التراب .. لكن المسيحيين لم يكفوا أبدا عن زيارة هذا المكان المبارك ، ويذكر المؤرخون أن كنيسة القيامة بنتها الملكة هيلانة أم الملك قسطنطين عام (٣٣٥م) . وأحرقها الفرس عام "٦١٤م" وأحرقوا معها جميع الكنائس والأديار التى كانت يومئذ فى القدس فأعاد بناءها عام (٦٣٦م) الراهب مودسطس رئيس دير العبيديين فى ذلك الحين . وجدد هيكل القيامة والجلجثة وجزء من المرتيريين .. وما بقى من المساحة الفسيحة بين الأنسطاسيس ومغارة الصليب والجلجثة قد تحول إلى أروقة محاطة بأبواب وكنائس صغيرة .. وعندما فتح المسلمون بيت المقدس عام (٦٣٦م) أعطى عمر بن الخطاب النصارى الأمان ولم يصب كنائسهم بأذى .. ويذكر أنه رفض أن يصلى فى كنيسة القيامة رغم أن وقت الصلاة قد حان .. وأشار إليه البطريرك صفروتيوس أن يصلى مكانه إلا أنه رفض وصلى على مقربة من الكنيسة ، حتى لايتخذ المسلمون صلاته بعد ذلك حجة ، ويطالبوا بحقهم فى كنيسة القيامة .. وفى عهد الخليفة

العباسي المأمون رمم الكنيسة مودسطس البطريرك توما الأول عام (٨١٧م) .. وفى عهد الأخشيد سلطان مصر عام (٩٦٥م) أحرقت الكنيسة وسقطت قبتها وجرت محاولات لإعادة القبة ، إلا أن تلك المحاولات باءت بالفشل .. وفى عام (١٠٠٩م) أمر الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله بهدمها فهدمت وهدم معها الأوقرانيون وكنيسة قسطنطين ولكن الخليفة عاد فأجاز للنصارى أن يعيدوا البناء من جديد فشيدوا كنيسة القبر المقدس .. وقد شيدت على غير شكلها الأصلى وحال فقرهم دون إتمام الباقى .. وسمح الخليفة الفاطمى المستنصر بالله للنصارى ببناء الكنيسة من جديد وكان ذلك عام (١٠٣٥م) .

ويذكر المؤرخون أنه فى عام (١١٤٠م) قام الصليبيون بتوصيل كل معابد القيامة فى كنيسة واحدة ، وبنوا شرقى القبر المقدس كنيسة باسم نصف الدنيا ، حيث أشيع أنها مركز العالم القديم ، وشيدوا برجا للأجراس ، واستغرق ذلك العمل تسع سنوات . وعندما فتح صلاح الدين القدس ، أشار عليه بعض أصحابه بأن يهدم كنيسة القيامة ، كى لايبقى لمسيحى الغرب حجة لغزو القدس مرة أخرى ، فرفض وأمر المسلمين ألا يصيبوها بسوء . وقيل أنه فى عهد صلاح الدين سلمت مفاتيح القيامة إلى عائلتين مسلمتين ، هما عائلتا نسيبة وجودة . ولايزال أحفادهما يحتفظان بهذا الحق للآن . على أساس أن المفاتيح بيد آل جودة . أما عملية فتح الأبواب وإغلاقها فمن واجب آل نسيبة . والأرجح أن ذلك العمل تم فى عهد السلطان سليمان العثمانى . ويرى البعض أن ذلك قد تم بناء على رغبة الروم حيث كان الخلاف على أشده بين الروم الأرثوذكس واللاتين أثناء الاحتلال الصليبى كما سبقت الإشارة ، حيث تمكن اللاتين من السيطرة على القيامة إلى أن أعادها صلاح الدين للروم .. وبعد حريق عام (١٨٠٨م) الذى إمتد من كنيسة الأرمن إلى أنحاء كنيسة القيامة ، والذى لم يسلم منه سوى جانب من الجلجثة وكنيسة القديسة هيلانة وهيكل اللاتين ، امتد اللهب إلى أنحائها فسقطت القبة .. وفى عام (١٨١٠م) حصل الروم على إذن من السلطان محمود الثانى بترميم الكنيسة ، فرمموها ، وشادوا فوق القبر المقدس البناء الكائن إلى اليوم .. وتصدعت الكنيسة إثر الزلزال الذى حدث فى القدس فى عهد إبراهيم باشا عام "١٨٣٤م" وقد رممت الكنيسة بعد ذلك مرات عديدة ، إلا أن آخر ترميم جرى لها فى أواخر القرن التاسع عشر يوم إتفقت الدول الثلاثة (فرنسا وروسيا وتركيا) على أن تقوم

الدولتان (فرنسا وروسيا) بـنفقات التعمير ، وأن تتولى تركيا الإشراف عـلى التعمير وكان ذلك فى عام (١٨٦٩م) .

وقد أصابت الكنيسة ما أصاب غيرها من العمارات القديمة إثر الهزة الأرضية التى ألمت بالقـدس عام ١٩٢٧م ، فـتـداركت الحكومـة البريطانيـة المنتـدبة الأمـر بما تيسـر من الوسـائل التى تسـاعد قليلا على درء خطر عـاجل ولا تدفع خطرا مستـقبليا .. فقـد شدت سـقف الكنيسة بالخـشب والحـديد المسلح (١٩٣٠ - ١٩٣٣م) وكذلك فـعلت الحكومـة البريطانية إزاء زلزال عام "١٩٣٧م" ، وتقع كنيسة القـيامة الحالية بالقرب من باب الخليل ، والطريق الذى يؤدى إليهـا يسمى حارة النصـارى ، ويوصل إلى سوق القيـامة وهو مكان فسـيح يقف فيـه باعة التحف والمسابح والأيقونات الدينـية والشمـوع التى تباع للحـجاج والسياح . وأمام الكنيسة ميدان فسيح مـربع يسمى ساحة القيامة ، كان يقف فيه الزوار منذ عهد السلطان العـثمانى سليمان القـانونى لدفع رسوم دخول الكنيسة ، حـتى عهد إبراهيم باشا الذى ألغى هذه الرسـوم سنة ١٨٢٢ . بعد خضوع المدينة المقدسـة للحكم المصرى .. وعند المدخل نجد ثلاث درجات عليـها آثار أعمدة المدخل القديم ، ومنها عـمود قائم حتى الآن ، يرجع للقـرن التاسع .. ويكتنفه جـدار من جهـاته الثلاثة ، حيث توجـد كنيسـة مار يعقـوب الصغير وكنائس مـار يوحنا ومريم المجدلية والأربعـين شهيدا (وهى تسـمى أيضاً بالثالوث الأقـدس) ، وفيها مكان قديم للـعماد ، وقبور لبـعض بطاركة الروم الأرثوذكس بالقـدس . وفى اليـمـين ثلاثة أبواب ، يوصل أحـدها لـدير الروم المسـمى بإسم القـديس إبراهيم ، وقد أخذوه مـن يد الأحباش ، والثانى يوصل لجرس المنارة . ومـن الباب الثالث ندخل إلى كنيسة الملاك ميخائيل القبطية ثم كنيـسة الإفرنج ، التى يصعد إليها بإثنتى عشرة درجة حجرية ، حيث كان مـدخل الجلجثة الذى سده اللاتين سنة ١١٨٧ ، وجعلوه هيكلا باسـم "أم الأحزان ويوحنا الحبيب"، وتحته هيكل بنفس حـجمه بإسم القديسة مريم المصرية (التى كانت امرأة شريرة ، أتت من الإسكندرية سنة ٣٧٣ مع الحجاج المصريين باستخفاف ، وأرادت دخول كنيسـة القيامة فأحست كـأن يدا غير منظورة تمنعها من الدخـول ، فتابت وعاشت فى قفار الأردن ٤٨ عاما فى زهد وتقشف وعبادة .

وبعد ذلك نتجـه مباشرة نحو باب القـيامة الرئيسى فى جنوب الكنيـسة وكان هناك

باب آخر فى الغرب ، يدخل منه الزوار من ناحية حارة النصارى ولكنه سد سنة ١٨٠٨م . وبعد الدخول نجد على شمال الباب الرئيسى مكان البوابين المسلمين ، وعن يمينه سلالم الجلجثة ، وأمامه حجر أحمر إرتفاعه نصف ذراع يسمى المغتسل وفى هذا المكان أنزل يوسف الرامى ونيقوديموس اليهودى جسد المسيح من على الصليب ، ووضعوه على هذا الحجر ، بعد أن وضعوا عليه الطيب والحنوط . وكان فى هذا المكان هيكل بإسم العذراء مريم أزاله الإفرنج عند بناء الخورس الفسيح ، وأمام المغتسل يوجد القبر المقدس الذى دفن فيه المسيح ، وأضيف إليه هيكل الملاك مكشوفا ، وغطيت القبة والجدران بالرخام فى القرن التاسع ، أما فى القرن الحادى عشر فقد وضع الصليبيون تمثالا فضيا للمسيح ، أكبر من الحجم الطبيعى بقليل ، ثم غطوا قبة القبر المقدس بصفائح فضية مطلية بالذهب ، ثم أقيمت ثلاثة جدران حول هيكل الملاك .

وفى سنة ١٥٤١ جدد الأب بونيفاسيوس راغوس القبر وزينه وسد بابى هيكل الملاك ، فلم يبق له إلا الباب الأوسط . وفى سنة ١٥٤٥ أقام الأقباط هيكلا لهم ، وراء القبر المقدس من الغرب ظلوا محتفظين به للآن ، رغم محاولات الكثيرين انتزاعه منهم .. وبعد حريق سنة ١٨٠٨ حرم الروم الأرثوذكس القبة تماما وأزالوا انحناء الواجهة ، فجعلوها على زاويتين قائمتين بعد أن كانت على شكل نصف دائرة ، وأما الرخامة التى على القبر المقدس فهى قديمة ، فقد أشار إليها أحد الزوار سنة ١١١٢م وقال أنها كانت مثقوبة بثلاثة ثقوب تمكن الزوار من النظر إلى الصخر وتقبيله . وإذا سرنا شمال القبر نجد هيكل القديسة مريم المجدلية ، حيث قابلت المسيح بعد قيامته وظنته البستانى (يوحنا٢٠:١) ،وفى شماله تصعد أربع درجات إلى كنيسة ظهور المسيح للعذراء مريم بعد القيامة كما يذكر التقليد ، وفيها مذبحان فى أحدهما قطعة صخرية من العمود الذى جلد عليه الجند الرومان السيد المسيح وطولها ٧٥ سم . ووراء هذه الكنيسة يقع دير الفرنسيسكان ثم منحنى البتول ، وهو ممر مظلم قائم على سبع قناطر ، يقود فى آخره إلى هيكل صغير مظلم قائم على قنطرتين . يسمى هيكل حبس المسيح (وربما ترجع هذه التسمية إلى أنه كان يضم ذخائر الآلام) ، ويرجع للقرن ١٤م . وقد أكتشف فى أوائل القرن الحالى ، على بعد عشرة أمتار فى الشمال الشرقى من قبر يوسف الرامى ، مما يدل على أن هذه الأماكن كانت فى ظهر المدينة المقدسة خارج الأسوار أيام المسيح ، كما سبقت الإشارة ، لأن الدفن بالمدينة كان محرماً لدى اليهود .

وبعد ذلك نجـد هيكلا نصف دائرى للقديس لونجينوس (وهو الجندى الرومانى ، الذى طعن المسيح بحـربته فنزل من جنبـه دم وماء ، وهو على الصليب حسب مـا جاء فى الإنجيل ، ويقول التـقليد أنه آمن بالمسيحية فيما بعد) . وقد ذكر بعض الحـجاج منذ القرن الخامس أنهم شاهدوا - فى هذا المكان - الحربة والاسفنجة ، التى سقى بها الجند المسيح ثم أدخله الصليبيون مع بقية الهياكل المجاورة للقبر المقدس فى إطار كنيسة القيامة ، وفى محل موضع صليب المسيح على التل نجد فراغا مغطى بالفضة عن يمنيه وعن يساره حجران من الرخام الأسود يشيران إلى موضع صليبى اللصين ! وهناك قطعة من الصفيح المعدنى تحتها إنكسار فى الصـخر أحدثتـه الزلزلة التى تمت حينمـا أسلم المسيح الروح ، وهو عـبارة عن شق إتسـاعه ١٥ سم ! وتحت الجلجـثة ينحـدر سلم إلى ممر ضـيق مظلم يسمى مـعبـد آدم (حيث يظن البعض أنه يضم جمجمة آدم) ، وعن يمينه يقع قبر جودفرى أول ملك صليبى للقدس (١١٠٠م) ، وعن شماله قبر الملك بودوان الأول الصليبى (١١١٣م) ، وكان هناك الكثير من المقابر الصليبية فى هذا المكـان ، أتلفها الفرس أثناء هجومهم الثانى سنة ١٢٤٤م وأزيل الباقى تماما سنـة ١٨٠٨م ، مع كل الكتابات والشواهد اللاتينية الموجودة عليها .

ثم نجـد بعـد ذلك هيكلاً آخـر باسم ملكى صـادق الكاهن ، وأول حـاكم يبـوسى لأورشليم وقيل أنه صـلى مع إبراهيم الخليل فى هذا المكان عندما التـقيا قـديما كمـا تقول التوراة ، وتتوسط كنيسة نصف الدنيا أبنية القيامة (ويزعم العامة أن مركز العالم تحت قبتها تماما) ولها جدران تنتـهى بأروقة طويلة من جهاتها الثلاث ، عليـها صور ورسـوم روسيـة قديمة ، وإذا خرجنـا منها من ناحية هيكل الملاك فى الغرب نجد حـاجزا (درابزينا) حديديا عاليا يليه هيكل اللاتين ، حيث يقيمون طقوسهم أمام القبر المقدس .

ثانيا : دير السلطان :

هو الدير الوحيد بين المسيحية ، الذى يحـمل اسماً إسلامياً ، لأن كلمة السلطان لا تطلق إلا على ملوك المسلمـين ، وقد جرى العـرف على تسمـية الأديرة المسيـحية بأسـماء القديسـين ، وهناك عدة آراء بخصـوص هذه التسمـية . فقـد قال البعض أنه هبـة من أحد السلاطين لأقباط مصر ، فنسبوه إليه إقراراً بفضله ، وقيل أن هذا السلطان هو صلاح الدين نفسه ، ويذكر وليامز السائح (Wiliams) أنه لما زار هذا الدير سنة ١٨٤٢ روى له قسيس

بأن أحد سلاطين المماليك عرض على كاتبه القبطى نظير إخلاصه فى خدمته مدة طويلة مكافأة مادية ، فاعتذر عن قبولها ، وإلتمس أن يسمح له بتعمير الدير الخرب بالقدس ، ومن هنا جاءت التسمية ، وهذه القصة - وإن كانت لا تؤيدها الأسانيد التاريخية أو الأثرية لكنها تعنى تجديد الدير ، وأنه كان فى يد الأقباط قبل سقوط دولة المماليك . وفى رواية أخرى للكاتب دى سولسى أن الدير شيدته السلطانه روكسلانا (Roxo Lana) زوجة سليمان العثمانى ، ولكن هذا الرأى ليس له ما يبرره ، حيث أنه من المعروف فى تاريخ المدينة المقدسة أنها أقامت ما يعرف بتكية "خاصكى سلطان" سنة ١٥٥٢ فى عتبة المفتى فقط ، ولم تنشئها بدافع التقوى ، ولكن لمجرد التظاهر بالتدين فقط .

وهذا الدير يقع بجوار كنيسة القيامة ، داخل نطاق موضع الصليب ، .. وهو مهم للأقباط ، لأنه طريقهم للوصول من دار البطريركية (دير مار أنطونيوس) ، إلى كنيسة القيامة ، ومساحته ١٨٠٠ متر مربع .. وتقع مساحته فوق كنيسة القديسة هيلانة وفى الزاوية الجنوبية الغربية من هذه الساحة تقع كنيستان تاريخيتان هما كنيسة الأربعة حيوانات ومساحتها ٤٢م٢ ، ويحيط بها من ناحيتها الشمالية والغربية سياج حديدى يفصلها عن الممر الذى يسير محاذيا لها إلى السلم المؤدى إلى كنيسة الثانية . التى على إسم الملاك ميخائيل وهى فى الدور الأرضى ومساحتها ٣٥م٢ ! وفى وسط مساحة الدير المذكور تبرز قبة كنيسة هيلانة ، وفى الجهة الغربية منها ، توجد الغرف التى يقيم فيها الرهبان الأحباش وفى إحداها كنيسة لهم .

وقد حافظ الأقباط على هذا الدير . ولم ينتزع منهم إلا عندما احتله الرهبان اللاتين إبان الاحتلال الصليبى للقدس ، ولكن صلاح الدين أرجعه إليهم بمجرد دخوله القدس ، وفى عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب أمر بإعادة بناء سوره ، كما أمر الملك المنصور قلاوون عام (١٣٩٠م) بألا يمنع الأحباش من دخول هياكل القيامة أو دير السلطان بناء على طلب ملك الحبشة لأن اللاتين الموجودين هناك كانوا يضايقونهم وليس معنى هذا ملكية هذا الدير للأحباش - لأن رتشموند - الذى كان مديرا لمصلحة الآثار بفلسطين أيام الانتداب البريطانى - قد ذكر أنه منذ عام (١٤٠٠م) كان للأقباط حقوقهم بمقدسات للقيامة ، وعلى كل فإن موضوع إثبات ملكية هذا الدير للأقباط قد كتب فيه الكثيرون

مؤيدين أقـوالهم بالوثائق القـديمة وهناك مجـموعـة منها نشـرها الأنبا تيمـوثاوس مطران القدس القبطى الأسبق بهذا الخصوص ، ونذكر منها على سبيل المثال وثيقة ذكرها عبد الله حسين وهى بتوقيع القـاضى الشرعى بالقدس فى ١٣ شوال سنة ١٠٩٨ هـ (٢٢أغسطس سنة ١٦٨٦م) وهى تبدأ بالآتى :

بالمجلس الشـرعى المحـرر المرعى أجله تعـالى لدى جناب سـيـدنا وملكنا ومـولانا أقضى قـضاة الاسلام ، وأولى ولاة الأنام بدر سمـاء المعالى الفخام الحـاكم الشرعى الموقع خطه الشـرعى وختمـه الكريمين فـى أصله أعلاه دام فضـله وزاد علاه لما كان سـابق على تاريخ أدناه كشف على دير طائفة نصارى القبط بمحمية القدس المنيف المعروف قديما بدير السلطان بمحلة النصارى المحدود بمقتضى حجته السابقة الآتى بيانها فيه يطلب المعلم سالم إلينا المتكلـم على أوقـاف نصارى القـبط ووجد الدير المذكور مـشرفا عـلى الخراب وبعض أماكن فيه تحـتاج إلى الترميم والتبطين والعقادة والكـحلة الضروررين ، وأذن مولانا الحاكم الشرعى المشار إليه للمعلم سالم المتكلـم المسطور أعلاه بترميم وتبطين .. إلخ "وقد ختمت هذه الحجة بخاتم فضيلة القاضى الشرعى الشيخ أحمد راقم" .

وعلى كل فالخلاف بين الأحباش والأقـباط على ملكية هذا الدير يحتاج إلى بحث طويل ودراسة فى الوثائق والكتابات القديمة .

ثالثا : دير مار أنطونيوس :

يقع شمال كنيسة القديسة هيلانة بالقيامة وقد أصلح وأضيفت إليه مبان جديدة عام (١٨٧٥م) بتبـرعات أغنياء القبط ، وعـمر مرة أخرى عـام (١٩٠٧م) وبعد خمسـة أعوام صار لائقـا لجعله مقـراً للمطرانية القبطيـة بعد تجديد كنيـسته وأساسـاته القديمة وقـد ذكر الكثيـر من الزوار والرحالة ، مستـودع مياه باسم القـديسة هيلانة ، يوجد بداخل الكنيـسة القبطيـة الصغيـرة بإسمـها فى الدور الأرضى من الدير ، وللمـستودع (البـئر) سلم دائرى للهبوط عليه للحـصول على المياه وهو مكون من إحدى وخمسين درجـة ، وعلى بعد ستة أمتار مـن هذه الكنيسة تقع المرحلة التاسـعة من مراحل حمـل الصليب ، التى سقط عندها المسيح للمرة الثالثة كما سيجيء بعد قليل فى وصف طريق الآلام .

وتوجد بالدور الأول من الدير كنيسة باسم القديس أنطونيوس وهى ملاصقة للحائط الشمالى لكنيسة القيامة ، وأمامها فناء واسع يقع على سطح الدور الأرضى يحده من الجنوب والشرق مساكن الرهبان ومقر رئاسة الدير والكلية الأنطونية ، وقد دشن هذه الكنيسة الأنبا تيموثاوس عام (١٩٠٣م) كما يتضح من الكتابة المدونة فوق بابها ولها هيكل واحد ، وقد قام المطران الحالى الأنبا باسيليوس بإصلاحها وشيد لها منبرا جديدا ، أما فى الدور الثالث فنجد كنيسة أخرى أنشأها فى إحدى الحجرات المطران الراحل الأنبا ياكوبسوس تذكاراً للعذراء .. أما الدور الرابع فهو مقر المطران وبه غرف لنزول الضيوف والحجاج وبه مكتبة فخمة .

وقد أدت رعاية السريان للأقباط أن استولوا على عدة أماكن مقدسة قبطية مثل منزل القديس مرقس الرسول الذى كان مقرا لمطارنة القبط الذين كانوا يفدون على المدينة المقدسة قبل اتخاذ الدير الحالى مقرا لهم ، ولهذا أقام البابا كيرلس الثالث السكندرى " الأنبا باسليوس" أول مطران قبطى للكرسى الأورشليمى عام (١٢٣٦م) .

رابعا : دير مار جرجس :

دير قبطى يقع فى حارة الموارنة على مقربة من باب الخليل ويرجع للقرن السابع عشر ، وقال الأثرى روبنسون بأنه يقع فى الجانب الشمالى لموقع بركة حزقيا (٢ملوك٢٠:٢٠) ، والدير فيه كنيسة بها هيكل واحد يصلى فيه قداس كل يوم خميس ويقيم به الارمن قداسا عندما يحتفلون بعيد الشهيد مارجرجس فى يوم ٧ أكتوبر من كل عام وذلك مقابل إقامة الأقباط قداساً ليلة عيد الميلاد وصباحه على مذبح الأرمن بكنيسة المهد الأرمينية ببيت لحم ، وبالدير مدرسة بإسم القديسة دميانة للبنات وهى إبتدائية وثانوية وتلقى إقبالا كبيراً من أهل القدس من المسلمين والمسيحيين على السواء .

خامسا : القلعة (برج داود) :

تقع عند باب يافا الغربى ، ويذكر أحد كتبة العرب من رهبان دير مار سابا وكان أسيراً عند الفرس ، أنه رأى فيها هيكلا للمسيحيين ومحراباً للمسلمين بإسم النبى داود والحصن الحالى مع الفناء الذى أمامه إلى الشرق هو مكان القصر الثانى الذى شيده الملك

هيرودس الكبير لسكناه ، وهناك أتاه المجوس يسألونه عن المسيح .. أين هو المولود ملك اليهود؟ (متى ٢ : ٢) وعندما دمر تيطس القدس سنة ٧٠م لم يهدم هذا الحصن ولكن الامبراطور سافيروس خربه فأعاد هدريان تشييده على شكل قلعة ، ثم تخرب عدة مرات خاصة فى عهد الخليفة المعتصم سنة ١٢١٩م .. وأما البناء الحالى فقد تم فى عهدى سليم الأول وسليمان الثانى فى القرن السادس عشر ماعدا الزاوية الجنوبية الشرقية فهى من بقايا ماشيده هدريان وقد استخدم فى أوائل القرن العشرين كمعرض للصناعات الفلسطينية القديمة .

سادسا : دير القديس يعقوب الكبير :

دير أرمنى يقع بجوار القلعة فى حارة الأرمن التى تقع عن يمينها بساتين البطريركية الأرمينية وعن شمالها مقرى مدير الدير والبطريرك وكنيسة الرسول يعقوب الكبير التى شيدت فى مكان استشهاده ، كما يقول التقليد الكنسى حيث قطعت رأسه سنة ٤٤م بأمر الملك هيرودس أغريباس الأول حفيد هيرودس الكبير بإيعاز من اليهود ، وترجع الكنيسة إلى القرن ١٢م وترممت فى القرن ١٣م وكان لها قبة قائمة على أربع دعائم من جهة وعلى الجدران من جهة أخرى وقد أزيلت الأعمدة عام ١٢١٩ ولم يبق منها إلا تيجانها المربعة المغطاة بألواح القيشانى الأزرق الأسبانى وعند الحائط الشمالى هيكل صغير ، حيث قطعت رأس الشهيد وبه كرسى قديم يدعونه عرش يعقوب الرسول وقد خضعت هذه الكنيسة لأسبانيا ، وكان لم يزل شعارها عليها حتى القرن الثامن عشر ، على أساس أن هذا الرسول هو مبشر أسبانيا وشفيعها وأمامها مطبعة ومنزل للغرباء ومدارس البنين والبنات وفناء به مسكن طلبة اللاهوت ، ومتحف صغير ثم دير الزيتونة للراهبات الأرمينيات وكنيسة باسم الملائكة القديسين (وترجع للقرن ١٢م) وهى مبنية محل منزل حنان حمو قيافا رئيس الكهنة حيث اقتاد الجند الرومان السيد المسيح بعد ما قبضوا عليه فى بستان جثيمانى (وكان يوسيفوس قد ذكر أن حنان هذا كان رئيسا للكهنة أيضاً وبقى فى منصبه ٩ سنوات حتى عزله الوالى غراتوس وبقى صهره فى وظيفته ١٩ عاماً ومع أنه كان معزولا أيام القبض على المسيح إلا أنه ظل مسيطرا على مجمع اليهود ، ولهذا السبب أقتيد يسوع إليه أولاً) .

وقد ذكرت المخطوطات القـديمة ، الموجودة بالدير أنه سمى بالملائكة لأنهـا سترت وجوهها عندما صفع الخدم وجـه المسيح فى هذا المكان .. وبعد ذلك نصل إلى دهليز يقود إلى باب النبى داود الواقع فى السـور الجنوبى حالياً ، الذى شيده السلطان سليمـان الثانى عـام (١٥٤١م) ، وأخذ حـجـارته من السور القـديم ، وعلى بابه كـتـابة لاتينيـة من فرقـة رومانية فى ذكرى انتصارها فى عهد تراجان عام (١١٦م) .

سابعا : كنيسة القديس توما :

تقع فى زقاق بالقرب من كنيسة الرسول يعقوب الكبـير ، وقد جعلت جامـعا بعد خروج الصليبيـين ، ثم تهدم الجامع ، وبنيت محله كنيسة بمعـرفة الألمان فى القرن الماضى ، وظلت فى أيديهم بعد ذلك .

ثامنا : دير السريان :

وهو منزل مـرقص الرسول ، ويقع علـى بعد ٢٠٠ مـتر فى شـمال شـرقى كنيسـة القديس تومـا ، وفيه يقـيم أسقف السريان ، وقـد استولى السـريان عليه من الأقـباط أثناء رياستـهم الدينية عليهم وقـد ذهب إلى هذا المكان القديس بطرس الرسول ، بعـد أن أنقذه الملاك من السـجن (أعـمال الرسل ١٢:١٣) . وكنيسـة الدير الحاليـة ترجع للقـرن ١٢م ، وأقيمت على آثار قديمة قبلها ، ربما ترجع للقرن السادس وعلى هيكلها صورة قديمة جدا للعذراء مريـم ، قيل أنها من رسـم القديس لوقـا الانجيلى ، وهناك حوض معـمودية رخام قيل أن العذراء مريم تعمدت فيه .

تاسعا : كنيسة الثلاث مريمات :

هى كنيسة صـغيرة .. وقد قال البـعض أن هذه الكنيسة فى موضع كنيسة القديس يعقوب الرسـول ، ولكن المرجح غير ذلك لأن كثيرين قالوا أن كنيسـة هذا الرسول كانت فى شرقى هيكل سليمان (أى فى مـحل إستشهاده . حيث رماه اليـهود من فوق الهيكل ثم ضربه أحـدهم بمدق فسقط شهيدا) . وقد كـانت هناك كنيسـة أخرى فى شـمال كنيسـة الثلاث مريمات ، أمام مدخل حصن داود جعلت بيتاً للسكنى فى أوائل القرن الحالى .

عاشرا : كنيسة القديسة حنة وبركتا بيت حسدا :

بالقرب من بوابة "ستى مريم" يقع دير للآباء البيض ، يسكنه كهنة من الإغريق الكاثوليك ، وبه متحف الكتاب المقدس ، وأصله دير قديم أشار إليه نبؤدوسيوس الشماس فى زيارته للمقدس عام (٥٣٠م) وفى عهد الصليبيين صار ديراً للراهبات ، وبعد دخول صلاح الدين للمدينة المقدسة عام (١١٨٧م) تحول إلى مدرسة عاليه للقرآن عرفت بالصالحية ٤ ثم تخرب فى القرن الخامس عشر وكان فى فنائه كنيسة باسم القديسة حنه والدة القديسة مريم العذراء حيث تذكر التقاليد القديمة أنه منزل حنه وزوجها يواقيم.

وفى عام (١٨٥٦م) منح السلطان عبد المجيد خرائب الكنيسة وتوابعها هدية للإمبراطور نابليون الثالث ملك فرنسا (لنوال بعض المكاسب السياسية كما سبق القول) فرممها وفتحها للعبادة وأعاد بناء الدير القديم ثم سلمه للآباء البيض ، وبالقرب من هذا المكان فى الشمال الغربى أكتشفت صدفه سنة ١٨٦٠ آثار بركة حسدا وكانت خريطة الرحالة ماديبا Madeba القرن الخامس قد حددت موقع البركة فى هذه البقعة وقد سماها القديس يوحنا الرسول فى إنجيله (٥ : ٢) باسم بركة بيت حسدا ، ومعناها بيت النعمة ٤ وكانت لها خمسة أروقه ، وفوق الجزء الشمالى منها تقع كنيسة بيزنطية تسمى العذراء بروباتيكا St. Maria probatika (وتعنى باليونانية الضأن) وترجع لسنة ٣٨١م وقد سميت البركة بهذا الاسم أيضاً (يوحنا ٥٠) لقربها من باب الضأن فى السور الشرقى للقدس ، وطبقا لما رواه المؤرخ يوسانيوس القيصرى (القرن الرابع) يتضح أن هناك بركتين بجوار بعضهما ، إحداهما أستخدمت لغسل الأغنام التى كانت تقدم كذبائح فى هيكل سليمان ولذا سميت ببركة الضأن ، وقد ذكر المؤرخ جيير Geyer أن سائحاً من بوردو زار أورشليم سنة ٢٣٣م - حكى له أنه رأى بركتين كبيرتين بجوار الهيكل وقصر هيرودس وقد جفت هاتان البركتان وطمرهما التراب على مر الزمن .

حادى عشر : طريق الآلام (Rla Doiorosa) :

يعتقد المسيحيون أن هذا الطريق هو الذى سار فيه السيد المسيح حاملاً الصليب من قصر بيلاطس حتى الجلجثة أى عبر القدس من الشرق إلى الغرب ، ويقسم إلى ١٤ مرحلة وصفها كما يلى :

- **المرحلة الأولى :** وتبدأ من قصر ببلاطى حاكم القدس أيام القبض على المسيح (٣٣م) بمكيدة اليهود والحكم عليه بالموت صلباً ، وليس هناك خلاف بين المؤرخين والأثريين فى القصر المذكور كان إلى الشمال الغربى من هيكل سليمان فيما كان يدعى بحصن أنطونيا ، وكان له فناءان ، كانت محاكمة المسيح فى أعلاهما وهو الداخل حيث امتنع اليهود عن الدخول لئلا يتدنسوا حسب اعتقادهم قبل عيد الفصح ولذا كان بيلاطس يكلم اليهود من الفناء السفلى الخارجى .
- **المرحلة الثانية :** ويحددها معبد التكليل ويرجع للقرن ١٢م ، وأقيم تخليداً لذكرى وضع اكليل الشوك على رأس المسيح إمعاناً فى تعذيبه وهو بناء قائم الزوايا مربع طول ضلعه ٨ أمتار ، تعلوه قبة ترتكز على ركائز بارزة من الجدران يجمعها إفريز مثمن الأضلاع يدور حولها .
- **المرحلة الثالثة :** عند كنيسة أجيا صوفيا التى تخربت عام (٦١٤م) أثناء هجوم الفرس فأعاد المسيحيون بناءها فى القرن ١٢م أما الحجر الذى كان المسيح واقفا عليه أثناء سماع الحكم بالموت ، فقد نقل لكنيسة العلية فى جبل صهيون جنوب القدس (خارج الأسوار) وكان موجوداً فى الفناء السفلى لقصر هيرودس .
- **المرحلة الرابعة :** وتميزها كنيسة الجلد (أو حبس المسيح) وكنيسة الحكم بالموت ويقعان داخل دير الفرنسيسكان والكنيسة الأخيرة قديمة جداً وطول ضلعها ١٠ أمتار ولها قبة على أربعة أعمدة وتقع فى المكان الذى بدأ فيه المسيح حمل الصليب إلى تل الصليب (المسمى بالجلجثة) ، أما الكنيسة الأولى فهى على بعد خطوات من الأخرى وقد أخذها العرب لكن هارون الرشيد أرجعها للمسيحيين (مع كنيسة أجيا صوفيا القريبة منها) وقد تخربتا فى القرن الثانى عشر ، فأعيد تشييدهما ثم إستولى عليهما الرهبان الفرنسيسكان عام (١٦١٨م) وخرجتا من قبضتهم ثم عادتا إليهم مرة أخرى سنة ١٨٣٨ حيث أعادوا ترميمها وظلتا معهم حتى الآن .
- **المرحلة الخامسة :** وتقع عند ما يسمى بقوس "هوذا الرجل" وهو قوس قديم أقيم فى الحائط وتحت طرفيه حجران وقف المسيح على أحدهما ووقف بيلاطس البنطى

الوالى على الثانى ، وقال مشـيراً إلى المسيح باللاتينية Occo Home أى "هوذا الرجل" وقد تسمى القوس بهذه التسمية منذ القرن ١٦م وتقع تحته كنيسة بنفس الإسم خارجها دير المراهبات به جزء من البـركة التى أقام هيرودس فوقها قناطر حجـرية تقسـمهـا ثم شيـد فوقـها حصن أنطـونيا (نسبـة إلى العاهل الـرومانى المعاصر له وهو مرقس أنطونيوس) ويعتبر قوس هوذا الرجل أحد ابوابها .

- **المرحلة السادسة** : ينحدر الطريـق بعد ذلك إلى محل سـقوط المسيح مـن التعب ، وهنا إقتربت العذراء مريم منه وسخر الجند الرومان سمعان القيروانى (الليبى) لحمل الصليب عن المسـيح وتتمـيز هـذه المرحلة بعمـود قديم مكسـور بجوار مـعبـد الفـرنسيـسكان وكنيسـة حديثـة للأرمن الكاثوليك ، وقـد أكتـشف أثناء حفـر الأساسات طريق مرصوف بالفسيفساء وعلامة قدمين يظن أنهما قدمى المسيح.
- **المرحلة السـابعة** : ينحـرف الطريق بعد ذلك نحـو الجنوب ، وعند زاويته الجـنوبية شـيد الفرنسيسكان حديثاً كنيسة باسم سمعان القيروانى وهى تدل على هذه المرحلة .
- **المرحلة الثامنة** : بعد صعـود ٨٠ خطوة توجد قطعة من عمود فـى حائط تدل على موقع هذه المرحلة ، حيث دنت من المسيح إمرأة تسمى فيرونيكا (أى المحبة) خرجت من دارها ومسحت وجهه الكريم بمنديل فانطبعت صورة وجهه عليه كهدية منه جزاء لعملهـا العظيم ، ويقال أن هذا المنديل مازال موجـودا فى روما حتى الآن وقـد وجدت فى هـذه البقـعـة بعض القناطر المنغـمـسة فى التـربة جـعل الروم الكاثوليك تحـتها هيكلا كـما بنوا فـوقها هيكلا آخـر بإسم هذه القديسـة ، وقد شوهد عند حفـر الأساسات وجود آثار بيت يهودى قـديم أجمع الأثريون على أنه يرجع للعصـر الرومانى وهو الذى عاشت فـيه القديسـة فيرونيكا عندمـا مر أمامه المسيح .
- **المرحلة التاسـعة** : بعـد ٣٠ متـراً نصل إلى مكان السـور الغـربى (الذى كـان فى عهـد هيـرودس) وكـان به فى عـهد المسـيح أحـد أبواب المدينة مـن الغرب وسـمـاه المسيـحيون باب القضـاء لأن بيلاطس علق على أحد أعـمدته حكم الموت على المسيح على حسب العادة السائدة فى ذلك العصر ، وهنا سقط المسيح ثانية وفى الزاوية الغربية من الطريق هيكل صغير نصعد منه إلى كنيسة أكبر ، وفى الطريق

قناة عميقة محفورة فى الصخر يقوم عليها عمود رخامى قاعدته فى حائط رومانى طوله ٧ أمتار ويقرر علماء الآثار أنه كان موجوداً عندما مر موكب المسيح إلى الجلجثة .

- **المرحلة العاشرة :** بعد إجتياز الطريق عبر باب العمود (أو القضاء) لجد منزلا للبروتستانت الألمان ، ثم مكانا خاليا كان أيام المسيح خارج السور الغربى وهنا نظر المسيح زمرة من النساء اليهوديات يبكين عليه فإلتف نحوهن وقال لهن "يابنات أورشليم لاتبكين عليّ ، بل على أنفسكن وعلى أولادكن" وعند حائط إلى الشمال لجد رسماً بارزاً لصليب يشير إلى هذه المرحلة .
- **المرحلة الحادية عشر :** بعد نزول ٢٨ درجة على سلم عريض ملتوي وراء منزل مرتفع للرهبان الروس نسير ٩٠ مترا فنصل إلى باب المطرانية القبطية (دير مار أنطونيوس) حيث لجد عمودا فى الجدار يدل على هذه المرحلة التى سقط عندها المسيح للمرة الثالثة وهو حامل للصليب ، وقيل أن المسيح فعل ذلك إما لكى يسترجعه أو لأن الجنود أجبروه على حمله حيث جرت عادة الرومان على أن يحمل المحكوم عليه آلة عذابه إلى موضع تنفيذ الحكم وإلى شمال المطرانية القبطية يتم الإنحدار على بعض درجات إلى سطح تنفذ فى وسطه كنيسة القديسة هيلانه (مغارة وجود الصليب) وهو أسفل كنيسة قسطنطين (المرتيريون) .
- **المراحل الثلاثة الأخيرة :** لإتمام طريق الآلام يقتضى الرجوع إلى درب العمود ، إلى كنيسة القيامة حيث المراحل الثلاثة الباقية التى وصفت عند الحديث عن هذه الكنيسة .

المقدسات الإسلامية

اتخذ المسلمون بيت القدس قبلة قبل أن يولوا وجوهم شطر مكة فى السنة الثانية للإسراء والمعراج .. فكان المسلمون فى صلواتهم يولون وجوههم نحو المسجد الأقصى بالقدس فى أوائل عهد الرسول محمد "ﷺ" وظل ذلك نحو سبعة عشر شهراً إلى أن

إتخذوا الكعبة قبلة .. ولهذا سميت "أولى القبلتين " وقد جاء فى الحديث الشريف عن النبى "ﷺ " أنه قال "لاتشد الرحال إلا إلى ثلاث : المسجد الحرام ، ومسجدى هذا والمسجد الأقصى" والمقصود بقوله بمسجدى هذا" مسجد الرسول فى المدينة .

وروى أيضاً عن النبى أنه قال : "إن الصلاة فى المسجد الأقصى أفضل من الصلاة فى غيره بخمس مائة مرة" وقال أيضاً : "من أهل بالحج والعمرة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، ووجبت له الجنة" ، ومن هنا كان يفد للمسجد الأقصى بالقدس حجاج وزوار من مختلف أقطار العالم الاسلامى .. ونظروا للقدس نظرة إجلال وتقدير .. وإلى يومنا هذا مازالت حافلة بالآثار الاسلامية القديمة .

أولا : مسجد قبة الصخرة :

بناه الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان .. وكان قد رصد لبنائه خراج مصر لسبع سنين وعهد بإنشائه للعالمين العربيين رجاء الكندى ويزيد بن سلام وإستغرق بناؤه ستة أعوام من عام (٦٦هـ - ٦٨٥م) إلى عام (٧٣ - ٦٩١م) ، وقرر الخليفة منح المائة ألف دينار المتبقية من نفقات الإنشاء جائزة للعالمين العربيين لكنهما رفضا وقالا "نحن أولى أن نزيده من حلى نسائنا ، فضلا عن أموالنا فاصرفها فى أحب الأشياء إليك ، فأمر الخليفة أن تسبك ذهباً وتفرغ على القبة والأبواب . وقد إمتاز البناء بروعة الهندسة العربية الممتزجة بالطراز الفارسى والأسلوب البيزنطى .. ويقال أنه كان أجمل بناء فى زمانه .. ويذكر بعض المؤرخين ومنهم اليعقوبى ، أن الأمويين أرادوا أن يجعلوا القدس هى المدينة الاسلامية الأولى حتى يحج إليها المسلمون بدلاً من مكة لمعارضتهم لعبد الله الزبير والذى أعلن استقلاله فى الحجاز عام ٦٨٠م ، ولهذا أمر عبد الملك أن يقيم الناس مواكب دينية حول القبة كما يحدث عند الطواف بالكعبة أثناء الحج .

ويقول اليعقوبى إن المسلمين ضجوا عندما أدركوا الغاية من بناء الصخرة وهى صدهم عن الحج .. ولكن عبد الملك تمكن من إقناعهم بالإشارة إلى ما قاله النبى عليه الصلاة والسلام : لا تشد الرحال إلا إلى ثلاث : المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الأقصى .

ومنهم من يرى أن عبد الملك إنما بناه ليكون للمسلمين مسجداً يضاهى فى بهائه

وسحره ما لكنائس النصارى من الروعة ولاسيما كنيسة القيامة ، فقد روى عن بعض المؤرخين ومنهم المقدسى أنه - أى عبد الملك - عندما رأى قبة القيامة وكان المسيحيون يحجون إليها من كل صوب خشى أن تؤثر بفخامتها وروعتها على قلوب المسلمين . فاعتزم أن يبنى فى القدس قبة مثلها أو أحسن وفعل .

وقد تعرض المسجد لكثير من الأضرار على مر الزمان بسبب الزلازل والعواصف والأمطار .. وما من حاكم عربى حكم القدس إلا وكان له شرف ترميمه ، ومن هؤلاء الوليد بن عبد الملك عام (٧٠٥م) والخليفة المأمون (٨٣١م) حتى أن العمال الذين تولوا الترميم يومئذ أرادوا أن يتزلفوا للمأمون فاستبدلوا اسمه باسم الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان ولكنهم لحسن حظ التاريخ غفلوا عن تغيير السنة التى جرى فيها الترميم .

وقد سقطت أجزاء القبة إثر زلزال حدث فى زمن الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله (١٠١٦م) فرممت فى خلافة ولده الظاهر لإعزاز دين الله (١٠٢٢م) .

وعندما احتل الصليبيون القدس عام (١٠٩٩م) حولوا المسجد إلى كنيسة وبنوا على الصخرة مذبحاً بإسم هيكل الرب العظيم .. وقد غطوها بالمرمر .. وأنشأوا الحاجز المصنوع من الحديد المشبك وهو الذى يفصل الصخرة عن المسجد .. وكان القساوسة النصارى فى بادئ الأمر يقطعون من الصخرة قطعاً يحملونها إلى بلادهم ، فيبيعونها بوزنها ذهبا ، مما جعل الصليبيين يكسونها بالرخام ، ولما فتح صلاح الدين القدس أزال معالم هذه الكنيسة عام (١١٩٤م) فرفع المذبح ومحار الصور والتماثيل وغطاء الصخرة الرخامى .. وكسا جدران المسجد بالرخام وزين القبة بنقوش جميلة وغطاها من الداخل بالرخام .. وكتب عليها آيات من القرآن الكريم بالخط الكوفى (بماء الذهب) .. وقد عنى جميع بنى أيوب بالمسجد فكانوا يكسونه بأيديهم ويغسلونه بماء الورد .. كما اهتم المماليك بعمارته وأوقفوا عليه بعض الأملاك .. ومن هؤلاء الملك الظاهر بيبرس عام (١٢٧٠م) والملك العادل زين الدين كتبغا المنصورى عام (١٢٩٤م) والملك الناصر محمد بن قلاوون عام (١٣١٨م) والملك الظاهر برقوق عام (١٣٨٧م) والملك الأشرف برسباى عام (١٤٣٢م) والملك الأشرف قايتباى عام (١٤٦٧م).

وفى عهد العثمانيين كسا السلطان سليمان (القانونى) عام (١٥٤٢م) جدران المسجد من الخارج وقبة السلسلة بالرخام ومن آثاره النوافذ المصنوعة من الفسيفساء وهو الذى عمر الباب الشمالى المعروف بباب الجنة ، ومن سلاطين بنى عثمان الذين عنوا بعمارة الصخرة السلطان محمود (١٨١٧م) والسلطان عبد المجيد (١٨٥٣م) والسلطان عبد العزيز (١٨٧٤م) والسلطان عبد الحميد الثانى (١٨٧٦م) .. ولقد طرأ على القبة وعلى جدران المسجد مع تقادم العهد ، خلل بفعل الرياح وتسربت مياه الأمطار إلى الجدران فإهتم المجلس الاسلامى الأعلى الذى كان يرأسه الحاج أمين الحسينى بالأمر ورممه (١٩٣٨م) ترميماً مؤقتاً حال دون وقوع خطر عاجل ، والمسجد مازال محتفظا ببهائه القديم إلا أنه فى حاجة إلى تعمير شامل لجميع أنحائه .

أما الباب القبلى (باب القبلة) فهو المقابل للمسجد الأقصى ويسمى "باب الأقصى" ويسمى أيضاً "باب الصلاة " و "باب القبلة" ، وقد جدد هذا الباب فى عهد السلطان سليمان القانونى (١٥٢٠-١٥٦٦) وعلى الباب يقرأ : "جدد هذه الأبواب الحسان أعظم الخواقين الأعيان السلطان سليمان" أمام هذا الباب رواق مفروش بالرخام طوله ١٦ متراً وعرضه ثلاثة أمتار أمر ببنائه السلطان محمود سنة ١٨١٧م .. فوق باب الصلاة (باب القبلة) لوحة من القاشانى تحمل البسملة وعلى جانبيها "الله الباقى" ويعلو الباب قوس دقيق النقش وآيات من سورة البقرة ويوجد على جانبى الباب : لفظ الجلالة "الله" ومحمد مكتوبان بالعاج الملبس فى الخشب بينما يتكرر لفظ الجلالة فى الحلية الركنية لجانبى الباب ، القسم الأعلى من الباب مستقل عن الجزء الأسفل ويمكن فتحه وحده ، لما استرد صلاح الدين الأيوبى مدينة القدس فى الثانى والعشرين من أكتوبر سنة ١١٨٧م (٥٨٣هـ) أعاد باب القبلة إلى هيئته الإسلامية التى كان عليها بعد أن كان الصليبيون قد عبثوا بمسجد قبة الصخرة أثناء احتلالهم لبيت المقدس سنة ١٠٩٩م .

قال الله تعالى "وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم ، قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضها فول

وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين أوتوا الكتب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون ، ولإن أتيت الذين أوتوا الكتب بكل آية ماتبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن إتبعت أهواءهم من بعد ماجاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين" (سورة البقرة ١٤٣ - ١٤٥) .. أما الباب الشمالي والذى يسمى "باب الجنة" فهو باب مزدوج كل جانب من قطعة واحدة من خشب التنوب مصفح بالمعدن وعلى كل جانب مقبض ثقيل من الحديد على هيئة حلقة على كل جانب من باب الجنة عمودان من الرخام المعرق يحملان واجهة الباب .

عمر باب الجنة مرتين : مرة فى عصر السلطان سليمان الأول سنة ٩٥٩هـ - ١٥٢٢م ، ومرة أخرى فى عصر السلطان مراد الثالث سنة ٩٧٣ هـ - ١٥٧٥م والكتابة على الشراعة نصف الدائرية فوق الباب تشير إلى عمارته (تجديده) فى عصر السلطان سليمان القانونى .

رؤوس الأعمدة الأربعة بيزنطية من الطراز الكورينثى والزخرفة على هيئة شجرة الحياة على جانبى الشراعة حديثة .. ويقع بناء مسجد قبة الصخرة وسط فناء مرتفع من أرض الحرم .. مثمن الأركان ثمانى الجدران .. كل جدار من الجدران الثمانية ينقسم إلى قسمين الواحد فوق الآخر ويغطى المسجد سقف مائل تتوسطه رقبة تحمل القبة المذهبة التى تغطى الصخرة المشرفة فى كل أضلاع التشمينة التى تواجه الجهات الأصلية الأربع باب ارتفاعه ٤ ,٣ أمتار وعرضه ٦ ,٢ أمتار .. ولم تتغير مقاييس الأبواب منذ عصر عبد الملك ، وعلى جانبى كل باب فى القسم العلوى من الجدار نافذتان يمر منهما الضوء إلى الداخل وشباكان مصمتان فى آخر الجدار، وفوق الباب نافذة صغيرة ، وفى القسم العلوى من الأربعة الأضلاع التى تواجه ما بين الجهات الأصلية سبع فتحات : خمس نوافذ يمر منها الضوء إلى الداخل وشباكان مصمتان فى نهايتى كل جدار ، ولمسجد الصخرة أربعة أبواب مزدوجة .. مصنوعة من الخشب ، ومكسوة بصفائح الرصاص .

ولمسجد قبة الصخرة أربعة أبواب تواجه الجهات الأصلية وهى أبواب مزدوجة مصنوعة من الخشب المصفح بالحديد وكانت أبواب قبة الصخرة مغطاة بالذهب فى عصر عبد الملك بن مروان الذى كان قد أمر بأن تسبك مائة ألف دينار من الذهب (بقيت بعد إتمام البناء) وتفرغ على القبة والأبواب ، وفى عهد الوليد بن عبد الملك (٨٦ هـ - ٧٠٥م) ضرب ما على القبة والأبواب من ذهب نقوداً أنفقت على ترميم المسجد ، وفى سنة ٣٠١هـ - ٩١٣م أمرت أم المقتدر بالله الخليفة العباسى بصنع أبواب جديدة من خشب التانوب لأبواب قبة الصخرة وكانت عند اكتمالها يومئذ كلها مذهبة ، وأشرف على صناعتها مولاها لبيد ، على جانبى كل باب عدد من الأعمدة ، أكثرها من الطراز البيزنطى الكورنثى ، ويحتمل أن تكون من بقايا ماكان فوق الحرم الشريف من عمائر قبل الإسلام ، لأبواب مسجد قبة الصخرة أسماء ، عدا الغربى :

الجنوبى (القبلى) : يسمى باب الأقصى ، باب الصلاة وباب القبلة .

الشمالى : يسمى باب الجنة .

الشرقى : يسمى باب النبى داود أو باب إسرافيل . باب القبلة إلى اليمين والباب الغربى إلى اليسار وفوق باب الجنة ، الباب الشمالى لقبة الصخرة ، كتابة بخط الثلث بما أجراه السلطان سليمان الأول (القانونى) من تجديد لقبة الصخرة، وقد جدد بحمد الله من قبة الصخرة ببيت المقدس الفائقة بناءها وشيدها بما أجرى من مناهلها الريقة الرواة الأثر رونقاً وقصوراً ورواءها ، وأجزل لها فى خلال ظلال دولته السلطان الأعظم والخاقان الأكرم واسطة عقد الخلافة بالنص والرهان أبى الفتوحات سليمان خان بن السلطان المعروف بالإحسان أبى النصر سليم خان المخصوص بالمآثر والتأييد صاحب المفاخر إبن السلطان بايزيد بن السلطان المجاهد الأمجد السلطان محمد بن عثمان ، سحت على ثراهم سحب الرضوان ، فأعاد إليها ذلك البهاء القديم ، بفواقة حذاق المهندس ، تاريخاً في (٩٥٩هـ) فجعلوه أحسن وقد تشرف بكتابتها عبد الله التبريزى أبرع خطاطى عصره .

أما الباب الشرقى فيطلق عليه إسم باب النبى داود مكتوب أعلاه آيات من القرآن الكريم .. والفناء الذى يقوم عليه مسجد الصخرة فناء واسع ومربع الشكل وهو مفروش

بالبلاط الأبيض من عـهد الملك المنصـور قلاوون .. وهو أعلى من أرض الحرم .. ويصـعد إليـه من الجهـات الأربع بأدراج يقـوم كل منها قنطرة يسـندها أعمـدة من الرخام .. وأمـا الصخرة فإنها مـقدسة لدى المسلمين .. وهى فى نظرهم صخرة مقـدسة، لأن النبى محمد " ﷺ " خرج منها إلى السماء ليلة الإسراء والمعراج .. وقيل إن إبراهيم عليه السلام قدم على هذه الصخرة ولده إسماعيل ضحية، وأن سليمان بنى عليها هيكله .

والصخرة المشرفة قطعة غير منتظمة من الحجر الجيرى هى قمة جبل سوريا ، طولها من الشمال إلى الجنوب ١٧,٧ أمتار وعرضـها من الشرق إلى الغرب ١٣,٥ أمتار وترتفع عن أرضية المسـجد زهاء ١,٥ أمتار ، حـولها سياج من الخشب المنقـوش من عهـد الملـك عبد العزيز بن عثـمان الأيوبى . طرف الصخرة المشرفة يحدده مذخر على هيـئة برج صغير .. تحيط برقـبة القبة ست عـشرة نافذة من الزجاج الملون ، وتحيط بالصخرة المشـرفة قنطرة دائرية من أربعة أكتاف مربعة (دعائم) واثنا عشر عمودا رخامياً مستديراً تيجانها المذهبة من طرز مختلفة .

عندما احتل الصليبيون بيت المقدس سنة (١٠٩٩م) حـولوا مسجد قبة الصخرة إلى كنيـسة ، واقتطـعوا من الصـخرة المشرفـة قطعة بـنوا فوقهـا مذبحـا أسمـوه "هيكل الرب" وقطعوا له على وجه الصخرة درجا ، وكسـوا الجزء الباقى بلوح من الرخام لأن القساوسة كانوا يقطعـون من الصخرة المشرفة قطعـا يبيعونهـا مقابل وزنها ذهبـا إلى حجاج أوروبا ، فـخشى ملوك الإفـرنج أن تزول الصـخرة . سيطر الصليبيـون على بيت المقـدس ثمانيـة وثمانين عاماً . وفى الثانى من أكـتوبر سنة ١١٨٧م ، الذى وافق ذكرى ليلة الإسراء ، حرر صلاح الدين الأيوبى مدينة القدس .

والقبة الذهـبيـة والتى هى رمـز لمدينة القـدس ، يعلوها الهـلال الذى يوازى اتجـاه القبلة . صنع أول هلال إعتلى قـبة الصـخرة من الذهب الخـالص فى عهـد عبـد الملك بن مروان . وفى ربيع الأول سـنة ١٠٢٦هـ ١٦١٧م سقط هلال قبـة الصخرة عـلى أثر زوبعة عاصفة هبت على مدينة القدس ، فأعيد تركـيبه فى شهرين بعد تجديد القلب الخشبى الذى كان مـصفحا بالذهب ، وكـان ذلك فى عهد السلطان التـركى مصطفى الأول بن السلطان

محمـد الثالث . وعندما استولى الصليبيون على القدس نزعوا الهـلال الإسلامى من فوق قبة الصخرة وأقاموا مكانه صليباً من الذهب . وعندما استرجع صلاح الدين الأيوبى مدينة القدس للإسلام مرة أخرى سنة ٥٨٣ هـ - ١١٨٧م أعاد قبة الصخرة إلى حالها الإسلامى الأول ، فتسلق المسلمون القبة وإقتلعوا الصليب وأعادوا الهلال إلى مكانه ، وصلى صلاح الدين الجمعة الثانية من دخول المسلميـن بيت المقدس فى قبة الصخرة وكان ذلك فى اليوم الرابع من شعبان سنة ٥٨٣ هـ ، التاسع من أكتوبر سنة ١١٨٧م ، الهلال الحالى وضع فوق قبة الصـخرة سنة ١٨٩٢م فى عـهد السـلطان التركى عـبد الحـميد الثـانى بمناسبـة زيارة إمبراطور الألمان غليـوم الثـانى لبيت المقـدس .. وقد وصف إبـن عبـد ربه الأندلسى قبـة الصـخرة سنة ٣٠٠ هـ - ٩١٢م : "إن قـبة الصـخرة كـانت مـغطاة بثلاثة آلاف وثلاثمـائة واثنتين وتسعين صفيحة رصاصية ، ومن فـوق ذلك عشر آلاف ومائتان وعشر صفيحة من النحاس مطلية بالذهب" .

وفى سنة ٣٧٤ هـ - ٩٨٥م وصف المقدسى قبة الصخـرة بأنها مغطاة بصحائف من الذهب . والقبة الحالية مكسوة برقائق من الألومنيـوم المؤكسد كهربائياً ، وقد وضعت هذه الكسـوة - ذهبيـة اللون - أثناء الإعمـار الأخيـر لقبـة الصخـرة بإشراف حكومـة المملكة الأردنية الهاشـمية فى عهد جلالة الملك حـسين بن طلال ، وترتكز قبة الصخـرة على رقبة مستـديرة يحملها صف من القناطر فى دائرة تتكون من إثنى عـشر عموداً مسـتديراً وأربعة دعائم (أركان أو أكـتاف أو سوارى أو أساطين) مـربعة بحيث تتلو إحدى الـدعامات كل ثلاثة أعمـدة . عرض كل ضلع من أضلاع الدعائم أو الأكـتاف المربعة ثلاثة أمتـار مكسوة بالرخـام المعرق أو المـشجـر . تربط بين الأعـمدة والدعـائم أو الأركـان أقـواس مبنيـة من بلاطات الرخـام الأبيض والأسود ، عرض كل قـوس ١١ , ١ متـرا . فوق الأعـمدة ، وفى المسافة بين كل قوسين متجاورين ، عتبة خشبية أفقية وأخرى حجرية فوقها ويغطى العتبتين إفريز (كـورنيش) خشبى منحـوت نصفه الأسـفل مصفح بصـفائح معـدنية عليهـا رسوم عنقودية مذهبة . الأعمدة كلها من الرخام ، قطر كل عـمود يختلف عن الآخر ، وجميعها مطوقة من الخارج فوق القاعدة بطوق نحاسى . الرخام الذى يغطى الدعائم (الأكتاف) من صنع الأتراك العثمانيين فى القرن السادس عشر الميـلادى، العاشر الهجرى ، وأعيد تعميره

فى القرن التاسع عشر (١٨٧٤م) . يدخل بعض الضوء من ست عشرة نافذة صغيرة مقوسة القمة تحملها الرقبة تحت القبة دون أن تقابلها فتحات على الرقبة من الخارج . الرقبة مزخرفة من الداخل بالزهور والمناظر الطبيعية المجردة والحلى المنقوشة بالفسيفساء .

وعن وصف قبة الصخرة من الداخل ، فتتدلى من مركزها السلسلة ويقال أنها تحدد موقع مركز الأرض ، كانت جزءاً من عمارة القبة فى عصر الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله الفاطمى . كان يتدلى من هذه السلسلة شمعدان فضى كبير يزن طنا . فى سنة (١٠٦٠م) سقط هذا الشمعدان فى الزلزال الذى أصاب فلسطين ، أعلا القبة نقش بماء الذهب بخط الثلث العادى وفى إطار مستدير آية الكرسى :

﴿ الله لا إله إلا هو الحى القيوم لاتأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم مابين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم ﴾ "سورة البقرة ، ٢٥٥"

حول الحافة السفلى كتابات تفيد زخرفة القبة من الداخل وإعمارها عدة مرات ، أهمها :

- فى عهد السلطان صلاح الدين الأيوبى سنة ٥٨٥هـ - ١١٨٩م .
- فى عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٨ هـ - ١٣١٩م .
- فى عهد السلطان العثمانى محمود سنة ١٢٣٣ هـ - ١٨١٧م .
- فى عهد السلطان العثمانى عبد العزيز سنة ١٢٩١ هـ - ١٨٧٤م .

داخل القبة محلى بالزخارف العربية : فسيفساء ذات أشكال نباتية على أرضية مذهبة . قطر القبة ٢٣,٧ أمتار.

وعن جمال الزخرفة فى الصخرة أن الفسيفساء فيها تتكون من عدة أشكال نباتية ، وآنية . ويمكن تمييز ستة أشكال رئيسية متباينة فى تكوين الفسيفساء التى تغطى أجزاء من الجدران الداخلية والقناطر والأروقة :

- أزهار مفردة ملبسة باللآلىء تلتف عليها سلاسل ذهبية .

- أكاليل أزهار تلتف عليها أوراقها .
- أغصان نباتات وأوراق تلتف عليها قلائد مرصعة بالجواهر .
- دالية العنب ممتدة فوق أعالى الأركان .
- أشجار النخيل متفرعة منها عراجين مثقلة بقطوف البلح المتدلية .
- نبات الأقنشوس متفرعة منه أوراق مجزعة متهدلة الأغصان .

تتربع قبة الصخرة الذهبية فوق رقبة اسطوانية إلى إرتفاع ٥ , ٣٥ أمتار من ساحة الحرم الشريف ، وتغطى المساحة التى تشغلها الصخرة المشرفة داخل المسجد . قطر كرسى القبة ٤٤ , ٢٠ مترا وارتفاعه ٤ , ٩ أمتار ، ويحيط به ست عشرة نافذة من الزجاج الملون على مسافات متساوية .. كانت رقبة قبة الصخرة عند بناء المسجد مغطاة بالفسيفساء من الخارج مثل أجزاء البناء المثمن . وفى سنة ٩٤٥هـ - ١٥٣٨م أمر السلطان سليمان الأول (القانونى) باستبدال الفسيفساء التالفة ببلاط ملون من القاشانى الفاخر الجميل . وقد عمر هذا القاشانى وأستبدل عدة مرات ، آخرها أثناء رعاية المملكة الأردنية الهاشمية للأماكن المقدسة حتى سنة ١٩٦٧م .. للرقبة أربع بروزات تواجه الجهات الفرعية وتفصل ما بين أربع مساحات تواجه الجهات الأصلية تتكون كل منها من سبع لوحات من القاشانى الملون مختلفة التصميم والزخرفة .

سورة الإسراء ، الآيات ١ - ١٩ ، تحيط برقبة قبة الصخرة فوق ألواح القاشانى .

والواجهة الجنوبية لرقبة القبة تحمل بداية سورة الإسراء :

بسم الله الرحمن الرحيم سبحن الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آيتنا إنه هو السميع البصير، "١" وآتينا موسى الكتب وجعلنه هدى لبنى إسرائيل" .

والبروز الجنوبى الشرقى لكرسى (رقبة) القبة يحمل نهاية الآيات المكتوبة من سورة الإسراء : "ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن" ، وإفريز القاشانى الذى يكسو رقبة أو كرسى القبة مصنوع فى أوائل القرن السادس عشر الميلادى . وترجع كتابة سورة الإسراء إلى عهد السلطان صلاح الدين الأيوبى . الكتابة بخط الثلث المشجر البسيط وأحرفها مصنوعة من الرخام المحشو بالقاشانى .

آيات من سورة ياسين على الإفريز الأعلى للواجهة الجنوبية للتثمينة .

والواجهة الجنوبية لرقبة (الطرف الغربى) تحمل آيات سورة الإسراء قوله تعالى : "وجعلنه هدى لبنى إسرائيل ألا تتخذوا من دونى وكيلا "٢" ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا "٣" وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين (سورة الإسراء ، ٢ - ٤) .. والبروز الجنوبى لكرسى القبة (إلى اليسار) "ولتعلن علواً كبيراً "٤" فإذا جاء وعد أولهما بعثنا عليكم عبادا " (سورة الاسراء ٤ - ٥) آيات من سورة ياسين على الإفريز الأعلى للواجهة الجنوبية للتثمينة .

أما الواجهة الغربية لرقبة القبة ، وبروزها فمكتوب عليها قوله تعالى فى سورة الإسراء : "عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكفرين حصيراً "٨" إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً "٩" (سورة الإسراء ، ٨ - ٩) .

والواجهة الجنوبية لرقبة القبة (إلى اليمن) - البروز الجنوبى الغربى للرقبة (فى الوسط) - الواجهة الغربية (إلى اليسار) عليها كلها من سورة الإسراء قوله تعالى : "ألا تتخذوا من دونى وكيلا "٢" ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكورا "٣" وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا "٤" فإذا جاء وعد أولهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا "٥" ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددنكم بأموال وبنين وجعلنكم أكثر نفيرا "٦" إن أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تبيرا "٧" عسى ربكم أن يرحمكم (سورة الإسراء ٢ -٨) ., والبناء الذى حول الصخرة فإنه فخم مثمن الأركان . وهو مكون من تثمينتين : إحداهما خارجية ، وهى التى تتكون منها جدران المسجد طول كل ضلع من أضلاعها الثمانية ٢٠,٩٥ مترا . وإرتفاعه ٩,٥٠ مترا . هذا عدا الحائط العلوى (أى الدورة) فارتفاعه ٢,٦٠ متراً وفى كل ضلع من أضلاع هذه التثمينة سبع نوافذ . خمس ينفذ منها النور ، واثنتان مسدودتان . إلا الأضلاع التى فيها أبواب المسجد الأربعة فإن فى كل ضلع نوافذ ، ينفذ النور منها . وهناك فى كل من الأضلاع الأربعة الأخرى شباك كبير ، يفتح ويغلق عند

اللزوم وقصارى القول إن فى جدران المسجد ستا وخمسين نافذة، أربعون ينفذ النور منها.. وأما التثمينة الداخلية وهى بين جدران المسجد والأعمدة الحاملة للقبة ، فإنها مرفوعة على ثمانى اسطوانات ملبسة بالرخام ، وستة عشر عموداً مختلفة الألوان . وبين التثمينتين رواق الصلاة . وكذلك قل عن الرواق الكائن بين التثمينة الداخلية والدائرة الحاملة للقبة .. وتحمل هذه الأعمدة مع جدار المسجد سقفاً مزخرفا بأنواع الدهان تدعمه قناطر مرصعة بالفصوص الذهبية ، ويتصل طرفه بكرسى القبة وجدران المسجد كلها من الداخل مكسوة بالرخام ، وأما من الخارج فإن القسم الأسفل منها فقط مكسو بالرخام ، والقسم الأعلى بالرخام البديع . غير أن الرخام الذى كان يكسو الضلع الغربى سقط بفعل العواصف والأمطار وتأثير الزمن .. وهناك فى فناء الصخرة قباب أخرى منها : (قبة المعراج) غربى المسجد إلى الشمال . بناها الاسفهلار عز الدين عثمان بن على بن عبد الله الزنجيلى متولى القدس عام (١٢٠٧م) و (محراب النبى) بين مسجد الصخرة وقبة المعراج . أنشاه الأمير محمد بك صاحب لواء غزة والقدس عام (١٥٣٨م) .

و (قبة يوسف) على بعد مئة متر من مسجد الصخرة إلى الجنوب بناها الأسفهلار سيف الدين على بن أحمد فى عهد صلاح الدين عام (١١٩١م) .

و (القبة النحوية) إلى الجنوب من صحن الصخرة عند الدرج المؤدى إلى باب السلسلة ، بناها إلى القدس الأمير حسام الدين أبو سعد قمباز بأمر من الملك المعظم عيسى عام (١٢٠٧م) .

و (قبة الشيخ الخليلى) على بعد بضعة أمتار من قبة المعراج إلى الشمال الغربى .

و (قبة الخضر) فى الطرف الأخير لصحن الصخرة من الشمال الغربى ، وهى قبة صغيرة مرفوعة على ستة أعمدة رفيعة من الرخام .. وفى فناء الصخرة ست عشرة غرفة أنشئت خلال القرن الثانى عشر للهجرة من أجل سدنة المسجد ورجاله من أئمة وخطباء ومؤذنين ومدرسين ، ومن أجل الجند الذين تقيمهم السلطة بقصد الحراسة .. وهناك ، فى أرض الحرم ، قباب ومنشآت أخرى ، نذكر منها : (قبة سليمان) واقعة إلى الجنوب الغربى من الباب المعروف بالدوادارية من أبواب الحرم الشمالية . إنها قبة مثمنة تقوم على أربعة وعشرين عموداً من الرخام ، قيل إنها من منشآت بنى أمية أقيمت على أنقاض بناء قديم

من آثار سليمان .. و (قبة موسى) تجاه باب السلسـلة وعلى بعد بضعة أمتار منه إلى الشرق أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب (١٢٤٩م) وكانت على عهده تدعى قبة الشجرة .

قبة السلسلة

تقع "قبة السلسلة" إلى الشرق من مسجد الصخرة .. وعلى بعد أمتار منه إلى الشرق وهى مواجهة لباب النبى داود ، وهى مبنى مفتوح الجوانب ذو قبة به صفان من الأعمدة فى دائرتين : أحد عشر فى الدائرة الخارجية ، وستة فى الداخلية ، وهى صورة مصغرة لقبة الصخرة ، بنيت معها فى عهد عبد الملك بن مروان لتكون بيتا للمال ولذلك تسمى "قبة الخزانة" . فى داخلها محراب منقوش عليه قوله تعالى : "ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالعدل ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله "،جدد زخرفة قبة السلسلة الملك الظاهر بيبرس (٦٦١هـ - ١٢٦٢م) . وتجدد القاشانى فى عهد السلطان سليمان الأول (القانونى) سنة ٩٦٩ هـ - ١٥٦١م وحولها الصليبيون إلى مصلى أسموه "مصلى الشهيد القديس جيمس" .

وقنطرة الموازين الشرقية تواجه قبة السلسلة ، ويعتقد أنها بنيت فى حكم الأمير منصور أنوشتكين الغورى (١٠٢٠ - ١٠٣٠م) . وقد جددها المجلس الاسلامى الأعلى لمدينة القدس عندما أنشأ المَرقى (الدرج) الذى يتكون من ٢٥ درجة أمامها سنة ١٩٤٥ . وعرض قنطرة الموازين الشرقية ١٨,٦٧ متراً ، فهى أعرض الموازين جميعاً .

وقبة السلسلة سماها اليهود بمحكمة دواد ، وزعموا أنه كان بها سلسلة من الذهب مدلاة من السماء تنقطع عندما يمسها شاهد زور .. وقيل أن القبة بناها القاضى برهان الدين ولم يذكر أغلب المؤرخين فى أى سنة بنيت ، لكنها بنيت على طراز عربى ، وأسفل رصيفها نافورة جميلة سميت بسبيل قايتباى ، لأنها تمت فى عهده (١٤٦٨م) وفى الجهة الشمالية الغربية أقيمت مدارس لتحفيظ القرآن الكريم ، ومساكن ومبان للسياحة .. وأهم بوابتين فى سور الحرم الغربى هما بوابتا السلسلة والمغاربة . وفى السور الجنوبى باب تنحدر منه ٢٠ درجة إلى مدرسة للقرآن بناها الأمير طنجز عام (١٤٨٣م) ولها أقواس

مدببة ، وفـى شرقها خزانات عـميقة للمـياة على شكل فوهات لآبار عـميقة مـحفورة فى الصخـر وقطرها بين ١٣ - ٢٠ متـرا ، وورائها مئـذنة جامع المغاربـة (البراق) . وعند باب المسجد " القبة الغربى " نجد سلسلة ترتفع على أعمـدة رخامية بها نسخة من القرآن الكريم من عهد عمـر بن الخطاب . وفى أرض الحرم نجد أيضاً قبة سليـمان فى جنوب غربى باب الدوادارية (المفتى) وهو أحد أبواب الحـرم الشمالية ، وقبـته مثمنة وقائمـة على ٢٤ عموداً من الرخام ، قيل أنها من عهد الأمويين ، ثم قبة موسى شرق باب السلسلة ، وأنشاها الملك نجم الدين أيوب سنة ١٢٤٩، وفى الطرف الشمالى لمسجد الصخرة نجد مكانا يحتوى على شعرتين من لحية النبى محمد ﷺ وأسفله أثر قدم للنبى .

الكـــأس

الكأس هو حـوض واسع مدور مبنى مـن الرخام يقع بين مـسجدى قـبة الصـخرة والأقصى يسـتخدم فى الضـوء ، فهو الميـضأة للصلوات الخمس كـل يوم .. الكأس يقابل المرقى (الدرج) المؤدى من قـبة الصخـرة إلى المسجـد الأقصى فى الطرف الجنوبى للحرم الشريف . حول الكأس صف دائرى من المقـاعد الرخامية أمام كل منهـا صنبور ماء يجرى إلى الكأس فى سواق تحـت الأرض مغطاة بالحجـارة من برك سليمـان الثلاث . فى وسط نافورة يخرج منهـا الماء ويسقط فى البحيـرة الرخامية التى يحيـط بها سياج معـدنى جميل دقيق الصنع . عمر الكأس الأمير تنكزالناصرى سنة ٧٢٨ هـ - ١٣٢٧م .

قناطر ومآذن وقباب صغيرة :

ويزخر الجزء الشمالى من الحرم الشريف بالقناطر والقباب :

القناطر الثلاث بالترتيب من اليمين :

١ - القنطرة الشمالية إلى الشـرق : أنشئت سنة ٧٢٦ هـ - ١٣٢٥م فى عهد الملك الناصر محمـد بن قلاوون . هذا الميزان عرضه ٩,٤٥ متـرا وأمامه ٨ درجات فى المرقى ، ويواجه باب حطة .

٢ - القنطرة الشمـالية إلى الغرب : أنشئت أيضـاً فى عهد الملك الناصر مـحمد بن

قلاوون فى جمادى الآخرة سنة ٧٢١هـ - ١٣٢١م عرض هذا الميزان ٩,٨٠ مترا وأمامه ٦ درجات فى المرقى ويواجه باب العتم (باب فيصل) .

٣ - القنطرة الغربية إلى الشمال ، جددت فى عهد السلطان سليمان الأول (القانونى) بين سنتى ٩٢٦ هو ٩٧٤ هـ ، وكان الملك أشرف شعبان قد أنشأها سنة ٧٧٨ هـ - ١٣٧٦م . عرض هذا الميزان ١٣,٨ مترا وأمامه ٢٤ درجة فى المرقى الذى يواجه باب الناظر .

المآذن ، مئذنتان : واحدة فى الزاوية الشرقية والأخرى فى الزاوية الغربية للحرم الشريف :

١ - مئذنة باب الغوانمة :

تقع فى الزاوية الشمالية الغربية من زوايا الحرم الشريف فوق باب الغوانمة . وتسمى أيضاً "منارة قلاوون" . أنشأها القاضى شرف الدين عبد الرحمن بن الصاحب الوزير فخر الدين الخليلى بأمر من الملك المنصور حسام الدين لاجين سنة ٧٣٠ هـ - ١٣٢٩م . وسميت يومئذ "منارة السرايا" .

٢ - مئذنة باب الأسباط :

تقع شمال الحرم إلى الشرق ، بين باب حطة وباب الأسباط وتسمى أيضاً "منارة إسرافيل" . أنشئت سنة ٧٦٩ هـ - ١٣٦٧م فى عهد السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسن بن سلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون .

ومن القباب الصغيرة مايلى (والترتيب من اليسار) :

١ - قبة محراب النبى : تقع غرب قبة الصخرة إلى الشمال مواجها الجدار الشمالى الغربى للمسجد ، بينها وبين قبة المعراج . وتعرف أيضاً بإسم قبة جبريل . منقوش عليها من الخارج : أنشأ هذا المحراب المبارك مولانا الأمير الكبير محمد بك صاحب لواء غزة وقدس شريف زيد قدرهما بتاريخ سنة ٩٤٥ هـ - ١٥٣٨م . يقول السيوطى : إن موضع هذا المحراب هو موضع صلاة النبى محمد بالأنبياء والملائكة فى ليلة الإسراء . فوق المحراب قبة مفتوحة الجوانب

محمولة على ثمانى أعمدة من الرخام فى دائرة .

٢ - قبة المعراج : تقع غرب مسجد قبة الصخرة إلى الشمال الغربى من باب الجنة (الباب الشمالى) ، وهى مبنى كبير مثمن الأضلاع تعلوه قبة حجرية مضلعة قائم على ستة عشر عموداً مستديراً من الرخام تعلوها رؤوس رخامية من أنماط مختلفة . كل عمودين متجاورين متلاصقان ، وعلى كل من جانبى باب القبة عمود من الرخام ذو رأس رخامية .

بنيت قبة المعراج تذكارا لعروج النبى محمد ﷺ إلى السماء ، وفوق محرابها الآية الأولى من سورة الإسراء . تاريخ بناء القبة وإسم بانيها مجهولان . وأعيد بناء القبة فى شكلها الحالى سنة ٥٩٧ هـ - ١٢٠٠م فى حكم متولى القدس الأمير الاسفهسلار عز الدين سعيد السعداء أبو عمر عثمان بن على بن عبد الله الزنجلى ، ثم أعيد تعميرها سنة ٦٠٤ هـ - ١٢٠٧م لكن من غير المعروف على وجه الدقة تاريخ بنائها .

٣ - قبة الخليل : بناها الشيخ الخليلى فى القرن التاسع عشر الميلادى .

٤ - قبة الأرواح : بنيت فى القرن العاشر الهجرى ، آخر القرن الخامس عشر الميلادى .

ثانيا : المسجد الأقصى :

بعد أن أتم عبد الملك بن مروان بناء مسجد الصخرة .. شرع فى بناء المسجد الأقصى إلى الجنوب منه على بضع مئات من الأمتار ، وقد تم هذا البناء - على حد قول بعض المؤرخين - عام (٧٤ هـ - ٦٩٣م) وهناك من المؤرخين من يقول أن الملك عهد لابنه الوليد ببناء المسجد وأن المسجد بنى فى عهد الوليد .. ويدلل هؤلاء على رأيهم بما جاء فى الرسائل التى كتبها "قرة بن شريك" عامل الأمويين على مصر فى عهد الخليفة الوليد إلى حد حكام الصعيد عام (٧٠٥م) طالبا منه أن يرسل إليه صناعا مهرة لمسجد بيت المقدس .

ويرى البعض الآخر أن بناء بدء فيه فى زمن عبد الملك بن مروان عام (٦٩٣ هـ) وقد تم فى زمن الوليد بن عبد الملك عام (٧٠٥م) .

ويعتقد أن سيدنا إبراهيم الخليل قد شيده بعد أربعين عاما من بناء الكعبة .. وسمى بالأقصى .. وقد ورد ذكره فى القرآن الكريم قال تعالى "سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير" سورة الاسراء .

ويقع المسجد جنوب الحرم ويبلغ طوله ٨ أمتار وعرضه ٥٥ متراً وهو قائم على ٥٣ عمودا من الرخام و ٤٩ سارية مربعة الشكل مبنية من الحجارة .. وفى صدره قبة خشبية مغطاة من الخارج بصفائح من الرصاص ، ومزخرفة من الداخل بالجبس المزخرف بفصوص ذهبية ملونة .. وفى الصدر أيضا محراب كبير وإلى يمين المحراب منبر جميل هو الذى عمله نور الدين زنكى وأتى به صلاح الدين من حلب ، وهو مصنوع من الخشب المرصع بالعاج والأبنوس ويقابل المنبر (دمكة المؤذنين) وهى قائمة على أعمدة من رخام . وفى داخل الجامع فى الزاوية القبلية إلى الشرق نجد جامعا مستطيلا آخر متصل به يسمى (جامع عمر) مع ملاحظة أنه يوجد جامع آخر بإسم عمر أيضاً فى الضلع الجنوبى لكنيسة القيامة بناه شهاب الدين إبن أخى صلاح الدين عام (١٢١٦م) ولم تتم مأذنته إلا بعد قرن كامل من بنائه عام (١٣١٧م) وهو يقع فى المكان الذى صلى فيه عمر بن الخطاب عندما دخل القدس خارج كنيسة القيامة .. وإلى الشمال منه إيوان صغير يسمونه (مقام عزيز) أو (مقام الأربعين) وإلى الشمال ملتصق به محراب زكريا ، وللمسجد أحد عشر باباً : سبعة منها إلى الشمال .. وهى كبيرة .. وكل واحدة من هذه الأبواب ينتهى إلى كور من أكوار المسجد السبعة . وباب إلى الشرق . وآخر إلى الغرب . وهناك فى الناحية الغربية أيضاً باب يدخل منه النساء فى طريقهن إلى الجامع المسمى بإسمهن : (جامع النساء) . وفى الجدار القبلى باب غير نافذ إلا إلى زاوية ، كانت فيما مضى مدرسة .. وأمام المسجد من الناحية الشمالية رواق كبير هو الذى أنشأه الملك المعظم عيسى ، وقد جدد من بعده . وهو مؤلف من سبع قناطر مقصورة . كل قنطرة منها تنتهى إلى باب من أبواب المسجد السبعة .

وتحت بناء المسجد الحالى دهليز واسع وطويل . يتألف من سلسلة عقود ترتكز على أعمدة ضخمة ، وهو ما يسمى بـ " الأقصى القديمة " .

وقد طرأ على المسجد الأقصى العديد من التغيرات بسبب الزلازل والعواصف والأمطار ، فكانت أبوابه ، فى زمن الأمويين ، ملبسة بصفائح الذهب والفضة . ولما قدم أبو جعفر المنصور ، وكان شرقى المسجد وغربيه قد وقع بسبب الزلزال عام (٧٤٧م) أمر بقلع هذه الصفائح . فقلعت ، وضربت دنانير ، وأنفقت عليه حتى فرغت عام (٧٧١م) .

وحدث زلزال آخر عام (٧٧٤م) . فوقع البناء الذى أقامه المنصور فأمر المهدى بتعميره . وعمر عام (٧٨٠م) . إلا أنهم أنقصوا من طوله يومئذ وزادوا فى عرضه . وخرب المسجد الذى عمره المهدى إثر زلزال وقع فى عام (١٠٣٣م) . فعمره الخليفة الفاطمى الظاهر لإعزاز دين الله عام (١٠٣٤م) حاذفا أربعة أروقة من كل جانب ، وإن القبة الحالية والأبواب السبعة التى فى شمال المسجد من صنع الظاهر لإعزاز دين الله . وهناك بالخط الكوفى وبالفسيفساء المذهبة منقوشة على واجهة القوس التى تحمل القبة من الشمال ، تشير إلى ما فعله الظاهر فى ذلك التاريخ . وفى عهد الخليفة الفاطمى المستنصر بالله عام (١٠٦٦م) جددت واجهة المسجد الشمالية .. ولما احتل الصليبيون القدس عام (١٠٩٩م) استغلوا المسجد لصالحهم ، فجعلوا قسما منه كنيسة ، واتخذوا قسما آخر مسكنا لفرسان الهيكل ، واستعملوا القسم الباقى مستودعا لذخائرهم مضيفين إلى البناء القديم بعض القناطر المعقودة . وكانوا يسمونه Palatium Tempelum Solomones ، وعندما استرد صلاح الدين القدس من الصليبيين عام (١١٨٧م) أمر بإصلاح وترميم المسجد الأقصى فجدد محرابه ، وكسا قبته بالفسيفساء ، وأزال كل أثر فيه للصليبيين وهناك فوق المحراب كتابة نقشت بالفسيفساء المذهبة تشير إلى ما فعله صلاح الدين .

وقد عنى ملوك بنى أيوب ، بعد موت صلاح الدين ، بالمسجد الأقصى . فكانوا يكنسونه بأيديهم ، ويغسلونه بماء الورد . وكان أشدهم اهتماما الملك المعظم عيسى ، فهو الذى أنشأ عام (١٢١٧م) الرواق الذى يكون الواجهة الشمالية لهذا المسجد . وهذا الرواق مؤلف من سبعة أقواس معقودة . يقابل كل واحد منها باب من أبواب المسجد السبعة . وعلى واجهة الرواق الأوسط بلاطة من الرخام نقشت عليها كلمات تشير إلى ما فعله هذا الملك . ولم يكن المماليك أقل اهتماماً بالمسجد الأقصى من الأيوبيين ، فيذكر المؤرخون أن الذى عمر سقف هذا المسجد من الناحية القبلية مما يلى الغرب عند جامع الأنبياء هو الملك

المنصور سيف الدين قلاوون عام (١٢٨٧م) ، وأن القبة نفسها جددت فى زمن ولده الملك الناصر محمد قلاون عام (١٣٢٧)م وكذلك قل عن الرخام والشبابيك المصنوعة من الفسيفساء فى صدر المسجد ، ومنها الشباكان اللذان عن يمين المحراب وشماله ، والأبواب ، والسور القبلى عند محراب داود . فإن هذه الأشياء من صنع الملك الناصر محمد بن قلاوون . وهناك كتابات كثيرة في المسجد تشير إلى ذلك . منها الكتابة التى تجدها فى القبة نفسها من الداخل والمكتوبة بأحرف كبيرة تعرف بالثلث ، وفوق الشباك الكائن شرقى المحراب ، وفى الواجهة الأمامية فوق الأروقة .. وقد اهتم المماليك بعمارة المسجد الأقصى ونذكر من سلاطينهم السلطان شعبان بن الملك الناصر محمد قلاوون ، وأخوه السلطان حسن عام (١٣٧٦م) والملك الأشرف اينال عام (١٤٦٠م) . والملك الأشرف قايتباى عام (١٤٧٩م) . وهناك كتابة تشير إلى ما فعله قايتباى نقشت على واجهة المسجد الشمالية فوق الرواق الأوسط إلى اليمين .. أما سلاطين بنى عثمان ، فإنه لم يعتل العرش منهم سلطان إلا وفكر فى ترميم المسجد الأقصى ، أو تعمير جانب من جوانبه . نذكر منهم السلطان سليمان القانونى عام (١٥٦١م) . فالسلطان محمود الثانى عام (١٨١٧م) وإسمه منقوش على قبة الأقصى من الداخل ، وعلى بلاطة تراها إلى يسارك وأنت داخل المسجد من بابه الكبير .. والسلطان عبد العزيز عام (١٨٧٤م) . فإليه يرجع الفضل فى عدد كبير من الشبابيك المصنوعة من الفسيفساء . وأما السلطان عبد الحميد الثانى عام (١٨٧٦م) . فإنه هو الذى بعث بالشطر الأكبر من السجاد العجمى ، ذلك السجاد الذى نراه فى مسجدى الصخرة والأقصى .

وبتعاقب الأعوام ..وتقادم الزمن ضعفت بعض أعمدة المسجد وحوائطه عام (١٩٢٢م) فأوفد المجلس الشرعى الإسلامى الأعلى ،وهو المسئول عن إدارة الشئون والمعاهد والآثار الإسلامية بالقدس ، وفوداً وجهوا الدعوة للأقطار العربية والإسلامية للتبرع لترميم المسجد فجمعوا مبلغا من المال يقدر بنحو (مائة ألف دينار) عام (١٩٢٧م) وقد تم تعمير جزء كبير من المسجد ، ولعل أخطر تعمير جرى يومئذ ،هو استبدال الأعمدة القديمة البالية التى تقوم عليها القبة بأعمدة جديدة (عددها ثمانية) . وأقيمت هذه على أساسات متينة من الخراسانة المسلحة . ولقد تم هذا العمل بإشراف المهندس التركى الشهير الأستاذ كمال الدين .. وما كاد هذا التعمير يتم حتى حدث زلزال (١٩٢٧م) فتضرر المسجد بسببه . ولكن القبة سلمت من الأذى بفضل التعمير الذى كان قد تم قبل برهة وجيزة .

وفى عام (١٩٣٧م) حدثت هزة أرضية وإن كانت خفيفة ، إلا أنها أظهرت ما كان كامنا من الخراب . فتولى المجلس الإسلامى الأعلى عمارة المسجد وترميمه من واردات الأوقاف العامة عام (١٩٤٣م) .

ومن أبرز الترميمات والإصلاحات التى أجريت وقتها أنهم هدموا الرواق الشرقى وكان قد تصدع تصدعاً خطيراً ، وأعادوا بناءه من جديد وبنوا سقفه من الأسمنت المسلح بالحديد وهدموا أيضاً الرواق الأوسط وأعادوا بناءه واستبدلوا الجملون الخشبى الذى كان يستره بآخر من الحديد الصلب وبنوا تحته سقفا خشبياً بشكل أفقى : أنفق على تذهيبه وزخرفته عشرة آلاف جنيه ، تبرعت بها الحكومة المصرية ، وأعادوا الرصاص القديم فوق السطح بعد أن أعادوا سبكه واستبدلوا الأعمدة الحجرية القديمة بأعمدة من الرخام أتوا بها من إيطاليا كما استبدلوا الأوتار الخشبية التى كانت تربط العقود بعضها ببعض بأخرى حديدية مصفحة بالخشب المدهون .

الحرم الشريف : الحرم الشريف هو الذى يضم كل الآثار الإسلامية .. مسجد الصخرة والأقصى وما بينهما من منشآت حتى الأسوار ومساحته الشرقية ٤٧٤ متراً ، ومن الناحية الغربية ٤٩٠ مترا ومن الناحية الشمالية ٣٢١ مترا ، ومن الناحية القبلية ٢٨٣ مترا .

وكان موضع الحرم الحالى فيما مضى يدعى (تل المريا) ذلك التل الذى ورد ذكره فى سفر التكوين وكان فيه بيدر (أرنان) اليبوسى : فاشتراه الملك داود ليقيم عليه الهيكل ، تملكه اليهود حقبة من الدهر ثم عاد إلى حظيرة المسلمين فأسموه (الحرم القدسى) لأنه مقدس فى نظر المسلمين كافة إنه هو المسجد الأقصى .. أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين .

وللحرم أبواب عشرة مفتوحة هى من الشمال إلى الغرب :

١ - باب الأسباط .

٢ - باب حطه .

٣ - باب شرف الأنبياء (ويسمونه الباب العتم أو باب الداودية أو باب الملك فيصل) .

٤ - باب الغوانمة (ويسمونه باب الخليل أو باب الوليد) .

٥ - باب الناظر (ويسمونه باب علاء الدين البصير أو باب الحبس أو باب ميكائيل) .

٦ - باب الحديد (ويسمونه باب أرغون) .

٧ - باب القطانين .

٨ - باب المتوضأ (ويسمونه باب المطهرة) .

٩ - باب السلسلة (ويسمونه باب داود) .

١٠ - المغاربة (ويسمونه باب النبى) .

وهناك أربعة أبواب مغلقة هى : من الغرب ١ - باب السكينة (ويسمونه باب السحرة) ومن الشرق : ٢ - باب الرحمة ٣ - باب التوبة ٤ - باب البراق (ويسمونه باب الجنائز) .

وللحرم الشريف أربعة مآذن شهيرة هى :

١ - مئذنة باب المغاربة - فى الزاوية الجنوبية ويسمونها المنارة الفخرية بناها القاضى شرف الدين عبد الرحمن بن الصاحب الوزير فخر الدين الخليلى (١٢٧٨م) .

٢ - مئذنة باب السلسلة غربى الحرم وفوق باب الكنيسة بالتمام بناها الأمير سيف الدين تنكز الناصرى عام (١٣٢٩م) .

٣ - مئذنة باب الغوانمة فى الزاوية الغربية الشمالية : بناها القاضى شرف الدين عبد الرحمن الذى بنى المئذنة الأولى وكان ذلك بأمر من الملك المنصور حسام الدين لاجين عام (١٢٩٧م) وجددها الأمير تنكز فى عهد الملك الناصر محمد قلاوون ، ولهذا يسمونها أيضاً منارة قلاوون .

٤ - "مئذنة باب الأسباط" بين باب الأسباط وباب حطة فى الناحية الشمالية الشرقية من الحرم أنشأها ناظر الحرمين الأمين سيف الدين قطلوبغا فى أيام الملك الأشرف شعبان بن حسن بن الملك الناصر محمد قلاوون عام (١٣٦٧م) .

أما أروقة الحرم فتقع فى نهاية الحرم من الغرب وترجع نشأتها إلى عهد السلطان محمد بن قلاوون عام (١٣٠٧م - ١٣٣٦م) وبعضها أنشئ فى عهد السلطان الأشرف شعبان عام (١٣٦٧م) ، وقد سد الأتراك هذه الأروقة فى عهدهم فإتخذوها مساكن لإيواء المهاجرين والمحتاجين من فقراء المسلمين إلا أن المجلس الإسلامى الذى تولى الإشراف على الحرم عام (١٩٢٢م) أزال جدرانها الخارجية وأرجعها إلى ما كانت عليه فى عهد المماليك .. أما مياه الحرم فيذكر أن بها سبعا وعشرين بئرا كلها عامرة ، خلا اثنتين منها وفيها من الماء ما يكفى لسكان المدينة القديمة كلهم وليس المصلين الذين يفدون إلى الحرم فى أوقات الصلوات الخمس فحسب ومنها ثمانى آبار فى صحن الصخرة وسبع قريبة من المسجد الأقصى وست إلى الغرب من ساحة الحرم وثلاث فى الشرق وواحدة فى الشمال .

وهناك سبل كثيرة ، نذكر منها :

- (سبيل شعلان) فى أسفل الدرج المؤدى إلى صحن الصخرة وعلى بعد بضعة أمتار من باب الناظر أنشأه الملك المعظم عيسى عام (١٢١٦م) وجدده الملك الأشرف برسباى عام (١٤٢٩م) وجدده أيضاً السلطان مراد الرابع عام (١٦٢٧م) .
- (سبيل قايتباى) تجاه باب المتوضأ وعلى بعد بضعة أمتار منه إلى الشرق وهو من أشهر السبل القائمة فى الحرم وأكبرها بناه الملك الأشرف اينال (١٤٥٥م) وجدده الملك الأشرف قايتباى عام ١٤٨٢م ثم جدده السلطان عبد الحميد عام (١٨٨٢م) .
- (سبيل قاسم باشا) ويقع على حافة البركة المعروفة ببركة الرارنج ويسمونها أيضاً الفاغنج على بعد بضعة أمتار من باب السلسلة إلى الشمال الشرقى أنشأه متولى القدس قاسم باشا فى أيام السلطان سليمان القانونى عام (١٥٢٧م) .
- (سبيل علاء الدين البصير) ويقع غربى الحرم تجاه باب الناظر لانعرف متى بنى وإنما عليه كتابة تقول " إن عمارته جددت من لدن نائب السلطان وناظر الحرمين المقر الحسامى قبجا وكان ذلك فى أيام الملك الأشرف برسباى عام (١٤٣٥م) .

- (حوض الكأس) يقصده المصلون من أجل الوضوء للصلاة ويقع بين مسجدى الصخرة والأقصى بناه الأمير تنكز الناصرى عام (١٣٢٧م) وهو حوض مدور مبنى من الرخام ، يجرى إليه الماء من قناة تبدأ عند برك المرجيع الثلاثة المعروفة ببرك سليمان وهى واقعة على بعد عشرة أميال من القدس إلى الجنوب .

هذا بالإضافة إلى عدد كبير من الصهاريج التى تتجمع فيها المياه من الأمطار والتى تزود الحرم بالماء .

الجوامع والمساجد والزوايا بالقدس

تضم القدس عدداً كبيراً من المساجد غير مسجدى الأقصى والصخرة ونذكر أبرزها :

(أ) الجوامع التى فى ساحة الحرم :

- "جامع قبة موسى" تجاه باب السلسلة من الشرق تقام فيه الصلوات الخمس .
- "جامع باب حطة" تجاه باب حطة من الجنوب تقام فيه الصلوات الخمس .
- "جامع كرسى سليمان" ملاصق للسور الشرقى تقام فيه الصلوات الخمس .
- "جامع المغاربة" عند باب المغاربة من الشرق تقام فيه الصلوات الخمس .
- "جامع باب الغوانمة" عند باب الغوانمة من الشرق فيه الآن دار الكتب والمتحف الإسلامى .
- "جامع دار الإمام" عند باب المجاهدين .

(ب) الجوامع التى فى خارج الحرم وداخل السور :

- "جامع باب خان الزيت" فى سوق خان الزيت .
- "جامع الخانقاه" ويقع إلى الشمال الغربى من كنيسة القيامة .
- "جامع قمبر" وهو ملاصق للسور الشمالى عند الباب الجديد .

- "الجامع العمرى" فى حارة النصارى قبلى كنيسة القيامة له مئذنة .
- "الجامع اليعقوبى" وهو فى إتجاه القلعة من الشرق بباب الخليل .
- " جامع الشيخ لولو" ويقع عند باب العمود على مقربة من السور .
- "الجامع الصغير" ويقع عند مفترق طريقى الواد وباب العمود .
- "جامع حارة اليهود الصغير" ويقع فى الطرف الشمالى لحارة اليهود .
- "جامع سويقه علون" ويقع فى سويقة علون .
- "جامع القلعة" يقع داخل باب الخليل له مئذنة .
- "جامع حارة النصارى" على طريق باب خان الزيت .
- "جامع البازار" فى سوق البازار .
- "جامع الزاوية النفشبندية" فى داخل الزاوية النفشبندية على درب الآلام .
- "جامع المولوية" فى داخل الزاوية المولوية بحارة السعدية .
- "جامع زاوية الهنود" فى داخل زاوية الهنود تجاه باب الساهرة .
- "جامع البراق" وهو ملاصق لحائط البراق فى حارة المغاربة .
- "جامع خان السلطان" فى خان السلطان بسوق باب السلسلة .

وتوجد جوامع أخرى لكن مهجورة .

(جـ) الجوامع الموجودة فى القدس الجديدة خارج السور :

- "جامع النبى داود" فى حى النبى داود له مئذنة .
- "جامع الشيخ جراح" ويقع فى حى الشيخ جراح على طريق نابلس له مئذنة .
- "الجامع المسعودى" فى حى سعد وسعيد على طريق نابلس له مئذنة .
- "جامع عكاشة" ويقع فى حى زخرون موشه اليهودى له مئذنة .
- "جامع حجازى" فى حى باب الساهرة له مئذنة .

وتوجد جوامع أخرى لكن مهجورة ولاتقام فيها الصلاة .

(د) من أشهر الزوايا :

يوجـد فى القدس عـدد من الزوايا أعـدت لإجتـمـاعات ولقـاءات الدراويش من مختلف الطرق وأعـدت كذلك لنزول الغرباء من المسلمين الذين يهـبطون للقدس بغرض الزيارة نذكر منها :

- "زاوية الهنود" واقعة تجاه بـاب الساهرة من أبواب المدينة على بعد بضع خطوات من سورها الشمـالى أسسها بابا فريد شكركنج مـن مسلمى الهند ، وكان ذلك فى أواسط القرن السـادس للميلاد ذكرها مـجير الدين فقـال إنها قديمة الـعهد .كانت باديً ذى بدء مخصصة لفقراء الطريقة الرفاعية ثم راح الهنود ينزلون بها وللزاوية أملاك موقـوفة بباب حطة ولقد تبرع لهـذه الزاوية بعض أغنياء الهنود فأضافوا إليها بعض العمارات الجديدة .

- "الزاوية الأدهـمية" بين باب العمود وباب الساهرة ، خارج السور وعلى بعد مئتى متر منه إلى الشمال ويعتقد البحـاثة الأثرى كليرمان غانو أنها مغارة أرميا النبى ويقيم فيها الآن جماعة من آل البديرى .

- الزاوية الرفاعية" ويسمونها زاوية أبى السعود ، واقعة فى داخل الحرم تحت مئذنة باب الغوانمة .

- "زاوية الشيخ جراح" فى حى الشيخ جراح على طريق نابلس واقفها الأمير حسام الدين الحسين بن شرف الدين عيسى الجراحى من أمراء الملك صلاح الدين عام (١٢٠١م) وفى ظاهرها من الناحية القـبلية قبور جماعـة من آل الجراح وآخرين من المجاهدين .

- "الزاوية اللؤلؤية" ببـاب العـمـود فى داخل السور وهى وقـف بدر الدين لـؤلـؤ غازى .

- "الزاوية القادرية" ويسمونها زاوية الأفغان لأن أكثر المنتمين إليها من بلاد الأفغان إنها فى حـارة الواد وعلى بعد بضـعة أمتـار من الزاوية النقشـبندية إلى الجنوب الغربى : هناك على بابها بلاطة نقشت عليها كلمات تدل على أنها زاوية مولانا وسيـدنا قطب العارفين وسلطان الأوليـاء الشيخ عبـد القادر "الجيـلانى" وكان ذلك عام ١٦٣٣م .

- "الزاوية المولوية" واقعة فى حارة السعدية يقيم فيها أشخاص ينتمون إلى الطريقة المولوية تلك الطريقة التى أنشأها مـولانا جلال الدين الرومى ، أصله من فارس

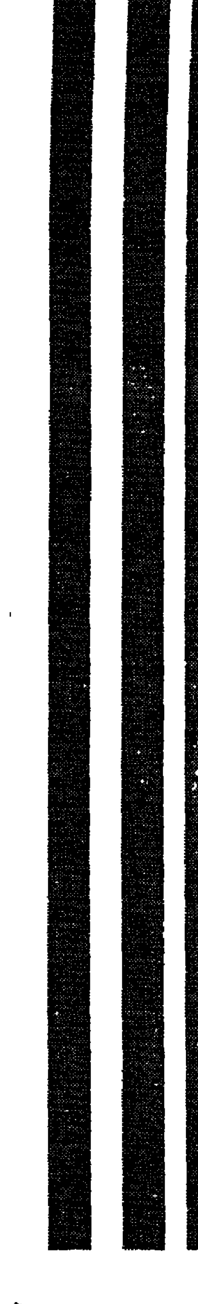
وقد إستقر به المقام بعد أن حج إلى بيت الله الحرام ، فى قونية من أعمال سلطنة بنى عثمـان ، وكان ذلك فى أوائل القرن الثالث عشـر وقد دخلت هذه الطريقة بيت المقدس فى أوائل الحكم العـثمانى عـام (١٥١٩م) وبعد ذلك بقليل أسس أتباعها فى القدس مكانا أسموه (الخانقاه المولوية) .

ويظهر أن الطابق الأرضى لهذه الخانقاة كان فى غـابر الأزمان ديراً وكان فيه كنيسة للاتين .. وأتخذت بعدئذ ، مـسجداً وقد تم ذلك فى العـهد الأيوبى وقيل أنه تم فى أوائل حكم المماليك ، أمـا الطابق العلوى والمئذنة التى بجانبه فـإنها من عمل الأتراك العثـمانيين عام (١٥٨٦م) .

- "الزاوية المجيدية" واقعة فى حى النبى داود وإلى الشمال من ضريحه شيدت على عهد السلطان عبد المجيد عام (١٨٤٩م) .

- "الزاوية النقشـبندية" ويسمونهـا الأزبكية واقعـة فى حارة الواد على درب الآلام وعلى مـقربة من باب الغـوانمة إلى الغرب ، بنـاها مؤسس الطريقـة النقشـبندية الشيخ مـحمـد بهاء الدين نقـشبند البـخارى (١٦١٦م) لإيواء الغـرباء وإطعام الفقراء من مسلمى بخارا وجاوا وتركستان .

***



حضارة المستوطنات وإرهاب التهويد

المستوطنات : تقويض الهوية العربية الإسلامية

توافرت على إعطاء مدينة « القدس» أهمية خاصة تختلف عن وضعية أى مدينة فى العالم .. هذه الأهمية تستند لخلفيات تاريخية ولأساب دينية ولعوامل جغرافية .. جعلتها محط الأنظار .. تتوفر لها صفة « التقديس» بشكل لا يتوافر لغيرها من المدن، فمثلا مكة المكرمة أو المدينة المنورة لها مكانة للمسلمين .. و « الفاتيكان » محل تقديس بالنسبه للنصارى.. أما القدس فهى مدينة الأديان السماوية الثلاثة - اليهودية والمسيحية والإسلام .. إنه لا يوجد فى العالم كله مكان تتوافر فيه هذه الكمية من المقدسات بالنسبه لديانات ثلاث، لذا فقد شهدت صراعاً دولياً يكاد أن يكون مستمراً بين القوى الدولية المختلفة التى سادت ثم بادت وظهرت غيرها .. هكذا حتى الآن وما نعرضه يستهدف أن نرى المدينة فى الوقت الحاضر ، فقبل الإنتداب البريطانى كانت مدينة «القدس » إحدى المدن التى يتكون منها إقليم فلسطين الذى كان جزءاً من الشام الكبير لوقت طويل تحت الحكم العثمانى وعندما هزمت الدولة العثمانية فى الحرب العالمية الأولى ١٩١٧م، كانت هناك مؤتمرات دولية لتقسيم أسلابها بين الدول المنتصرة فى هذه الحرب - دول الحلفاء وعلي رأسها المملكة المتحدة « بريطانيا » وفرنسا - بينما كانت الوعود تقدم للحسين بن على من جانب بريطانيالمساعدته على تكوين دولة عربية تضم بين ماتضم، الشام الكبير بما فيه فلسطين، ويشهد التاريخ على أن بريطانيا لم تف بوعدها وبدلاً من ذلك وضعت فلسطين تحت الانتداب البريطانى من الفئة الأولى بما يشهد بأن فلسطين كانت قريبة من الحصول على مركز الدولة المستقلة ،إذ كانت بالقياس إلى معظم الأقاليم التى وضعت

تحت الانتداب متقدمة فى شئون الإدارة والحكم بما يؤهلها لنيل الاستقلال أو الحكم الذاتى ، وهما الهدف الذى يجب أن يتحقق فى ظل نظام الانتداب .. علماً بأن الجانب الأكبر فى هذه المؤامرة كان الجانب المتصل بالتعهد البريطانى باقامة وطن قومى لليهود، ذلك التعهد الذى قطعته بريطانيا على نفسها لأبناء يهود مقابل قيامهم بمساعدتها فى حربها ضد الأعداء ، وكان وفاء بريطانيا هنا واضحاً فإن صك الانتداب الذى أبرمته مع عصبة الأمم تضمن الطريق إلى تحقيق وعد بلفور إذ نصت المادة الثانية منه على أنه : « تكون الدولة المنتدبة مسئولة عن جعل البلاد فى أحوال سياسية وإدارية وإقتصادية تكفل إنشاء الوطن القومى لليهود» ، ولم يهمل صك الانتداب النص على تسهيل هجرة اليهود إلي فلسطين وكذلك .. تسهيل حصولهم على « الرعوية » الفلسطينية عن طريق سن قانون للجنسية يسمح بذلك .

على أن الوفاء البريطانى لليهود كان أوضح فى العمل منه فى الصكوك أوالوثائق ، هذا العمل الذى اختصت مدينة القدس فيه بأكبر قدر من التدابير والأعمال التى تكفل تحويلها إلى مدينة يهودية قبل قيام الدولة اليهودية بوقت ليس بالقصير.. وقد اتخذت سلطات الاحتلال البريطانى عدة خطوات تمهيداً للوفاء بوعدها لليهود تركت هذه الخطوات حصاداً مازال موجوداً وكائنا حتى اليوم ، هذه الخطوات تتمثل فى :

- إعادة تخطيط المدينة.
- تدعيم المؤسسات اليهودية فى القدس.
- الهجرة إلى المدينة وبناء المستوطنات .

ونعرض لكل خطوة منها :

أولا : إعادة تخطيط المدينة :

قبل أن يتم « سلفادور اللنبى » سيطرته على الشام إستدعى « مالكين » مهندس الإسكندرية ليضع تخطيطاً للمدينة يحقق الهدف الصهيونى وقام الأخير بذلك خير قيام فى مخططه الذى وضعه عام ١٩١٨ م فقد قسم المدينة إلى أربعة أقسام : البلدة القديمة وأسوارها .. المناطق المحيطة بالبلدة القديمة، القدس الشرقية (العربية) القدس الغربية

«اليهودية» وسمحت هذه الخطة بالبناء فى القدس الغربية وجعلها منطقة صالحة للتطوير بينما منعت ذلك تماماً فى البلدةالقديمة وقيدته بشدة فى القدس الشرقية وبذلك سمحت هذه الخطة بتعزيز الوجود الصهيونى فى القدس، وإحكام تطويقها واستيطانها، لمنع أى توسع عربى محتمل ومحاولة السيطرة على الحكم البلدى للمدينه، ليتسنى السيطرة تماما على المدينة وتحويلها إلى عاصمة للدولة اليهودية .

ثانيا : تدعيم المؤسسات اليهودية فى القدس :

ساعدت حكومة الانتداب البريطانى على جذب الإستثمارات الأوروبية للمساعدة على إقامة وطن قومى لليهود.. وساعدت على إقامة مجموعة من الهيئات والمؤسسات اليهودية، لكى يحقق ذلك الهدف فى المدينة المقدسة مثل : اللجنه التنفيذية للمنطقة الصهيونية العالمية WZO والوكالة اليهوية والصندوق التأسيسى والصندوق القومى لليهود والمجلس الوطنى « لليشوف» الحاخامية الرئيسية والجامعة العبرية ومستشفى « هداسا» الجامعى .. ولوحظ فى إقامة هذه المؤسسات أن تقام على هضبة « سكويس» فى الجهة الشمالية الشرقية من المدينة القديمة وهو الاتجاه الوحيد الذى كان يسمح بالتوسع العربى فى المدينة.. مما شكل حصاراً كلياً للتوسع العربي فيها .

ومن المفارقات الغريبة أن ذلك قد حدث فى الوقت الذى وعدت بريطانيا العرب بتأسيس دولة مستقلة لهم وذلك عام «١٩١٥ - ١٩١٦م » فى إطار محادثات «الحسين/ مكماهون » ، ومن خلال رسائل أخرى أرسلت إلى الحسين بن على فى وقت لاحق عام ١٩١٨، وبعد أن كانت الحكومة البريطانية قد أصدرت وعد بلفور فقد أصدرت بياناً آخر ذكرت فيه أن دول الوفاق عاقدة العزم على منح الجنس العربى فرصة كاملة لتكوين أمة فى العالم مرة أخرى وفيما يتعلق بفلسطين، فإننا عقدنا العزم على ألا يكون أى قوم خاضع لقوم آخر .. كذلك أعلنت بريطانيا بعد احتلالها لمدينة القدس عام ١٩١٨ أن رغبة حكومة جلالة الملكة هى: أن يقوم حكم هذه المناطق مستقبلاً على أساس مبدأ موافقة المحكومين . وأعلنت في بيان مشترك مع فرنسا فى يونيو من نفس العام : أن الهدف الرئيسى الذى ترمى إليه فرنسا وبريطانيا العظمى من مواصلتها الحرب حتى النهاية فى المشرق ..«هو التحرير الكامل الواضح للشعوب العربية وإنشاء حكومات وإدارات وطنية تستمد سلطتها من مبادرة السكان الأصليين واختيارهم الحر ».

وإذا كانت هـذه البيانـات عن حق الشعـوب في تقرير مـصيرها فـكان الأجدر أن تطبق على فلسطين بما فيـها القدس .. ويذكر أن « لجنة كنج - كـرين » وهى أحد اللجان المصنفة فى تاريخ العلاقات الأمريكية العربيـة قدمت تقريراً واضحاً ذكرت فيه أن السكان غيراليهود فى فلسـطين .. وهم تسعة أعشار السكان تقريباً ، يرفضون الـبرنامج الصهيونى رفضا باتاً ، وأن سكان فلسطين لم يجمعـوا على شيء مثل إجماعهم على هذا الرفض، وإقتـرحت اللجنة تعيين الولايات المتـحدة منتدبة على سـوريا، بما فيهـا فلسطين.. ولكن الحلفاء ، أهدروا تقـرير اللجنة وإعترف وزير خارجـيتهم « بلفور» بأن هذا المبـدأ - تقرير المصير - لن يطـبق على فلسطين، وأن سياسة الحلفـاء تتناقض مع نصوص عهد العـصبة، وكان مما ذكره : إننا لا ننوى فى حالة فلسطين أن نقوم حتى بشكليات إستقصاء رغبات سكان البلاد الحاليين .. إن الدول الكبرىَ الأربع ملتزمة بالصهيونية سواء أكانت صائبة أم خاطئـة، حسنة أم سيئـة، تضرب بجذورها فى عادات قـديمة قدم الدهر، وهى أكبر أهـمية بكثير من رغبات السبعمائة ألف عربى الذين يقطنون الآن تلك الأراضى القديمة .

وقال « بلفور » : إنه ينبـغى استثناء فلسطين من مبدأ اسـتطلاع آراء السكان فيمن يحكمهـم ، « لأن الدول الكبرى قد التزمت بالبرنامج الصهيونى الذى استثنى حتماتقرير المصير العددى ، إن فلسطين تمثل حالة فريدة، فنحن لا نبـحث رغبات مجتمع موجود، بل نسعى عن وعى إلى إعـادة إنشاء مجـتمع جديد والعـمل على تكوين أغلبيـة عددية فى المسـتقـبل .. فـهنا نجد اعـتـرافاً بضـرورة إسـتـطلاع رغبـات المحكومين فى الطريقـة التى يحكمون بها، وإعتراف صريح بضرورة إستثناء فلسطين من هذه القاعدة، وبسبب واضح فى ذلك الوقت هو أن الدول الكـبرى ملتـزمـة بالصـهيـونيـة وبإقـامة وطن للـيهـود فى فلسطين.

وكانت حصيلة فترة الانتداب على فلسطين ، بما فيها القدس ، تمثلت فى السماح بهجـرة واسعة لليـهود، وفى تمكينهم من إتخـاذ التدابير الـلازمة لإقامـة الوطن القومى ، حسبما جاء فى وعد بلفور وقرار التقسيم ولكن الأزمات الناتجة عن هذه السياسة جعلت السلطات البريطانيـة تشعر بسوء ما فـعلت، فأصدرت كتابا أبيض عـام ١٩٣٩ م يعبر عن سياستها الجديدة فى فلسطين، والتى تتمثل فى الآتى :

١- وقف الهجرة اليهودية إلى إسرائيل، إذ أن فى السماح باستمرارها تخليداً للعداوة بين الشعبين اليهودى والعربى ، وجعل حالة فلسطين مصدرا للاحتكاك الدائم بين جميع شعوب الشرق الأدنى والأوسط.

٢- رفض مبدأ تقسيم فلسطين والسماح بإقامة دولة يهودية فيها، لأنها تعتبر ذلك مما يخالف الإلتزامات المترتبة عليها نحو العرب بموجب صك الانتداب، والتأكيدات التى التى أعطيت للشعوب العربية فيما مضى ، أن يجعل سكان فلسطين رعايا دولة يهودية خلافاً لإرادتهم .

٣- تشكيل حكومة فلسطينية مستقلة - خلال عشر سنوات يساهم فيها العرب واليهود على وجه يضمن المصالح الرئيسية لكل من الفريقين.

ويمثل هذا الكتاب الأبيض إعترافا بضرورة مراعاة الإدارة العربية فى تشكيل الحكومة التى يجب أن تقوم فى فلسطين، ولكن للأسف كانت الأوضاع قد تغيرت تحت الحكم البريطانى الذى استمر عقدين، فقد غيرت الهجرات اليهودية والأفعال التى قامت بها الوكالة اليهودية فى فلسطين - فى عقدين من الزمان - طبيعة الإقليم، والقدرة على إحتواء العناصر المتصارعة فيه، فضلاً عن أن إضطهاد اليهود في أوروبا فى تلك الفترة جعل السلطة البريطانية تتساهل فى قبول مزيد من اليهود فى فلسطين . وكانت تلك السياسة البريطانية ضربة لأهداف اليهود فى إسرائيل، مما جعلهم يتحولون إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، لنيل تأييدها لهم ويقومون بإنتفاضات واسعة ضد العرب وضد سلطة الإنتداب، حتى إنه عندما إنتهت الحرب العالمية الثانية كانت هذه السلطة غير قادرة علي الإمساك بزمام الأمور فى الإقليم، مما جعلها تعرض المشكلة على الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ م .

وعندما شكلت الأمم المتحدة لجنة لتقصى الأمور فى الأراضى المحتلة فى عام ١٩٤٧ م كان من الصعب أن تجمع على رأى حاسم فى أسلوب حل المشكلة، وظهر إتجاه قوى فى ضرورة تقسيم فلسطين إلى دولتين - عربية ويهودية يجمع بينهما اتحاد إقتصادى ، وتدويل مدينه القدس ، واتجاه آخر رأى التقسيم مخالفا للقانون ومن شأنه أن يجعل المشكلة تتفاقم .. ولكن الجمعية العامة وافقت علي رأى الأغلبية وأقرت التقسيم

مع تحديد حدود كل دولة .. وقد نص قرارالتقسيم على أن تضع الجمعية التأسيسية
من الدولتين مشروع دستور ديمقراطى يتضمن المبادئ التى أوردها القرار، وهى
تتصل بكفالة المساواة وعدم التمييز فى الحقوق المدنية والسياسية والإقتصادية والإج
والدينية للجميع، وضرورة التمتع بكافة حقوق الإنسان، إلا أن قرار التقس
صادربدوره حق تقرير المصير للفلسطينيين، مع أنهم كانوا يمثلون أغلبية السكا
صدوره، وكانت الأغلبية تعارض بشدة قرار التقسيم، وإن كان الإنصاف يقتضينا
إن قرار التقسيم إعترف بدولة فلسطينية علي جزء محدود من أرض فلسط
حقوقهم الكاملة كشعب، ولا يمكن القول بأن رفض العرب له قد أثر علي وجوده
إستمرار الوضع على النحو الذى سار عليه فيما بعد، إذ كثيراً ما يقال : إن الع
أضاعوا الفرصة التى أعطيت لهم، فما أخذوا وما أضاعوا فالسطوة الصهيونية، و
الصهيونية لابتلاع كل فلسطين كانت واضحة، ففى حرب ١٩٤٨ إبتلعت
الأراضى الفلسطينية بما فيها القسم الأكبر من مدينة القدس، ولم يبق من هذه ا
سوى الضفة الغربية لنهر الأردن التى وضعت الأردن يدها عليها وقطاع غـ
وضعت مصر يدها عليه بصفة مؤقتة حتى تقوم الدولة الفلسطينية .. وقد أنشأ
حكومة عموم فلسطين وجعلت مقرها قطاع غزة حتى لا تنتهى القضية الفل
ولكى يضم إليها ما يتحرر من الأراضى الفلسطينية بعد ذلك، علي خلاف الأر
ضمت الضفة إلى أراضيها، وإن تخلت عن هذا الضم بعد ذلك .. لقد أقر قرا
فلسطين وضعاً آخر لمدينة القدس بسبب أهميتها وقداستها يتمثل فى تدويلها وقيا
الوصاية التابع للأمم المتحدة بإدارتها لمدةعشر سنوات، يعاد النظر بعدها فى النظ
يجب أن تحكم به المدينة بعد ذلك، وقام مجلس الوصاية بوضع معالم النظام الذى
المدينة وان لم يطبق هذا النظام أبداً.

وعندما أعلن قيام إسرائيل فى مايو ١٩٤٨ م إستولت على الأراضى ا
لها فى قرار التقسيم، وأخذت أراض أخرى من تلك التى خصصها القرار لـ
قامت بالإستيلاء على الجزء الغربى من مدينة القدس، ومع ذلك تم التأكيد علي
القدس بموجب قرارين صدرا من الجمعية العامة .. الأول فى عام ١٩٤٨ م برقم

الصادر فى ١١ ديسمبر عام ١٩٤٨، وقد نص أن منطقة القدس يجب أن تتمتع بمعاملة خاصة منفصلة عن معاملة مناطق فلسطين الأخرى ويجب أن توضع تحت الرقابة الفعلية للأمم المتحدة.. أما القرار فكان عام ١٩٤٩ ويحمل رقم (٣٠٣) صادر فى ٩ ديسمبر وقد نص علي وجوب وضع القدس فى ظل نظام دولى دائم، يجسد ضمانات ملائمة لحماية الأماكن المقدسة داخل القدس وخارجها ، وأكد على ماجاء بقرار التقسيم والقراراللاحق له من وجوب قيام مجلس الوصاية بإدارة المدينة وحدد حدود مدينة القدس بأنها « بلدية القدس الحالية والمراكز والقرى المحيطة بها .

وبعد نكسة يونيو « حزيران» ١٩٦٧ احتلت إسرائيل الضفة الغربية بما فيها الجزء الشرقى من مدينة القدس والذى كان تحت السيطرة الأردنية وقامت على الفور باصدار قانون بضم المدينة لها وجعلها مع المدينة الجديدة السابق لها الإستيلاء عليها - مدينة موحدة - وعاصمة أبدية لها، ثم وضعت خطة كاملة لتهويدها وتغيير المعالم الرئيسية الإسلامية والعربية التى تميزها، وهذه الأعمال كانت موضع اعتراض واستنكار من المجتمع الدولى، إلا أن هذا لم يؤثر على ما تقوم به إسرائيل من تدابير و ممارسات لا يقرها القانون الدولى .

ثالثا : الهجرة إلى المدينة وبناء المستوطنات :

لا شك أن الهجرة والاستيطان الإستعمارى يشكل حجر الزاوية فى الفكر الصهيونى ، وهو الأساس الذى قامت عليه إسرائيل .. والأساس الذى تعتمده لإضفاء صفة الأمرالواقع الديمغرافى على توسعاتها العسكرية المتتابعة .. والإستيطان الإسرائيلى يختلف عن كل أشكال الإستيطان الإستعمارى التى عرفها العالم فى العصر الحديث ذلك لأنه يستند فى تبرير نفسه إلي فلسفة ذرائعية وحق دينى مزعوم، ويعتمد سياسة الأمر الواقع التى تساندها القوة العسكرية .

ويعتبر إستيطان القدس أحد أهم ركائز الدعوة الصهيونية، لأن الدعاة الصهاينة كانوا يرددون دائما أمام بسطاء اليهود فى العالم أحد المزاعم اليهودية التى تقول : إن أقدامنا كانت تقف عند أبوابك ياقدس .. ياقدس التى بقيت موحدة .

إن موضوع العودة إلى القدس وتأسيس دولة يهودية فى البلاد المقدسة تمتد من

الفرات إلى النيل ، حلم اليهود الذين رفضوا الاندماج فى المجتمعات التى أقاموا داخلها وقد جرى تنفيذ الاستيطان الإسرائيلى فى القدس على عدة مراحل :

المرحلة الأولى (١٨٩٧ - ١٩١٧م):

وهذه المرحلة بدأت من المؤتمر الصهيونى فى مدينة « بازل » السويسرية عام ١٨٩٧ م برئاسة تيودور هرتزل وكان محطة رئيسية لتسلل اليهود إلى فلسطين عامة والقدس خاصة وشراء المبانى والأراضى فيها ودعم هذه المرحلة وعد بلفور الذى صدر فى ٢/ ١١/ ١٩١٧ .

المرحلة الثانية (١٩١٨-١٩٤٨م):

وهى مرحلة الانتداب البريطانى على فلسطين وفى هذه السنوات بذلت بريطانيا جهودها لتنفيذ وعد بلفور وكانت نتائجها : تدفق الهجرة اليهودية وتدفق المساعدات الألمانية والأمريكية التى تدعمها.. وقد أدت تلك الهجرة إلي إرتفاع عدد السكان اليهود فى فلسطين من ٥٦ ألف سنه ١٩١٨ مقابل ٦٤٤ألف عربى «مسلم ومسيحى» إلى حوالى ٦٥٠ ألفا من اليهود مقابل ١,٤٠٠,٠٠٠ عربي « مسلم ومسيحى » فى آخر عهد الانتداب البريطانى سنة ١٩٤٨م ، كما أدت إلى إرتفاع عدد اليهود فى القدس من حوالى عشرة آلاف سنة ١٩١٨ م وكانوا يشكلون حوالى ٢٥٪ مقابل حوالى ثلاثين ألفا من العرب (المسلمين والمسيحيين) .. وكانوا يشكلون حوالى ٧٥ ٪ من سكانها، ثم إرتفع عددهم ما بين عام ١٩٢٠ و ١٩٢٥ فأصبحوا يشكلون ٣٣ ٪ من سكان القدس ويمثلون بمجلسها البلدى بأربعة أعضاء مقابل ستة أعضاء مسلمين وإثنين مسيحيين عرب وأصبح عددهم فى نهاية الانتداب يقارب مائة ألف ويمثلون فى المجلس البلدى بنصف أعضائه مقابل مثلهم من العرب المسلمين والمسيحيين .

كما أدت عمليات الإستيطان الإسرائيلى التى تمت نتيجة للتشريعات المخالفة لصك الانتداب ولحقوق الإنسان إلى رفع نسبه ملكية الأراضى الفلسطينية لليهود فيها من حوالى ٢٪ سنة ١٩١٨ إلى حوالى ٥,٦٦٪ فى آخر عهد الانتداب البريطانى سنة ١٩٤٨ مقابل ٩٤ ٪ للعرب سنة ١٩١٨ و ٩٢٪ لهم سنة ١٩٤٨ و ٢ ٪ للأجانب ورفع

نسبتها لليهود فى القدس من حوالى ٤٪ سنة ١٩١٨ إلى حوالى ١٤ ٪ فى آخر عهد الانتداب البريطانى (١٥ / ٥ / ١٩٤٨) و ٢٪ للأجانب .

المرحلة الثالثة (١٩٤٨ - ١٩٦٧) :

وقد تم خلال هذه الفترة إنشاء دولة «إسرائيل» وإغتصابها « بمساعدة الدول الغربية وخاصة الولايات المتحدة لمعظم أراضى فلسطين العربية وطرد أكثر من مليون عربى فلسطينى منها، ومصادرتها لجميع أملاكهم المنقولة وغير المنقولة ومنع عودتهم إليها خلافاً لقرارات الأمم المتحدة، وفتح أبواب الهجرة اليهودية على مصراعيها وقد أدت هذه الإعتداءات إلى رفع عدد السكان اليهود من ٦٥٠ ألفا سنه ١٩٤٨ إلى حوالى ٢,٤٠٠,٠٠٠ فى سنه ١٩٦٧ ، ووضع اليد الإسرائيلية بالقوة على ما يقرب من ٧٠ ٪ من مساحة أراضى فلسطين .

كما تم خلال هذه المرحلة تقسيم القدس إلى قسمين : قسم ضم إلي المملكة الأردنية الهاشمية وقسم إحتله الجيش الإسرائيلى سنه ١٩٤٨ ووضع أيديه على مساحة حوالى ٨٠ ٪ من مساحة المدينة وطرد ستين ألفا من أهلها العرب المسلمين والمسيحيين منها، ومصادرة أراضيهم وأملاكهم ومنع عودتهم إليها خلافا لقرارات الأمم المتحدة المتواصلة التى تنص على حقهم فى العودة وتقرير المصير وأدت هذه الاعتداءات إلى رفع عدد السكان اليهود فى المدينة من حوالى مائة ألف سنة ١٩٤٨ إلى حوالى ١٩٠ ألفا فى سنة ١٩٦٧ ، وإنخفاض عدد العرب بسبب عدم السماح بعودة اللاجئين منهم من حوالى مائة ألف فى أوائل سنة ١٩٤٨ إلى حوالى ٣٥ ألفا بعد حرب ١٩٤٨ ثم إرتفع إلى حوالى ٧٥ ألفا سنة ١٩٦٧ ، كما أدت إلى إرتفاع الملكية الإسرائيلية على الأراضى فيها من حوالى ١٤ ٪ فى أوائل سنه ١٩٤٨ إلى حوالى ٧٣٪ قبل حزيران / يونيو ١٩٦٧، مقابل حوالى ٨٤ ٪ كانت للعرب وحوالى ٢٪ للأجانب .

المرحلة الرابعة (١٩٦٧ - ١٩٨٥) :

وهى التى بدأت باحتلال باقى فلسطين وتشمل أجزاء الضفة الغربية وقطاع غزة والقسم الثانى من القدس فى أعقاب حرب حزيران/ يونيو ١٩٦٧، ومباشرة سلطاتهم

بتنفيذ مراحل التهويد النهائية فيها ضمن عدد من الإجراءات العسكرية والإرهابية والتشريعية والإدارية خلافا لاتفاقيات جنيف وحقوق الإنسان وقرارات الأمم المتحدة، ففي الثامن من حزيران « يونيو » ١٩٦٧ كان الحاخام شلومون غورون - حاخام الجيش الإسرائيلي آنذاك - يقف على رأس تلة من الجيش الإسرائيلي بالقرب من الحائط الغربي للحرم القدسي الشريف « حائط المبكى » ويقيم شعائر الصلاة اليهودية معلنا في ختامها أن حلم الأجيال اليهودية قد تحقق فالقدس لليهود ولن يتراجعوا عنها وهي عاصمتهم الأبدية .. وبالفعل فقد جاءت كل الإجراءات الإسرائيلية في مدينة القدس منذ ذلك الحين لتكون مصداقية لهذا الكلام وتحقيقا للحلم الصهيوني بجعل مدينة القدس الموحدة عاصمة للكيان الصهيوني، ففي ١١ حزيران ١٩٦٧ عقدت الحكومة الإسرائيلية إجتماعها لبحث ضم القدس إلى إسرائيل وتوالت اجتماعاتها إلى أن تقدمت للكنيست بتاريخ ٢٧ حزيران ١٩٦٧ بمشروع قرار لضم القدس إلى إسرائيل .. وقد وافق الكنيست في اليوم نفسه على قرارالضم وجرى إلحاق القدس العربية بإسرائيل سياسياً وإداريا بموجب الأمر رقم ٢٠٦٤ الذي صدر في الصفحة ٢٦٩٠ من نشرة الأنظمة.

وفي اليوم التالي أصدرت الحكومة الإسرائيلية ماسمي بأمر القانون والنظام رقم (١) لسنة ١٩٦٧ وأخضعت بموجبه منطقة تنظيم مدينة القدس للقوانين والنظم الإدارية الإسرائيلية .. وفي الثلاثين من تموز ١٩٨٠ وبعد ثلاثة عشر عاما من إجراءات الضم والتهويد أقر الكنيست الإسرائيلي ما سمي بالقانون الأساسي للقدس الموحدة الذي ينص على إعتبار مدينة القدس بشطريها عاصمة موحدة لإسرائيل ومقراً لرئاسة الدولة والحكومة والكنيست والمحكمة العليا و يدعو القانون إلى إتخاذ الإجراءات التي من شأنها تنفيذ نصوص هذا القانون .

وعملية الإستيطان في القدس تمت على مرحلتين :

- **الأولى :** الإستيطان في القدس القديمة وقد باشرتها السلطات الإسرائيلية فور الإنتهاء من عمليات المصادرة والهدم داخل البلدة القديمة بإقامة أول حي سكني يهودي فيها..ويضم هذا الحي سوقاً تجارياً وكنيسة للصلاة أقيمت كلها على أنقاض أربعة أحياء عربية هي حي الشرف، حتى الباشورة، حي المغاربة

وباب السلسلة .. وقد جاءت عمليات الاستيطان العاجلة داخل البلدة القديمة مصاحبة لإجراءات التهويد الأخرى وعلى رأسها توسيع ساحة حائط البراق على حساب العقارات الوقفية الإسلامية والشروع فى عمليات الحفر تحت الحائطين الغربى والجنوبى للمسجد الأقصى وترحيل العائلات العربية من المناطق المجاورة للحى اليهودى وإصدار مختلف التعليمات والقوانين لتجريد العرب من أملاكهم ووضع اليد على المزيد من الأراضى والعقارات فى البلدة القديمة وخارج الأسوار وفى نطاق حدود أمانة القدس لعام ١٩٦٧.

- **أما المرحلة الثانية :** فهى الاستيطان فى حدود أمانة القدس لعام ١٩٦٧ وقد بدأت إسرائيل خلال عام ١٩٦٨ بالشروع فى إقامة حزام من الأحياء السكنية يحيط بالقدس من الناحيتين الشمالية والجنوبية ، وقد تم حتى الآن إقامة عشرة من هذه الأحياء أحاطت القدس العربية بجدران من القلاع الأسمنتية الصماء التى شوهت طابع المدينة الحضارى ومعالمها الجمالية الأمر الذى حدا باليونسكو إلى تشكيل لجنة لدراسة هذه المسألة ومطالبة إسرائيل بالتوقف عن تشويه طابع المدينة الحضارى بهذه السلاسل من القلاع الأسمنتية المدججة .

وقد تبين أن هناك طوقا آخر يقع خلف هذا الطريق من القلاع وهو طوق المستوطنات التى أقيمت فى نطاق ما يسمى بخطة القدس الكبرى .

وتتلخص هذه الخطة فى توسيع حدود مدينة القدس بحيث تمتد لتشمل مايقارب ٣٠٪ من مجمل مساحة الضفة الغربية .. وكانت أول تفاصيل تنشر حول هذا الموضوع ما نشرته جريدة معاريف الإسرائيلية في ٢٦ آذار ١٩٦٩ وتحت عنوان « القدس الكبرى عاصمة إسرائيل» وجاء فيها أن لجنه هندسية إسرائيلية بدأت منذ حزيران ١٩٦٧ بوضع المخططات اللازمة لمشروع القدس الكبرى وإنتهت من وضعها خلال عام ١٩٦٨، وفى آذار ١٩٧١ أعلن الدكتور ميرون بنفنستى نائب رئيس بلدية القدس الإسرائيلي عن إنجاز مشروع مشابه عرف بإسمه وفيه يقترح توسيع حدود بلدية القدس لتشمل المناطق الممتدة من مدينة رام الله شمالا وحتى بيت لحم جنوبا .. وقد أطق على هذا المشروع إسم «مشروع الأب » وفى إطاره أقيمت أكثر من ١٩ مستوطنة تشكل بحد ذاتها الحزام الذى

يحيط بطوق الأحياء السكنية المجاورة للمدينة والتى أقيمت ضمن حدود أمانة القدس لعام ١٩٦٧ .. وفى فبراير عام ١٩٧٤ أعلنت الصحف الإسرائيلية عن تفاصيل مشروع آخر وضعه الدكتور « رافل بنكلر .. وقيل أنه يشبه إلى حد كبير مشروع « بنفنستى » ولكنه يتجاوزه إلى طرح وجهات نظر سياسية وتصورات عامه لمستقبل المدينة ويتضمن مشروع بنكلر النقاط التالية

١ - إبقاء مدينة القدس موحدة تحت السيادة الإسرائيلية .

٢ - توسيع حدود المدينة وتقسيمها إلى ثمانية أحياء لكل حى مجلس بلدي فرعى وتخضع كلها لهيمنة المجلس البلدى المركزى الذى يضم ٥٥ عضواً بينهم ٣٨ عضواً من اليهود .

٣ - إعطاء الأحياء العربية نوعا من الحكم الذاتى .

٤ - ضمان حرية العبادة والوصول إلى الأماكن المقدسة لجميع الديانات .

٥ - حدد المشروع نسبة السكان العرب بحيث لا تتجاوز ٢٥ ٪ إبتداءاً من عام ١٩٦٧ وحتى عام ٢٠١٠ .

٦ - يشتمل التوسع المقترح المناطق العربية الممتدة شمالاً حتى مدينتى رام الله والبيرة وشرقا حتى أبو ديس والعيزرية وغربا حتى اللطرون وجنوبا حتى بيت لحم .

وفى هذه الأثناء شكلت الحكومة الإسرائيلية لجنة لوضع مخطط لتوسيع القدس أطلق عليه إسم « لجنة جفنى » وقد أنهت هذه اللجنة توصياتها التى نشرتها جريدة هآرتس الإسرائيلية ١٤ / ١٠ / ١٩٧٥ ، ودعت إلى إقامة ٢٨٦٠٠ وحدة سكنية خلال السنوات الخمس ٧٥ - ١٩٧٩ ولكن اللجنة حصرت عمليات البناء فى إطار حدود أمانة القدس لعام ١٩٦٧ وذلك فى محاولة لإحكام طوق الإستيطان حول البلدة القديمة كخطوة أولى قبل التوسع الإستيطانى فى نطاق القدس الكبرى .. وفى ٣٠ أيلول ١٩٧٥ نشرت جريدة دافار الإسرائيلية خبرا نسبت فيه إلى مسئول إسرائيلى كبير قوله أن الموافقة قد تمت على خارطة القدس الموسعة وذلك على النحو التالى :

تمتد حدود بلدية القدس مابين الخان الأحمر شرقا واللطرون غربا وديردبوان وبتين شمالاً وضواحى مدينة الخليل « مستوطنة كريات أربع » جنوبا .

ويقضى هذا التوسع بضم ٩ مدن و ٦٠ قرية عربية مايقارب ٣٠ ٪ من مجموع المساحة الكلية للضفة الغربية .. وهذا المشروع هوبمثابة التوسع النهائى لحدود مدينة القدس الكبرى ، وهو بحد ذاته المشروع الذى تم تنفيذه على الطبيعة بإقامة ١٥ مستوطنة أخرى تشكل الحزام الثالث من الأحزمة الاستيطانية حول القدس ويضم هذا الحزام المستوطنات التالية :

أ - فى الشمال وهى المستوطنات التى أقيمت حول مدينتى رام الله والبيرة وتضم .. كوخاف هشاجر عفره، بيت ايل، كفاروش، نيفى تسوف، بيت ايل ب.

ب - فى الجنوب وهى المستوطنات التى أقيمت فى المنطقة الممتدة من شمال مدينة الخليل وحتى مناطق بيت لحم وبيت ساحور وتضم .. تكواع، كفار عصيون، تكواع ب، اليعازر أوب، افرات مجدل عوز، روش تسوريم الون شيفون، متبسى جوبرين.

إن الهدف من إقامة هذه الأحزمة الاستيطانية الثلاثة حول مدينة القدس ليس فقط عزل المدينة نهائيا عن الضفة الغربية بأسيجة من القلاع والمستوطنين ، ولكن هناك أهدافا أخرى يمكن إيجازها فى تجزئة الضفة الغربية وتقطيع أوصالها جغرافيا وديمغرافيا والقضاء على الوجود العربى الكثيف حولها(٢٥٠ ألف نسمة) والذى يشكل رافدا يغذى الوجود العربي فيها باستمرار . إحداث خلخلة سكانية فى وسط الضفة الغربية تمهيدا لتمزيقها إلى منطقتين معزولتين تماما ومحاصرتين بالاستيطان اليهودي وهما منطقة الخليل جنوبا ومنطقة نابلس شمالا .. ضم مساحات واسعة من أراضى الضفة الغربية تتراوح مابين ٤٠٠ - ٥٠٠ كم بالإضافة الى المساحات التى جرى إلحاقها بالقدس وفقا للمخططات الهيكلية وكان آخرها إضافة ٦٣ كم علي حساب الضفة الغربية .

مدينة القدس الكبرى العاصمة التى ترتكز فيها كل عوامل الجذب والإستقطاب للنشاطات الاستثمارية والسياحية والصناعية والزراعية لليهود من جميع أنحاء العالم ، فالمساحات الشاسعة من الأراضى التي تقع فى نطاق القدس الكبرى ستمكن المخططين اليهود من توفير كل المناخات اللازمة للاستثمار والتوطن اليهودى فى هذه المنطقة .

المرحلة الخامسة (١٩٨٥ - ١٩٩٥):

فى تلك المرحلة ركـزت إسرائيل على تغـيير الطابع العـربى للمدينة والعـمل على إخلال الميزان السكانى لصالح اليهود .. وقد شكلت السلطات الإسرائيلية لجانا للإشراف على الإستيطان فى الأحياء الإسلامية وهى الحى الإسلامى الجنوبى والشرقى و الأوسط .. وأطلقت على هذه اللجنة اسم « لجنة التنسيق لإعادة توطين اليهود» ويشترك فيها ممثلون عن وزارة الداخلية ووزاة الـعدل والشرطة الإسـرائيلية ومديردائـرة الأراضى وتعمل هذه اللجنة منذ عام ١٩٨٥ ، على إسكان مستوطنين يهود فى أحياء الواد والسعدية وباب حطة حيث تدعى وجـود أملاك يهودية سـابقة فى هذه الأحيـاء ، وهناك مخططات إسـرائيلية سرية وضعت حديثا وتهدف إلى طرد سكـان هذه الأحياء البالغ عددهم حوالى ١٨ ألف عربى والإستيلاء على مساكنهم ومحلاتهم التجارية وتوطين اليهود المهاجرين حديثا فيها وعلل المسئولون الإسرائيليون ذلك بضرورة تخـفيف الكثافة السكانية داخل البلدة القديمة « لمصلحة سكانها العرب» .

كـمـا تعـمل سلطات الإحتـلال بشـتى أسـاليب الضـغط علـى السكان من أجل إجبـارهم على بيع منازلهم فى البلدة القـديمة أو مصـادرتها فى حـالة رفضـهم كمـا فعل الوزير الاسـرائيـلى « أرئيل شـارون » الذى سكن يـوم ١٥ / ٢ / ١٩٨٧ فى منزل فى شارع الواد فى الحي الإسلامى بعد إجبار سكانه العـرب على إخلائه بإقتحام مبنى تملكه بطريركيـة الروم الأرثوذكس - فندق ماريوحـنا - والذى يقع فى مكان متـوسط من حارة النصارى العربية ومجاور لعدة أماكن إسلامية ومسيحية مقدسة .. وبعد « توحيد » المدينة أصبح السكان العرب يشكلون أقلية حـيث تراوحت نسبة العرب مابين ٢٦,٦ - ٢٩,٩ ٪ كـحد أعلى خـلال الفـترة ٧٢ - ١٩٨٨ ، وقـد أظهرت دراسة أصـدرهامعـهد القـدس لأبحاث إسـرائيل ونشرت فى ٢ / ٥/ ١٩٨٨ أن نسبه تـزايد العرب مقابل تزايد اليـهود فى مطلع التـسـعينات كـانت ٣,٦ ٪ وأصـبحت فى الثـمـانينات ٢,٥٪، كما أظهرت الدراسة فـروقا كبيـرة في مستـوى المعيشـة بين العرب واليهود فـالحى اليهودى الوحـيد المكتظ بالسكان هو حى « مائة شعـاريم » حيث يعيش ١٧ ألف نسمة على مـساحة كليو متر واحد بينما يعيش فى البلدة القديمة ٣٠ ألف نسمة فى الكيلو متر الواحد ، أما متوسط الإكتظاظ الـسكانى لليهـود فهو ١,١ شخص للغرفـة مقـابل ٢,٣ شخص للغـرفة لدى العرب ، ويبلغ دخل اليـهودى ثلاثة أضعـاف دخل الفرد العربى كـما أشار التـقرير إلى

إنتقـال قطاعات سكانيـة يهودية شابة فى النصف الأول من الثمانينات إلى المسـتوطنات المحيطة بالقدس العربية مما أثر على التـوازن السكانى فى المدينة .. ويشير النشاط العملي للإستيطان فى القدس إلى النـية فى تطبيق مشروع القدس الكبرى اليـهودية أو ما يعرف بخطة الجيش وهى الخطة الأمنية القائلة « بوجوب نقـل الحدود إلى ماوراء الجبال المحيطة بالمدينة مـا بين منطقة قـلندية شمـالا ومنطقة بيت لحـم جنوبا وبين معـالية أدوميـم شرقـا ومعـالية هحمشيا غـربا بحيث تكون المساحـة الكلية ٢٠٠ ألف دونـم ، وفى نهـاية الأمر جرى تقليص هذا الرقم ليصبح ١١٠ آلاف دونم » .

يمكن القول : إن التـقليص بقى نظريا ففى السلوك الـعملى تجاوز له حـيث يجرى العمل عـلى إستيطان سـفوح الجـبال المحيـطة بالقدس لجهـة المدن والقرى والتـجمـعات العربية .

ويجري بإستمرار توسيع هذه المستوطنات والأحياء والبناء فيها من قبل مستثمرين أفراد تكـمل نشاطاتهم نشـاط المؤسسـات الرسمـية والمنظمـات الإستيـطانية تحت شـعار «تسمين القدس» لـتسهيل دفع المزيد من المسـتوطنين إليها ، فحـسب إحصاءات صحـفية «يروشـلايم » الإسرائيليـة بلغ عـدد سكان القـدس فى تشرين الأول ١٩٩٠(٤٩٣) الفـا ٧١,٧ ٪ منهم يهود وحـسب وكالة رويتر فإنـه حتى عام ١٩٨٩ بلغ عدد المسـتوطنين فى القدس بعد عام ١٩٦٧ - ٢٩٠ ألف مستوطن، وقد أشارت صحيفة « القدس » المقدسية فى عددها الصادر يوم ١٢ / ٧ / ١٩٩٠ إلى أن القدس الشـرقية تضم ٢١٠ آلاف نسمة بينهم ١٢٠ الف يهودى من مجموعة ٥٠٠ ألف هـم سكان القدس .

ورغم أن مخططات استـيطان القدس كانت تجرى على قدم وسـاق، إلا أن الهجرة الكثيفـة لليهود السوفيـيت لإسرائيل عام١٩٩٠ شكلت قوة دفع هائلة لإسـتيطان القدس، بتوفيـرالمادة البشرية التى تشكل القـوام الأساسى للإستيطان ، ومنذ بدء هذه الهـجرة كان واضحا ان الأوسـاط الإسرائيلية تعمـل على تـوجيـههم لإسـتيطان القدس، وليسـتخدم مثل هذا التوجه فى إقامة مسـتوطنات جديدة أو توسيع القـائمة منهـا والـسيطرة سيطرة تامة على معـابر الطرق المؤدية إلى التجمعات العربيـة .. سواء داخل المدينة الموسـعة أو خارجها وهدفها عزل السكان العرب فى القدس عن السكان فى الضفة الغربية .

وقـد ألغت إسرائـيل الحدود الإدارية للقـدس الجـديدة - خـارج الأسوار - القـرى

العربية التى كانت تقع فى ضواحى المدينة، وأصبحت هذه القرى مجرد أحياء متفرقة من أحياء مدينة القدس الموسعة والعديد من القرى العربية إنشطرت وأصبحت أجزاء منها داخل الحدود الإسرائيلية وأخرى فى الضفة الغربية وفقدت معظم القري أراضيها الزراعية التى دخلت ضمن الحدود البلدية الأمر الذى أدى إلى مصادرتها فيما بعد وقد نتجت عن السياسة الاستيطانية آثار مدمرة علي حياة السكان فيها ويتمثل هذا الخطر فى التفوق السكاني لصالح اليهود فى المدينة ونتيجة لجملة السياسات الإسرائيلية تجاه سكان البلدة القديمة فقد ازدادت الكثافة السكانية فى بعض الأحياء العربية وبصورة خاصة فى الحي الإسلامى .. ومن الإحصائيات الحديثة يتضح أن الكثافة السكنية العربية فى المناطق التى يتواجد فيها العرب تظل أعلى منها فى المناطق اليهودية مما يوضح أيضا سياسة سلطات الإحتلال القائمة علي حصر العرب فى مناطق محدودة وتضييق الخناق عليهم فيما ينتشر اليهود فى مناطق واسعة وقد تم فى عام ١٩٩٥ الاستيلاء والمصادرة الإسرائيلية لعدد كبير من الأراضى والممتلكات العربية فى القدس تمهيداً لبناء مستعمرات جديدة ولخطط قادمة .. وحين نضع فى الإعتبار الخطط الإسكانية التى رافقت مشروع القدس الكبرى والتى تنص على جعل سكانها مع نهاية عام ٢٠٠٠ قرابة المليون نسمة ٧٥ ٪ منهم يهود فإننا نجد مايلى :

- عدد سكان القدس إحصائية عام ١٩٩٥، ٧٥ ٪ منهم يهود والـ ٢٥ ٪ الباقية عرب.
- ينص مشروع القدس الكبرى على جعل سكان القدس مليون نسمة عام ٢٠٠٠ شريطة ألا يتجاوز عدد السكان العرب فيها نسبة ٢٥٪ وذلك يعنى أن عدد العرب المسموح به فى نطاق القدس الكبرى سيظل محدداً بعدد معين لا يتجاوز ٢٥٠ ألف نسمة فقط.
- وهذا يعنى أن خطة القدس الكبرى تستهدف العمل على تهجير آلاف المواطنين العرب حتى بعد عام ٢٠٠٠ إذا وضعنا فى الاعتبار التكاثر المتوقع للعرب .
- إن خطة القدس الكبرى كما هو واضح لا تستهدف فقط التهويد النهائى للمدينة وتدمير طابعهاالحضارى وتحويل العرب فى إطارها إلى أقلية هزيلة ، ولكنه يستهدف الإستمرار إلى خلق حقائق بشرية وجغرافية جديدة حول مدينة القدس .

التهويد : طمس المعالم العربية والتاريخية والدينية

منذ احتلال الشطرالشرقي من مدينة القدس فى حزيران / يونيو ١٩٦٧ تبنت الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة.. العمالية منها و الليكودية سياسة منهجية ثابتة إزاء القدس.. تمثلت فى توطيد السيطرة اليهودية على المدينة ومحيطها.. وتعزيز وحدتها المادية.. وكان الهدف الواضح لهذه السياسة.. منع إعادة تقسيم القدس.. الأمر الذى شكل ركنا راسخاً فى « الإجماعى الحكومى والجماهيرى » اليهودى .. وقد تجسدت سياسة التهويد هذه فى جملة القرارات والإجراءات التى اتخذتها القيادة السياسية فى الخطط و المشاريع الاستيطانية المكثفة داخل القدس وحولها.. وفى الاستيلاء المنظم على الأراضى والعقارات العربية فيها ... وقد بلغ التهويد مبلغاً خطيراً، ليتعدى المدينة نفسها، ليشمل منطقة واسعة حولها تعرف باسم « القدس الكبرى» ومن أبرز وسائل عمليات التهويد :

أولا : الإرهاب وطرد السكان ونسف عقاراتهم :

إن الإرهاب هو أولى وسائل التهويد التى استعملتها السلطات العسكرية الإسرائيلية في إحتلال القدس.. والإرهاب هو نفس الأسلوب الذى اتبعته إسرائيل فى دير ياسين (٩ / ٤/ ١٩٤٨) وكفر قاسم (٢٩ / ١١/ ١٩٥٦) والمناطق التى احتلتها، فقد أمطرت القوات الإسرائيلية المدينة وسكانها المدنيين - فى اليوم الأول من القتال، وبعد انسحاب القوات الأردنية (فى اليومين التاليين) - بوابل من القصف المتواصل بالقنابل المحرقة جواً وأرضاً ، وزخّات من رصاص الرشاشات، بحيث أدّى ذلك إلى استشهاد

حـوالى ٣٠٠ من المدنيين، وكان من بيـنهم عائلات بكاملهـا داخل بيـوتهم وبعضـهم فى الطرقات والأزقة، أثناء هروبهم فزعاً من جحيم النيران المسلطة عليهم ..

وقد دمـرت القنابل وأحرقت مـئات العقـارات السكنية والتـجارية، خـارج السور وداخله، وألحقت اضـراراً فادحة بعدد من الكنـائس والجوامع والمستشـفيات، من جملتـها كنيـسة القديـسة حنـة (المعـروفـة بالصـلاحـية) وكـانـت تضـم حـوالى ثـلاثمـائة مـن اللاجئين الـوافـديـن إليـهـا مـن خـارج السـور، والكـنيـسة المقـابلة لـكـلية شـمـيدت خـارج باب العمـــود، والمسـجد الأقـــصـى ، ومئـذنة باب حُطّة، ومـسـتشـفى أوغـستـا فيكتوريا Augusta Victoria فى جبل الزيتون (وكان مكتظاً بالجرحى والمرضى) ..
وقـد استـولى الجيش الإسـرائيلى على معظم الأبـنية الكبـيرة فى المدينة، وفى مـقدمـتهـا المدارس والفنادق، وقام بنهب الكثـير من محتوياتهـا، ومحتويات الكثيـر من المتاجر ودور السكن والسيارات بعد اعلان توقف القتال ، ولجأت السلطات المحتلة إلى فرض نظام منع التجـول لساعات طويلة، وفى فـترات متلاحـقة، كانت تقـوم خلال ذلك بتجـميع سكان الأحياء لساعـات طويلة فى الليل، وتبقيهم تحت أشعة الشمس المحـرقة فى النهار وتسوق المئات من السكان إلى معتقلات مجهولة وتحجزهم، دون مراعاة للسن، وتخضعهم لأنواع شتى من التعذيب النفسانى والجسدى، ولم يعرف مصير الكثير منهم حتى اليوم .

وأدت هذه المجازر الإرهابية إلى نزوح مايزيد علي خمـسة آلاف مواطن.. أكثرهم كان قد لجأ إلى القدس .. وبعد احتلال اسرئيل للقدس عام ١٩٦٧ وبالتحديد فى ١١/ ٦ من ذات العام أى بعـد أربعة أيام فقط من الاحـتلال وفى أقل من أسـبوع أزيل عن طريق الهدم والنسف حى المغاربة وكان يضم ١٣٥ منزلاً يسكنها ٦٥٠ شخصاً .

- مسجدان فى حى المغاربة .
- مصنع للبلاستيك، قرب حى الأرمن، فى داخل السور، يعمل فيه ٢٠٠ عامل وعاملة
- ما يقارب مائتى منزل ومخزن فى المناطق الحرام .

وتبع ذلك هدم عدد آخر من العقارات ونسفها، من بينها مجموعة متفرقة من الدور بلغت ٢٤ داراً، نسفها الجـيش الإسرائيلى المحتل خلال الأشهر الأولى للاحـتلال، بحجة الانتقـام من أعمـال المقاومـة، كما قـامت سلطات إسرائيل المـدنية فى ١٤ / ٦ / ١٩٦٩

بنسف ١٤ داراً من الدور الدينية والأثرية العربية وهدمها وذلك بحجة توسيع كشف امتداد الحائط الغربى للحرم الشريف (حائط البراق الشريف) المعروف بحائط المبكى، وتضم هذه المجموعة من الدور مسجداً إسلامياً، والزاوية الفخرية التى كانت مقراً لمفتى الشافعية ، وكان من نتيجة عمليات الهدم والنسف، تشريد ما يقارب الف شخص آخر من سكان القدس القديمة.

ثانيا : فرض الأمر الواقع بضم القدس اداريا إلى اسرائيل :

بعد ١٨ يوماً من احتلال القدس عام ١٩٦٧ كانت السلطة الإسرائيلية قد وضعت حجر الأساس للسيطرة على المدينة، باصدارها قانوناً يسرى بموجبه « قانون الدولة وقضاؤها وإدارتها» على القدس.. وآخر يشرع لإلحاقها بمنطقة صلاحية مجلس بلدية القدس اليهودى .. ففى خلال ثلاثة أيام هم : ٢٧، ٢٨، ٢٩ يونيو ١٩٦٧ أصدرت السلطات الإسرائيلية أربعة قرارات، ففى ٢٧ / ٦ / ١٩٦٧ أصدر البرلمان الإسرائيلى قراراً على شكل فقرة من قانون الإدارة والنظام لعام ١٩٤٨ تخول لحكومة (إسرائيل) تطبيق ذلك القانون على أية مساحة من الأرض ترى حكومة إسرائيل ضمها إلى أرض إسرائيل .. وبتاريخ ٢٨ / ٦ / ١٩٦٧ أصدر سكرتير حكومة (إسرائيل) أمراً أطلق عليه (أمر القانون والنظام رقم واحد لسنه ١٩٦٧) أُعلن فيه أنّ مساحة أرض (إسرائيل) المشمولة فى الجدول الملحق بالأمر، هى خاضعة لقانون قضاء الدولة الإسرائيلية وإدارتها و تضم القدس .. وبتاريخ ٢٨ / ٦ / ١٩٦٧ أيضاً أصدر وزير داخلية سلطات الإحتلال العسكرى الإسرائيلى حاييم موشى شابيرا، أمراً آخر، أعلن فيه ضم تلك المناطق لحدود بلدية القدس .. ويقطن ضمن هذه المنطقة التى تم ضمها حوالى مائة ألف من السكان العرب.. وهكذا خضع المواطنون العرب للسيادة الإسرائيلية المباشرة رغم احتجاجهم، وبتاريخ ٢٩ / ٦ / ١٩٦٧ أصدر جيش الدفاع الإسرائيلى، أمراً يقضى بحل مجلس أمانة القدس العربى المنتخب من سكان القدس، أى بلدية القدس، وبإنهاء خدمة أمين القدس، أى رئيس بلديتها، من عمله وبإلحاق موظفى أمانة القدس وعمالها ببلدية القسم المحتل سابقاً من المدينة ، وقد نفذت السلطات العسكرية الإسرائيلية المحتلة هذه القرارات والأوامر بشدة، فاستولت على جميع ممتلكات الحكومة الأردنية ودوائرها ومحاكمها

وآثاثها وأجهزتها وسجلاتها، واستولت كذلك على جميع ممتلكات أمانة القدس العربية وأجهزتها وآثاثها وسجلاتها، وألحقتها بدوائرها ومحاكمها وبلديتها الإسرائيلية، ثم ألغت جميع القوانين والأنظمة الأردنية واستعاضت عنهابالقوانين والأنظمة الإسرائيلية، وفرضت بالقوة جهازاً عسكرياً إسرائيلياً وأخضعت جميع السكان العرب لحكمه وجبروته .. اعترض عرب القدس وعرب الضفة الغربية والحكومة الأردنية على هذه الإجراءات، وأوصلوا شكواهم إلى الأمم المتحدة فأصدرت الهيئة القرارين ٢٢٥٣ و ٣٣٥٤ بتاريخ ٤/٧/١٩٦٧ و ١٤ / ٧ / ١٩٦٧ واعتبرت بموجبهما جميع إجراءات (إسرائيل) باطلة وطالبتها بإلغائها والعدول فوراً عن اتخاذ أى اجراء عمل من شأنه تغيير الوضع بالقدس . ولكن (إسرائيل) لم تذعن وواصلت استكمال سلسلة مؤامرتها ضد القدس.. وفى ٣٠ تموز / يوليو ١٩٨٠أقر الكنيست قانوناً أساسياً يعتبر « القدس الكاملة والموحدة عاصمة إسرائيل » وكانت الحكومة الاسرئيلية اتخذت فيما اتخذت فى ١٨أب/ أغسطس ١٩٦٧ قراراً يفوض رئيس الحكومة بتسريع عمليات البناء والاسكان فى القدس الكبرى .

ثالثا : اجراء احصاء عددى لسكان القدس بعد الاحتلال :

بعد شهر واحد من الاحتلال أجرت السلطات الإسرائيلية إحصاءاً عاماً لسكان القدس.. سجلت بموجبه أسماء جميع الموجودين فيها من مواطنين وأجبرتهم على الحصول على بطاقات هوية إسرائيلية (وهذه الهويات لا تفرض على حاملين الجنسية الإسرائيلية) خلال ثلاثة أشهر.. واستناداً إلى هذا الاجراء اعتبر جميع مواطني القدس الغائبين بحكم النزوح من ويلات الإحتلال أو بحكم العمل فى مناطق أخرى قبل نكبة ١٩٤٨ وبعدها، والذين نزحوا مؤقتاً أثناء القتال، اعتبر هؤلاء جميعاً غائبين.. وحرموا من حق العودة لبلادهم.. ويقدر عدد هؤلاء مع عائلاتهم بما لا يقل عن مائة ألف عربى، وقد قضت عملية التهويد والاحتلال والإحصاء الإسرائيلى بإلغاء حقهم الدولى فى الانتساب للقدس، فيما منح هذا الحق لكل يهودى فى العالم .

رابعا : نهب أملاك المقيمين والغائبين ومصادرتها :

بعد عمليات حصر سكان القدس من العرب الغائبين والمقيمين وبعد إحكام القبضة على المدينة.. وضعت سلطات الاحتلال الاسرائيلى يدها على مساحات واسعة،

ماتبقى لعرب القدس من أراضٍ وعلى قسم كبير مما تبقى من عقارات، كما حجزت، ومازالت تحجز، مايصل إلى علمها من أموال منقولة وأسهم وشركات تخص أولئك الغائبين، وحولت ذلك كله إلى أملاك يهودية أو واقعة تحت تصرف إسرائيل لتهويدها تدريجياً، كما فعلت بأملاك العرب الذين طردوا أو كانوا غائبين فى المناطق الفلسطينية سنه ١٩٤٨.

ولم تكتف بما وضعت أيديها عليه من أراضى الغائبين سنه ١٩٤٨ وعقاراتهم أولاً، وما تلاها بعد حرب سنه ١٩٦٧ ثانياً، ويشكلان معاً حوالى ٨٤٪ من أملاك عرب القدس، حتى سارعت باغتصاب ما تبقى من أراضٍ وأملاك، قطعة بعد أخرى.. مستندة فى كل عملية منها إلى قانون من القوانين التى وضعتها هى أو التى وضعتها حكومة الانتداب قبلها، وكلها غير شرعية ومخالفة للقوانين والقرارات الدولية ولميثاق حقوق الإنسان ، وإستناداً إلى قانون وضعته حكومة الانتداب سنه ١٩٤٣ اسمه (قانون الأراضى - استملاك للمصلحة العامه - لسنه ١٩٤٣) بدأت سلطات الاحتلال منذ١٩٦٨ باغتصاب مساحات كبيرة من الأراضى وأعداد كبيرة من العقارات العربية بحجة لزومها للغايات وللخدمات العامة فى المدينة. والغايات العامة، كما يفسرها القانون الذى استندوا إليه ، هى ماكانت ستستعمل لخدمات السكان كالمستشفيات والمدارس والملاعب والحدائق العامة وخزانات المياه وغيرها، وهذه لا تكون مساحتها فى بلد مثل القدس أو ما حولها لتزيد على بضع مئات من الدونمات على أكثر تقدير، وليست بالآلاف، كالتى نهبوها واغتصبوها، ومازالوا ينهبون ويغتصبون، لغايات الاستيطان . وإستناداً إلى هذا القانون وتحقيقاً لتلك الغايات، قاموا خلال السنوات من ١٩٦٨ إلى ١٩٨٤، بعمليات النهب التالية .

- مصادرة العديد من الأراضى العربية خارج أسوار القدس بموجب قانون رقم١٤٢٥ بتاريخ ١١ / ١/ ١٩٦٨ يملك العرب منها ٩٣ ٪ ويملك ٧ ٪ ليهود ماقبل ١٩٤٨.
- مصادرة العديد من الأراضى والأملاك داخل أسوار القدس واستملاكها بموجب قانون رقم ١٤٤٣ بتاريخ ١٤ / ٤/ ١٩٦٨ وتشمل هذه المصادرة أربعة أحياء عربية تقع خلف حائط الحرم القدسى الشريف وهى: حى المغاربة، وحى باب السلسلة، وحى

الشرف، وحى الباشورة، وأربع مدارس، وزاويتين إسلاميتين، ويسكنها حوالى ستة آلاف عربى ويعمل فيها حوالى ٧٠٠ ضاحب عمل وموظف وعامل .

كذلك ضم حدود تنظيم مدينة القدس وإستملاكها وتخص هذه الأراضى أهالى قرية بيت حنينا الواقعة شمال القدس مابين مدينتى القدس ورام الله.. أيضاً تم مصادرة أراضى عرب القدس والقرى المجاورة لها وهى : مكنديا، بيت حنينا، النبى صموئيل، شعفاط، عرب السواحرة، صور باهر، وبيت صفافا طبقاً لقانون أصدرته السلطات الإسرائيلية برقم ١٦٥٦ بتاريخ ٣٠ / ٨ / ١٩٧٠ ونشر بالجريدة الرسمية .. وبعد هذه المصادرات لجأت سلطات الاحتلال الإسرائيلى إلى وضع أيديها على مساحات واسعة من أراضى عرب القدس الباقية وأراضى القرى العربية المحيطة بها دون الإعلان عنها بالجريدة الرسمية، ومنع أصحابها من الدخول إليها، وتحويلها إلى مواقع لمستوطنات إسرائيلية جديدة .

ونتيجة لهذه الاجراءات من عمليات اغتصاب الأراضى ومصادرتها تقلصت الملكية العربية للأرض فى القدس إلى حوالى ١٤٪، بينما كانت فى أوائل ١٩٤٨ ٨٤ ٪، وارتفعت الملكية اليهودية للأراضى فى القدس إلى حوالى ٨٤ ٪، بينما لم تزد سنه١٩١٨ عن ٤٪ وأوائل سنه ١٩٤٨ عن ١٤٪ .. وفى كل عملية نهب للأراضى العربية، يختار الإسرائيليون المواقع التى تخدم استراتيجيتهم بحيث جاءت مواقع الاراضى المصادرة، مطوقة لماتبقي من ممتلكات عرب القدس وقراها غرباً وشمالاً وشرقاً وجنوباً، وجعلهم محصورين ضمن رقعة صغيرة يطوقها السكان الإسرائيليون بثلاث أطواق : الأول يطوق منطقة الحرم الشريف، والثانى يطوق من تبقى من عرب القدس، والثالث يطوق القرى العربية المحيطة بالقدس، الأمر الذى يهدد الوجود العربى بالتقلص والتصفية.

خامسا : عزل القدس عن القرى والمدن العربية والسيطرة عليها إقتصاديا .

منذ اليوم الأول للاحتلال الإسرائيلى للقدس أقامت السلطات الإسرائيلية عدداً من مراكز الحدود العسكرية على المنافذ والمخارج والطرق التى تربط القدس بالمدن والقرى

العربية الملاصقة لها، واعتبرت القدس منطقة أجنبية بالنسبة لتلك المدن والقرى ، ويقتضى الدخول إليها والخروج منها الحصول علي تصريح عسكرى ، ولايمنح لطالبه إلا بصعوبة، وبعد مراجعات قد تمتد أياماً . ولما كان الكثير من أهل القدس يعمل فى المدينة ويسكن فى الضواحى ، ولما كـان الكثير من أهل الضـواحى يعمل فى المدينة، فإنـهم مرتبطون بحكم أعمالهم وسكناهم بأن يكونوا باستمرار ما بين المدينه والضواحى، تماماً كما هى الحال فى أية مـدينة مـتـوسطة أو كبيـرة فى العـالم. وبناء على ذلك فـإن اى اجـراء للفـصل بين الضواحى والمدينة سياسياً ، يكون بمثابة خلق مـآسٍ يومية للسكان، فضلاً عن كونه صراعاً قوميـاً مصيرياً . وقـد لحق بأهل القدس وسكان المناطق المحيطة بهـا من جراء هذا الاجراء التهويدى العناء والمشقة.

ولـم تكد سلطات الاحـتلال تعـزل القـدس، سيـاسيـاً وإدارياً ، عن المناطق والمدن والقـرى المجاورة لهـا حتى فـاجأت سكانهـا بسلسلة من إجـراءات أخرى، وتهـدف من ورائهـا إلى تصفـية الإقـتصـاد العربى واذابتـه تدريجـياً فى بوتقـة الاقتـصاد الإسـرائيلى .فأغلقت البنوك العـربية القائمـة وصادرت أموالهـا، كما أغلقت لفـترة البنكين العثـمانى والبريطانـى ، واستبـدلت العملة الأردنيـة بالعملة الإسـرائيلية، ومنعت إدخـال أى إنتاج زراعى أوصناعى أو أية سلعة من القرى والمدن العربية المحـيطة بالقدس، والضفة الغربية، إلى أسواق القدس فيما أدخلت جميع أنواع البضـائع والمنتجات الإسرائيلية إليها .. وقد أدى هذا المنع، إلى حرمان سكان القـدس العربية من استهلاك الإنتـاج العربى، حتى ولو كان من مزارعهم أوصناعتهم هم شخصـياً، واضطرارهم إلى شراء حاجياتهم الضرورية من السلع الإسرائيلية والانتاج الإسرائيلى ، وفتح باب التعامل الاجبارى بين بعض التجار العرب وبين بعض التجـار الإسرائيليين، وحرمان المنتج العربى المجـاور من أسواق كانت تسـتهلك قـسمـاً كبـيراً من إنتـاجه، وأدى هذا الحـرمان إلى تقليص بعض هذا الإنـتاج، وبالتالى إلى تخفيض الأيدى العاملة فيه وإضـافتها إما إلى طائفة العاطلين عن العمل، أو التحاق بعضهـا، أمام ضغط الحياة، للعمل لدى السلطات المحتلة أو إحـدى مؤسساتها أو أماكن العمل فـيها ، الأمر الذى دفع فـريقاً من المنتجين الزراعيين والصناعـيين فى الضفة الغربية لمراجعة السلطات المحتلة لتسهيل نقل إنتاجهم أو بعضه إلى أسواق الضفة الشرقية

من الأردن، كأنما جرى ذلك ضمن تخطيط إسرائيلى واسع، يقصد به التفريج الجزئى عن هذا الإنتاج مقابل تثبيت المنع عن القدس، ومقابل تأكيد فصلها عن الضفة الغربية، وإكراه المواطنين من جهة، والجانب الأردنى من جهة أخرى، على الرضوخ لهذه الإجراءات وقبول الأمر الواقع الذى فرضه الاحتلال الغاشم .

سادسا: تهويد التعليم العربى :

وضعت السلطات الإسرائيلية منذ احتلالها للقدس قضية التعليم نصب عينيها، فوضعت أيديها على جميع المدارس الحكومية وأعلنت اخضاع المدارس الحكومية لبرامج التعليم التى تطبقها على المدارس العربية فى المناطق المحتلة منذ عام ١٩٤٨.. كما أعلنت إلغاءها لبرامج التعليم الأردنى ولجميع الكتب المدرسية الخاصة بها ونتيجة للرفض الذي وجده هذا القرار اعتقلت سلطات الاحتلال المعارضين من رجال التعليم الأردنى والفلسطينى ، وأصدرت أوامرها لفتح المدارس فى الأوقات المحددة لها، والضغط على أجهزة التعليم وأولياء الأمور والطلاب بشتى الطرق للتعاون واستئناف الدراسة، لإيهام الرأى العام العالمى بأن الأمور تسير طبيعية وعلى مايرام .

وقد اغتنم عرب القدس فرصة إفتتاح باب التعليم فى المدارس الطائفية والاهلية فحولوا قسماً كبيراً من الطالبات والطلاب إليها بعد أن تفاهموا مع إدارتها لتوسيعها، وإفساح المجال لاستيعاب أكبر عدد ممكن فيها . وقد أدت هذه الإجراءات إلى تخفيض أعداد الطلاب العرب فى المدارس الحكومية وخاصة الثانوية منها، بشكل أقلق السلطات المحتلة، ودفعها إلى إصدار قانون آخر سمته (قانون الإشراف على المدارس لسنه١٩٦٩)، نشر فى مجلة القوانين الإسرائيلية العدد رقم ٥٦٤ الصادر بتاريخ ١٧ تموز/ يوليو ١٩٦٩ وتقرر العمل به اعتباراً من ١٧ كانون الثانى / يناير١٩٧٠ ، والقانون فى إجماله، حلقة جديدة من حلقات التهويد الإسرائيلى للقدس، ويستهدف الإشراف الكامل على جميع المدارس الطائفية والأهلية ويفرض على جميع المدارس والجهاز التعليمى فيها، الحصول على تراخيص إسرائيلية تجيز لهم ولها الاستمرار بممارسة المهنة، كما يفرض عليهم الإشراف الإسرائيلى الكامل بالنسبة لبرامج التعليم ومصادر التمويل .

وبرامج التعليم الإسرائيلى ، كما حللها رجال التربية العرب، تستبعد كل ما ينمى روح القومية العربية، وتستدرج الطلاب العرب، وبخاصة الجيل الجديد منهم، إلى الابتعاد عن ثقافتهم وقيمهم العربية، بهدف محو شخصيتهم وهويتهم الأصلية وعندها يسهل صهرهم كلياً فى بوتقة الشخصية اليهودية والدولة الإسرائيلية

سابعا : تهويد الإنسان العربى :

أصدرت السلطات الإسرائيلية فى ٢٣ / ٨ / ١٩٦٨ قانوناً يطبق على عرب القدس.. يعرف باسم « قانون التنظيمات القانونية والإدارية » وأعطت السلطات مهلة حتى٢٢ / ٢/ ١٩٦٩ لتنفيذ بنود هذا القانون الذى يفرض على عرب القدس عدة أمور:

أ – إنه على كل عربى .. سواء كان صاحب عمل أو مهنة، وكان يمارس عمله أو مهنته بموجب رخصة أو إجازة حسب القوانين الأردنية، أن يحصل على رخصة جديدة وبموجب القوانين الإسرائيلية خلال سته أشهر، وتضم هذه الفئات ما يقارب خمسة آلاف شخص، بين أصحاب العمل وأصحاب المهن الحرة والحرف .

ب – على كل شركة عربية، سواء كانت خاصة أم عامة أم محدودة، قائمة فى القدس، ومسجلة بموجب القوانين الأردنية، أن تعيد تسجيل نفسها لدى المحاكم الإسرائيلية وبموجب القوانين الإسرائيلية المرعية، وحسبما تقتضيه المصالح الإسرائيلية وأن تقوم بذلك خلال المدة المحددة، ثم مددت لثلاثة أشهر أخرى بحيث انتهت فى ٢٢/ ٥/ ١٩٦٩، وتشمل هذه العملية حوالى ١٨٠ شركة يبلغ رأس مالها المدفوع حوالى خمسة ملايين دينار ويبلغ عدد مساهميها حوالى أربعة آلاف، كما يبلغ عدد موظفيها وعمالها حوالى أربعة آلاف آخرين .

جـ – على كل جمعية تعاونية عربية، قائمة فى القدس ومسجلة بموجب القوانين الأردنية أن تعيد تسجيل نفسها لدى السلطات الإسرائيلية وبموجب القوانين والأنظمة الإسرائيلية، خلال المدة المحددة لذلك ويبلغ عدد الجمعيات التى يشملها هذا القانون ٢٣ جمعية، وتضم تحت لوائها ١,٥١٨ عضواً

د– على كل طبيب أو مهندس أو مدقق حسابات عربى مازال يمارس مهنته فى القدس

بموجب القوانين الأردنية، أن يتقدم بطلب إلى السلطات الإسرائيلية ليحصل على إجازة تتيح له الاستمرار بمهنته وبموجب القوانين والأنظمة الاسرائيلية، وذلك خلال المدة المحددة لذلك . ويبلغ عدد هذه الفئات من عرب القدس حوالى الثمانين.

هـ - على كل محام يزاول المحاماة فى القدس بموجب القوانين والأنظمة الأردنية ويقيم فى المدينة أن يسجل اسمه فى نقابة المحامين الإسرائيلية بموجب أمر وزير العدل الإسرائيلى، وينشره فى الجريدة الرسمية، دون طلب من المحامى نفسه، وذلك خلال المدة المحددة وكان عدد المحامين العرب فى القدس آنذاك حوالى الثلاثين محامياً

و - على كل صاحب امتياز أو علامة تجارية أو اختراع كان مسجلاً لدى الحكومة الاردنية ومازال يستغل امتيازه أو اختراعه أو علامته التجارية فى القدس، أن يعيد تسجيل امتيازه أو علامته التجارية أو اختراعه لدى السلطات الإسرائيلية وبموجب القوانين والأنظمة والتعليمات الإسرائيلية .

ز - إن أى فئة من الفئات المشمولة من أ - و آنفاً، لم تحصل على ترخيص جديد بموجب القوانين والأنظمة الإسرائيلية، تعتبر مخالفة للقوانين والأنظمة الإسرائيلية، ويعرض أصحابها للعقوبات والغرامات التى تنص عليها القوانين والأنظمة الإسرائيلية . وفى حالة الاستمرار فى المخالفات يمنعون من ممارسة أعمالهم، وبالتالى يتعرضون لتجميد أنفسهم والحيلولة دون كسب رزقهم من المواد التى يعيشون منها، الأمر الذى سيضطرهم فيما بعد إما إلى القبول بالتسجيل أو النزوح والتشرد .

وضم هذا القانون مواداً بشأن الأملاك اليهودية القائمة فى القسم العربى من المدينة، تسمح بعودتها لأصحابها أو لورثتهم من اليهود الذى كانوا يقيمون فى القسم العربي بينما لاتسمح هذه المواد أو غيرها للعرب المقيمين فى القسم العربي ، من استعادة أملاكهم فى القسم الذى كانت قد احتلته (إسرائيل) قبل ٥ / ٦ / ١٩٦٧ .. وقد أدى رفض عرب القدس هذا القانون وامتناعهم عن التقدم بطلبات للحصول على أيه رخصة أو إعادة تسجيل أيه شركة، إلى اضطرار سلطات (إسرائيل) لإصدار ملاحق للقانون تمنح أصحاب الاختصاص من وزاراتهم التفويض الكامل بتجديد رخص جميع أصحاب المهن

والحرف العرب الموجودين فى المدينة تجديداً تلقائياً (بموجب أمر نشرته الوزارة الإسرائيلية فى صحيفة جيروسالم بوست بتاريخ ٢٩ / ٤/ ١٩٦٩)، وكذلك اعتبار جميع الشركات والجمعيات التعاونية وأصحاب العلامات التجارية مسجلين بموجب الأنظمة والقوانين الإسرائيلية. وكان وزير العدل الإسرائيلى جدد رخص المحامين العرب فى القدس بموجب أمر أصدره وتم نشره فى صحيفة جيروسالم بوست Jerusalem Post بتاريخ ١٩ / ٢/ ١٩٦٩ .

ثامنا : تهويد النظام القضائى الشرعى الاسلامى :

إثر الاحتلال الإسرائيلى للقدس فى عام ١٩٦٧ أغلقت اسرائيل جميع المحاكم النظامية فى المدينة، واتخذت إجراءات عديدة تهدف لتهويد النظام القضائى ، ففصلت القضاء النظامى القائم بالقدس عن شئون الضفة الغربية، والحقته كلياً بالقضاء الاسرائيلى.. كما نقلت مقر محكمة الاستئناف العليا من القدس إلى مدينة رام الله، وأدمجت محاكم البداية والصلح فى القدس بالمحاكم الإسرائيلية - المماثلة القائمة، بالجزء المحتل سابقاً من المدينة، ونقلت إليها جميع السجلات وطلبت من القضاة والموظفين العرب تقديم طلبات للالتحاق بوزارة العدل الإسرائيلية ..ومعنى هذه الاجراءات هو تأكيد تهويد القدس بتهويد نظامها القضائى العربي وقد رفض رجال القضاء العربى التعاون مع إسرائيل.. ورفضوا الظهور أمام محاكمها المدنية والعسكرية.. وأعلنوا رفضهم الإعتراف بضم القدس إلى اسرائيل وفصل قضائها عن قضاء الضفة الغربية.. وأكدوا هذا الرفض فى عدد من المذكرات والوثائق رفعت إلى الحكومات العربية والهيئات الدولية والسلطات المحتلة نفسها .

أما المحاكم الشرعية الاسلامية، فقد تغاضت إسرائيل فى بادئ الأمر عن إغلاقها وحاولت استمالة قضاتها وموظفيها.. تارة بالاغراء وتارة أخرى بالتهديد.. ولكنها لم تنجح فى ذلك .. لقد استمر قضاة الشرع الإسلامى فى القدس فى رفض التعاون مع السلطات المحتلة وتضامن معهم جميع قضاة الشرع، وأجهزة المحاكم الشرعية، ودوائر الأوقاف فى الضفة الغربية، ومازالوا جميعاً يتمسكون بهذا الرفض حتى الآن .

وكان من نتيجة هذا الموقف أن أوعـزت سلطات الاحتلال إلى أجهـزتها بعدم تنفـيذ أى حكم أو قرار للمحاكم الإسلامية، كما تجاهلت كلياً أيه شكاية ترفعها إليها دوائر الاوقاف أو رئيس الهيئة الإسلامية التى تألفت بعد الاحتلال فى القدس لترعى شؤون المسلمين فى الضفـة لغربيـة بما فيـهاالقـدس .. وقد شـمل هذا التجـاهل لقرارات المحـاكم الإسلامـية وأعمالها عدم الاعتراف بشهادات الزواج والطلاق والإرث والوصاية والوقف وغيرها مما له علاقة بالأحوال الشـخصية اليومـية للسكان، ومن ذلك أية ولادة جديدة تنشأ عن زواج جـديد، الأمر الذى خلق التـعـقيـدات المتـاليـة للقضـاة الشرعـيين وللأوقـاف وللسكان المسلمين . وعلى الرغم من كل هذه المتاعب، فقد تحمل الجميع الوضع بصبر وهدوء أقلق السلطات المحـتلة واضطرها إلى اتخـاذ إجراء مـعاكس تأمل من ورائه الي خلق جـو من البلبلة والانقسام بين المسلمـين، وذلك بتعيين قاضى شرعى ليافـا على أن يكون مسؤولاً أيضـاً عن القضـاء الإسلامى فى القـدس، والطلب من السكان مـراجعـته واعـتمـاده فى القدس فى كل مـا يتعلق بشـؤونهم الدينية . وقـد رفض مسلمو الـقدس الاعـتـراف بهذا التعيين ورفضوا التعامل مع القاضى الجديد، معتبرينه غير مؤهل للقضاء الاسلامى ، طالما كان يمارس عمله عن طريق الولاء لحكومـة (إسرائيل) فضلاً عن أنه بقبوله ذلـك، يعتبر معترفاً بضم القدس، وهذا ما يأبون الاعتراف به .

تاسعا : استحداث مدن و ضواحى إسرائيلية جديدة للقدس :

بعد دراسـة استمـرت أعوام أقرت لجان التنـظيم الإسرائيلى مشـروع تنظيم جديد للقدس وضـواحيها يـهدف إلى تغيير طابع المدينة العربى و التـاريخى والدينى.. ويحول المدينة الى مدينة يهودية خالصة ، ومن طموحات المشروع، إنشاء مركز تجارى رئيسى فى وسط المدينة، فى مـساحـة تبلغ ٢,٧٠٠ دونم وفى حـدود تقع ما بـين مقـبرة مـأمن الله (مامـلاّ) الإسلامية غـرباً وبين منطقة المستشـفى البلدى فى طريق يافا شمـالاً، وبين محطة سكة الحديد جنوباً وسور القدس وحى وادى الجوز شرقاً.

والمناطق التى يشملها المشروع، تضم الأحياء العربية التالية :

أ - حى باب الساهرة، ويضم شوارع صلاح الدين وبور سعيد والرشيد وقسماً من شارع الملك حسين، وكلها سكنية وتجارية وسياحية ومدرسية ومكتظة بالسكان .

ب - حى باب العمود - خارج السور - ويضم طريق نابلس وقسماً من شارع الملك حسين، وهى معاً تشكل قسماً آخر من المناطق التجارية والسكنية والمدرسية والدينية، وكلها مكتظة بالسكان

جـ - حى الشيخ جراح، ويضم مناطق سكنية ومدرسية وسياحية وتجارية وكلها مكتظة بالسكان

د - أجزاء من أحياء المصرارة وسعد وسعيد، وهى مناطق سكنية وتجارية وسياحية ومكتظة بالسكان ، وتقع هذه الأحياء ضمن المناطق العربية التى تم احتلالها من قبل (إسرائيل) فى حزيران / يونيو ١٩٦٧، ويسكنها ويعمل فيها أكثر من ثلاثين ألف عربى الآن .

ويضم المشروع أيضاً، أحياء عربية أخرى سبق لإسرائيل أن إحتلتها منذ سنه ١٩٤٨، ومازالت قائمة وهى :

أ - أجزاء أخرى من أحياء المصرارة وسعد وسعيد، وهى مناطق سكنية ومدرسية .

ب - باب الخليل وطريق يافا، وهما منطقتان تجاريتان وسكنيتان ودينيتان .

جـ - ساحة الساعة والمنشية، وهما منطقتان تجاريتان وسكنيتان .

د - مأمن الله (ماملاّ) وتضم مناطق تجارية وسكنيه وسياحية ودينية .

هـ - الشمّاعة وتضم مناطق تجارية وسكنية .

و- حى جمعية الشبان المسيحية، ويضم مناطق سكنية وسياحية وتجارية ومدرسية.

ز - المستشفى الطليانى وطريق الأحباش، وتضم مناطق سكنيه وتجارية وصحية .

حـ - المسكوبية، وتضم مراكز خدمات عامة ودينية وسكنية .

والجدير بالذكر أن هذه المناطق تشكل قلب القدس العمرانى الحديث وهى أملاك عربية يملكها مسلمون ومسيحيون عرب وأجانب.. إن الهدف من مشروع إعادة تنظيم ضواحى القدس ومدنها ، هو التوقف عن النمو العمرانى فى المدينة كمرحلة أولى .. كذلك تغيير المعالم سواء بالهدم الكلى الفورى أو التدريجى .. وممارسة الضغوط المتواصلة على السكان والملاك وأصحاب المهن العرب، بهدف إجلائهم عنها.. وفى المخطط اعادة التنظيم العمرانى داخل الأسوار كمرحلة ثالثة كما فعل فى الأحياء العربية

من قبل .. أما المرحلة الرابعة فتشيد فيها انشاءات إسرائيلية جديدة ويتبعهاإسكان يهودى واسع .. وليس هذا فحسب بل إمعاناً فى التهويد تم تغيير الأسماء العربية لهذه الأحياء واستبدالها بأسماء أخرى يهودية كمرحلة خامسة .

ويعد الاعتداء بهدم الممتلكات العربية وسيلة لطمس معالم القدس القديمة نذكر من أمثلة ذلك إعتداء السلطات الإسرائيلية على واحدة من أكبر المقابر الإسلامية فى القدس الشريف وهى مقبرة مأمن الله والتى تقع غرب المدينة القديمة وتبعد حوالى أقل من كيلو متر واحد عن باب الخليل من سورها ، وتبلغ مساحتها حوالى ١٦٨ دونماً . وتضم جثث مئات الآلاف من المسلمين ومن بينهم قادة التحرير والفتح الإسلامى وكبار أهل الحكم ورجال العلم والقضاء الذين روت دماؤهم الزكية أرض الإسراء فى سبيل تحريرها أو الدفاع عنها أو نشر الإسلام فى ربوعها الطاهرة أو رفع منارات العلم فى أرجائها المقدسة . وقد أورد الدكتور كامل العسلي في كتابه " أجدادنا في ثرى المقدس " أسماء ١٤٩ من كبار الأجداد الذين تضمهم هذه المقبرة، مع موجز عن تاريخ كل منهم .، وتمكنت قوات الاحتلال - على أنقاض المقابر الإسلامية - من انشاء فندق يُعرف باسم «بلازا » وحديقة وموقف للسيارات وسوق تجارى .

ونذكر أيضاً أنه فى عام ١٩٨٥ أخذت السلطات الإسرائيلية فى تنفيذ مشروع المركز التجارى لوسط المدينة . . ونشرت عنه جريدة « القدس » المقدسية بتاريخ ١٤/ ٥/ ١٩٨٦ فقالت : « أنهت بلدية القدس المحتلة مؤخراً وضع اللمسات الأخيرة على مايسمي بمشروع الربط بين شطري القدس الغربية والشرقية من خلال إجراء تنظيم بمنطقة حي المصرارة فى القدس . ويشمل هذا التنظيم إقامة موقف جديد للباصات بدلاً من الموقف القديم " باب العامود " وإنشاء مشروع تجاري . ويشمل هذا التنظيم أيضاً شارعاً رئيسياً جديداً بعرض ٣٠ - ٤٠ متراً يبدأ بالقرب من فندق نوتردام ويمر عبر حي المصرارة حتي الشيخ جراح وذلك كمقدمة لإنشاء الشارع الرئيسى الجديد الذى سيربط بين مدينتى القدس ورام الله وبيت لحم بدلاً من الشارع الحالي، ويتوقع المراقبون أن تغيير الشارع الحالي الرابط بين شمال الضفة وجنوبها والمار بمدينة القدس سوف يؤثر بشكل خاص على شارعى صلاح الدين ونابلس، وهذا يعني القضاء إقتصادياً وتجارياً علي المحلات التجارية الواقعة فى هذين الشارعين .

وتجدر الإشارة إلى أن بعض المصادر الصحفية الإسرائيلية كانت قد ذكرت أن الجهة التى تمول المشروع هى منظمة يمينية أمريكية متطرفة في الولايات المتحدة تدعي "الأغلبية الخلوقة " التى يرأسها المدعو جيرى فويل JERRY FULLWE المعروف بتأييده غير المشروط لإسرائيل، وعلم أن سبب دعم هذه الجهة للمشروع هو رغبتها فى نقل موقف الباصات القديم حتى تستولى علي هذا الموقع لتحويله إلى حديقة تكون امتداداً لبستان قبر السيد المسيح المجاور، والجدير بالذكر أيضاً أن الأراضي التي سيقام عليها المشروع الجديد ومن ضمنه الشارع الجديد والذي أطلق عليه رقم ١ هي ملك لمواطنين عرب، وعلم أن من بين العائلات صاحبة الملكية أو التى كان لها محلات تجارية قبل هدمها عام ١٩٦٧ : عائلات الدزدار والعارف والحبشة والنشاشيبي وقليبو والخليلي . والأراضى المشار اليها كانت تعد كمنطقة حرام، قبل العام ١٩٦٧ وتمت مصادرة جزء منها أيضاً . ومن المعروف أن القانون الدولى يعطي الحق لاصحاب الأراضى الشرعيين فى التصرف أو فى أولوية الاستفادة من الأراضى التى كانت تعتبر منطقة حراماً والتي اصبحت بعد العام ١٩٦٧ تحت سيطرة حارس أملاك الغائبين الإسرائيلى .

هذا، و كان التنظيم الهيكلى لهذا المشروع قد أعلن فى آذار الماضي ومنح الأشخاص الذين لهم علاقة بالأمر فترة شهرين لتقديم أى اعتراضات فى آخر الشهر الجارى . وبعد انتهاء فترة الشهرين قررت اللجنة اللوائية للتنظيم فى بلدية القدس الموافقة على المشروع بصورته الحالية ، وفى حال تنفيذ هذا المشروع فإن مواقف سيارات الأجرة بالضفة وغزة ومواقف الشاحنات الكبيرة ستتعرض للإزالة.

وفى نهاية المطاف أجمع المراقبون على أن هذه الخطوة تأتى فى سياق السياسة الإسرائيلية الرامية إلى توحيد مدينة القدس .

عاشرا : قانون أملاك الغائبين الإسرائيلى التعويض عن أملاك العرب المقيمين فى القدس

فى حزيران / يونيو ١٩٧٣ أقر البرلمان الإسرائيلى مشروع قانون يعرف باسم «قانون أملاك الغائبين الإسرائيلى - تعويض - ١٩٧٣) .. ويدعو هذا القانون عرب القدس الغائب منهم والحاضر فى المدينة بالتنازل عن املاكهم مقابل تعويضات مالية ..

وحدد القـانون الاجراءات التى بموجـبهـا يتم النظر فى الطلبـات المقدمة، ورغـم ضآلة القيمة المادية لهذه التعويضات ومدة تسـديدها التى تمتد من عام إلى خمس عشر عاماً، فإن لهـذا القانون أهـدافه الخطيـرة التى ترمى إلى حـرمـان الغائبين مـن عرب القـدس الذين طردتهم سلطات الاحـتلال بين عـام ١٩٤٨ و ١٩٦٧ وعدد هؤلاء العرب قـد يزيد على مائة ألف مـواطن.. من حقهم الـعودة لمدينتهم واسـتعادة أمـلاكهم.. أيضاً الضـغط على أصحـاب الأملاك العرب الموجودين بـالمدينة .. وكذلك على وكلاء الغـائبين بشتى أنواع الإرهاب للتنازل عمـا يملكون أولهم حق التصرف فـيه فى القسم المحتل من القـدس بعد حرب ٩٤٨.. وقد قامت سلطات الاحتلال بحملات إعلامـية ضخمة روجت فيها لفكرة أن عـرب القدس باعـوا ممتلكاتهم إلى السلطات الإسـرائيلية بمحض ارادتهم .. ومن هنا زعموا أن من حـقهم دعم إجراءاتهم فى تكريس ضم القدس..وأن القدس عـاصمة دولة إسرائيل.

حادى عشر : إبعاد المواطنين (النفى، السجن، الاعتقال . العقوبات الجماعية)

لجأت السلطات الإسرائيلية إلى إبعـاد عدد كبير من معارضـيها الفلسطينيين سواء كانوا من رجال الـسياسة – وزراء سابقون وأعـيان ونواب ومحامون وصحـفيون ، أو من رجال الدين – شـيوخ وعلمـاء وأصحاب مـواقع دينية وعلمـية مرمـوقة ، ومن مـختلف قطاعات الشعب – أطباء ومعلمون ومزارعون وطـلاب . بحجة قيامهم بأعمال تخل بأمن البلاد .. وبأسلوب إرهـابى انتهج سيـاسة إبعاد المواطنين ..وقـد كان يتم الابعـاد بصورة مفاجئة .. بحيث يبلغ المُبعـد أمر الإبعاد علي الحدود، دون أن يعطى أيه فـرصة للإتصال بعائلته أو التزود بشيء من حاجياته الخاصة، مما يترتب عليه فصل المبعد عن عائلته ، وقطع سُبل العـيش أمامـه .. وكان الهدف من وراء سـياسـة الإبعاد التخلص من عـدد كبـير من المعارضين والقـادة السياسيين والشعـبيين العرب، مما يضعف روح المقـاومة عند المواطنين، مما يضطر عائلات المبـعدين للحـاق بهم لأسباب قـاهرة .. وهذه السياسـة تخفض العبء على سلطات الاحتلال، بالتـخلص من عدد كبير من الناس.. يشكل بقـاؤهم في السجون دون مـحاكـمـة أوتهـم مـحددة وصريحـة عـامـل ضغط كـبيرا بالنسـبة للـرأى العـام الـداخلي والخارجي .. والتوسع فى ممارسة الإبعاد يجعل قـدرة السجون على الاستيعاب أكبر .

إن سلطات الاحتلال تمارس الإبعاد مستندة، كما تدّعى ، إلى قانون للدفاع أيام الانتداب البريطانى وهو قانون قد أُلغى بعد دمج الضفة الغربية بشرق الأردن . وإن إجراءاتها تخالف :

١ - ميثاق جنيف، المادة ٤٩، الاتفاقية الرابعة، وقد وقعته « إسرائيل » ، وتنص على «أن النقل الإجبارى للأشخاص المحميين من أراض محتلة إلى أراضى دولة الاحتلال أو أية أرض محتلة أو غير محتلة محظور بغض النظر عن دواعيه ».

٢- قرار مجلس الأمن رقم « ٢٣٧» بتاريخ ١٤ حزيران / يونيو١٩٦٧ الذى ينص على «ضرورة تفادى إلحاق الضرر بالمدنيين وأسرى الحرب، ورعاية حقوق الإنسان والتقيد بميثاق جنيف» .

وتحرم المادة «٢٢» وما بعدها من اتفاقية جنيف بشأن حماية الأشخاص المدنيين وقت الحرب المؤرخة ١٢ / ٨ / ١٩٤٩ على السلطات المحتلة تحريماً مطلقاً احتجاز المدنيين فى المناطق المحتلة بصفة رهائن أو اعتقالهم اعتقالا غيرقضائى، أو مس كرامتهم الإنسانية أو الوطنية، أو إيقاف تطبيق الحقوق المدنية والداخلية وتحرم المواد ٣١ - ٣٣ من الاتفاقية ذاتها تحريماً مطلقاً التعذيب أوالتشويه جسدياً ونفسياً، ورغم ذلك فالمعتقلات والسجون الإسرائيلية تضم فى بطونها الآلاف من أهل القدس والمناطق المحتلة الفلسطينية وهم يقاسون أشد أنواع التعذيب، وبعضهم توفى نتيجته، وقد قاموا بالكثير من الإضرابات عن الطعام ولمدد طويلة إحتجاجاً على ما يقاسونه من قسوة وسوء معاملة، وقد لفتت هذه الإضرابات أنظار الهيئات الدولية، وخاصة الصليب الاحمر، وصدر عنها إدانات متوالية لـ « إسرائيل» .

ولا تجيز المواد ٣ -٥ اتفاقيات جنيف لعام ١٩٤٩ لسلطات الاحتلال تطبيق أحكام العقوبات المشتركة ضد المدنيين فى المناطق المحتلة، ولا إنزال العقوبات على أكثر من الفاعلين الأصليين ذاتهم فى كل حادث مقاومة لسلطات الاحتلال . والذى يحصل هو العكس تماماً، فسلطات الاحتلال العسكرى الإسرائيلى دأبت منذ الاحتلال عام ١٩٦٧ وحتى اليوم بإنزال العقوبات الجماعية فى كل مدينة وقرية لأبسط حقوق المقاومة.. والأمثلة على هذه العقوبات الجماعية الظالمة التى تنزلها سلطات الاحتلال بالفلسطينيين

كثيرة .. وتحدث كل يوم لتضييق الخناق على هؤلاء الصامدين الصابرين فى الأرض المحتلة .

ثانى عشر :مشروع إسرائيل « القدس الكبرى »:

سعت اسرائيل بمخططاتها لتكريس احتلالها للأراضى الفلسطينية المحتلة فى١٩٦٧ وضمها إلى المناطق الأخرى التى احتلتها فى ١٩٤٨ ومابعدها .. وكان «مشروع «القدس الكبرى» من أبرز المخططات التى تهدف إلى تهويد القدس وضمها للاحتلال وليس هذا فحسب بل يمتد المشروع الى قرى محافظتها العربية المحيطة بها أيضاً .. وفضائى رام الله والبيرة من جهة وبيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور والقرى ومخيمات الشرف فيها وما حولها من جهة أخرى .. وتشكل هذه كلها حوالى ٣٠٪ من مساحة الضفة الغربية التى احتلتها سلطات الاحتلال العسكرى الإسرائيلى فى حزيران / يونيو ١٩٦٧ ، وذلك كخطوة أولى لضم باقى المناطق المحتلة التي تشمل محافظتى نابلس والخليل من جهة، وقطاع غزة من جهة أخرى ، إلي دولة العدوان الإسرائيلى كى تصبح قاعدة لإسرائيل الكبرى، وتهدد أمن الأقطار العربية واستقرارها وتستنزف ثرواتها، وتحول دون تضامنها وتصديها لهذه المؤامرات، معتمدة فى كل ذلك علي مساندة الولايات المتحدة الأمريكية المتواصلة وبعض الأقطار المتعاونة معها سياسياً واقتصادياً وعسكرياً، كما كشفته لنا مواقفها العلنية طيلة السنوات والعقود الماضية..

وقد تم الكشف لأول مرة عن مشروع القدس الكبرى وذلك فى مقال نشرته جريدة« معاريف » الإسرائيلية الصادرة بتاريخ ٢٦/ ٣/ ١٩٦٩، تحت عنوان « القدس الكبرى» كعاصمة لإسرائيل . وقد وردت فيه تفاصيل مشروع كانت تخطط له لجنة هندسية إسرائيلية عليا منذ حزيران / يونيو ١٩٦٧ لتوسيع حدود مدينة القدس بحيث تمتد إلى رام الله شمالاً والى بيت لحم جنوباً، ولم تذكر الجريدة فيه شيئاً عن الحدود الشرقية، ولكنها أضافت أن هذاالمشروع قد صمم وخطط لخمسين سنة قادمة، وعلي أساس أن عدد السكان فيها سيزداد ليبلغ حوالى ٩٠٠ ألف تكون غالبيتهم من اليهود . وقد أطلقت السلطات الإسرائيلية على هذا المشروع اسم مشروع « الأب» وتشترك فى التخطيط له اربع مؤسسات إسرائيلية هى : البلدية ووزارة الإسكان ووزارة المواصلات ووزارة

الداخلية . ومن جملة أهداف هذا المشروع: هدم قسم كبير من مساكن العرب وعقاراتهم داخل السور، بحجة أن هذه الأماكن مكتظة بالسكان وأنها غير صحية، ويؤدى هذا الهدم بالتالى إلى تشريد أعداد جديدة من السكان العرب بالقدس، وهو ما سيؤدى إلى إزالة معالم الكثير من الأبنية العربية التاريخية والحضارية والدينية التى تربط حاضر العرب بماضيهم فى المدينة المقدسة وطمسها كلياً .

وتم الكشف - أيضاً- عن مشروع ثان جاء ضمن خبر نشرته جريدة دافار الإسرائيلية الصادرة بتاريخ ٣٠ / ٩ / ١٩٧٤، وجاء فيه مايلى: قال مسؤول إسرائيلى كبير، إن خارطة القدس الموسعة التي تمت الموافقة عليها مؤخراً بالكنيست والتى رسمت بإيعاز من رئيس الحكومة، وقد شملت الضواحى التالية : الخان الأحمر شرقاً، وبيت ايل « أى قرية بيتين» والواقعة شمال مدينه البيرة شمالاً، ومستعمرة كريات أربع، «التى أنشأتها سلطات الاحتلال العسكرى الإسرائيلى شرق مدينه الخليل بعد عام ١٩٦٨» جنوباً، ومستعمرة بيت شيمش « قرب اللطرون » غرباً ، وقال المسؤول الإسرائيلى إنه «من أجل أن تؤمن القدس موحدة كاملة وعاصمة لإسرائيل ذات أكثرية يهودية، علينا أن نقلل من النقاش حول مشكلتها، كما لا توجد ضرورة لعرض الحلول السياسية المختلفة ووضع المشاريع والمقترحات لحلها، كل ذلك من أجل تخدير العالم لينسى هذه المشكلة » .

وقد كشف هذا المشروع بعض مايطبخ لحاضر الضفة الغربية ومستقبلها من مخططات تقطع وتمزق جزءاً كبيراً منها لضمّه للسيادة الإسرائيلية المباشرة .. وقد مر مشروع « القدس الكبرى » بعدة مراحل نذكر منها:

- الاحتلال الإسرائيلى للقسم الغربى من القدس فى ١٩٤٨، ويشكل هذا القسم حوالى ٨٠٪ من مساحة المدينة، والاعلان بتاريخ٢٣ / ١/ ١٩٥٠ ، إن هذا الجزء من القدس هو عاصمة لإسرائيل، ونقل البرلمان إليه .
- احتلال إسرائيل للقسم الشرقى من القدس بتاريخ ٧ / ٦ / ١٩٦٧ . وهو القسم الذى كانت المملكة الأردنية الهاشمية قد أنقذته سنه ١٩٤٨، ويضم المدينة القديمة داخل الأسوار ومعظم المقدسات الإسلامية والمسيحية وبعض الأحياء المحيطة بها شمالاً

وشرقاً وجنوباً، وكانت مساحته حوالى ١٢ كم[٢]، وعدد سكانه حوالى ٧٥ألفاً، وقد أعلنت السلطات الإسرائيلية ضمهـا لهذا القسم إدارياً بتاريخ ٢٧/ ٦ / ١٩٦٧، بموجب قرار أصدره رئيس الوزراء ليفى اشكول آنذاك، وأعلنت فيه تطبيق قانون دولة « إسرائيل » الخاص بالقضاء والإدارة على كل مساحة «أرض إسرائيل» التي حددتها حكومة العدو بمرسوم، وبمعنى آخر اعتبار القسم الشرقى من القدس منذ ذلك التاريخ، جزءاً من دولة سلطات الاحتلال العسكرى الإسرائيلى .

- توسيع حدود القدس بتاريخ ٢٨ / ٦ / ١٩٦٧ بموجب أمر صادر عن السكرتير العسكرى لحكومة إسرائيل يائيل اوزاى، وضم قطاعات فى المناطق العربية المحتلة تقع شمالى القسم الشرقى فى القدس وشرقيه وجنوبيه، وتبلغ مساحتها حوالى ٥٣كم[٢]. وتضم مناطق مطار القدس وأجزاء من قرى قلندية وبيت حنينا وضاحية البريد، وقرية شعفاط ومخيم اللاجئين فيهاوقرى العيساوية والطور وصورباهر وجزءاً من بيت صفافا ويبلغ عدد سكانها حوالى ثلاثين ألف عربى. وقد سبق الإشارة إلى ذلك.

- الإعلان رسمياً عن ضم هذه المناطق إلي حدود بلدية القدس تحت الاحتلال الإسرائيلى. وذلك بموجب أمر صدر بتاريخ ٢٨ / ٦ / ١٩٦٧، عن وزير الداخلية الإسرائيلى حاييم موشى شابيرا، وقد عارض أهل القدس واخوانهم الفلسطينيون فى الداخل والخارج، والأقطار العربية والإسلامية كافة هذا الضم، واتخذت الأمم المتحدة قرارات بعدم الاعتراف به واعتبرته باطلاً، وطالبت بإلغائه .

- حل مجلس أمانة القدس بتاريخ ٢٩/ ٦ / ١٩٦٧ . وذلك بموجب أمر غير شرعى صادر عن جيش الدفاع الإسرائيلى وموقع من قبل يعقوب سالمان مساعد القائد العسكرى الإسرائيلى، ويقضى بضم أملاك أمانة القدس ومحتوياتها إلى بلدية الاحتلال الإسرائيلية .

- منذ أوائل عام ١٩٦٨ نشطت عمليات مصادرة الأراضى والعقارات العربية داخل القدس وماحولها من مدن وقرى ومخيمات اللاجئين الواقعة ضمن محافظتها .

- فى ٣٠/ ٩/ ١٩٧٤ أعلن عن مشروع باسم « توسيع حدود القدس » والمناطق التي يشملها هذا المشروع تضم (٩)مدن و(٦٠) قرية عربية وهى كالتالى:

- **المدن** : رام الله والبيرة وبيتونيا ودير دبوان شمالاً والخليل و حلحول وبيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور جنوباً.

- **القرى** : بيتين وبرقة وكفر عقب وجبع وحزما ومخماس والقسم الغربي من قلنديا وبير نبالا وبيت حنينا وعناتا سوريك وبدو وقطنة والقبيبة ودير ابزيع وعين عريك وبيت عور التحتا وبيت عورالفوقا وبيت اجزا شمالاً.

مناطق قرى يالو وبيت نوبا وعمواس التى هدمت وشرد أهلها خلال أيام حرب حزيران / يونيو ١٩٦٧وصفا وصيرا وبيت لقيا وبيت تول واللطرون غرباً .. صور باهر وام طوبى وشرفات وبتير والخضر وحوسان ووادى فوكين وأرطاس ونحالين وصوريف وبيت امر وخراس وبيت اولا وسعير والشيخ وبنى نعيم وبيت كاحل وتفوح وترقومياوبيت سكاريا جنوباً.. والعيزرية وأبو ديس والعبيدية وعرب التعامرة وعرب السواحرة ومنطقة الخان الأحمر شرقاً.

وتقدر مساحة هذه المناطق التي تخطط سلطات الاحتلال العسكرى الإسرائيلى لاقتطاعها من الضفة الغربية بحوالى ٣٠ ٪ من مساحة الضفة الغربية، ويقدر عدد سكانها بحوالى٢٥٠ ألف عربي. وقد مهدت سلطات الاحتلال العسكرى الإسرائيلى لاحتواء هذه المناطق بعدد من الإجراءات، كان أبرزها ما يلى :

أ – إعلان منطقة الخان الأحمر منذ سنة ١٩٧٢منطقة عسكرية، وإقرار الوزارة الإسرائيلية بتاريخ ٢٤/ ١١/ ١٩٧٤، بإنشاء مدينة صناعية فيها ومصادرة سبعين ألف دونم من الأراضى العربية فيها، ومباشرة فتح طرق داخلية فيها « وقد تم فيما بعد إنشاء هذه المدينة واسمها معاليه ادوميم، وأنشئ حولهاأربع مستعمرات فيما بعد».

ب – مصادرة سلطات الاحتلال الإسرائيلية ما بين ١٩٧٠و ١٩٨٥ مساحات واسعة من أراضى قرى بيت حنينا والرام والنبى صمويل وقلنديا والجيب وبيت اكسا وشعفاط وبيت صفافاوصور باهر وشرفات وبيت جالا وعناتا، والعيزرية وأبو ديس وبيت سكاريا وعرب التعامرة والعبيدية والخليل.

جـ- إنشاء السلطات المحتلة لأحياء سكنية ومناطق صناعية وطلابية وعسكرية على تلك الأراضي العربية المصادرة والتي سبق الاشارة اليها، معتبرة أن القدس والضواحي التي حولها أصبحت تحت السيادة والملكية الاسرائيلية.

- إقرار البرلمان الإسرائيلي بتاريخ ٣٠ / ٧ / ١٩٨٠، قانوناً يقضي بجعل القدس الموحدة عاصمة « إسرائيل » إلى الأبد ومقراً لبرلمانها ولرئيس دولتها ولمحكمتها العليا، تحدياً للقرارات الدولية ولمبادئ حقوق الإنسان .

- أعلن عن مشروع إسرائيلي في مطلع عام ١٩٨٢ يسمى « نظام المشروع الإسرائيلي لمنطقة المركز» وكان بمثابة أول مشروع متكامل يعلن عنه رسمياً .. وقد سمي بالمشروع التنظيمي الإقليمي الجزئي .. وكرس هذا المشروع بمخططاته وآليات كل ما تم تنفيذه من مشاريع القدس الكبرى .

ويتضمن المشروع ثمانية فصول وست خرائط، وتبحث في الاسم والموقع والأهداف والتنظيم الحالي والمستقبلي. ولقد أثار هذا المشروع قلق الأهالي في محافظة القدس، وبادروا بتقديم الاعتراضات عليه لكل من رئيس مجلس التنظيم الأعلى ولضباط الداخلية ومدير التنظيم والبناء في رام الله التابعين لسلطات الاحتلال العسكري، مطالبين بإلغائه.

إن الهدف الأساسي من تخطيط منطقة المركز هو ربطها بالجزء المحتل من فلسطين سنة ١٩٤٨، دون الأخذ في الاعتبار أياً من العوامل الإجتماعية والظروف المعيشية لسكان هذه المنطقة، ويلاحظ أن عدد اليهود الذين سيسكنون هذه المنطقة سيكونون أضعاف عدد العرب بعد تزايدهم ، إن أهمية المركز، كما أطلق عليه، ترجع إلى كونه وسط الضفة الغربية، وحلقة الاتصال بين الشمال والجنوب، وحلقة الاتصال بين فلسطين المحتلة منذ ١٩٤٨ ومنطقة الأغوار على نهر الأردن.. هذافضلاً عن توسيع حدود منطقة القدس بحيث تشمل معظم قرى من بيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور علاوة على قرى منطقة رام الله والبيرة.

بعد دراسة هذا المشروع تبين ان المساحات موزعة كالتالي :

- مساحة المناطق الحمراء « المناطق المخصصة للإسكان العربي» حوالي٥٨,٩٤١ دونماً

ويشمل ذلك مدن رام الله والبيرة وبيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور، وتبلغ نسبتها١٣ ٪ .

- مساحة المناطق الصفراء « المناطق المخصصة للإسكان اليهودى » حوالى ٧٦,٦٠٨ دونمات، نسبتها ١٧٪ .
- مساحة المناطق الخضراء «حدائق عامة لا يسمح البناء بها » حوالى ٢٨,٨٢٠ دونمات، نسبتها٦,٥ ٪ .
- مساحة الطرق «تشمل منطقة المطار » حوالى١٨,٣٤٠ دونماً ونسبتها ٤٪
- مساحة الأراضى الزراعية ٢٦٣,٥٧٠دونماً ونسبتها ٥٩,٥٪ .

مجموع مساحة المشروع حوالى ٤٤٦,٢٧٩ دونما

من هذه الإحصائيات يمكن القول بأن عدد السكان المتوقع للعرب سنه ٢٠٠٢هو ٤١٠,٨١٢ نسمة.. بينماعدد السكان المتوقع لليهود سنه ٢٠٠٢ هو ٩١٩,٢٩٦نسمة .. ويعلق المهندس **أبوشلبك** على هذا المشروع بأن الأهداف المتوخاه منه هو زيادة عدد السكان اليهود، ليصبحوا ثلاثة أضعاف السكان العرب .. وتحديد مناطق زراعية بمساحات كبيرة من أجل التخطيط للمستقبل ..أيضاً التوسع بعمل شبكة طرق رئيسية تصل الجزء المحتل من فلسطين عام ١٩٤٨ بالأغوار على نهر الأردن المحتلة عام ١٩٦٧ .. وكذلك لربط الشمال بالجنوب.. إلا أن التخطيط للمشروع لم يراع أى عوامل إجتماعية بالنسبة للعرب أوأي ظروف معيشية أو أى ملكيات خاصة ونهب الإنسان الفلسطينى ومحاصرته هو نفسه تدمير البنية التحتية والاستيلاء على مصادر المياه والطاقة لاقتلاعه من جذوره ومن أرضه .. كما أن استباحة حرمة الضفة الغربية وقطاع غزة يهدف إلى إحكام السيطرة الإسرائيلية على الأرض .. ومنع الشعب الفلسطينى من إنشاء الدولة الفلسطينية.

ثالث عشر : الاعتداء على المقدسات الإسلامية :

اعتدت اسرائيل على المقدسات الإسلامية بالقدس .. بداية من تصريحاتها المعادية لكل مقدس اسلامى، حتى السعى لهدم هذه المقدسات على مراحل مختلفة.. وقد أشار الشيخ عبد الحميد السائح فى كتابه « ماذا بعد إحراق المسجد الأقصى » الى أن وزير

الأديان الإسرائيلى« زيراح فيرهافتغ » صرح فى عام ١٩٦٧ أثناء اجتماع عقد فى القدس لرؤساء حاخامى بعض دول العالم من رجال الدين اليهودى بأن تحرير القدس يعنى وضع جميع المقدسات المسيحية فيها وقسماً مهما من المقدسات الإسلامية تحت سلطة إسرائيل.. وإعادة جميع مقدسات اليهود فيها .. الحرم الشريف القدسى هو قدس الأقداس بالنسبة لليهود .. ولايزال مقدساً لدى ديانة أخرى .. وأضاف : « إن الإسرائيليين لاينوون في المرحلة الحاضرة إعادة بناء هيكل سليمان ، وأنه من الجميل إرجاء هذه الفكرة فى الوقت الحاضر .. ولكن هذا لايعنى أن يمتنعوا عن القيام بعمل مايستطيعون» .. وفى مطلع الثلاثينات كان الوزير البريطانى اليهودى اللورد « ميلشيت» قد كشف النوايا الصهيونية تجاه المسجد الأقصى فقال : « إن يوم إعادة بناء هيكل سليمان قد اقترب، وسأصرف بقية حياتى فى السعى لإعادة بناء الهيكل على أنقاض المسجد الأقصى ».

وطرحت دائرة المعارف اليهودية المعروفة باسم « جويش انسيكلوبيديا» Jewish Encyclopedia معنى الصهيونية فقالت « إن اليهود يبغون أن يحزموا أمرهم وأن يأتو للقدس ويتغلبوا على قوة الأعداء وأن يعيدوا العبادة إلى الهيكل مكان المسجد الأقصى ويقيمون ملكهم هناك .

وفى ١٦ / ٦ / ١٩٦٨، نشرت جريدة نيويورك تايمز Newyork times بيان لجنة صهيون ومعه خريطة للقدس القديمة أخفى منها المسجد الأقصى ومسجد الصخرة، وكان مكانهما ميدان الهيكل.

والأمثلة على العبث بالمقدسات الإسلامية كثيرة نذكر منها :

- هدم حى المغاربة والعقارات الإسلامية خلف الحائط الغربى للحرم القدس الشريف:

لم تكد تمر أربعة أيام على احتلال الجيش الإسرائيلى للقسم الثانى من القدس الشريف فى ٧/ ٦/ ١٩٦٧، حتى بدأ الإسرائيليون بتنفيذ بعض مخططاتهم لتهويد الحرم القدسى الشريف مبتدئين بهدم الحى المغربى الملاصق للمسجد الأقصى المبارك من الجهة الغربية الجنوبية، وكان يشكل بأوقافه وسكانه من إخواننا من شمال أفريقيا، حصناً منيعاً يفصل الحى اليهودى عن المسجد الأقصى المبارك ويدفع عنه وعن المقدسات الإسلامية أى

عدوان يأتى من ناحيتهم، هذا الحى وأهله، كان الهدف الأول من مسلسل التهويد . فقد فوجئ أهله فى فجر ١١/ ٦/ ١٩٦٧، بجرافات الجيش الإسرائيلى تزحف عليهم، وتهدم عقاراتهم ومنازلهم واحداً بعد الآخر، ولم ينفض النهار إلا و ١٣٥ منزلا ومسجدين وصغيرين أصبحت أطلالاً، وتشرد سكانها البالغ عددهم ٦٥٠، وبوشر بتمهيد أرضها لتضم إلى ساحة البراق الشريف والذى يطلق اليهود عليه اسم " حائط المبكى " وهو جزء من حائط الحرم القدسى الشريف، وقد تساهل السلف الصالح من حكام المسلمين بالسماح لهم بالبكاء خلفه، وجاء اليوم ليتخذوا منه ذريعة لهدم الحى المغربى بحجة توسيع ساحته ولتكون الخطوة الأولى فى تهويد الحرم .

الاعتداءات بواسطة الصلوات اليهودية وإباحتها داخل الحرم القدسى : اتخذت بعض الجماعات الدينية والسياسية والنقابية الإسرائيلية فى بعض الأوقات أسلوب التستر بزيارة الحرم القدسى الشريف مدخلاً إلى الاعتداء على حرمته وإقامة الصلوات اليهودية فى ساحاته، كخطوة أولى لإثبات حقوقهم الدينية فيه، وكان أول من قام بمثل هذا الاعتداء رئيس حاخامى الجيش الإسرائيلى شلومو غورين فى ١٥/ ٨/ ١٩٦٧ مع حوالى عشرين من جماعته، حيث دخلوا من باب المغاربة وأقاموا أول صلاة لهم فى الساحة الداخلية للباب وأعلن يومها أنه سيقوم بصلاة أخرى فى كل أسبوع وسيبنى كنسية فى مكان آخر فى ساحات المسجد، وقد احتجت الهيئة الإسلامية في القدس على هذا الاعتداء فى حينه وهددت بإغلاق أبواب الحرم، وسارعت سلطات الاحتلال إلى منع رئيس الحاخامين من إقامة هذه الصلاة وأرسلت لرئيس الهيئة الإسلامية الشيخ عبد الحميد السائح آنذاك، (الذى أبعد فيما بعد) بتطمينه بعدم تكرار تلك الصلاة ولم تنفذ وعدها .

وفى ٢٨/ ١/ ١٩٧٦ أصدر قاضى محكمة صلح إسرائيلية فى القدس المحتلة قراراً يقضى بإباحة الصلاة لليهود فى الحرم القدسى الشريف، ولقد شجع هذا القرار جموع اليهود على القيام باعتداءات إسرائيلية متواصلة لانتهاك حرمة الحرم القدسي الشريف واقتحام أبوابه فى معظم ساعات النهار فى محاولات لتأدية صلوات يهودية بالقوة، وكانوا فى كل مرة يصطدمون بالحرس الاسلامى وبجموع المصلين المسلمين ويتعاركون معهم وتتدخل الشرطة الإسرائيلية المقيمة فى الحرم وتخرجهم بعد أن تعتدى على المسلمين وتعتقل بعضهم .

وقد أثار قرار المحكمة بإباحة الصلاة اليهودية داخل الحرم القدسى غضب المسلمين وإحتجاجهم داخل فلسطين وخارجها .. وعمت المظاهرات والاضرابات المدن والقرى ومخيمات اللاجئين، وقدمت الحكومة الأردنية فى أعقابها شكوى إلى مجلس الأمن الدولى مطالبة التدخل ووضع حد لهذه الانتهاكات الإسرائيلية لحرمة الأماكن المقدسة ولأهلها، خلافاً وتحدياً للاتفاقيات الدولية ولقرارات هيئة الأمم المتحدة التى تعتبر ضم القدس أصلاً، عملاً باطلاً وغير قانونى، ولقد نقضت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية باستعمالها حق الفيتو مشروع القرار المناسب آنذاك، استمراراً لمواقفها المتواصلة فى تأييد سلطات العدوان الإسرائيلى .

- **اغتصاب سلطات الحكم العسكرى لباب المغاربة :**

وهو أحد أبواب الحرم القدسى الشريف الملاصق للمسجد الأقصى المبارك ٣١/ ٨/ ١٩٦٧، واقامة مركز للشرطة العسكرية الإسرائيلية فيه، وفتحه لجميع الزوار اليهود دون رقابة إسلامية من قبل موظفى الأوقاف الإسلامية على الداخلين منه والاستمرار فى ذلك على الرغم من معارضة الهيئة الإسلامية ومديرية الوقف الاسلامي بالقدس .

- **إحراق المسجد الأقصى :**

فى يوم ٢١/ ٨/ ١٩٦٩ أشعل حريق فى المسجد الأقصى المبارك عن طريق مجموعة من الاسرائيليين .. وكان الهدف من هذا الحريق هو هدم هذا المسجد الشريف والذى له صفه القداسه والاحترام لدى المسلمين .. ولكن فور اندلاع الحريق سارعت الجموع الإسلامية العربية المجاورة واستطاعت إنقاذ القسم الأكبر من المسجد وأفشلت مخطط هدم المسجد .. وفى حينها قدمت الدول العربية شكاوى للهيئات الدولية المعنية .. وعقدت مؤتمرات قمة تناولت هذا الموضوع .. وقد حاولت سلطات (إسرائيل) - فى بادئ الأمر - إلصاق تهمة الحريق بشركة كهرباء القدس، إلا أن مبادرة الشركة بإرسال مهندسيها وبقطع التيار الكهربائى عن الموقع فور كشف الحريق، والقيام بإجراء تحقيق فنى بسرعة، والإعلان عن سلامة الشبكة الكهربائية الموزعة والموصلة، ونفى وجود أى علاقة بين الكهرباء والحريق، فوتت على تلك السلطات محاولة إلصاق الحريق بها وقد أقلقها

هذا ودفعها إلى إلصاق التهمة بشاب إسترالى اسمه مايكل روهان، فألفت له محكمة صورية، ولفقت أدلة جنونه، وانتهت الرواية بوضع المتهم فى مستشفى للأمراض العقلية لفترة من الزمن، ثم أخلت سبيله بعد ذلك وأعلنت عن عودته إلى استراليا .

ولقد أعلن رئيس الهيئة الإسلامية بالقدس سماحة الشيخ حلمى المحتسب فى مؤتمر صحفى عقده فى القدس بعد إطفاء الحريق ما يلى : إن الحريق مفتعل، وغير طبيعى، وليس من جراء التيار الكهربائى، وإن مياه البلدية التابعة لسلطات الاحتلال الإسرائيلى قد قطعت عن منطقة الحرم الشريف فور اندلاع الحريق، وإن سيارات الاطفاء التابعة لبلدية سلطات الاحتلال الإسرائيلى قد تأخر وصولها ومباشرتها عملية الإطفاء وإن الذى ساهم وساعد على إخماد الحريق اطفائيات بلديتى رام الله والخليل .. ولكن من ناحيتهم كشف المهندسون العرب الذين انتدبتهم الهيئة الإسلامية فى القدس أن الحريق قد شب فى موقعين وليس فى موقع واحد، وكان الأول عند منبر صلاح الدين المشهور بمنبر نور الدين التاريخى فأتى عليه برمته، والثانى عند السطح الشرقى الجنوبى للمسجد فأتى على سقف ثلاثة أروقة وعلى جزء كبير من هذا القسم من المسجد ولئن سلم القسم الأكبر من المسجد من هذا الحريق، فإن الخوف عليه من أى اعتداء إسرائيلى لا يزال قائماً طالما الاحتلال متواجداً .

- **محاولات لهدم المسجد الأقصى المبارك ومسجد الصخرة المشرفة :**

بعد فشل هدم المسجد الأقصى عن طريق الحريق الذى أشعل فيه خططت سلطات الاحتلال الإسرائيلى لهدم المسجدين الأقصى والصخرة المشرفة .. وهذه المخططات - كما سنلاحظ - شارك فيها ودبرها ضباط ورجال دين ورجال أحزاب .. نذكر من هذه المحاولات على سبيل المثال :

فى أول شهر آيار / مايو ١٩٨٠، أعلنت السلطات الإسرائيلية أنها اكتشفت كميات من المتفجرات والقنابل والأسلحة على سطح إحدى المدارس الدينية فى الحى اليهودى داخل سور القدس، التى تبعد عن الحائط الغربى للحرم القدسى الشريف بحوالى خمسين متراً ، وأعلنت أنه لدى التحقيق ظهر لها أن هذه الكميات سرقها ثلاثة من رجال الجيش الإسرائيلى، أحدهم برتبة ضابط، وكانوا يخططون لنسف المقدسات الإسلامية داخل الحرم الشريف .. وبتاريخ ٩/٨/ ١٩٨١، الذى صادف ذكرى "خراب الهيكل "

عند اليهود قـامت جموع يهودية كبيـرة بمحاولات اقتحام الحرم الشـريف من جميع أبوابه وتسللوا إلى بعض الأبنية المطلة على ساحات الحرم واعتدوا على أهلها، وحاولوا الدخول إلى ساحـات الحرم بالقوة، واشـتبكوا مع المسلمين وكالـعادة تدخلت الشرطة الإسـرائيلية وفصلت بينهم واعتقلت بعض العرب، ومنعت اليهود من الدخول .

وفي صبـاح ١١/ ٤/ ١٩٨٢ اقـتحم جندى إسـرائيلى بـاب الغـوانمة، الواقع في الشمـال الغربى من الحرم، وكان يقف عـلى مدخله أحد رجال الحـرس الإسلامى ورجل شرطة، وأطلق الجندى الاسرائيلى عليهما النار من بندقـيته الرشاشة التى يحملها وواصل مسيرته إلى سطح مسجد الصخرة المشرفة يطلق النار منها بغزارة على المسلمين الموجودين هناك، فقـتل حارس المسجـد، ثم اقتحم المسجـد وواصل إطلاق النار داخله، وفي الوقت نفـسه، كـانت تطلق نيـران إسـرائيليـة مماثلة من مكان غـربى على المسلمين الذين هرعـوا للاستطلاع واسـتشـهد نتيـجتهـا رجل واحد وجـرح ٤٤ ولما تدفق المسلمون من الأحـياء المجاورة صدتهم القـوات الإسرائيلية التى هرعت للتدخل، واعـتقلت المجرم الذى تبين أنه يحمل الجنسية الأمريكية، واعتقلت معه عشرات من المعتدى عليهم، وقد أسفرت محاكمة المعتـدى بالحكم عليـه مـدة سنة فـقط بحـجة أن يـعانى مـن مرض عـصـبى .. وبتـاريخ ١١/ ٣/ ١٩٨٣، حـاول ٤٦ من الإسـرائيليين التـسلـل إلى الحـرم القـدسى الشـريف من المسـجد الأقـصى المبارك عن طريق الحـفريات التـى كانوا يقـومون بهـا، وكانوا يحـملون صناديق تحتوى على مواد متفجرة تكفـى لنسف جميع الأماكن المقدسة داخل الحرم . وقد اكتشفهم حراس الأوقاف الإسلاميـة وأبلغوا عنهم قوات الأمن الإسرائيلية التى اعتقلتهم مع معداتهم، وأقامت لهم محاكمة صورية كما اقامت لمن سبق من المعتدين، وأفرج عنهم فيما بعد .

وفي شهر نيسان / أبريل ١٩٨٤، اكتشفت سلطات الأمن الإسرائيلية تنظيماً سرياً من رجال الجيش الإسرائيلى، كان يخطط لنسف الحـرم القدسي من الجو، واعتقلت رجاله وأجرت لهم مـحاكمة اسـتغرقت حوالى العـام، وحكمت على بعضهم بالسـجن أحكاماً تتـراوح بين ثلاث وسـبع سنوات .. في ٨/ ١/ ١٩٨٦ قـام وفـد من البـرلمان الإسـرائيلى

باقتحام الحرم القدسي واستمرت المحاولات على مدار أسبوع، وقد أثارت العرب والمسلمين، فتقدموا بشكوى إلى مجلس الأمن، وانتهى مصير الشكوى باستعمال أمريكا حق الفيتو ضد أى قرار ضد إسرائيل.. كما أن مناورات التمهيد لوضع اليد الإسرائيلية على مقبرتى باب الرحمة واليوسفية الملاصقتين للحرم القدسى الشريف من الجهة الشرقية وضمهما لمتنزه إسرائيل الوطنى : وقد مهد لذلك على مرحلتين :

الأولى : إقرار لجنة التنظيم المركزية الإسرائيلية لتخطيط منطقة القدس فى ١٩/٨/ ١٩٧٠ مخطط تصميم للبلدة القديمة بالقدس ولضواحيها، ومصادقتها على خطة المتنزه حول أسوار المدينة ويسمونه " المتزه الوطنى الإسرائيلى " .

الثانية : أصدر وزير الداخلية الإسرائيلى أمراً نشر فى جريدة القدس بتاريخ ٦/٣/ ١٩٧٤، اعتبر بموجبه المنطقة المحيطة بسور البلدة القديمة من القدس، حديقة عامة .

والمقبرتان المشمولتان بهذه المؤامرة الجديدة، هما أقدم المقابر الإسلامية فى القدس، وتعتبران جزءاً حياً من تاريخ الإسلام بالقدس، وذلك بما تضمناه من رفات كبار رجال الفتح الإسلامى والمجاهدين الأوائل ورجال الحكم والقضاء والعلم على مدى أجيال، وفى مقدمتهم الصحابيان الجليلان عبادة بن الصامت البدرى المتوفى سنة ٣٣ هـ ٦٥٣ م وشداد بن أوس الأنصارى المتوفى سنة ٥٨ هـ / ٦٧٧ م وهو ما سبقت الإشارة إليه، وعلاوة على الأهمية التاريخية، فإن مجرد ملاصقة المقبرتين للحرم الشريف شرقاً، ووضع اليد الإسرائيلية عليهما، يطوق الحرم بالحفريات جنوباً وشرقاً ويعرض الحرم بكامله لأخطار مقلقة .. وقد قامت بلدية الإحتلال العسكرى الإسرائيلى بالقدس فى أول سنة ١٩٨٠ باغتصاب جزء من المقبرة اليوسفية، يلاصق الجزء الشرقى من سور القدس من زاويته المالية وعلى امتداد حوالى ٣٠٠ متر جنوباً حتى باب الأسود (والمعروف باسم باب الأسباط) وبعمق يتراوح ما بين ١٥ - ٢٥ مترا، وأنشأت عليه حديقة وطريقاً حجريا وأنارتهما بالكهرباء، كمرحلة تنفيذية للمشروع الذى سموه" المتنزه الوطنى الإسرائيلى " .

- الحفريات حول وأسفل الحرم القدسى :

فى مرحلة سابقة قبل الشروع فى مخطط الحفريات تمكنت السلطات الإسرائيلية من مصادرة الكثير من الأحياء العربية الملاصقة للحرم القدسى .. وأن الهدف من وراء عملية الحفريات - كما تدعى اسرائيل - هو الكشف عن التاريخ اليهودى القديم وهيكل سليمان .. ولكن الهدف الحقيقى هو تصدع المقدسات الاسلامية، نتيجة لأعمال الحفر والتنقيب وبالتالى هدمها وطمس الهوية الإسلامية، ففى عام ١٥/ ٧/ ١٩٦٩ نقلت وكالات الانباء " أن حائط المبكى سيكشف قريباً .. وأعلن فى القدس أن امتداد حائط المبكى (حائط البراق الشريف) سيظهر عارياً وكاملاً ولأول مرة بعد ألفى سنة، ويعتبر هذا الحائط أقدس مكان لدى اليهودية، وهذا الحائط هو جزء من بقايا الحائط الغربى لساحة الهيكل الذى بنى فى عهد الملك هيرودس ودمر من قبل الكتائب الرومانية سنة ٧٠ بعد الميلاد، وعندما احتلت إسرائيل القدس لم يكن ظاهراً منه سوى ٣٠ ياردة ثم أظهرت سلطات إسرائيل بعد ذلك ما طوله ٥٠ ياردة أخرى وعندما تنتهى العملية المخطط لها، سيكشف ويظهر منه مائتا ياردة أو أكثر .

نشرت صحيفة (دافار) الإسرائيلية بتاريخ ٢/ ٨/ ١٩٧١ خبراً عن زيارة الجنرال دايان (وكان وقتها وزيراً للدفاع) إلى منطقة الحفريات وحائط المبكى وهناك رداً على سؤال أحد الصحفيين له قال : إنه لا ضرورة - حسب رأيه - للتأخير بسبب العثور على آثارات قديمة من عهود متأخرة والتي عثر عليها فى منطقة الحفريات، ويجب الكشف والعمل على إعادة ترميم جميع ما يتعلق بأيام الهيكل الثانى، وأفضل أن أرى السور كما كان فى عهد الهيكل الثانى، ويمكن تصوير بقية الآثارات وتخليدها وإزالتها لأنها تخفى عنا رؤية الصورة كاملة كما كانت فى حينها .

ونشرت صحيفة (هآرتس) الإسرائيلية بتاريخ ٢٧/ ٢/ ١٩٧٧ خبراً مفاده أن الحاخام الأكبر لإسرائيل إسحق نسيم قام برفقة عدد من كبار الاسرائيليين بزيارة لقسم من الحائط الغربى للحرم القدسى (ويقع فى منتصف الحائط داخل رباط الكرد قرب مثوى المرحوم الملك حسين بن على) وبعد أن قاموا بصلاة يهودية أصدروا البيان التالى: حائط المبكى الصغير (فى داخل رباط الكرد) واستمرار الكشف عنه واجب دينى كبير : سيظل صراخنا مستمراً ونضالنا مستمراً ومتواصلاً حتى اكتشاف طوله وارتفاعه من زاويته

الجنوبية إلى زاويته الشمالية القريبة من باب الأسباط، نريد تنظيف المنطقة من جميع المبانى التى ألصقت بقصد وبإقرار رؤساء الدين المسلمين المتعاقبين .. وقد بدأت الحفريات حول الحرم القدسى فى أعقاب احتلال إسرائيل للقسم الثانى من القدس بعد حرب يونيو ١٩٦٧ خلافاً للمادة ٣٢ من ميثاق لاهاى التى تحرم اجراء أى حفريات أثرية فى المناطق المحتلة .. وقد مرت الحفريات التى أقدمت عليها إسرائيل بعدة مراحل .

المرحلة الأولى : وقد بدأت فى أواخر سنة ١٩٦٧ وتمت سنة ١٩٦٨، وقد جرت على امتداد ٧٠ متراً من أسفل الحائط الجنوبى للحرم الإسلامى القدسى خلف قسم من جنوب المسجد الأقصى وأبنية جامع النساء والمتحف الاسلامى والمئذنة الفخرية الملاصقة له ، ووصل عمق هذه الحفريات إلى ١٤ متراً، وهى تشكل باستمرار، ومع مرور الوقت، عامل خطر يهدد باحداث تصدعات لهذا الحائط والأبنية الدينية والأثرية الملاصقة له .

المرحلة الثانية : وقد تمت سنة ١٩٦٩، وقد جرت على امتداد ٨٠ متراً أخرى من سور الحرم الإسلامى القدسى، بدأت من حيث انتهت المرحلة الأولى، ومتجهة شمالاً حتى وصلت (باب المغاربة) أحد أبواب الحرم الشريف، مارة تحت مجموعة من الأبنية الاسلامية الدينية التابعة للزاوية الفخرية (مركز الإمام الشافعى) وعددها ١٤ صدعتها جميعها وتسببت فى إزالتها بالجرافات الإسرائيلية بتاريخ ١٤/ ٦/ ١٩٦٩، وإجلاء سكانها .

المرحلة الثالثة : وقد بدأت سنة ١٩٧٠، وتوقفت سنة ١٩٧٤ ثم استؤنفت ثانية من سنة ١٩٧٥، إلى سنة ١٩٨٨ وقد امتدت من مكان يقع أسفل عمارة المحكمة الشرعية القديمة (وتعتبر من أقدم الأبنية التاريخية الإسلامية فى القدس) مارة شمالاً بأسفل خمسة من أبواب الحرم القدسى هى : باب السلسلة وباب المطهرة وباب القطانين وباب الحديد وباب علاء الدين البصير (المسمى باب المجلس الإسلامى) وعلى إمتداد ١٨٠ متراً وفوق مجموعة من الأبنية الدينية والحضارية والسكنية والتجارية تضم أربعة مساجد ومئذنة قايتباى الأثرية وسوق القطانين (أقدم سوق أثرى عربى إسلامى فى القدس) وعدداً من المدارس الأثرية ومساكن يقطنها حوالى ٣٠٠٠ عربى من أهل القدس، وقد وصلت هذه الحفريات إلى أعماق

تتراوح بين ١٠ و ١٤ متراً، وقامت السلطات الدينيـة اليهودية بتحويل الجزء الأول منها تحت المحكمة الشرعية إلى كنيس يهودى، كما تسببت أيضا فى تصديع عدد من الأبنية، منها الجـامع العثمانى ورباط الكرد والمدرسة الجوهرية، وكـلها عقارات دينية وحضارية .

المرحلتان الرابعة والخامسة : بدئ بهما سنة ١٩٧٣ واستـمرتا حتى سنة ١٩٧٤، فى المنطقة التى تقع خلف الحائط الجنـوبى الممتد من أسفل القسـم الجنوبى الشرقى للمسـجد الأقصى وسـور الحرم القدسى الشريف، وتمتـد شرقاً على مـسافة تقارب الثـمانين متراً ، وقـد اخترقت هذه الحفـريات فى شهر يوليو ١٩٧٤ الحـائط الجنوبى للحرم القدسى والمدخل إلى الأروقة السـفلية للمسجد الأقصى المبـارك وللحرم فى أربعة مواقع هى :

الأول : أسفل محراب المسجد الأقصى وبعمق ٢٠ متراً إلى الداخل .

الثانى : أسفل جامع عمر – الجناح الجنوبى الشرقى للمسجد الأقصى .

الثالث : تحت الأبواب الثلاثة للأروقة الواقعة أسفل المسجد الأقصى المبارك .

الرابع : تحت الأروقة الجنوبية الشرقية للمسجد الأقصى المبارك .

وقد وصلت أعماق هذه الحفريات إلى أكثـر من ١٣ متراً، وأصبحت تعرض السور والمسجد الأقـصى إلى خطر الانهيار آخذين بعين الاعتـبار – كما يقول مـهندسو الأوقاف الإسلامية بالقدس – الأمور التاليـة : قدم البناء، تفريغ التراب الملاصق للحائط من الخارج إلى أعماق كبيرة، العوامل المناخية، الضغط الجوى الناتج عن الطائرات الحربية، وما ينطبق على هذه الناحية من الحفريات ينطبق على النواحى التى سبق الكلام عنها .

المرحلة السادسة : بدأت فى أوائل سنة ١٩٧٥ فى مـكان قرب منتـصف الحـائط الشـرقى لسور المدينة ولسـور الحرم الشريف، يقع بين باب السـيدة مريم والزاوية الشمـالية الشرقـية من سور المدينة، وتـهدد أعمـال الحفر فـيها بإزالة القـبور الإسلامـية التى تضمها أقدم مـقبرة إسلامية فى المدينة، وفيها رفـات الكثير من رجال الدين والعلم والحكم المسلمين وفى مقـدمتهم الصحـابيان عبادة بن الصامـت البدرى وشداد بن أوس الأنصارى، وقـد نتج عن هذه الحفريات مـصادرة الأرض الملاصقـة لإحدى هذه المقابر وإنشاء جانب من متنزه إسرائيل الوطنى فيها .

المرحلة السابعة : مشروع تعميق ساحة البراق الشريف والتى تسمى أيضا بساحة المبكى، وهى الملاصقة للحائط الغربى للمسجد الأقصى المبارك وللحرم القدسى الشريف وهو مشروع وضع سنة ١٩٧٥ وتمت الموافقة عليه - كما تقول جريدة " القدس " المقدسية فى عددها بتاريخ ١٥ / ٦/ ١٩٧٧ - من قبل اللجنة الوزارية الإسرائيلية مع بعض التعديلات ويقضى المشروع بضم أقسام أخرى من الأراضى العربية المجاورة للساحة وهدم ما عليها وحفرها بعمق تسعة أمتار، وكانت هذه الساحة حتى ٧/ ٦/ ١٩٦٧ تضم حوالى ٢٠٠ عقار عربى إسلامى تشكل القسم الأكبر من الحى المغربى، جرفتها الجرافات الإسرائيلية ما بين سنتى ١٩٦٧ و ١٩٧٧ وشردت جميع أهلها، ويقدر عددهم بثمانمائة، وأن المشروع الجديد عرض الأبنية الملاصقة والمجاورة لخطر التصديع والانهيار ثم الهدم وتضم هذه الأبنية : عمارة المحكمة الشرعية القديمة المعروفة بالمدرسة التنكزية، عمارة المكتبة الخالدية وهى من أقدم المكتبات الإسلامية فى القدس زاوية ومسجد أبو مدين الغوث وكلاهما من الأوقاف الإسلامية القديمة ، بالإضافة إلى عدد من العقارات السكنية يتجاوز ٥٠ عقاراً .

المرحلة الثامنة : وقد بدأت سنة ١٩٦٧ تحت شعار " كشف مدافن ملوك إسرائيل فى مدينة داود " .. وتقع الحفريات خلف جدارن المسجد الأقصى وجنوبها .. وهى استكمال للمرحلتين الرابعة والخامسة .. والخطر فيها أنها عملت على تصديع الجدارن الجنوبية للمسجد الأقصى .

المرحلة التاسعة : بدأت فى ٢٨/ ٨/ ١٩٨١ عندما اخترقت الحفريات الحائط الغربى للحرم القدسى .. وأعيد فتح نفق كان قد اكتشفه الضابط البريطانى " تشارلز وارن " سنة ١٨٨٠ وسمى باسمه .. ويقع ما بين باب السلسلة وباب القطانين فى الحرم ، ونفق المطهرة فى أسفل جانب من الحرم ، وتوغلت الحفريات أسفل ساحة الحرم من الداخل على امتداد ٢٥ متراً شرقاً وبعرض ٦ أمتار ووصلت أسفل سبيل قايتباى التاريخى ، وقد أدت هذه الحفريات إلى تصدع فى الأروقة الغربية الواقعة ما بين بابى السلسلة والقطانين للحرم القدسى ، كما جاء فى تقرير المهندس المقيم لإعمار المسجد الأقصى المبارك فى ٣٠/ ٨/ ١٩٨١ .

المرحلة العاشرة : وانتهت فيها إسرائيل إلى افتتاح نفق الأقصى أسفل الحرم الشريف فى ٢٤ سبتمبر ١٩٩٦ ، والذى يمتد بمحاذاة الجدار الغربى للمسجد وصولاً إلى حائط البراق بطول ٣٥٠ مترا .

وقد بدأ العمل فى النفق منذ أغسطس ١٩٧٤ ، وسبقت ٣ محاولات لافتتاحه فى أعوام ١٩٨١ ، و ١٩٨٨ ، و ١٩٩٥، لكن وقوف هيئة الأوقاف الإسلامية بالقدس ضد هذه المحاولات حال دون افتتاح النفق ، إلى أن أعلنت السلطات الإسرائيلية عن افتتاحه رسمياً بمساندة الجيش الاسرائيلى فى صبيحة ٢٤ سبتمبر ١٩٩٦ .

وإلى جانب النفق ، كانت أعمال الحفر الإسرائيلية أسفل الحائط الجنوبى للحرم القدسي مستمرة منذ عام ١٩٧٤ أيضا ، إلى أن اخترقت الأروقة السفلية للمسجد فى مواقع بعمق ٢٠ مترا إلى الداخل ، ومن الناحية التاريخية ، سبق افتتاح النفق الإسرائيلى ، محاولة لوزارة الأديان الإسرائيلية عام ١٩٨٧ لترميم نفق صغير كان قد اكتشف فى القرن التاسع عشر كبقية لقناة مائية بمنطقة الأقصى ، مع توصيله بالنفق الجديد، ليمتد فى مجموعة بطول ٥٠٠ متر ، ومعروف أن افتتاح النفق –وما سبقه من حفريات إسرائيلية – يهدف إلى اكتشاف هيكل سليمان وإعادة بنائه فى نفس المكان الذى يقوم عليه المسجد الأقصى المبارك ومسجد القبة المشرفة .

رابع عشر : الاعتداء على المقدسات المسيحية :

تعرضت المقدسات المسيحية ورجال الدين المسيحى فى القدس للاعتداء على حرماتهم ومقدساتهم ، وإجبارهم على التنازل عن مساحات كبيرة من عقاراتهم وممتلكاتهم بشتى الطرق تارة عن طريق الإرهاب وتارة أخرى عن طريق البيع أو التنازل ، مما حدا بالكثيرين منهم بالهجرة خارج المدينة .. ومن أبرز صور الاعتداءات الصارخة على المقدسات المسيحية .

سرقة أماكن العبادة واغتصاب الأملاك : وأشهر الحوادث ما تعرضت له كنسية القيامة – كبرى كنائس العالم – من سرقات ، فقد سرق تاج السيدة العذراء فى أواخر

عـام ١٩٦٧ من قـبل بعـض الإسـرائيليين .. وبتـاريخ ٢٤ / ٣/ ١٩٧١ حطـمت قناديل الزيت والشموع التى فوق القـبر المقدس فى مدخل الكنسية من قبل إسرائيلـيين .. أعقبها محاولة سرقة إكليل مرصع بالماس قائم قرب صليب الجلجلة داخل كنيسة القيامة من قبل ثلاثة إسرائيليين ليـلاً ، واعتدائهم على راهب فرنسـيسكانى ، والتسبـب فى إلحاق أضرار بالغة فـيه.. كـذلك تعرض دير الأقبـاط ليلة عيـد الفصح المجـيد فى ٢٥ / ٤/ ١٩٧٠ إلى اعتداء على ممتلكاته ورهبانه من قبل عدد كبير من رجال الشرطة الإسرائيلية .

وأقدم بعض الاسـرائيليين المتعصبين فى ٦/ ٢/ ١٩٧٣ على إحـراق المركز الدولى للكتاب المقـدس على جبل الزيتون .. كمـا أحرقت أربعة مراكـز مسيحيـة فى القدس فى ١١/ ٢/ ١٩٧٤ ، ومن ناحية أخرى اغـتصبت السلطات الإسرائيلية الكثـير من العقارات ودور العبادة المسـيحية في القـدس .. ووضعتهـا تحت سيطرتها نذكر من ذلك ، اسـتيلاء سلطات الاحتلال على أراضى أحـياء المصلبة والقطمون وكـرم الرهبان الواقع بين محطة السكة الحـديد وفندق الملك داود بالقدس .. ويضم مـساحـات واسعة مـن أراضى غرب القدس .. وقد استولت عليها عن طريق إجبار البطريركـية الرومية الارثوذكسية لتأجيرها لهم لمدة مائة عام .. وقد شيدت على هذه الأراضى أحـياء يهودية .. كذلك استولت على عقارات متعددة ومن بينها عمـارة فندق فاست فى وسط القدس ، كانت تملكها بطريركية الأرمن بالقدس ، باعتها للسلطات الإسرائيلية تحت التهديد أيضاً

أيضاً استولت على مدرسة شنلر الألمانية والمعروفة باسم مدرسة الأيتام السورية ، ومعها مساحة واسعة من الأرض وعدد كبير من الأبنيـّة تقع شمال القدس ، كانت تملكها جمعية خـيرية ألمانيـة ، اضطرت لبيعـها لسلطات الاحـتلال الإسـرائيليـة تحت التهـديد. كذلك اغتصـبت أراضى الكنيسة الروسيـة البيضاء والمعـروفة بـ (المسكوبية) وأبنيتـها وتقع فى وسط القدس وتضم مساحة واسعة من الأرض وعـدداً من العمارات الضخمة والتى منها المستشـفى الحكومى وعمـارات المحـاكم النظاميـة وقيـادة البـوليس والسجن المركـزى ، وجمـيعهـا تنازلت عنها الكنيـسة الروسـية البيـضاء للسلطات الإسـرائيلية تحت التـهديد والإرهاب .

- **الاعتداء على رجـال الدين المسيحى :** لم تتوان سلطات الاحتلال فى التـحقير من شأن أفراد ورجـال الدين المسيحى ، واعتدت عليهـم داخل أديرتهم وكنائسهم بهدف إبعادهم عن المدينة ومن هذه الاعـتداءات على سبيل المثـال : اعتقال القس إيلـيا خورى ،

راعى الكنيسة الإنجيلية الأسقفية العربية فى رام الله فى ٢/ ٣/ ١٩٦٩ وتعرضه لتعذيب نفسانى متواصل لمدة (٤٥) يوماً ، ثم إبعاده إلى عمان بتاريخ ١٦/ ٤/ ١٩٦٩ ، وقد أصبح فيما بعد مطراناً للطائفة الإنجيلية العربية فى عمان بالأردن .. اعتداء فوج من رجال الشرطة الإسرائيلية على رهبان دير الأقباط بالقدس بالضرب ليلة عيد الفصح المجيد (٢٥/ ٤/ ١٩٧٠) .

فى ٦/ ٢/ ١٩٧٣ اعتدى إسرائيليون بالضرب الشديد للمطران "فاسيلوس " الذى يعد الرجل الثانى فى بطريركية الروم الأرثوذكس بالقدس .

اعتقال المطران إيلاريون كبوشى ، مطران القدس للروم الكوثوليك فى ٨/ ٨/ ١٩٧٤ ، وتوجيه ثلاث تهم له هى حيازة أسلحة والقيام بخدمة لمنظمة غير مشروعة والاتصال بعملاء أجانب ، ثم الحكم عليه فى ٩/ ١٢/ ١٩٧٤ بالسجن لمدة اثنى عشر عاماً ، أمضى منها حوالى ثلاث سنوات وأربعة أشهر فى السجن ، ثم أفرج عنه بتاريخ ٦/ ١١/ ١٩٧٧ بعد تدخل الفاتيكان ، وجرى إبعاده فى اليوم نفسه .. ونتيجة لهذا الاضطهاد والإرهاب اضطر المئات بل الآلاف من المسيحيين للنزوح خارج القدس .. وتشير الاحصائيات إلى تناقص عدد الطوائف المسيحية فى القدس بشكل كبير جداً .. وأبرز هذه الطوائف الروم الأرثوذكس والروم الكاثوليك والأرمن .. وطوائف مسيحية أخرى ، ويقف وراء الهدف من نزوح المسيحيين عن القدس هو نزوح المسيحية معهم وترك المقدسات المسيحية نهباً لليهود الإسرائيليين .. ولم يتوان رؤساء وأسقف ومطارنة الطوائف المسيحية عن مناشدة الحكومات والهيئات الدولية لمناصرتهم ضد ارهاب الإسرائيليين المتواصل ، إن ما عانته " القدس " المدينة وأبناؤها المقدسيين طوال ٣٠ عاما من الاحتلال الصهيونى وما قدموه من تضحيات وفداء فى سبيل الحفاظ على الهوية والعقيدة وحماية المقدسات هو سجل مشرف لكل عربى ومسلم ومسيحى وسجل خذى وعار لأبناء صهيون.. سيرة هذه المدينة هى دعوة صريحة لكل عربى مسلم أو مسيحى ، للنهوض لفداء مدينة المقدسة بالمال والدماء ، فلا سبيل لنصرتها غير تحريرها كما حررها الناصر صلاح الدين الأيوبى منذ ٨٠٠ عام من أيدى الصليبيين ،ليعود اليها الأمن والسلام ولترتفع الآذان وتدق الأجراس بالدعاء والصلوات .

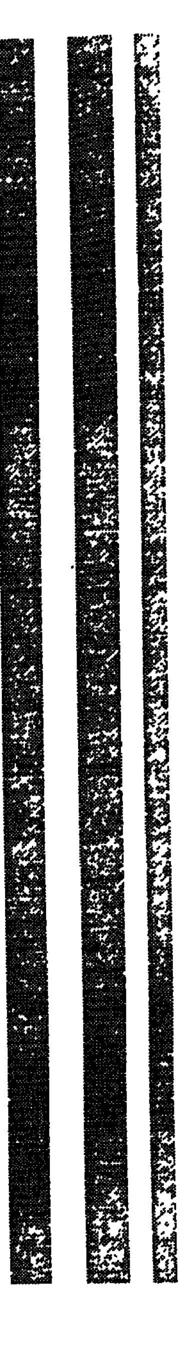
* * *



شهادات وآراء

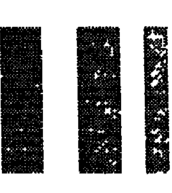


القدس عربية رغم الأطماع الإسرائيلية



د. محمد سيد طنطاوى

شيخ الأزهر



إسلامية لحماً ودماً

القدس مدينة عربية إسلامية لحماً ودماً ولا يمكن لأى قوة أن تغير من وضعها التاريخي كأولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ومنتهى مسرى النبى .. وبداية معراجه إلى السماء .. وهى أمانة فى أعناق المسلمين جميعاً .. والتاريخ شاهد صدق على أنها مدينة إسلامية عاشت فى ظل الحكم الإسلامى وتمتع فيها أصحاب الديانات السماوية بكل حقوقهم فى ممارسة شعائرهم المقدسة .. وسوف تظل القدس هى قضية العرب والمسلمين الأولى حتى يتم تحريرها وإعادتها إلى سابق عهدها رغم كل المحاولات الإسرائيلية الرامية إلى تزييف تاريخها عن طريق ترويج الأباطيل .. ولابد من استردادها طوعاً أو كرهاً .

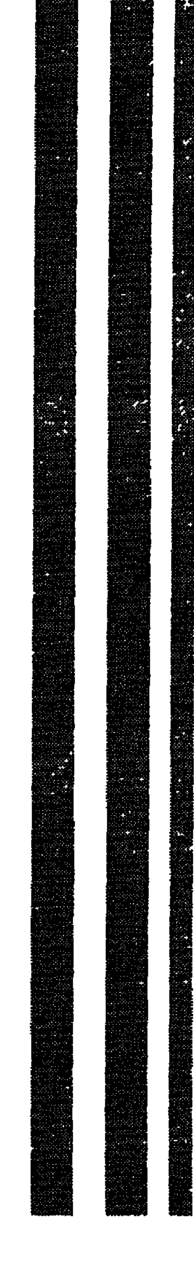
إن تضامن العرب والمسلمين من أجل ذلك « فرض عين » ولذلك وجب على المسلمين فى كل بقاع الأرض شعوباً وحكاماً أن يقدموا الدعم للشعب الفلسطينى .. المكلف الأول بالدفاع عن المدينة المقدسة .. كذلك يجب دعم المفاوض الفلسطينى أثناء عمليات السلام ، لأن هذا من شأنه أن يجعله أكثر صلابة وتمسكاً بجميع حقوقه المشروعة ، وذلك فى سبيل إستعادة القدس ذلك الواجب الذى لا يتحمله الفلسطينيون وحدهم بل هى مسئولية المسلمين جميعاً .

إننى مع السلام العزيز العادل الذى يأتى من مركز قوة وضد أى صلح يكون فيه ضرراً أو إذلالاً أو إنتقاصاً من حقوق المسلمين فهذا غير مقبول بالمرة والشريعة ترفضه وتحاربه وولى الأمر هو المسئول عن ذلك والقرآن الكريم يقول: ﴿ وإن جنحوا للسلم

فاجنح لها وتوكل على الله ﴾ .. أما الممارسات الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطينى المسلم فهى تعكس تاريخهم الملىء بالدماء والغدر والعدوان على مر التاريخ وهذه الصفات قد أكدها القرآن الكريم ، ولذلك فإن السعى فى الحصول على الحقوق المغتصبة لابد من قوة تحميه ولابد أن يستبسل أصحاب الحق فى الدفاع عنه حتى الموت .. ويجب على العالم كله التصدى للممارسات الإسرائيلية ، وخاصة الشعوب المسلمة ، لأن هذا التصدى يمنع الظالم عن مواصلة ظلمه وإلا حلت علينا جميعاً المصائب والويلات .

وإننى أرى أن كل تبادل تجارى يقوم على تكافؤ الفرص وعدم الضرر بالمسلمين لا بأس به وقد ثبت أن الرسول ﷺ توفى ودرعه مرهون عند يهودى .. ولكننى ضد أى علاقة تضر بكيان المسلمين ومعتقداتهم ومقدساتهم ، كما أننى لن أقوم بزيارة إسرائيل إلا بدعوة من الرئيس الفلسطينى ياسر عرفات أو الحكومة الفلسطينية بعد تحرير القدس إن شاء الله .

* * *



الشيخ : جـاد الحق على جاد الحق

شيـخ الأزهـر الراحل

عربية إسلامية

إسـرائيل هى إسـرائيل منذ أن خططوا للوضع القـائم والموقف العـربى والإسـلامى متهـاون فى حق نفسه وأرضه وعرضـه ، إن ما تفعله إسرائيل فى القدس وغـير القدس لا سيـما بعـد توقيع إتفاق أوسلـو الذى كان ينتظر أن توقف إسـرائيل معه العـدوان بأشكاله المختلفـة على الأرض والناس ولكن ما حدث كان العكس فلـقد اشتد القهـر وجرى طرد الناس من بيوتـهم وهدمت وصودرت الأراضى من القدس مـخالفين بـذلك إتفاق أوسلو الذى أرجأ موضوع القدس إلى المرحلة الأخيرة من المفاوضات .. بما يعنى أن القدس تظل على الوضع الذى كانت عليـه وقت الإتفاق ، ومن ثم فما قامـت به إسرائيل من إجراءات جغرافيـة وسكانية فى القدس لتغييـر معالمها هى إجراءات باطلة وعلى العـرب وخصوصاً الفلسطينيين الذين وقّعوا أن يبـادروا فى أخذ الاجراءات التى تمكنهم من وقف أى عدوان على أراضى القدس وممتلكاتهم.

إن إسـرائيل تمارس إجتـراءً على الحق والقانـون وهو أمر يدعـو للعجب ، إذ كـيف تكون المفاوضات جـارية بينما تمتد الأيادى اليهـودية لاغتصاب الأرض ويشتـد خاصة فى تلك البـقـعـة ذات الأثر فى النزاع .. إن اللوم لا يوجـه إلى إسـرائيل لأنه لم يعـد يجـدى معهـا اللوم ، ولكن يرد إلىّ تساؤل : أين المجتمع العربى والإسلامى والدولى ؟ وإذا كانت الأمم المتحدة وهيئاتها تقف عاجزة ولا تتحرك لمجابهة مثل هذا العدوان الصارخ على أحب جزء فـى الأراضـى المقدسة ، ثم فأين الجهد الجماعى للعرب وللمسلمين .

مطلوب من العرب والمسلمين سرعة التحرك لاستنهاض المنظمات الدولية لتقف ضد هذا العدوان .. ثم أين منظمة المؤتمر الإسلامى ؟! وأين موقفها من مساندة قضية القدس ؟ التى يحمل لها العالم كله كل إعتزاز ويحافظ عليها واقعيا من هؤلاء الذين لا يرعون عهداً ولا وعداً ، الذين نقضوا كل الوعود والعهود فى تاريخهم الطويل لاسيما منذ أن استوطنوا فلسطين ، إن الأمر جد أيها العرب والمسلمين وإن لم تنهضوا للوقوف ضد العدوان على القدس فإلى أن يأتى السلام والمفاوضات حولها لن تكون هناك قدس نتفاوض حولها .. ولابد من وقوف العرب والمسلمين والعالم ضد أية تغييرات تحدث فى القدس بحيث يبقى الحال فى القدس على ما كان عليه إلى أن يعاد التفاوض بشأنها مع الفلسطينيين هذا ما ينبغى أن تقوم به أمريكا ، حتى يثق بها الناس كراعية للعهود والوعود وعليها حتى تحكم بين المتنازعين أن تتوخى العدل والإنصاف .

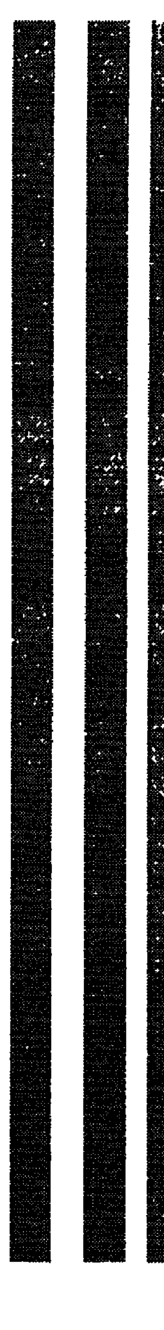
القدس لها منزلة عظمى فى نفوس المسلمين ، ولكنهم يحجمون الآن ويحجبون أنفسهم عن زيارتها والصلاة فيها ترقباً لتحريرها .. وما يقع فيها لا يمكن أن نطيقه فاليهود يخترقون حرمة المسجد ويعطلون الصلاة ويقومون بعمل حفريات حول المسجد وأسفله الأمر الذى يوحى بأن إسرائيل تستهدف إزالته وهذا أمر يجب أن يفكر فيه المسلمون طويلاً وكثيراً وأن يعملوا على حراسته بأجسادهم .

الأمر الآن أمر القيادات الإسلامية والعربية ، فالشعوب العربية والمسلمة فى لهفة لعمل يجمع الأمة لتقف فى وجه هذا التحدى الموجه إليها ، بعد أن اتضح موقف بعض الدول مثل الولايات المتحدة وغيرها ، التى تظاهر إسرائيل علناً وتترك المعتدى فى البوسنة والهرسك والشيشان يفعل ما يشاء بالإنسان والأرض والعرض ولابد من وقفة عربية وإسلامية حتى يظهروا أنهم أمة لها كيان .. وينبغى أن يفكر الزعماء المسلمون ولهم منظمة المؤتمر الإسلامى وعليهم أن يتحركوا من خلالها ويكونوا يداً واحدة وصوتاً واحداً ، يتجاوز كل الخلافات الموجودة أيا كان قدرها ، وإلا سيكون مصير هذه الأمة .. والقدس مصيراً نرجو ألا يكون .. وبقاء القدس فى أيدى الفلسطينيين أمر حتمى ، لتظل مفتوحة للجميع .. وينبغى أن تشغل هذه القضية كل الجهات الدولية سواء سياسية أو قضائية لحسم النزاع وإعادة الحقوق لأصحابها ، ويبدو أن مسيحى الغرب مهتمون بالأمور المتعلقة

بالقدس من الناحية التاريخية والعقائدية لكن ابن الشرق يعرفها ويعرف تاريخها وهناك ارتباط قوى عند الشرقى بهذه المدينة سواء مسلماً أو غير مسلم ، هذه القدس التى شرفت بإسراء الرسول ﷺ إليها مصلياً فى مسجدها إماماً لرسل الله وأنبيائه ، ثم كان معراجه منها إلى حيث كرمه الله فأراه من آياته الكبرى، هذه مأساة المسجد الأقصى ومسجد القبة المشرفة ، إنها قضية كل مسلم على وجه الأرض ، وليست قضية العرب وحدهم .. وإن كان عليهم عبؤها ، إن العمل من أجل حماية القدس ومسجدها الأقصى ، وكل آثارها الإسلامية وأهلها فريضة قطعية على كافة الدول والشعوب الإسلامية وإن مسجدها ثالث الحرمين الشريفين تشد إليه الرحال فأين نحن المسلمين مما يجرى فى القدس ؟! أين نحن المسلمين مما يراد للمسجد الأقصى وقبة الصخرة والآثار الإسلامية .. والإعتداء المستمر على هذا الحرم ؟! أين نحن من هؤلاء البغاة الطغاة الذين استمرأو صمت المسلمين وقعودهم عن حماية مقدساتهم ؟!

ألم يأن لنا أن نجمع الشمل ، ونجتمع على أمر ننقذ به أرضنا ونحمى به عرضنا؟ نعم .. آن الأوان لتجميع الصفوف وتوحيد الكلمة . وجمع شمل الأمة الإسلامية . آن الأوان لأن نعرف العدو والصديق . وأن نتصادق ونتآخى بدلاً من الصراع والخلاف ، وأن نتصافى ونتعاضد بدلاً من التباغض والتباعد والإختلاف ، آن الأوان لنراجع المواقف التى أدت بنا إلى الخسران وأوقعتنا فى المهالك . آن الأوان لننظر إلى حراس المسجد الأقصى ، وما يقاسونه فى سبيل الدفاع عنه بأجسادهم فقد جردوا من كل سلاح ، مع أن عدوهم قد تزود بكل الأسلحة المهلكة ، و أخسها الغدر والخيانة .. أين المساعدات لهؤلاء الحراس حتى يقيموا البنيان ويصدوا العدوان ؟! ألا نحمى ديارنا ، ألا ندافع عن حوزتنا وإخوتنا الذين قال قائلهم : إن وطنهم الآن حقائبهم ، ألا ننهض معهم حتى يستردوا قدسهم وأرضهم ؟! فما بالنا نتصايح بالشرور وعظائم الأمور فيما بيننا .. ولا نتنادى إلى الدفاع عن قدسنا ومقدساتنا ووحدتنا !! ثم مابالنا نصمت وأجزاء من جسد المسلمين تبتر ، وأرضهم تسلب ومقدساتهم تنتهك ؟! ما بال المسلمين لم يفيقوا لما يراد بهم ؟!

* * *



قداسة البابا شنودة

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقصية

فى الكتاب المقدس

القـدس أول ما عـرفنا عنهـا فى الكتـاب المقدس كـان منذ أيام ملكى صـادق ملك سـاليم المعاصـرة لأبينا إبراهيـم أبى الأنبيـاء وكلمـة سليم مـعناها سلام ثم صـار اسـمهـا أورشاليم وفى الكتاب المقدس يسمونها المدينة المقدسة ، وأحب أن أقول أن هذه المدينة لها مكانة كبيرة فى قلب كل مسـيحى حيث عاش فيها السيد المسيح وأيضـاً تأسست فيها أول كنيسة مـسيحية فى العـالم ، وبدأت فيها المسيـحية بواسطة تلاميذ المـسيح القديس بطرس والقـديس بولس والقـديس يوحنا ، ولكن أورشالـيم أقصـد ولكن اليـهود فى أورشـاليم اتخذوا المسيحية والمسـيحيـين إلى أبعد الحدود وفيـها سفك دم أول شـهيد مسيحى وهو القديس اسطفانوس وقال السيد المسيح عن أورشـاليم وأقصد أيضاً اليهود فى أورشاليم يا أورشاليم يا أورشاليم يا قاتلة الأنبياء وراجـمة المرسلين إليها كم مرة أردت أن أجمع بنيك كما تجـمع الدجاجة فراخـها تحت جناحيهـا ولم ترد وهو ذا بيتكم يترك لكم خـراباً وفعلاً خرب الهيكل فى سنة ٧٠ ميلادية على يد تيتوس الوالى الرومانى وبدأ المسيحيون يعمرون هذه المدينة من جديد وبنيت كنائس وكاتدرائيات فى كل مكان له ذكرى مقدسة فى قلوب المسيـحيـين ، وأصبح لكل كنائس العـالم تقريباً أمـاكن مقـدسة فى أورشالـيم وفى البلاد المقدسة بل كثير من الكنائس صار لها بطرياركيات ومطرانيات ومزارات كثيرة ، بل إن كل شبر وطأه السـيد المسيح كانت له قدسـيته وكل حادثة تاريخيـة وردت فى الكتاب المقدس كان لها كنائسها وظلت عامرة بهذا الشكل ليس فقط فى مدينة أورشاليم إنما فى كل أماكن

الأراضى المقدسة فى بيت لحم حيث ولد المسيح وفى الناصرة حيث نشأ وسمى بالناصرى وفى أريحا وفى مجدل وفى بيت عنيا وفى الرامة وفى غير ذلك من البلاد ثم حكمها العرب سنة ٦٤٢ ميلادية طوال القرون التى مرت علينا ثلاثة عشر قرناً من الزمان ثم جاء اليهود وبدأوا يدعون أنها مدينتهم وإنها عاصمتهم وأنهم يحتفلون بمرور ٣٠٠٠ سنة ، أريد أن أشرح هذا الأمر من نظرة المسيحية إلى هذا الموضوع .

اليهود يسمونها أرض الموعد ويقولون أنهم عاشوا فيها بوعد من الله وأنا أقول إنهم جاءوا إليها ليس بوعد من الله وإنما بوعد من بلفور . أقول إن اليهود يقولون أن لهم وعد من الله لم يحدث إن شعباً غضب منه الله مثلما غضب من اليهود سفر التثنية اصحاح ٢٨ ، يقدم الله بركات لمن يطيعون الوصايا من هؤلاء اليهود وبركات لباقى الناس ثم لعنات لهم إذا بعدوا عنه وإذا لم يحفظوا وصاياه ومنها فى سفر التثنيه اصحاح ٢٨ آية ٢٥ من لعنات مخالفى الناموس " تكون منهزما أمام أعدائك فى طريق واحد تخرج عليهم وفى سبع طرق تخرج أمامهم وتكون قلقاً فى جميع ممالك الأرض " فما الذى حدث ، الذى حدث أن هؤلاء الناس عبدوا الأصنام حتى فى أيام موسى النبى لما تأخر موسى النبى أياماً على الجبل مع الله نحتوا عجلاً ذهبياً وسجدوا له وقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التى أخرجتك من أرض مصر أعنى هذا العجل الذهبى وغضب الله عليهم ، غضباً شديداً وأمر أنه ولا واحد من هؤلاء يدخل إلى أرض الموعد ثم بعد ذلك بدأ داوود النبى يتخذها عاصمة له ، هذا تقريباً فى القرن العاشر أو التاسع قبل الميلاد الذى يتحدثون عن تاريخ ٣٠٠٠ سنه بالنسبة إليه وأيضاً قال الله لداوود أن حفظ بنوك طرقى فإن بنيهم يجلسون على كرسيك ولم يحفظ بنوه طرق الله ولذلك انقسمت الدولة بعد سليمان مباشرة رحبعام فى يهوذا ويربعام استقل بعشرة أسباط وعبد الأصنام وظل فى سياسة عبادة الأصنام إلى نهاية الأيام كلها ثم مملكة يهوذا أيضاً وقعت فى عبادة الأصنام كذلك وغضب الله عليهم ، لدرجة أنه قال لأرميا النبى لا تصلى من أجل هذا الشعب ولا ترفع من أجلهم طلبة فإنى لا أسمع لك وازدادت عبادة اليهود للأصنام وبخاصة فى أيام آخاب الذى وجد فى عهده ٨٥٠ نبياً للبعل وللسوارى تخلص منهم ايليا النبى ثم خلفاء آخاب وخاصة الملك منسى والملك هويقين وهواحاز وازداد غضب الله لدرجة أنه دفعهم إلى أيدى الأعداء دفعهم إلى بابل وآشور فسبوهم هناك وتحطمت أورشاليم هذه المرة الأولى كل هذا

قبل المسيح وبقوا فى السبى ٧٠ سنة ، كانت هناك وعود من الله أن يعودوا إلى أرضهم والقصد أن يعودوا من أرض السبى إلى بلاد اليهودية وتحقق ذلك فى عهد نحاميا وعزرا وظرو بابل وفى عهد ملوك الفرس كورش واحشويرش وارتخشتا ، بقى اليهود أيضاً بعيدين عن الله إلى أن جاء قول المسيح " هو ذا بيتكم يترك لكم خرابا " وخربت أورشاليم سنه ٧٠ ميلاديا فى التخريب الثانى الذى شتت به اليهود فى أجزاء الأرض كلها ولم تعد لهم دولة فيما بعد سنه ٧٠ ميلادية إلى الأيام القليلة الماضية أما فكرة شعب الله المختار فقد انتهت ، الله اختار إناساً أيام الوثنية وعبادة الأصنام ولم يكن غيرهم يعبد الله أما الآن فهل من المعقول أن الله يترك آلاف الملايين الذين يعبدونه ويتخصص فى ثلاثة ملايين احتلوا أرض فلسطين لا يمكن .

فى المسيحية عبارة أرض الموعد ترمز إلى السماء وهذا هو وعد الله لنا أن نسكن فيها إلى الأبد.. إذن ما هو الأساس الدينى لإسرائيل ، إن كان من جهة الوعد فهو بين طرفين وله شروط أخلوا بالشروط فانتهى الوعد.. أما إن كان من جهة الدين فأحب أن أقول أنه لا توجد حياة دينية كما أمر الرب موسى ، أيام موسى النبى كان الغفران مرتكزاً على تقديم الذبائح والمحرقات أما الآن فلا ذبائح ولا محرقات ولا يوجد عمل للكهنوت فى إسرائيل ولا توجد النار المقدسة التى كانوا يحرقون بها الذبائح ولا يوجد الأوريم والتميم ولا يوجد الحكم فى اوقراط إلى الله بينهم عن طريق الأنبياء إذن ما هى الحياة الدينية ، تبقى السياسة ، السياسة تتلخص فى أنهم احتلوا فلسطين واحتلوا الأراضى العربية ثم بدأوا يتكلمون عن السلام فى ظل هذا الإحتلال ، السلام الحقيقى لا يأتى بإخضاع الغير والسلام الحقيقى لا يأتى بالتهديد ولا بفرض القوة العسكرية ولا باستخدام الأسلحة النووية المدمرة بل إن بقاء هذه الأسلحة يشعر بالتخوف من المستقبل ويشعر بعدم الثقة بهؤلاء الناس لماذا يبقونها إذا ! إلا لو كان فى نيتهم فكر اعتداء جديد أو فكر حماية الإحتلال بالقوة .. ساليم تعنى السلام وأرض الموعد التى وعد بها الله قال إنها أرض تفيض لبناً وعسلاً ، أما الآن فإنها أرض تفيض دماً ورصاصاً وتفيض حجارة من الجانب الآخر، أين السلام ؟ ليس السلام هو إخضاع الغير بالقوة لأنه سيبقى فى القلب محاولة للخروج من هذا النطاق ولا يضيع حق وراءه مطالب ، الحق يا إخوتى لا يضيع بالتقادم

ولا بفرض الأمـر الواقع، من جهة الـ ٣٠٠٠ سنة ولـست أرى ٣٠٠٠ سنة حكمها اليـهود فى أورشـاليم إطلاقـاً ، هؤلاء إتخذوها عـاصـمة أيـام داوود النبى وسليـمان وبعـد ذلك انقسـمت الدولة ودخلت عبادة الأصنام وحكمـهم الفرس ثم اليونان ثـم حكمهم البطالمة خلفاء الإسكندر ثم حكمهم الرومان واستمر الأمر هكذا إلى أن حكم الغرب فى منتصف القرن السابـع الميلادى سنة ٦٤٢ ، فاستقـرت الأمور بحكم العرب إلى أن حـاولوا إضاعة هذا الإستقرار بـالإحتلال الجديد فأى ثلاثة آلاف سنة هذه إن كان على تأسـيس المدينة فقد تأسست قبل الثلاثة آلاف منذ أيام ملكى صادق من أيام أبينا إبراهيم من قبل داوود بمراحل ، نحن نريد السلام وليس غير السلام ثم جاء مـبدأ السلام مقابل الأرض ثم صاروا ينادون بمبدأ السلام والأرض معا ، ولعل تهافت بعض الـعرب على هذا السلام جعلهم يفرضون شروطهم ، نحـن ندين اعتداءاتهم على أرض فـلسطين وعلى الدول العربيـة الأخرى ولا نقبل لفلسطين إلا أن تكون دولة مستقلة ذات سيادة تحكم نفسها بنفسها .

كل ما فكرنا فيه أثناء إتفاقية غزة وأريحا أن هذه مجرد خطوة أولى تعقبها خطوات ولكننا لم نجد هذه الخطوات بل وجـدنا تنكراً للإتفاقـات السابقة . السلام الحـقيقى يعطى لكل ذى حق حقه ونحن كرجـال دين نطالب بالحق وكرجال دين نطالب بالعدل ونرى أن الوجود الإسرائيلى بهذا الشكل ووقوفهم ضـد حقوق فلسطين نراه ضد الحق وضد العدل وضد قرارات مجلس الأمن وضد قرارات الأمم المتحدة وضد قضية السلام التى يتكلمون عنها نرجـو من الله إله السلام أن ينشر السـلام على الأرض ونرجو من الله الذى الحق هو اسمه أن يعطى كل ذى حق حقه .

* * *

د . أحمد عمر هاشم

رئيس جامعة الأزهر بالقاهرة

منزلة اثيرة

لقد سجل القرآن الكريم ، مكانة القدس ، حين وضح أن الله سبحانه وتعالى أسرى بعبده وحبيبه سيدنا محمد ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، حيث قال جل شأنه : ﴿ سبحانه الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير ﴾ .

وسمى بالمسجد الأقصى ، لبعد ما بينه وبين المسجد الحرام وكان أبعد مسجد عن أهل مكة فى الأرض يعظم بالزيارة ، والمراد بالبركة المذكورة فى الآيه الكريمة ، فى قوله تعالى : ﴿ الذى باركنا حوله﴾ هى البركة الحسية والمعنوية ، فأما الحسية فهى ما أنعم الله تعالى به على تلك البقاع من الثمار ، والزروع والأنهار ، وأما المعنوية فهى ما اشتملت عليه من جوانب روحية ودينية ، حيث كانت مهبط الصالحين ، الأنبياء والمرسلين ، ومسرى خاتم النبيين وقد دفن حول المسجد الأقصى كثير من الأنبياء والصالحين ، والمسجد الأقصى : هو أحد المساجد الثلاثة التى تشد إليها الرحال ، عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الأقصى " رواه أحمد البخارى .

ومعنى هذا الحديث : أنه لا يسافر أحد لمسجد للصلاه فيه إلا لهذه المساجد الثلاثة ، لأنه لا يسافر أصلاً إلا لها ، وقد بنى المسجد الأقصى بعد المسجد الحرام بأربعين سنة ، كما جاء فى الحديث الصحيح : عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قلت : يا رسول الله أى مسجد وضع فى الأرض أولاً ؟ قال : المسجد الحرام . قلت : ثم أى ؟ قال : المسجد الأقصى . قلت : كم بينهم ؟ قال : أربعون سنة وأينما أدركت الصلاة فصلى فهو مسجد

رواه مسلم .. وللمسجد الأقصى مكانته الجليلة فى الإسلام ، فهو أولى القبلتين ، وثالث الحرمين الشريفين .

روى الطبرى فى تاريخه ، عن قتاده قال : كانوا يصلون نحو بيت المقدس ورسول الله ﷺ بمكة قبل الهجرة وبعد ما هاجر رسول الله ﷺ نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً.. ومما يدل على فضل بيت المقدس ومكانته ، أنه أرض المحشر والمنشر . وعن ميمونه مولاة .. رسول الله ﷺ قالت : قلت : يا رسول الله افتنا فى بيت المقدس ؟ قال " أرض المحشر والمنشر أئتوه فصلوا فيه ، فإن الصلاة فيه كألف صلاة فى غيره " رواه ابن ماجه .

وعن ابن عباس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " من أراد أن ينظر إلى بقعة من الجنة فلينظر إلى بيت المقدس " .

وفى مدينة القدس عدد كبير من الصحابة والتابعين ، منهم الصحابى الجليل عبادة بن الصامت وشداد بن قوس ، فهى مهد النبوات والشرائع ، والرسل الذين وجدوا هناك فى هذا العصر ، ولقد كان المسجد الأقصى قبلة لهم ، وهذا كله يمثل البركة الدينية التى أحاطت به ، وأما البركة الدنيوية : فكثرة الأشجار والأنهار وطيب الأرض ، وهذا ما يراد بقوله تعالى : ﴿ الذى باركنا حوله﴾ .

وروى أن الذى أسس المسجد الأقصى هو يعقوب ابن اسحق عليه السلام بعد بناء إبراهيم الكعبة ، وقد قام سليمان عليه السلام بتجديده ، وقد أشكل ذلك ، لأن بانى البيت الحرام إبراهيم عليه السلام وبانى المسجد الأقصى داوود وابنه سليمان بعده ، وبينهما مدة طويله تزيد على الأربعين التى ذكرت فى الحديث المروى فى الصحيحين عن أبى ذر رضى الله عنه قال : سألت رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضع على الأرض ؟ فقال المسجد الحرام ، قلت : ثم أى ؟ قال : المسجد الأقصى ، قلت : وكم بينهما ؟ قال : أربعون عاماً ثم الأرض لك مسجد ، فحيثما أدركت الصلاه فصل فيه فإن الفضل فيه .

وأجاب عن هذا الإشكال أبو جعفر الطماوى فى شرح معانى الآثار : بأن الوضع غير البناء ، والسؤال فى الحديث السابق عن مدة ما بين وضعهما لاعن مدة ما بين بنائهما فيحتمل أن يكون واضع الأقصى بعض الأنبياء قبل داوود وسليمان، ثم بنياه بعد ذلك ،

وللمسجد الأقصى إرتباط وثيق بعقيدتنا وله ذكريات عزيزة وغالية على الإسلام والمسلمين ، فهو مقر لـلعبادة ، ومهبط للوحى ومنتهى رحلة الإسراء ، وبداية رحلة المعراج .

وقد مر الرسول ﷺ فى رحلته إلى المسجد الأقصى بالبقعة المباركة التى كلم الله فيها موسى عليه السلام ، وهى طور سيناء فصلى بها ركعتين .. ومر بالبقعة المباركة التى ولد فيها عيسى عليه السلام ، وهى : " بيت لحم" فصلى بها ركعتين ، ثم وصل إلى بيت المقدس فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى فى جمع من الأنبياء والرسل فصلى بهم جميعاً ، ثم عرج به إلى السماء فرأى من آيات ربه الكبرى .. ولما عاد رسول الله ﷺ من هذه الرحلة المباركة ، وأخبر قومه ، وكان منهم من صدق ، ومنهم من كذب ، وذهب بعضهم إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وأخبروه ، فما كان جوابه إلا أن قال لهم .

والله لئن كان قوله لقد صدق ، قالوا : تصدقه على ذلك ؟ قال : إنى أصدقه على أبعد من ذلك أصدقه على خبر السماء ، وقد تمادى القوم فى لجاجهم وحوارهم ، يسألون الرسول ﷺ فى تعنت عن بيت المقدس ، ومنهم من كان قد رآه ، وظنوا أنهم بهذه الأسئلة سيوقعون الرسول ﷺ فى حرج ، ولكنه هو المؤيد من قبل ربه ، وقد وصف لهم بيت المقدس وصفاً كاملاً فى غاية الدقة ، وأخبرهم عن آياته ، يقول الرسول ﷺ : " فجعلت أخبرهم عن آياته ، فالتبس علىَّ بعض الشيء فجلى الله لى بيت المقدس ثم جعلت أنظر إليه دون دار عقيل ، وأنعته لهم "فقالوا : أما النعت فقد أصاب وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه - كلما وصف لهم الرسول ﷺ وصفاً - يقول : صدقت أشهد أنك رسول الله ثم أخبرهم عن عيرهم ، وعن أحمالها ، وعن دقائق الملابسات ووصفها أكمل وصف، وقال لهم تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس ، وفيها فلان وفلان ، يقدمها جمل أورق عليه غرتان محيطتان ، ومع وضوح الأدلة فقد لج القوم فى عنادهم ولم يصدقوا تلك المعجزة الواضحة فقد طمس الله على أبصارهم وبصائرهم ﴿ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور﴾ وفى رحلة الإسراء والمعراج فرض الله سبحانه وتعالى الصلاة ، وهى الصلة القوية بين العبد وربه وكانت القبلة آنذاك هى صخرة بيت المقدس حيث أمر الرسول ﷺ باستقبالها وكان بمكة يصلى بين الركعتين فتكون بين يديه الكعبة

وهو مستقبل صخرة بيت المقدس ، فلما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة تعذر عليه أن يجمع بينهم ، عندئذ أمره الله تعالى أن يتوجه إلى بيت المقدس واستمر على ذلك نحو ستة عشر شهراً، وكان يدعو ربه ويبهتل إليه أن تكون وجهته إلى الكعبة قبلة إبراهيم عليه السلام ، فأجيب إلى ذلك ، وأمر بالتوجه إلى البيت الحرام ، فخطب الناس وأعلمهم بذلك ، وكانت أول صلاة : صلاة العصر ، وفى هذا يقول الله سبحانه وتعالى ﴿ قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعلمون ﴾ .

وعن البراء رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً ، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت ، وأنه صلى أول صلاة صلاها العصر ، وصلى معه قوم ، فخرج رجل ممن كان قد صلى معه فمر على أهل المسجد ، وكانوا راكعين فقال :

أشهد بالله لقد صليت مع النبى ﷺ قبل مكة فداروا كما هم قبل البيت ، وكان الذى قد مات على القبلة أن تحول رجالاً قتلوا لم ندر ما تقول فيهم فأنزل الله : ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم ﴾ .. ومما يؤكد عاطفة المسلمين نحو القدس الشريف كواحد من أهم معالم الإسلام أنه قد أسرى الله برسوله ﷺ ، وأن الرسول عليه الصلاة والسلام دخل المسجد الأقصى وصلى فيه ، ففى رواية أنس رضى الله عنه :

"...... ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ، ثم خرجت فجاءنى جبريل عليه السلام بإناء من خمر ، وإناء من لبن ، فاخترت اللبن " فقال جبريل :

" أخذت الفطرة " وقال الإمام النورى رحمه الله : المراد بالفطرة هنا : الإسلام والإستقامة .

وفى رواية ابن مسعود : ...... ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين ما بين قائم وراكع وساجد ، ثم أذن مؤذن ، فأقيمت الصلاة ، فقمنا صفوفاً ننتظر من يؤمنا ، فأخذ بيدى جبريل ، فقدمنى فصليت بهم .

وفى رواية أبى إمامة – عند الطبرانى – ثم أقيمت الصلاة ، فتوافقوا حتى قدموا محمد ﷺ .

فصلى إماماً بالأنبياء جميعاً فى المسجد الأقصى ، ولقد أطلع الله سبحانه وتعالى رسول الله ﷺ فى هذه الرحلة المباركة على نماذج لثواب الطائعين ، وعقاب العاصين ، ومن هذه النماذج مارآه من ثواب المجاهدين فى سبيل الله : "مر على قوم يزرعون ويحصدون فى يوم ، كلما حصدوا عادوا كما كانوا ، فقال لجبريل عليه السلام : ما هذا ؟

قال : هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله تضاعف الحسنة إلى سبعمائة ضعف ، وما أنفقوا من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين " رواه الطبرى .

وفى هذا المشهد توضيح لمكانة الجهاد والمجاهدين ، وفى هذا النموذج المحسوس لمثوبة الجهاد ، تجيش فى نفوسنا عواطف الإيمان ، لتدفعنا لتطهير القدس الشريف واسترداده ، وتطهير كل بقعة فى الوطن الإسلامى ، ونجاهد من أجل إعادة الحق إلى أصحابه الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، وكما قال سبحانه وتعالى : ﴿ وأخرجوهم من حيث أخرجوكم ﴾.. وقد اختارت الإرادة الإلهية أن يكون الإسراء برسول الله ﷺ إلى المسجد الأقصى ، وصلاً للحاضر بالماضى ، وتقديراً لمنزلة هذه البقعة المباركة ، التى عاشت عمراً كبيراً تنتشر على ظهرها الهداية ، وتستقبل فى رحابها النبوات .. وظل بيت المقدس مهبط الوحى الإلهى سنين عديدة " .

فلما عصى اليهود أمر ربهم ، وتنكروا لوحى السماء ، تحولت النبوة عنهم ، وانتقلت إلى ذرية إسماعيل ، وتحولت بالتالى القيادة الروحية إلى خاتم الأنبياء والمرسلين. فانتقل الرسول ﷺ إلى هذه البقعة المباركة تقديراً لإخوانه السابقين من الأنبياء والمرسلين ، وإعلاناً عن إكباره لهم وللدين الذى انتشر نوره وسناه فى هذه البقاع المباركة ؟ لأن الرسول ﷺ والمؤمنين ، يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله ، كما قال الله سبحانه : ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله ﴾.. ولقد جمع الله تعالى له الرسل السابقين ، فاستقبلوه ، وصلى بهم إماماً وطبق الله فى ليلة الإسراء والمعراج وفى رحاب المسجد الأقصى ذلك العهد والميثاق الذى أبرمه منذ القدم مع الأنبياء أن يصدق بعضهم بعضاً

ويمهد بعضهم للبعض ، وأن يؤمنوا بمن سيرسله لهم وأن ينصروه ، كما قال سبحانه وتعالى :

﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنوا به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾ .

وهكذا كانت إمامة الرسول ﷺ للأنبياء والمرسلين فى هذا المكان المقدس إعلاناً ختمياً لرسالات السماء ، وإن رسالته خاتمة الرسالات ، ودستوره السماوى وهو القرآن، كلمة السماء الأخيرة ، وأنه ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين .

وصلاة رسول الله ﷺ بالأنبياء ، لا ينافيها كون الأنبياء كانوا قد ماتوا من قبل ، لأن الذى أسرى هو الله الخالق القادر على كل شيء فهو القادر على تغيير بشرية الرسول ﷺ ليصلى بالأنبياء ، وهو القادر على تغيير قانون بشرية الأنبياء السابقين ليصلى بهم .. فما أراده الله تعالى حدث ، وبالكيفية التى أرادها رب العزة سبحانه وتعالى .. وفى هذا إعلان لعالمية الإسلام ، وإعلان بأنه التشريع الخاتم والرسول الذى ختم الله به الأنبياء والمرسلين ، وأن حادث الإسراء والمعراج ليضع فى أعناق المسلمين فى كل الأرض أمانة القدس الشريف ، وسيسأل الله تعالى المسلمين عن هذه الأمانة إن فرطوا فى حقها أو تقاعسوا عن نصرتها وإعادتها .. فعلينا أن نوحد جهودنا، وألا نتفرق ، لنكون بوحدتنا ، قوة إسلامية لا يستهان بها ، ولا تضعف فى المطالبة بحقوقها فطريق الوحدة ومناشدة القوة ، هو طريق الحفاظ على مقدساتنا التى هى جزء من عقيدتنا وديننا .﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴾

إن القدس مسرى خاتم الأنبياء ، وبوابة الأرض إلى السماء ، وأولى القبلتين ، وثالث الحرمين الشريفين ، ولكم تعرضت إلى العدوان والتخريب ، فلماذا ؟ وهى الموطن الإسلامى ، ولولا الصفة الإسلامية للقدس وفلسطين ما كانت لتعانى كل هذه المعاناة ، ﴿وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله .. ﴾ .

ألأنها مسلمة تحتل وتكثر المستوطنات اليهودية بها يوماً بعد يوم ؟!

ألأن شعبها مسلم يضطهد ويشرد ويتعرض للإبادة والتفكيك ؟! هل أصبحت هذه سمة البلاد والشعوب الذين يتعرضون لتهاون النظام العالمى ؟!

فنرى أمثال المعاناة فى البوسنة والهرسك والشيشان .

أقول : إن الجهاد فرض عين فى الدفاع عن القدس ، كما أنه فرض عين فى الدفاع عن البوسنة والهرسك والشيشان وكل وطن إسلامى على ظهر الأرض .. وفرضية الجهاد للدفاع عن الأوطان ليست مقصورة على ساكنى هذه الأوطان المسلوبة أو المنهوبة فحسب ، بل إن فرضية الجهاد على جميع المسلمين فى كل الأرض ، والحكم الشرعى الذى قرره الفقه الإسلامى أن أعداء الإسلام إذا دخلوا بلداً يقيم فيه المسلمون فيجب الخروج لقتالهم ولا يجب لأحد أن يتخلى عن هذا الواجب ، قال الله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار﴾ وعن ابن عباس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا" رواه البخارى .

فإذا نادى الواجب المسلمين لتحرير أوطانهم ، ورفع العدوان عنها واسترداد الحق ، فإنه يجب عليهم أن يخفوا لتلبية هذا النداء وألا يتثاقلوا ، قال سبحانه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم أنفروا فى سبيل الله اثاقلتهم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل﴾ .. لقد تكررت المآسى فى القدس الشريف من جراء انتهاك السلطات الإسرائيلية لحقوق هذه المدينة وحقوق الفلسطينيين ، حيث تعددت المجازر البشرية، والاستمرار فى زيادة المستوطنات اليهودية ، كما تعرضت إلى حوادث الإحراق والعدوان على الأنفس والأموال واستهانت إسرائيل بالشرائع السماوية ، والمقدسات الدينية والحقوق الإنسانية ، وكانت لها ممارسات إرهابية فى المنطقة ، باشرت من خلالها كل وسائل العدوان والعربدة !!

ولما كانت القدس لها منزلتها الأثيرة فى قلوب المسلمين والمسيحيين والعرب جميعاً فهى مسرى رسول الله سيدنا محمد ﷺ ، وأولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين وعاش فيها المسيح عليه السلام .. ولما كان السلام الشامل والدائم فى المنطقة رهناً بالتسوية العادلة والكاملة ، وإسترداد الحق إلى أهله ولما كانت القدس البلد الوحيد الذى عانى الأمرين وكان الشعب الفلسطينى أكبر من تحمل فى سبيل الدفاع عن وطنه من معاناة وقتل وتشريد وضياع فإنى أدلى بالتوصيات التالية :

- تأكيد الدعوة إلى إستمرار صمود المجاهدين من أبناء فلسطين دفاعاً عن الحق والشرعية ووقوف الدول العربية والإسلامية مع هذا الشعب المظلوم إسترداداً لحقه ، وإنتصاراً للشرعية والحق .

- الدعوة إلى توحيد القوى العربية والإسلامية والإنسانية عامة المحبة للسلام الواقفة بجانب العدل والحق ، فلا يضيع الحق إلا بضعف أهله ولاقوة لنا إلا فى وحدتنا ، إستجابة لقول الله تعالى : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴾.

- تحريك الرأى العام الدولى .. بإظهار الحق ومناشدة الضمير الإنسانى فى كل الأرض لمناصرة الحق ومناهضة الباطل والظلم .

- مطالبة النظام العالمى بإيقاف الهجرة اليهودية ، وإيقاف المستوطنات وإسترداد الحق لأهله حتى يسود السلام الدائم والشامل .

- تضميد الجراح العربية والإسلامية بين الأشقاء العرب والمسلمين ، حتى تتم وحدة الصف والهدف ، وتقوى الأمة فى مواجهة التحديات .

- مطالبة النظام العالمى ومجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة وجامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامى بتحقيق القرارات التى سبق أن أبرمت مطالبة بحقوق القدس وفلسطين والشعب الفلسطينى .

- دعوة الأمة أفراداً وجماعات وأمماً وشعوباً بتوثيق الصلة مع الله ، وتأكيد تطبيق التعاليم الإسلامية التى فيها إنتصار لدين الله مما يترتب عليه إنتصار مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ وقوله : ﴿ ولينصرن الله من ينصره ﴾ .

- تشكيل لجنة دولية تمثل أهم الشخصيات الدولية الذين يمكن أن يتابعوا الإنتهاكات والتطورات الحادثة على أرض القدس الشريف من جانب إسرائيل والتصدى لها .

* * *



د . أحمد شلبى

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية بجامعة القاهرة

قيمة دينية وتاريخية

يعتبر قرار الكونجرس الأمريكى بأن القدس عاصمة إسرائيل ، ونقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إليها عدواناً على القيم الدينية وعلى تاريخ المدينة المقدسة عبر الأجيال المتوالية عليها ، الأمر الذى يجب أن نحفظ فيه تاريخ هذه المدينة ، وأن نذكر به أبناءنا إستعداداً ليوم انتصار الحق على أرض فلسطين ، وبيت المقدس أو القدس الشريف هو ثالث الحرمين بعد الحرم المكى والحرم المدنى ، وهو أولى القبلتين ومسرى الرسول محمد (ﷺ) ، ومنه بدأ المعراج .. وتقع القدس وسط فلسطين ، فوق تل صخرى يبلغ إرتفاعه عن سطح البحر ٧٦٤ متراً ، وتبعد القدس عن مدينة يافا بحوالى خمسة كيلو مترات ، وتحيط بها عيون كثيرة تتفاوت فى غزارة مياهها ، والقدس القديمة تضم آثاراً دينية ترتبط باليهودية والمسيحية والإسلام ، فهى غنية بارتباطاتها بالعهد القديم والعهد الجديد وتكثر بها المعابد والكنائس التى تتصل بأحداث التوراة والإنجيل وبشخصيات هذين الكتابين .

ومن أخطر ما يدعيه اليهود من آثار بها ما يسمى " حائط المبكى " وهو الحائط الغربى للمسجد الأقصى ، فاليهود يرون أن هذا الحائط هو أحد أسوار هيكل سليمان ويدل على كذب هذا الإدعاء أنه كان قد ظهر فى أثناء الإنتداب البريطانى على فلسطين ، ومع إنحياز بريطانيا لليهود فإن القضاء البريطانى حكم سنة ١٩٣٠ بعدم صحة هذه المزاعم وبعض

اليهود يخففون هذا الإدعاء فيرون أن جانباً من أحد جدران المسجد الأقصى بنى بأحجار أخذت من هيكل سليمان ، ويتجمع اليهود للبكاء على ماضيهم عند هذا الحائط ولذلك يسمى " حائط المبكى" .. أما الآثار المسيحية بالقدس فكثيرة جداً منها بستان جثيماني الذى اختبأ فيه السيد المسيح وقبض عليه به ، ومنها وادى قدرون وجبل الزيتون وهو يواجه أسوار الحرم الشريف من الناحية الشرقية ، وهناك كذلك جبل بطن الهواء وهو امتداد لجبل الزيتون من الزاوية الجنوبية الشرقية للقدس ، وكنيسة القبر المقدس التى تقوم فوق جبل الجلجثة الذى يعتقد المسيحيون أن المسيح صلب عليه ، وهناك عدد كبير من الكنائس والأديرة التى تتبع مختلف الطوائف اليهودية والمسيحية .. أما المسلمون فيعظمون المسجد الأقصى الذى أسرى بالرسول إليه والذى ورد فى القرآن الكريم قال تعالى : ﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله ﴾ سورة الإسراء – آية : ١.

كما يعظمون قبة الصخرة وهى المكان الذى ابتدأ منه المعراج ، ويعظمون كذلك مجموعة كبيرة من المساجد التى بناها المسلمون عبر التاريخ ، وبخاصة مسجد عمر بن الخطاب .. ومن أهم الجبال التى تحيط بالمدينة جبل الزيتون موريا ، ومن أهم أوديتها وادى قدرون ووادى الجبانة ، وفى شمال المدينة القديمة يقع جبل اسكوبس الذى شيد عليه اليهود مركزاً طبياً والمكتبة الجماعية والجامعة العبرية .

ويحيط بالمدينة سور بناه السلطان سليمان القانونى سنة ١٥٤٤ وبهذا السور عدة أبواب هى باب الجليل ، وباب المغاربة ويتجه نحو منخفض الجبانة ومنه تخرج الجنازات لدفن الموتى فى جبل الزيتون ، وباب دمشق ، وباب السلطان عبد الحميد وباب السلسلة .. والمسجد الأقصى هو أهم المعالم الإسلامية فى القدس ومساحة هذا المسجد (٨٥) متراً طولاً و (٥٥) عرضاً ويقوم على (٥٣) عموداً من الرخام ، و(٤٩) سارية من الحجر وفى داخله عند الزاوية القبلية مسجد عمر ، وإلى شماله يقع مقام الأربعين .. ولهذا المسجد أحد عشر باباً أهمها الأسباط ، والحطة والأنبياء ، والقوائمة ، والناظر، والمتوطأ ، والسلسلة ، وهناك ثلاثة أبواب مغلقة هى باب الرحمة ، وباب التعزية وباب البراق .

أما مدينة القدس الجديدة فحافلة بالأبنية المهمة ذات الطابع الحديث غالباً .

تسمية المدينة في التاريخ

مرت مدينة القدس بعدة عصور اختلفت خلالها تسميتها ، وفيما يلى أسماؤها عبر التاريخ :

- أور سالم أو يور سـالم : كان اليبوسيون وهم بطن من العرب الكنعانيين أول من بنى هذه المدينة حوالى ألفى سنة قبل الميلاد ، وأطلقوا عليها : أور سالم أو يور سالم ، نسبة إلى أحد ملوكهم المسمى : سالم ، وهو الذى وسع المدينة وأعلى شأنها .
- يبوس : فى بعض فترات التاريخ القديم أطلق اليبوسيون عليها : يبوس نسبة لهم .
- أورشليم أو جروشليم أو جروشلم : عندما استولى داوود على المدينة أعاد لها الإسم القديم ببعض التحريف تبعاً للنطق العبرى الذى ينطق السين شينا .
- ايلياء كايتولينا : فى العهد الرومانى أصبح اسمها ايلياء كابيتولينا نسبة للمعبد الوثنى الذى بناه أدريانوس .
- أورشليم أو ايلياء : فى العهد المسيحى أطلق عليها الإسمان فأحيانا يطلق هذا وأحيانا يطلق عليها ذاك .
- بيت المقدس أو القدس : فى العهد الإسلامى سميت بيت المقدس أو القدس.

فلسطين الإسلامية والقدس

وقد فتح المسلمون فلسطين أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه . وجاءت الدولة الأموية بعد الخلفاء الراشدين وفى عهد الدولة الأموية بنى عبد الملك بن مروان مسجد قبة الصخرة وبنى ابنه الوليد المسجد الأقصى الذى اتخذ اسمه من القرآن الكريم ، وفى عام ٧٥٤ أعاد الخليفة العباسى المنصور بناء المسجد الأقصى بعد أن تأثر البناء السابق بالزلزال.. وفى خلال العهد الطولونى بمصر ، وكذلك العهد الأخشيدى والفاطمى أصبحت فلسطين تابعة لمصر .

ودخل الصليبيون مدينة القدس سنه ١٠٩٩ وقتلوا المسلمين واليهود والمسيحيين الأرثوذكس ، وعاملوا الجميع بكل القوة والتجبر .

وفى سنة ١١٨٧ استرد صلاح الدين الأيوبى مدينة القدس بعد انتصاره فى موقعة حطين ، وعامل المنهزمين بأقصى ما يمكن من الرحمة .. وعندما استعاد صلاح الدين القدس اتجه لتقديم أعظم هدية للمسجد ، وكانت هذه الهدية هى المنبر الذى كان نور الدين زنكى قد بدأ فى اعداده ، وكان هذا المنبر آية فى الفن والروعة ويعده الباحثون تحفة أثرية رائعة وأعظم منبر فى العالم الاسلامى ، وكان هذا المنبر مصنوعاً من خشب الأرز وخشب الأبنوس ، والعاج ، مع خيوط من الفضة ، وكانت صنعته بالغة الدقة فتماسك الأخشاب فيه بعضها مع بعض تم دون مسامير أو غراء ، بل بالتداخل والتعشيق الدقيق .. وبعد طرد الصليبيين من فلسطين عادت القدس تتبع مصر فى عهد الأيوبيين والمماليك .

وأصبحت فلسطين تابعة للأتراك العثمانيين المسلمين من سنة ١٥١٦ إذ كان العثمانيون قد سيطروا باسم الإسلام على أكثر الدول العربية .. وفى سنة ١٩١٩ احتل الانجليز القدس بقيادة الجنرال المبى وبقيت فلسطين تحت الإنتداب البريطانى ثلاثين عاماً أصدروا خلالها وعد بلفور سنة ١٩١٧ وأخذوا يهيئون البلاد لإحتلال الصهاينة .. وصدر قرار تقسيم فلسطين من الأمم المتحدة التى كانت ولا تزال خاضعة للغرب ، وذلك فى ٢٩/ ١١/ ١٩٤٧ .

وتم إعلان قيام إسرائيل فى ١٥ /٥/ ١٩٤٨ .

وفى يونيو الأسود سنة ١٩٦٧ احتلت إسرائيل القدس القديمة وضمتها للقدس الجديدة التى أنشأتها عقب سنة ١٩٤٨ .

اعتداءات يهودية على الأقصى

واليهود كما يكرهون الإسلام والمسلمين والعرب يكرهون كل ما يتصل بهؤلاء ، والحرب دائرة بينهم وبين الإنسان كما هى دائرة بينهم وبين المقدسات التى تهم ذلك الإنسان ولذلك سجل التاريخ صوراً من عدوان الصهاينة على المسجد الأقصى منذ سيطر هؤلاء الطغاة على مناطق فلسطين سنة ١٩٦٧،وسنروى فيما يلى بعض هذه الاعتداءات :

- فى أغسطس ١٩٦٩ تم عدوان شنيع على المسجد الأقصى ، فقد أشعل المجرم الأسترالى اليهودى (مايكل رومان) بإيعاز من جماعة الصهاينة ناراً شديدة التهمت حوالى (١٥٠٠) متر مربع من مساحة هذا المسجد ، وهى تمثل ثلث مساحة المسجد الشريف ، وقد أتت هذه النيران على المعالم الأثرية التالية :

١ - منبر صلاح الدين الذى تحدثنا عنه من قبل .

٢ - قبة المسجد الخشبية المزخرفة بالزخارف الإسلامية المميزة .

٣- مسجد عمر فى الداخل .

٤ - محراب زكريا وبعض الأقواس والأعمدة .

ومن الواضح أنه كان هناك إهمال شديد فى إطفاء هذه النيران والسيطرة عليها ، وكان ذلك بقصد أن تلتهم النيران أكبر قدر من المسجد والخدمات به . .ولم تنزل عقوبة ذات بال بهذا المجرم الأثيم ، وكل ما حدث أنهم أعادوه إلى وطنه استراليا ، وربما كانت رحلته إلى استراليا رحلة متعة أعيد بعدها إلى إسرائيل الوطن المغتصب .

- وفى ديسمبر سنة ١٩٦٩ اقتحمت مجموعة من اليهود حرم المسجد الأقصى وقامت بالصلاة فيه ، وتكرر ذلك فى مارس سنة ١٩٧١ ، ولما اعترض المسلمون على ذلك أصدرت " روث أور " قاضية محكمة الصلح فى القدس قراراً بأحقية اليهود فى آداء طقوسهم الدينية فى المسجد الأقصى ، ولم يحل دون تنفيذ ذلك إلا ثورات عارمة قام بها المسلمون .
- فى ابريل سنة ١٩٨٢ قام اليهودى الأمريكى " هارى جودمان " باقتحام المسجد وإطلاق النار على المسلمين داخله .
- وفى يونيو ١٩٨٢ حاول (بول ليزنز) أحد أعضاء حركة كاخ أن يقوم بتفجير بعض المتفجرات فى الحرم .

وبالإضافة إلى ذلك يعلن كثير من اليهود أن مجرد وجود مسجد على هضبة المعبد هو تدنيس لها ، ولهذا لابد من تدمير المسجد الأقصى وقبة الصخرة وأى موقع إسلامى آخر فى هذه المنطقة .

إنها صيحة نرفعها لولاة أمور المسلمين ، ولكل مسلم يغار على دينه ومقدساته أن يهبَّ للدفاع عن المسجد الأقصى وعن المقدسات الإسلامية التى تقع الآن تحت سيطرة إسرائيل .

صراع فى أرض السلام

خلق وجود اليهود فى فلسطين صراعاً فى أرض نادى فيها السيد المسيح بالسلام ، ونشر فيها الإسلام أجنحة الحب والوئام وكان موقف اليهود متمشياً مع طبيعتهم التى لا تعيش إلا فى الصراع والظلام ، وقد نزلنا المعارك معهم راضين أو كارهين ، ولكن حرب العاشر من رمضان - السادس من أكتوبر - كانت المعركة الوحيدة التى بدأناها بإرادتنا ، فعبرنا إلى النصر مع قسوة الظروف التى أحاطت بهذه الحرب (المانع المائى والسد الترابى وخط بارليف والنابلم) وحققنا الكرامة والمجد على الرغم من عون الولايات المتحدة لربيبتها إسرائيل ، ومما يدل على مدى هذا النصر ما جاء فى التقرير السنوى لمعهد الدراسات الإستراتيجية الدولية فى لندن أن حرب أكتوبر بسلاحها العسكرى والبترولى جعلت من العرب قوة هائلة ، ويقول التقرير أيضاً : إن حرب أكتوبر جعلت بقاء إسرائيل فى الأرض العربية ترفاً باهظ الثمن لن تقدر عليه بعد اليوم أبداً .

القدس فى العصر الحديث

وتبذل السلطات اليهودية أقصى الجهد لطمس المعالم الإسلامية بالقدس رغبة فى تهويدها ، فهى تعزلها عن باقى المناطق المحتلة ، وتمنع الفلسطينيين من دخولها، وتدفع لها بعض اليهود ، وتقيم بها عمارات على نسق مغاير للملامح العربية والإسلامية وتحدث بالمدينة بعض الأعمال التى من شأنها تغيير مكانة القدس سياسياً وديمجرافياً ودينياً ، وقد احتجت منظمة العالم الإسلامى ضد هذه الأعمال ، وجاء أخيراً زرع المستوطنات فيها ، وفى الوقت الذى تتطور فيه العواصم الإسلامية وتزدهر نجد هذه العاصمة المقدسة تتراجع وينزل بها الضيم من المحتل الأثيم ، وستظل المعارك دائرة بين العرب وإسرائيل طالما وجد اليهود فى هذه المنطقة ، فاليهود لا يعرفون حياة السلام ، وأهدافهم فى الأرض العربية واسعة ، والعرب والمسلمون ملتزمون بالدفاع عن وطنهم ومقدساتهم وأجيال الحاضر والمستقبل يدركون هذه الحقيقة التى ينقلها جيل إلى جيل ، ولابد لهذا الليل من آخر ، مهما تكن جسارة قرار الكونجرس الأمريكى باعتبار القدس عاصمة لإسرائيل ونقل سفارتها من تل أبيب إلى المدينة المقدسة .

* * *

د . عبد الوهاب المسيرى

خبير الدراسات اليهودية

للقدس أهميتها الخاصة عند المسلمين والمسيحيين واليهود نظراً لما تحتويه من آثار دينية ، وهذا ما يجعلها من أهم المراكز الروحية ومن أهم مراكز التوحيد ولكنها فى الوقت نفسه ذات أهمية جغرافية حيث تقع على تقاطع الطرق التى تربط جميع أرجاء العالم القديم بقاراته الثلاث وهذا ما جعلها (شأنها شأن فلسطين ككل) هدفاً لجميع القوى السياسية الدولية على مر العصور ، والاهتمام الصهيونى بالقدس والدعم الاستعمارى للاستيطان الصهيونى فيها لا علاقة له بتطلعات اليهود الدينية التى يمكن الوفاء بها دون أى حاجة لتهويد القدس وتوطين نصف مليون يهودى فيها وربطها بأنفاق وكبارى للمستوطنات التى تقع داخل نطاق ما يسمى " القدس الكبرى " ، بل إن كثيراً من اليهود المتدينين يشكون من أن تهويد القدس يتم فى إطار الإثنية اليهودية (اللادينية) وليس فى إطار الانتماء الدينى ، ولذا يلاحظ أن المدينة التى كانت ذات صبغة دينية واضحة (فى مقابل تل أبيب الشيطانية) بدأت تفقد طابعها الدينى وبدأت تتحول إلى مركز سياحى توجد فيه محلات الأشياء الإباحية على مقربة من حائط المبكى .

وقبل أن نتناول مكانة القدس فى الوجدان العربى اليهودى قد يكون من المفيد أن نتناول بشكل عاجل مكانتها فى الوجدانين المسيحى والإسلامى . ظلت للقدس - بعض الوقت - مكانتها الخاصة فى الوجدان المسيحى إذ كانت فلسطين تعد الوطن المقدس الذى ورّثه المسيح لأبنائه المسيحيين ، ولم تكن القدس توصف بأنها صهيون اليهودية بل بأنها مدينة العهد الجديد المقدسة ، ولم تتضاءل أهمية هذه المدينة كمدينة مقدسة إلا بعد عام ٥٩٠ حين أصبح عرش البابا جريجورى العظيم هو مركز السلطة المسيحية وأصبحت لروما الحظوة على القدس وأصبح أسقف القدس يحتل المرتبة الخامسة فى السلسلة

الهرمية لهيئة الكهنوت الكاثوليكية ، ومع ذلك بقيت فلسطين (الأرض المقدسة) تتغلغل فى حياة وخيال مسيحيى العصور الوسطى وكانت الرحلة إلى الأرض المقدسة مطمح كل مسيحى مع ما قد يرافق ذلك من إغراء بالمغامرة والكسب الاقتصادى ، ومن مشاهد رائعة وكان من يزورونها يثيرون الرغبة لدى الآخرين لزيارتها ،ولا يزال للقدس مكانتها الخاصة فى الوجدان المسيحى (رغم تراجع أهمية الحج على الأقل بالنسبة للمسيحيين الغربيين).

وللكنيسة القبطية موقف خاص من القضية فالحج لا يزال من الشعائر المهمة بالنسبة للأقباط ، ومع هذا أصدر البابا قراراً بتحريم أداء هذه الشعيرة طالما أن القدس تحت هيمنة الدولة الصهيونية وأهم الآثار المسيحية فى القدس كنيسة القيامة التى تضم قبر السيد المسيح والكنائس المقامة على أحقاب طريق الآلام .

أما بالنسبة للمسلمين فيرجع إهتمامهم بالقدس إلى أنها مسرى الرسول (ﷺ) وأرض المعراج ولكونها مباركة (بنص سورة الإسراء) وبها أولى القبلتين وثالث الحرمين ، وكان المسلمون يتوجهون بالصلاة إليها حينما كان المسلمون بمكة قبل الهجرة واستمروا فى التوجه للصلاة إلى بيت المقدس حوالى سبعة عشر شهراً حتى أمرهم الله تعالى بالتوجه إلى الكعبة ، وهناك أحاديث شريفة كثيرة تبين أهمية القدس ومكانتها عند المسلمين وقد اهتم بها الحكام والخلفاء المسلمون فأنشأت فيها المساجد والمقابر والزوايا والتكايا فضلا عن السبل والأربطة والمدارس ، كما أوقف الكثيرون على القدس معظم مسجد قبة الصخرة والمسجد الأقصى والحرم المقدس الذى يضم المسجدين ، وتشغل القدس (أورشليم فى المصطلح الدينى) مكاناً مركزياً فى الوجدان اليهودى فبعد أن استولى عليها داود نقل إليها تابوت العهد ثم بنى سليمان فيها الهيكل ويطلق على المدينة اسم " صهيون" فى الموروث الدينى أما الشعب فهو " بنت صهيون " وهى تضم أيضاً " جبل صهيون وقبر وحائط المبكى " ، وقد أصبحت المدينة مركزاً للدين اليهودى يتجه إليها اليهود ويذكرونها فى صلواتهم وخصوصاً فى الاحتفال بعيد الفصح حيث يرددون " نلتقى فى العام القادم فى أورشليم " وهى المدينة التى كانوا يحجون إليها ثلاث مرات فى العام .

وقد أحاط التشريع اليهودى والتراث الأجادى مدينة القدس بكثير من القوانين والأساطير ، وفى الأجاداه توجد أوصاف مسرفة فى مديح أورشليم وأهلها فهى على

سبيل المثال لا يضاهيها فى حسنها مدينة أخرى وفى محاولة تفسير سبب سقوطها تلوم الاجاداه أهلها وتلقى عليهم المسئولية فأهل أورشليم كانوا يحبون المال ، ويكره بعضهم البعض ويكرهون العلماء ولم يقيموا شعائر السبت ، وجاء فى الاجاداه أيضاً أن الإله خلق أورشليم عند خلقه العالم وأنه أقام خيمة الاجتماع فيها وصلى متمنيا ألا يعصيه أبناؤه وحبيبته أى أورشليم وهناك كذلك إشارات إلى أورشليم فى العصر المشيحانى : فستمتلئ حدودها بالأحجار الكريمة وسيأتى اليهود ويأخذونها وسيضاف إليها آلاف الحدائق وقد طورت القبالاه هذه الأفكار حيث صورت أورشليم على أنها المكان الذى سيفيض فيه الخير من السماء ومنها يوزع على بقية العالم ، وهى بهذا الشخيناه أو الملكوت الذى سيحكم العالم وتحيط التلال بالقدس حتى لا تصل إليها قوى الظلام (الجانب الآخر فى القبالاه) ويقوم على حراستها ملائكة الشخيناه وأورشليم لا يفصلها أى فاصل عن الإله وتصعد كل أدعية جماعة يسرائيل من خلالها كما أن أورشليم باعتبارها الملكوت تلعب دوراً مهماً فى عملية الإصلاح (تيفون) إذ ستعلو جدرانها وتقترب من العرش الإلهى وبهذا يعود التوازن للعالم ولعالم التجليات (سفيروت) والقدس هى إحدى مدن فلسطين الأربع المقدسة التى يجب ألا تنقطع فيها الصلاه (إضافة إلى الخليل وصفد وطبرية) .. ومع هذا تحرم اليهودية الحاخامية العودة إلى فلسطين (ارتس يسرائيل) ومن ثم القدس إلا فى آخر الأيام وقد أحجم أحد كبار الحاخامات عن زيارة القدس وقطع رحلته فى طريقه إليها خوفاً من أن يفسر الصهاينة رحلته هذه على أنها قبول لمبدأ العودة اليهودية بأن تحول فكرة اللقاء فى القدس إلى فكرة معنوية تشبه فكرة العصر الذهبى والحلم بالسعادة والفردوس ولكن الصهيونية فسرت الشعار الدينى تفسيراً حرفياً وحولته إلى شعار سياسى ، وفى إطار هذا الفهم السياسى الضيق قام الإسرائيليون بتغيير الصلوات واستبدلوا بالصيغة التقليدية فى الدعاء صيغة جديدة تقول : فى العام القادم نعيد بناء أورشليم ولا يعترف السامريون بالقدس مركزا للدين اليهودى فنابلس هى مدينتهم المقدسة .

ولكن إلى جانب الوجدان الدينى يوجد التاريخ الميقن بكل نتوئه وحقائقه ومدينة القدس هى حقيقة تاريخية تسبق الوجود العبرانى فى فلسطين بعشرات القرون واستمرت

بعدها بعشرات القرون الأخرى فقد كانت مركزاً للحضارة الكنعانية حيث كان اليبوسيون هم أول من أقاموا فيها ملكاً واتخذوا فيها هياكل لآلهتهم واعتبروها مدينة مقدسة حيث أقيمت فيها العبادات عند الصخرة المقدسة فى عصور سحيقه فى القدم ، كما يبدو من سياق النص التوراتى عن ملكى صادق ملك شاليم أنه كاهن الإله العلى وأنه كان يجمع السلطتين الإدارية والدينية فالمدينة إذن كانت مقدسة من قبل إبراهيم الذى يعود زمنه إلى نحو ١٩٠٠ ق .م وقد كتب حاكمها اليبوسى فى عام ١٥٥٠ ق .م يستنجد بفرعون مصر من غارات الخابيرو وأصبحت المدينة خاضعة لنفوذ مصر فى عهد تحتمس الثالث فى عام ١٤٧٩ ق .م ولم يستولِ عليها داود (الذى حولها إلى عاصمة المملكة اليهودية المتحدة) إلا فى عام ١٠٤٩ ق . م أى بعد مرور مدة طويلة من سكنى العبرانيين فى كنعان وبعد وفاة سليمان أصبحت أورشليم عاصمة المملكة الجنوبية وحسب ، أما المملكة الشمالية فكانت عاصمتها شكيم (نابلس) .

وقد هاجمها ملوك المملكة الشمالية عدة مرات ودك الملك يوآش حوائطها عام ٧٨٥ ق م واستولى فرعون مصر شيشاق (شيشنق) عليها بين عامى ٩٢٠ و٩٣٥ ق م وخرب المدينة وحمل كنوز الهيكل والقصر كغنائم حرب وسقطت القدس فى يد الآشوريين فى عام ٧٢٠ ثم فى عام ٦٧٨ ق م وقام نبوخذ نصر بدك أسوارها فى عام ٥٨٦ ق م ثم استولى الفرس عليها فى عام ٥٣٨ ق م واحتلها الإسكندر الأكبر فى عام ٣٣٢ ق .م حيث تأرجحت السيطرة على أورشليم فى عهد خلفائه من البطالمة والسلوقيين وقد حاول الكاهن الأعظم ياسون أن يغير من طابعها ويؤغرقها تماماً ويحولها إلى مدينة يونانية تسمى "أنطاكية " فأسس فيها جيما نزيوم ، واندلع التمرد الحشمونى فى القدس ، فاستولى الحشمونيون عليها عام١٣٥ ق م ودخل القائد الرومانى بومبى إلى القدس فى عام ٦٣ ق م وبعد اندلاع التمرد اليهودى الأول ضد الرومان استولى تيتوس على القدس وهدم الهيكل فى عام ٧٠ م وبعد التمرد الثانى (١٣٢ - ١٣٥) دمرها الرومان وأسسوا مكانها مستعمرة رومانية سميت " ايليا كابيتولينا " حرم على اليهود دخولها .. وبعد اعتناق قسطنطين المسيحية أصبحت القدس مدينة مسيحية وظلت كذلك حتى عام ٦٣٧ (إلا فى الفترة بين عامى ٦١٤ و ٦٢٨ حين سقطت فى يد الفرس) وفى عام ٦٣٧ فتحها العرب

حيث سميت باسمها الحالى " القدس " أو "بيت القدس" .

ومنذ عام الفتح الإسلامى أصبحت القدس حاضرة إسلامية وبنى فيها مسجد الصخرة عام ٦٩٠ ميلادية حتى عام ١٠٩٩ حين حاصرها الفرنجة وسقطت لهم ولما استولى صلاح الدين على المدينة فى عام ١١٨٧ ، ازداد عدد أبناء الباعة اليهودية سريعاً لكن أحد علماء اليهود كتب يقول أنه لم يجد فيها بعد خمسين عاماً من ذلك التاريخ إلا عدداً صغيراً من اليهود ذلك لأن سكان القدس كانوا قد أصبحوا كلهم تقريبا مسلمين ، وقد أصبحت القدس تابعة للدولة العثمانية عام ١٥١٦ م وفى عهد سليمان القانونى أعيد تأسيس أسوار المدينة (عام ١٥٣٨ - ١٥٣٩) وهكذا يتضح أن القدس فى أصلها ومعظم تاريخها لم تكن مدينة يهودية بل إن عدد سكان الإسكندرية من اليهود كان يفوق فى القرن الأول قبل الميلاد عدد سكان القدس وذلك قبل سقوط الهيكل ومع هذا احتفلت الدولة الصهيونية بمرور ثلاثة آلاف عام على تأسيس مدينة القدس .

وفى العصر الحديث وقعت المدينة (وكل فلسطين عام ١٩١٧) فى قبضة الإستعمار الانجليزى وبدأ الإستيطان الصهيونى تحت مظلة هذا الإستعمار إلى أن قامت دولة إسرائيل فتم تقسيم القدس عام ١٩٤٨ إلى القسم الغربى (التابع لإسرائيل) والذى فرغ من معظم سكانه (حوالى ٣٠ ألفاً) والقسم الشرقى (التابع للأردن) وأعلنت إسرائيل القدس (الغربية) عاصمة لها فى ٢٣ يناير ١٩٥٠ وكانت نسبة العرب من المسلمين والمسيحيين آنذاك ٨٤% من السكان ، بينما كانت نسبة اليهود ١٤% (الباقون أجانب) وكان ما يملكه اليهود فى الأرض لا يتجاوز ١٧% من مساحة المدينة ثم احتلت الدوله الصهيونية القدس الشرقيه وبدأت عملية تهويدها .

* * *

د . محمد عمـارة

الكاتب والمفكر الإسلامى

أمانة عمر .. تنتظر صلاح الدين

فى الألف الرابعة قبل الميلاد بنى الكنعانيون - أهل فلسطين - مدينة "يوروسالم" أو "يوروشالم" ومن اسمها هذا جاءت تسميتها الغربية JerussIemt فى اللغات اليونانية واللاتينية والألمانية والفرنسية والإنجليزية وغيرها .. ومن هذا الاسم أيضاً جاءت تسميتها فى "العهد القديم" بـ "أورشليم" .. ولقد بدأ تاريخ العبرانيين الاتصال بهذه المدينة الكنعانية ، عندما استولى عليها داود عليه السلام فى القرن العاشر قبل الميلاد ، أى بعد نحو ثلاثة آلاف عام من تأسيسها على يد الكنعانيين .. ولم تدم هذه السيطرة العبرية على هذه المدينة لأكثر من أربعة قرون - (٤١٥ عاماً) - .. أى إلى التاريخ الذى هدمها فيه البابليون الذين أزالوا مملكة يهوذا من الوجود سنة ٥٨٥ ق .م وبدأوا حقبة "السبى البابلى" للعبرانيين ، وحتى بعد سماح الفرس لبعض العبرانيين بالعودة إلى أرض كنعان كانت عودة الذين عادوا منهم إليها ، عودة استيطان ، بلا دولة وبلا سيادة على مدينة "أورشليم" .

ولكن هذا "الوجود اليهودى" قد عاد وأثار حفيظة الدولة الرومانية ، فدمروا هذه المدينة مرتين الأولى على يد الإمبراطور "تيطوس" Titus (٣٩- ٨١ م) فى سنة ٧٠ م .. والثانية على يد الإمبراطور "حدريانوس" سنة ١٣٥م ، وذلك عندما محاها محواً تاماً ، بل وغير اسمها إلى "ايليا كابيتولينا" أى ايليا العظمى وهو الاسم الذى ظل

علماً عليها حتى الفتح الإسلامى لها (١٥ ، ٦٣٦ م) فى خلافة الراشد الثانى الفاروق عمر بن الخطاب (٤٠ ق. هـ - ٢٣هـ ، ٥٨٤ - ٦٤٤ م) .

وفى السنوات الأربعمائة التى سيطر فيها العبرانيون على هذه المدينة احتكروا قداستها لمقدساتهم وحدهم ، دون غيرهم من الشعوب التى كانت تقطن أرض كنعان فى ذلك التاريخ ، وهى الشعوب التى بنت هذه المدينة قبل ثلاثة آلاف عام من دخول داود عليه السلام إليها وظلوا يمارسون هذا الاحتكار بل والاضطهاد ، مع النصرانية والنصارى منذ بعثة المسيح عيسى بن مريم ، عليه السلام .. وبعد تدين الدولة الرومانية بالنصرانية (فى القرن الرابع الميلادى) كانت قدسية هذه المدينة " ايليا " وقفا على النصارى ، الذين اضطهدوا اليهود وجعلوا أماكن "هيكلهم" - بعد هدمه - مجمعاً للقمامة والقاذورات ، تجلب إليه من داخل المدينة وخارجها حتى لقد طلبوا من عمر بن الخطاب عند تسلمه للمدينة بعد فتحها أن يضمن لهم " ألا يساكنهم فيها أحد من اليهود " .. ذلك هو تاريخ هذه المدينة قبل الإسلام .. لكن فتح الإسلام والمسلمين لهذه المدينة " يوروسالم " أورشليم - إيليا" كان بداية عصر جديد ..

فالإسلام والمسلمون هم الذين أعطوا لهذه المدينة القداسة والقدسية حتى فى اسمها الجديد ، فسميت بـ " بيت المقدس " و " القدس " منذ ذلك التاريخ .. ولأول مرة فى تاريخها الدينى ، تصبح قداستها عامة لجميع أمم الرسالات السماوية اليهودية والنصرانية .. والإسلام وليست حكراً لأبناء دين دون غيرهم من أبناء الديانات الأخرى .

فأماكن المقدسات اليهودية المهدومة منذ قرون ، والتى جعلها النصارى فى العصر الرومانى " مجمعاً للقمامة والقاذورات " ذهب إليها عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - بعد أن تسلم المدينة وعقد مع أهلها " العهد العمرى " الشهير فوجد على الصخرة زبلاً كثيراً ، مما طرحه الروم غيظاً لبنى إسرائيل ، فبسط رداءه وجعل يكنس ذلك الزبل وجعل المسلمون يكنسون معه الزبل وتتبع المسلمون أماكن عبادة الأنبياء السابقين واحداً واحداً ، إبتداءاً من إبراهيم إلى آخر من دفن منهم فى فلسطين وبيت المقدس فأقاموا فيها المساجد وحافظوا على قدسيتها وطهروها تطهيراً (د . اسحاق موسى الحسينى " مكانة بيت

المقدس فى الإسلام " كتاب المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية - ص ٥٧ ، ٥٨ - سنة ١٩٦٨م) .

عمر يتسلم أمانة القدس

لقد أحل المسلمون هذه المدينة مكاناً فريداً تميزت به عن كل المدن التى فتحوها وذلك عندما لم يتسلمها القائد الفاتح وهو " أمين الأمة " أبو عبيدة بن الجراح (٤٠ ق هـ - ١٨ هـ ، ٥٨٤ - ٦٣٩ م) وكان تسليمها للخليفة عمر بن الخطاب الذى ركب من " المدينة المنورة " إليها ليتسلم أمانتها وليعقد بنفسه " العهد العمرى " مع بطريركها " صفر- ونيوس " (١٧ ٥ هـ ، ٦٣٨ م) .. ولتكون لها ، بهذه الخصوصية مكانة " أمانة الفاروق عمر" لدى أمة الإسلام ! .. وهو شرف لم تحظ به مدينة من المدن التى فتحها المسلمون عبر تاريخ الفتوحات .

وبتغير اسم هذه المدينة إلى " القدس " و " بيت المقدس " رفع المسلمون عليها رايات القدسية والتقديس ، وبتحرج عمر بن الخطاب عندما كان يجلس مع " صفر ونيوس" فى كنيسة القيامة من أن يصلى فى الكنيسة رغم دعوة البطريرك ، كى لا تكون لمسلم شبهة حق فى أرض الكنيسة يقيم فيها مسجداً .. بهذا الموقف العمرى أضفى عمر بن الخطاب تقديس الإسلام لمقدسات النصارى .. ولم يكن عمر فى ذلك " مبتدعاً " بل ولا حتى " مجتهداً " لأنه هو المؤمن بالعقيدة الإسلامية ، التى لا تكتمل أركانها إلا بالإيمان بسائر الرسل وجميع الرسالات وكل الكتب التى سبقت رسالة محمد ﷺ ، على درب علاقة السماء بالإنسان ﴿ ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ، أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾ البقرة ٢ - ٥ ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله ﴾ البقرة ٢٨٥ .. وهو - عمر - الذى يتعبد بالقرآن الكريم ، الذى عرض لمقدسات أمم الرسالات السماوية جميعاً فبدأ بالصوامع وانتهى بالمساجد (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ، ولينصرن الله من ينصره إن الله

لقوى عزيز) الحج - ٤٠ .. بهذا الموقف العمرى ، بدأت الحقبة الإسلامية فى تاريخ المدينة فغدت قداستها عامة لعامة أبناء رسالات السماء .. فكنيسة القيامة قدس خاص بالنصارى .. ومواطن المقدسات اليهودية ، أعاد إليها عمر والمسلمون الطهارة عندما رفعوا عنها القمامة والقاذورات وارتفعت فى المدينة عمائر المساجد الإسلامية .. صنع المسلمون ذلك ، لأنهم أمة الرسالة الخاتمة التى ورثت كل مواريث الأنبياء والمرسلين فكانت رسالة رسولهم اللبنة التى تممت بناء دين الله الواحد وحملت أمانة الحفاظ على سائر لبنات هذا البناء ، فأمة الشريعة التى أكملت الدين الإلهى الواحد هى الحاملة لأمانة الحفاظ على مقدسات سائر شرائع هذا الدين لأنها وحدها التى تعترف بشرعية سائر شرائع هذه الأديان.

والمسلمون صنعوا ذلك مع القدس تحديداً ، لأن قرآنهم الكريم قد جعل الرباط بين " القدس " وبين الحرم المكى الذى هو قبلة الأمة الخاتمة آية من آيات الله وليس مجرد رباط سياسى أو إدارى يقيمه فاتحون وينقضه غزاة .. ﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾ الإسراء : ١ .. فكان الإسراء - إسراء الله بعبده ورسوله من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى - وعروجه من الصخرة إلى سدرة المنتهى الإعلان الإلهى عن ختم هذه الرحلة القدسية لخطوات الأنبياء والرسل على طريق الله وعن حمل أمانة الرسالة الخاتمة أمانة الجهاد فى سبيل الحفاظ على مقدسات كل الرسالات تلك التى تجسدها مدينة القدس قبل غيرها وأكثر من غيرها من المدن والبقاع .

ولقد شهد التاريخ الإسلامى للقدس بأحرف من نور على وفاء الأمة الإسلامية بهذه الأمانه التى أرادها الله والتى رمزت إليها رحلة الإسراء والتى سلمها إياها عمر بن الخطاب .. فغدت القدس منذ ذلك التاريخ مشاعة القداسة مفتوحة الأبواب لكل أبناء رسالات السماء .. ازدهرت فيها إلى جانب المساجد الإسلامية كنائس النصارى .. وأخذ اليهود يعودون إلى سكناها بعد أن حرموا من ذلك فى العهد الرومانى ، الوثنى والنصرانى على حد سواء ! .. بل لقد تولت الأسر المسلمة القدسية " نظارة الأوقاف " التى أوقفها النصارى على كنائسهم ، إختارهم النصارى لذلك فرعوا هذه المقدسات

النصرانيـة على امتـداد التاريخ الإسلامى .. وشـاء الله أن تظل هذه الأمانة من خـصائص الأمة الإسلاميـة والدول الإسلامية دائماً وأبداً ، فعندما جـمع البابا الذهبى " اربان الثانى " (١٠٨٨ - ١٠٩٩) فرسـان الإقطاع الأوروبيين - الذين كـانوا يتناحرون عـلى الإمارات والجبايات ليوجه طاقاتهم القتالية ضد العالم الإسلامى ، فى سبيل احتلال القدس وبعد أن ضمن تمويل الحملات الصليبية من قبل المدن التـجارية الإيطاليه مقابل استيلائها على طرق التجارة العالمية المارة بالـوطن العربى !

وخاطب البابا هـؤلاء الفرسان - فى " كليرمونت " بجنـوب فرنسا سنة ١٠٩٥م - فقال لهم : " أنتم فـرسان أقوياء ، ولكنكم تتناطحون وتتنابذون فيـما بينكم ، ولكن تعالوا وحاربوا الكفار " المسلمين ؟! " يامن تنابذتم اتحـدوا يامن كنتم لصوصاً كونوا الآن جنوداً تقدموا إلى بيت المقدس انتزعـوا تلك الأرض الطاهرة واحفظوها لأنفسكم فهى تدر سمناً وعسلاً ؟ إنكم إذا انتصرتم على عدوكم ورثتم ممالك الشرق " !

اللصوص والمدينة المقدسة

فلما حـدث واجتاح هؤلاء " اللصـوص الذين صاروا جنوداً " المدينة المقـدسة سنة ١٠٩٩ م ، ماذا صنعوا بها ؟! لقد صنعوا ما وصفه المؤرخ المسيحى "مكسيموس مونروند " فى كتابه " حرب الصليب " فقال بلغته وعبارته :

" انعقـد ديوان المشورة العسكرية الصليبى فقـرر أن يمات " يقتـل " كل مسلم باق داخل المدينة المقدسة " !!

واستمرت المجزرة أسبوعاً كاملاً ومن هرب فى البيوت والأقبية قبضوا عليه وقذفوا به من أعلى البيوت والأبراج فى النار ! ، أما الذين احتموا بجامع عمر ابن الخطاب - الذى سبق وتحرج من مجرد الصلاة فى كنيسة القيامة ـ فلقد غدت دماؤهم سيلا " علا إلى حد الركب ، بل إلى حد لجم الخـيل " - كما يقول " مكسيـموس " - وفى الرسالة التى بعـثوا بها إلى البابا ، يبشرونه بما صنعوا قالوا مـفاخرين : " إذا أردت أن تعرف مـا يجـرى لأعدائنا ، فثق أنه فى معبد سليمان كانت خيولنا تغوص إلى ركبها فى بحر دمـاء الشرقيين !!

وأبادوا المسلمين وكذلك اليهود وحولوا المسجد الأقصى إلى كنيسة لاتينية وانفردوا بالمدينة المقدسة بعد أن حفظ المسلمون قداستها بين أبناء كل الديانات !

لكن ذاكرة الأمة لم تنس ، للحظة واحدة ، هذه المدينة المقدسة بل لقد اتخذت منها ثقافة الأمة والتى كان الشعر لسانها المعبر وإعلامها المفصح الرمز لذلك الصراع الذى دام مع الغزوة الصليبية على امتداد قرنين من الزمان (٤٨٩ - ٦٩٠هـ - ١٠٩٠ - ١٢٩١) .. وكانت الأمة تدرك أن فك أسر القدس وتحرير الأقصى واستعادة الأرض الصليبية لاسبيل إليها إلا بوحدة مصر مع المشرق العربى لتطويق الكيانات الصليبية المغروسة قسراً فى قلب وطن الأمة ، ولذلك كان التذكير بالقدس مصاحباً لكل خطوة تتحقق على طريق هذا التوحيد ، فعندما تدخل جيوش السلطان نور الدين الشهيد (٥١١ - ٥٦٩ هـ ١١١٨ - ١١٧٤م) إلى مصر بقيادة أسد الدين شيركوه ومعه ابن أخيه صلاح الدين الأيوبى- فتبدأ بذلك خطوات وحدة مصر بالمشرق العربى - نجد " العماد الكاتب " ، وهو يهنئ أسد الدين شيركوه مذكراً إياه بالمقصد الأسمى : القدس والمسجد الأقصى فيقول لأسد الدين : " فتحت مصر ، وأرجو أن تصير بها ميسراً فتح بيت القدس عن كثب " .

فإذا توجه بالتهنئة إلى السلطان نور الدين رأيناه يحدثه عن أن شروط تحرير القدس قد بدأت تجتمع - بوحدة مصر مع المشرق فيقول :

" أغز الفرنج فهذا وقت غزوهم وأحطم جموعهم بالذابل

الحطم فملك مصر وملك الشام قد نظما فى عقد

عز من الإسلام منتظم "

فانتظام وحدة مصر والشام فى " عقد الإسلام " هو شرط التحرير للقدس الأسيرة والأقصى السليب !

ونفس " الفكر الاستراتيجى " يعبر عنه " الشعر " عندما يعلن ابن عساكر بن الحسن هبة الله ، أن لاعذر عن تأخير المعركة الفاصلة طالما تحققت وحدة مصر والشام فى " عقد الإسلام " فيوجه الحديث إلى السلطان نور الدين قائلاً :

ولست تعذر فى ترك الجهاد وقد

أصبحت تمر من مصر إلى حلب

وصاحب الموصل الفيحاء ممتثل

لما تريد ، فبادر فجأة النوب

وعندما يستكمل صلاح الدين الأيوبى (٥٣٢ - ٥٨٩ هـ ، ١١٣٧ - ١١٩٣م) مقومات معركة التحرير ويحرز انتصاره على الصليبيين فى غزة نجد الشاعر العماد الكاتب يحدثه عن أن فتح القدس هو الباب لتحرير سائر البقاع التى احتلها الصليبيون ، فهى الرمز للصراع كله وهى البوابة لتعميم الانتصارات . يعبر العماد الكاتب عن هذه الاستراتيجية الإسلامية شعراً يتوجه به إلى صلاح الدين الأيوبى ، فيقول :

غزوا عقر دار المشركين " بغزة "

جهارا وطرف الشرك خزيان مطرق

وهيجت للبيت المقدس لوعة

يطول بها منه إليك التشوق

هو البيت ، إن تفتحه والله فاعل

فما بعده باب من الشام مغلق

هكذا كانت " القدس " : الرمز والمقصد والمفتاح ! ولا تزال !

وعبر " حطين " التى كانت بلغتنا " المعركة المصيرية " المقررة لوجود المنتصر و" عدم المهزوم " والتى تحدث عنها الأمير الفارس المؤرخ - الذى عاصرها - ابن شداد (٦١٣ - ٦٨٤هـ ، ١٢١٧، ١٢٨٥) فقال : " لقد علمت كل طائفة أن المكسورة منها مدحورة الجنس معدومة النفس " ! عبر " حطين " وصلت جيوش صلاح الدين إلى أسوارالقدس ، فحررها فى ذكرى الإسراء والمعراج - ٢٧ رجب سنة ٥٨٣ هـ ٢ أكتوبر سنة ١١٨٧م ليعيدها إلى " عقد الاسلام " الذى انتظمت فيه منذ أن أسرى الله برسوله ﷺ ، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى بارك فيه وحوله أرض فلسطين .

وبعد تحرير صلاح الدين الأيوبى للقدس ، لم يبق - كما قال الشاعر - " باب من الشام مغلق ، فتحررت الكثير من المدن والقلاع والحصون التى سبق واستولى عليها

الصليبيون ، وبهذا التحرير عادت القدس ، كما كانت قبل الغزوة الصليبية المدينة المقدسة ، والمشاعة قدسيتها - تحت السلطة الإسلامية - لسائر أبناء كل أمم ورسالات السماء !

لكن القوى الغربية التى حركت ونظمت ومولت وقادت الغزوة الصليبية قد عادت فى مرحلة لاحقة وفى طور جديد لتحقيق ذات المقاصد " انتزاع الأرض التى تدر سمناً وعسلا" ! ! فبدأت بعد سقوط غرناطة (٨٩٧ هـ ، ١٤٩٢ م) مرحلة تطويق العالم الإسلامى عبر اكتشاف البرتغال لرأس الرجاء الصالح (٩٠٣هـ ، ١٤٩٧ م) ومحاربة الجيش المصرى على سواحل الهند (٩١٠هـ ، ١٥١٤م) لتسلم إلى مرحلة ضرب قلب هذا العالم الإسلامى التى بدأت بحملة بونابرت على مصر (١٢١٣ هـ ، ١٧٩٨م) ولتؤسس منذ ذلك التاريخ " الشراكة " بين المشروع الغربى وبين المشروع الصهيونى ، فمن نداء نابليون ليهود العالم كى يتعاونوا معه لإقامة امبراطوريته الشرقية لقاء أن يعد إليهم " ملك بنى إسرائيل " إلى وعد بلفور (١٩١٧م) إلى إقامة إسرائيل (١٩٤٨م) إلى اغتصاب كامل القدس (١٩٦٧م) ، والذى بدأت به مرحلة تهويد المدينة المقدسة واحتكارها دون الذين حملوا أمانة قداستها وعمموها لكل أبناء الديانات لأكثر من أربعة عشر قرناً !

وإذا كانت ذاكرة الأمة - بواسطة ثقافتها - قد ظلت واعية بمكانة القدس فى هذا الصراع التاريخى المتعدد المراحل والحلقات ، مكانة " الرمز ، والمقصد ، والمفتاح " حتى جاء فحررها صلاح الدين الأيوبى ، فإن مهمة ثقافتنا - الوطنية ، والقومية ، والإسلامية المعاصرة - هى إبقاء ذاكرة الأمة على وعيها الكامل بمكانة هذا القدس الشريف ، ولذلك حتى يطلع الفجر الجديد بالناصر : صلاح الدين الجديد .

* * *



د . برنارد سابيلا

الأستاذ بجامعة بيت لحم بالقدس

المسيحية والقدس

فى الديانة المسيحية فإن القدس هى أم الكنائس قاطبة . ذلك أن هذه المدينة قد شهدت الأحداث المتعلقة بحياة المسيح وبصلبه وبقيامته . وقد قامت فى هذه المدينة الجماعة المسيحية الأولى والتى ضمت المسيح وتلاميذه ، وبذلك فإن المدينة تشهد للبداية الجديدة فى المسيح وهى نقطة انطلاق للمسيحية .. وللمسيحيين من أبناء فلسطين في المدينة المقدسة ووجودهم فيها تأكيد لاستمرارية البداية الجديدة فى المسيح . ويرجع بعض المسيحيين الفلسطينيين جذورهم لكنيسة القدس الأولى ويستعملون فى صلواتهم وشعائرهم اللغة الأرامية والتى كانت لغة المسيح نفسه . وهناك مسيحيون فلسطينيون آخرون يقطنون القدس اليوم ويعودون بجذورهم لشرقى الأردن ولغيرها من البلدان المجاورة . وبغض النظر عن الجذور والأصول فإن مسيحيى القدس يجسدون حلقة متصلة بالقدس الأرضية التى جاءها المسيح وأسس فيها جماعته الأولى .

ومع إرتباط المسيحيين الشديد بقدسية المدينة وبمغزاها الدينى لهم ، إلا أنهم فى العصر الحديث وفى الواقع ، منذ الفتح الإسلامى لفلسطين ، قد ارتبطوا مصيرياً بإخوانهم من المسلمين وأقاموا علاقات حسن جوار وألفة ومشاركة مبنية على احترام متبادل . وأكثر من يجسد هذا الاحترام هو الخليفة عمر بن الخطاب فى أعماله وعهده لأمان المسيحيين وأماكنهم المقدسة عقب الفتح الإسلامى فى عام ٦٣٨ م . كان بُعد نظر الخليفة عمر قد مهد الطريق لعلاقات ممتازة بين أتباع الديانتين واستمر المسيحيون فى القدس وفلسطين يعيشون حرية دينية مكنتهم من إقامة المؤسسات التعليمية والصحية والتى وفرت خدماتها لكل السكان دون إستثناء مما زاد من الشعور المتبادل بالثقة والاحترام ، وحين حلّت النكبة

بأبناء فلسطين فإنها أصابت جميع الفلسطينيين ومنهم المسيحيون الذين وجد أكثر من ثلثهم ، أى ٣٥ ألفاً ، أنفسهم فى وضع اللاجئين . وتشهد أزقة البلدة القديمة على آلام المسيحيين والمسلمين من اللاجئين الذين وفدوا إليها عام ١٩٤٨ ووجدوا فيها المساعدة دون اعتبار لخلفية دينية أو اجتماعية . وقد صهرت النكبة أبناء القدس من مسلمين ومسيحيين وعلمتهم الوقوف سوية فى أوقات المحن والصعوبات ، وكذلك فى أيام الهدوء والاستقرار والتى عزت وندرت فى حياة الكثير من سكان القدس وفلسطين فى أيامنا هذه .. ومما زاد من أواصر الألفة والحياة المشتركة أن أهل القدس من مسيحيين ومسلمين قد سكنوا فى أحياء مشتركة وعملوا سويا فى المؤسسات العامة والخاصة وذهبوا إلى مدارس ومؤسسات تعليمية تتميز بالانفتاح والتسامح . وفى الأعياد والمناسبات ترى المسيحيين والمسلمين من أهل القدس يتبادلون التهانى والتبريكات وتراهم كذلك يواسون بعضهم البعض فى مصائبهم العامة والخاصة .

وقد تعرض المسيحيون مثلهم مثل إخوانهم من المسلمين إلى ضغوطات نتجت وبشكل خاص عن إحتلال إسرائيل للجزء الشرقى من القدس . وتمثلت إحدى هذه الضغوطات بحقيقة أن عدد المسيحيين والذى كان قد وصل إلى ٢٨ ألفاً عام ١٩٤٥ انخفض إلى ١١ ألف نسمة للعام ١٩٩٤ . ويعزى هذا الانخفاض لنزيف هجرة متواصل ومرتبط بالأوضاع الإقتصادية والسياسية الصعبة التى يعيشها شعبنا الفلسطينى فى القدس العربية وفى فلسطين . وإذا ما نظرنا إلى الأحد عشر ألفاً من المسيحيين فى القدس فإننا لجدهم ينتمون إلى أكثر من عشر كنائس تمثل تعددية المسيحيين فى شتى بقاع الأرض . ورغم هذه التعددية فإن الغالبية العظمى وبالتحديد ٩١ بالمائة من المسيحيين فى القدس وفى فلسطين من أهل البلاد الأصليين أى من الفلسطينيين . وفي الوقت نفسه فإن التعددية المسيحية قد مكنت العديد من المسيحيين الفلسطينيين من أن يكونوا متحدثين بارزين فى مجال الدفاع عن قضيتهم وعن أمتهم فى المحافل الدينية وغيرها فى العالم الواسع ويعد المسيحيون الفلسطينيون اليوم أكثر من ٤٠٠ ألف منهم ٥٠ ألفاً فى الضفة الغربية وقطاع غزة و ١٢٠ ألفاً فى إسرائيل ، أما الباقون فإنهم أسوة بإخوانهم الفلسطينيين منتشرون فى شتى بقاع الأرض .

وفى القدس - وبالتحديد البلدة القديمة - يعيش ٦٠ بالمائة من الأحد عشر ألف مسيحى ، وبينما تعيش الأغلبية فى حارة النصارى وحارة الأرمن فإن العديد من العائلات المسيحية تتجاور والعائلات المسلمة فى حارات القدس الأخرى والتى يغلب عليها الطابع الإسلامى . وفى خارج البلدة القديمة يعيش بقية المسيحيين فى أحياء شعفاط وبيت حنينا فى الطريق شمالاً لرام الله وتتميز علاقاتهم مع جيرانهم من المسلمين بالطيبة وحسن الجوار ويشتركون فى الكثير من المؤسسات سواء التعليمية أو الترفيهية أو غيرها .

ويواجه أهل القدس ، مسلمون ومسيحيون ، مشكلة تمييز مستمرة فيما يتعلق بالسكن وتسهيلات الحياة الإقتصادية والإجتماعية والدينية . وفى وقت نتحدث فيه عن السلام ، ومن منا لايريد السلام الذى يقوم على العدالة واحترام حقوق الآخرين وتوفير الفرص المتكافئة للمشاركين فى صنع السلام ، فإن أهل القدس العربية لا يجدون أماكن للسكن . وهذه مشكلة نواجهها جميعاً فالمسيحيون والمسلمون أسرة متساوية فى هذا الأمر ، وبينما يبنى الفلسطينيون فى القدس الشرقية ٢٣٢ منزلاً كل عام فإن المعدل السنوى لبناء المنازل لليهود فى القدس الشرقية ذاتها يتجاوز ١,٨٠٠ منزل . ولا غرابة إذن إذا وصل الاكتظاظ السكانى فى القدس العربية إلى ٤,٨ أفراد لكل منزل مقارنة بـ ٣,٦ أفراد لكل منزل يهودى فيها .

وتكمن دلالة هذا الاكتظاظ السكانى بأن العديد من شباب القدس - مسيحيين ومسلمين - يتركون مدينتهم المقدسة ويهاجرون سعياً للرزق والعيش الملائم . ومنذ فرض ما يسمى بالطوق الأمنى فى أذار ١٩٩٣ فإن حياة القدس الاقتصادية لكافة فئات السكان بغض النظر عن الدين أو حارة الإقامة قد تضررت وكذلك تعقدت الحياة الاجتماعية بحيث لم يعد العديد من العائلات والتى يسكن أعضاؤها فى القدس وفى مدن وقرى الضفة الغربية يلتقون سوى للمناسبات مثل الزيجات والجنازات وغيرها من الأمور الحياتية اليومية . ولربما كانت أصعب الصعوبات هى حقيقة عدم إمكانية الوصول للقدس للمسيحيين وللمسلمين لأداء شعائر الصلوات وبخاصة فى أيام الآحاد والجمع وفى أيام الأعياد والمناسبات الدينية .. وبعد ، ما هو الموقف المسيحى من القدس أو هل هناك موقف مسيحى من القدس ومستقبلها ؟

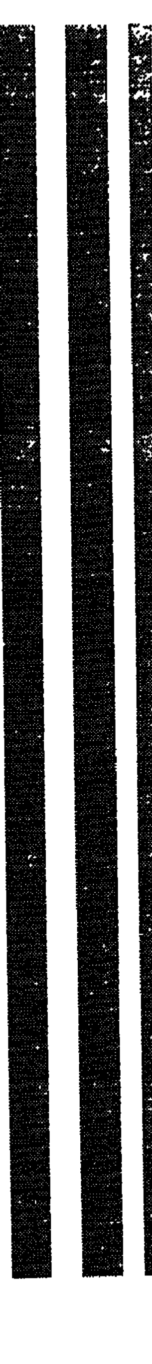
أود هنا أن أشـدد بأن موقـف المسيـحـيين الفلسـطينيين هو مـوقف غالبـيـة شعـبنا الفلسطينى بأن القدس هى عاصمة دولتنا الفلسطينية . أى أنه لايوجد هناك موقف مختلف أو متميـز عن الموقف الفلسطينـى العام . ويحـتـرم المسـيحى الفـلسطينى الطابع العـربى الإسلامى للقـدس ويحلّه بناءً على تاريخ مـشترك من الاحـترام المتبـادل والتسـامح ما بين الديانتين السماويتين . ولم يكن هذا الطابع يوماً من الأيام حجر عثرة أمام الممارسة الكاملة والحرة للمسيحيين الفلسطينيين لشعائرهم وطقوسهم ولبناء كنائسهم وتشييد مؤسساتهم . ويأمل المسيحيون الفلسطينيون فى أنه فى ظل سلام حـقيقى ستكون القدس لأهلها مصدر راحة وطمأنينة واستقرار عميق .

واسمحوا لى أن أنبه إلى موقف لاهوتى من القـدس عند المسيحية بشكل عام وهذا الموقف يقـول بأن الأهم من القدس هذه الأرضـية هى القـدس السمـاوية . أى أن القدس الأرضية مع كل ما تعنيه تبقى محـدودة وأن هناك رسالة أعظم وأسمى يجب التفتيش عنها ليس فـقط فى القدس الأرضـية وإنمـا فى القدس السـماوية والتـى تجمع البـشر وتتـخطى الحدود لإيجـاد عالم أفضل وأرقى يحـترم الرسالة السـماوية دون إعتبـار لجغرافـية المكان ومحدوديتـه ، وعلىّ أن أعترف هنا بأن مسـيحيى القدس وفلسطين ليسـوا جد متحـمسين لهذا التـمييـز بين القدسين إذا أنهم يـعتقدون بـأنه فى ظل سلام يضمن لشـعبهم حـقه فى القدس العربيـة ويؤكد على عروبة وإسلامية ومـسيحية القـدس فإنه من الممكن أن نمزج ما بين القدسـين وأن نعيش حـياة أرقى وأفضل وإذا أردنا أن نصل للقـدس السماويـة فعلينا وعلى العـالم الغربى والذى تدين غـالبيـة شعـوبه بالمسيـحيـة أن نبدأ بالعـمل لرفع الظلم والجور عـن القدس الأرضـية وعن أهلهـا مسلمـين ومسـيحـيين وهذا هو الأمل للـسلام وللقـدس ولأهلها .. وقـبل أن أنتـهى أود أن أنوه بأن هناك من يعـتقـد بأن بعض الفئـات المسيحية تنادى أو تؤيد فكرة تدويل القدس وهذا عن تأييد الفـاتيكان فى أول الأمر لفكرة التدويل لمدينة القدس وللمدن والقرى المحيطة بها وتشمل قرى corpus separatum أبو ديس وعين كارم ، شـعفاط ومدينة بيت لحم كمـا جاء فى القرار ١٨١ للجمعيـة العامة لهيئـة الأمم المتحدة والمؤرخ فى ٢٩ تشرين ثانى ١٩٤٧ . ولكن موقف الفـاتيكان قد تبدل وأصـبح يركـز أن الحل السيـاسى لمدينة القـدس يجب أن يتم التـوصل إليـه بين الطرفـين

المتنازعين وأن الفاتيكان على استعداد لاحترام هذا الحل على أن تكون الحقوق الدينية للمسيحيين مكفولة مثلها مثل حقوق أتباع الديانات الأخرى ، أما الحقوق والواجبات السياسية والإجتماعية للمسيحيين الفلسطينيين فهى تتحقق ضمن الأطر الوطنية الفلسطينية ولا علاقة للفاتيكان بها . أى أن التوجه الرئيسى للفاتيكان يقوم على تشجيع المسيحيين الفلسطينيين فى أن يكونوا أعضاءً فاعلين في مجتمعهم وأن يساهموا مساهمة فعالة وجادة فى بناء قواعد ومؤسسات مجتمعهم ، فى ظل احترام متبادل وتسامح منفتح على الآخرين ، ومنابع دينهم وتراثهم الحضارى الغنى والعريق .

إن الطريق نحو السلام الحقيقى يمر فقط عن طريق القدس واسمحوا لى من هذا الموقع أن أوجه دعوة حارة صادقة لكل من يهمه أمر القدس بأن اعملوا حتى ترفعوا الضيم عن أهل القدس العرب مسلمين ومسيحيين واعملوا حتى يكون السلام ليس على حساب القدس وكل ما تمثله لنا عرباً مسلمين ومسيحيين ، وإنما من أجل القدس ومن أجل أبنائها ومن أجل مستقبلها وإذا ما عملتم هذا فمن الممكن أن تتحول القدس الأرضية هذه إلى صورة مميزة وعاكسة للقدس السماوية التى نسعى جميعنا لها فى نهاية الأمر كل بحسب دينه ومعتقداته وقناعاته وبدون هذا السعى الدءوب فستبقى القدس الأرضية التى نعيش فيها تذكرة لظلم الإنسان لأخيه الإنسان ولانتفاء العدالة والحق والسلام بين الأمم والسلام عليكم من القدس وأهلها وأزقتها .

* * *



د . يحيى الصباحى

أستاذ القانون الدستورى بالقاهرة

القدس الموحدة

يمكن أن تعود القدس الموحدة عاصمة للجميع كما كان شأنها قبل قرار تقسيمها عام ١٩٤٧ .. وأن تصبح القدس عاصمة للدولتين الفلسطينية والإسرائيلية وتدار بهيئة مشتركة من الدولتين تسمى (الهيئة العامة لإدارة مدينة القدس) ويمثل كلا من الدولتين فيها عدد متساو من الأعضاء ويرأسها بالتناوب رئيس من إحدى الدولتين لمدة أربع سنوات غير قابلة للتجديد .

وذلك كله على أساس وضع ميثاق جديد يحدد الوضع الجديد لمدينة القدس مع الحفاظ الكامل والحماية الشاملة لجميع المقدسات الإسلامية والمسيحية واليهودية الموجودة بالقدس وعدم المساس بأى منها لأى سبب أو تحت أى ظرف كان . وذلك حماية لحقوق أصحاب الأديان الثلاثة من مسلمين ومسيحيين ويهود ، وعلى هذا الدرب قامت مؤخراً بالقدس حملة سياسية بدأها حوالى أربعمائة من الشخصيات العامة الفلسطينية والإسرائيلية حيث وقعوا على وثيقة بعنوان : (القدس لنا) وكان من بين الموقعين فيصل الحسينى مسئول شئون القدس بالسلطة الفلسطينية ، وهذه بادرة جديرة بأن ندعمها جميعا من أجل حل مشكلة القدس لصالح الجميع وحفاظاً على حقوق الجميع وبشرط إزالة آثار عدوان ١٩٦٧ على الأراضى العربية بالقدس ليقوم الوضع الجديد على أساس سليم وليس على أساس مكتسبات .. إن إسرائيل تناهض بقوة جميع قرارات الأمم المتحدة والمواثيق الدولية وأحكام القانون الدولى . أهكذا يكون السلام على أرض السلام وتكون القدس عاصمة للجميع؟!

لقد أدهشنى ذلك الخلاف الذى يدور الآن بين الإدارة الأمريكية وبين الكونجرس وخاصة رئيس الأغلبية للحزب الجمهورى فى مجلس الشيوخ (بوب دول) وأن هذا الخلاف ينصب على موضوع نقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس ولا ينصب على الجهة المختصة دستوريا بإصدار قرار هذا النقل .. ولم تتعرض الإدارة الأمريكية لموضوع اختصاص الرئيس الأمريكى بصفته رئيس السلطة التنفيذية بإصدار أو عدم إصدار قرار نقل هذه السفارة . وبذلك ظهر الأمر على الساحة السياسية والداخلية فى الولايات المتحدة الأمريكية وعلى المسرح السياسى الدولى فى صورة واحدة وهى أن الإدارة الأمريكية لا تريد حالياً نقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس وأن الذى يخطط الآن لإصدار إجراء تشريعى للنقل هو الكونجرس بزعامة رئيس الأغلبية الجمهورية فى مجلس الشيوخ (السيناتور بوب دول) .

وهذا السيناريو الغريب لموضوع نقل السفارة الأمريكية إلى القدس يخالف القواعد الدستورية لاختصاص كل من الرئيس الأمريكى والكونجرس تلك القواعد التى تتلخص فيما يلى :

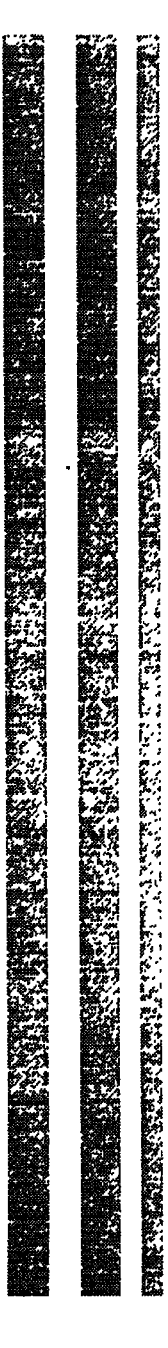
أولا : إن السلطات الممنوحة للكونجرس بمقتضى المادة الأولى من الدستور الأمريكى وتعديلاته ، لا تعطى للكونجرس بمجلسيه أى حق فى إنشاء سفارة أو إلغائها أو نقلها من مدينة إلى أخرى بدولة أجنبية . لأن هذا الحق يدخل فى إختصاص الرئيس الأمريكى بصفته رئيساً للسلطة التنفيذية طبقاً للمادة الثانية من الدستور الأمريكى ، وإستناداً لمبدأ الفصل بين السلطات . فهو عمل من أعمال السلطة التنفيذية لا يجوز الاعتداء عليه من جانب السلطة التشريعية .

ثانيا : إن التقرير بنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس أو بعدم نقلها ليس عملاً تشريعياً متعلقاً بسن قانون يوافق عليه الكونجرس ويكون للرئيس الأمريكى حق الإعتراض عليه بموجب الفيتو الرئاسى شأن أى قانون يرسله الكونجرس إلى الرئيس للموافقة عليه وإصداره بعد أن وافق الكونجرس عليه . كما أعلن ذلك وزير الخارجية الأمريكى آنذاك (كريستوفر) مهدداً الكونجرس مقدما مع علمه بأن هذا الفيتو الرئاسى يمكن التغلب عليه عند عرض القانون على الكونجرس

والموافقة عليه مرة ثانية بأغلبية ثلثى الأعضاء وإصداره دستورياً بدون موافقة الرئيس!!

لماذا يلجأون إلى هذا الأسلوب المخالف للدستور الأمريكى ؟! ولماذا لا يتمسك الرئيس الأمريكى باختصاصه الدستورى بأمر نقل السفارة أو عدم نقلها حتى يكف الكونجرس يده عن التدخل فى اختصاصات الرئيس الأمريكى التنفيذية طبقا لمبدأ الفصل بين السلطات الذى تقوم عليه فلسفة النظام الرئاسى الأمريكى ؟! هل هذا المسلك الغريب ليظهر الرئيس الأمريكى أمام الدول العربية أنه يعمل كل ما فى استطاعته وأن الكونجرس صاحب الأغلبية الجمهورية هو السبب وأنه ليس فى الإمكان أبدع مما كان ؟!

***



د . محمد سيد أحمد

الكاتب والمحلل السياسي

عاصمة أبدية !

استرشد عرفات بـ " سابقة " هى مدينة روما كى تكون أساساً لحل مشكلة القدس .. فإن روما ، كما هو معلوم ، عاصمة لدولة إيطاليا والفاتيكان " عاصمة " الكنيسة الكاثوليكية ، ومقر البابا .

اقترح عرفات أن تكون القدس عاصمة للدولتين الإسرائيلية والفلسطينية مستقبلاً .. فإنها تنطوى . مثل الفاتيكان ، على أبعاد روحية ، وهى على حد وصف الفاتيكان لها ، " جسر بين الأرض والسماء . ورمز للسلام والتعايش بين الديانات الثلاث" .. إنها مدينة مقدسة للمسلمين والمسيحيين واليهود معاً ، تماماً كما أن الفاتيكان عاصمة روحية للمسيحيين الكاثوليك .. والجدير بلفت نظرنا أن زيارة عرفات الأولى لغزة وأريحا قد غيرت الكثير من معطيات الموقف ، وأوضحت أن قضايا حساسة وساخنة ، كقضية القدس ،لايمكن تعليقها إلى غير أجل محدد بعد بدء عملية التعاقد والشروع فى وضع ما جرى الإتفاق عليه موضع التنفيذ .. لقد استغرقت المفاوضات التى دشنها مؤتمر مدريد سنوات دون أن تفضى إلى نتائج ملموسة . واقتضى إتفاق غزة ــ أريحا الذى كان نتاج مفاوضات سرية مضنية فى أوسلو ، أشهراً طويلة حتى تسفر عن " إعلان للمبادئ " تقرر وضعه موضع التطبيق عبر "مرحلة إنتقالية " تستغرق فى أفضل الفروض خمسة أعوام .. ظل كل شيء يسير ببطء شديد .

ولكن بمجرد أن زار عرفات غزة وأريحا ، وأن وطأ بقدمه أرض فلسطين ، وأن تحول الإتفاق المبرم من فكرة مجردة إلى واقع ملموس ، انقلبت الأمور رأساً على عقب ..

وكـانت قـضيـة القـدس أبرز دليل على ذلك .. فـلقد نص " إعـلان المبـادئ " على عـدم التصـدى لموضوع القـدس قبل حلول السـنة الثالثة مـن " المرحلة الإنتقـالية " ولكن فـجأة أصبحت قضيتها فـى بـؤرة الأحـداث .. لمجرد إبداء عرفات رغبة ، وهو يخطب فى غزة فى أن يصلى فى القدس ، شأنه فى ذلك شأن أى مسلم .. فـهاج غلاة اليمين الإسرائيلى ، وثاروا ثورة عارمة . وطالبوا حكومتهم بوضع حد نهائى للتعامل معه !

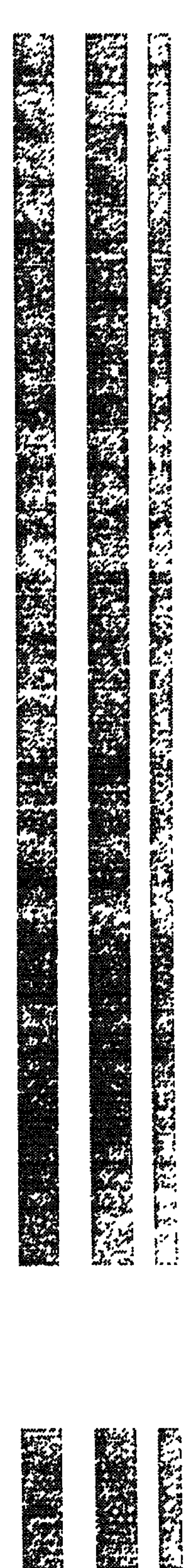
وهكذا يتـضح أن بروز سلطتـين فى فلسطين الـسلطة الفلسطينيـة بجـوار السلطة الإسـرائيليـة . إنما أوجـد جـديداً فى طبـيـعـة العـلاقة بـين الطرفـين ، بصـرف النظر عن صلاحيات السلطتين ، وضآلة السلطة الفلسـطينية إذا ما قورنت بالسلطة الإسرائيلية .. إن مجرد وجـود سلطتين إنما أوجد حالة جديدة مـختلفة نوعياً ، حـالة لم يعد من السهل ولا من المفيد فيهـا إبقاء عناصر التسوية مجزأة ، زماناً ومكاناً .. زماناً بإرجـاء التصدى لأكثر المشاكل حسـاسية للمستـقبل .. ومكاناً ، بقصر نقل السلطة إلى الفلسطـينيين على مواقع دون أخرى .. وليس المقصود بما أسوقه دعوة إلى إبـطال مفعول ما أبرم من اتفاقات ، وإنما لفت النظر إلى أن التجربة قد أثبتت قصور الحلول المجزأة عن احتواء مختلف أبعاد عملية التسوية ، ومـختلف أبعاد ردود الأفعال لها ، وإن الـعملية قد تسفر عن مـردودات عكسية بسبب هذا القـصور .. وتأكيداً لـلمعنى ذاته ، حذر الفاتيـكان من خطورة إرجاء النظر فى قضية القدس إلى ما بعد إنتهـاء ترتيبات الحكم الذاتى ، ذلك أن المدينة القديمة فى القدس إنما تتعـرض تدريجياً ، تحت الحكـم العسكرى الإسرائيلى ، لخطر ضـياع خصـوصيتـها ، وصورتها التاريخية من خلال تغيير ملامحها .

وربما أدرك المتفـاوضون أنفسهم أن الإلتـزام الحرفى بـ " إعلان المبادئ " كـما صيغ قبل بدء عمـلية التنفيذ ، قـد يفضى إلى نتائج غيـر مرغوب فيهـا .. والجدير بالملاحظة أن رابين وبيريز لـم يرفـضا إبتداء تأكـيد عرفـات – وقت لقائه بهمـا فى باريس عقب زيارته لغزة وأريحا لتلقى الثلاثة معا جائزة مـن اليونسكو – بضرورة التعجيل بخطـوات " عملية السلام " حتى لا يتـاح للقوى المناهضة لها من الجانبين ، إسـتعادة المبادأة حتى فيـما يتعلق بالقضايا المرجأة الحساسة ، كمستـقبل اللاجئين ومسألة تقرير الحدود ، والوضع النهـائى للقدس .. وقد سلم رابين ، فـى حـديـث إلـى الإذاعـة الإسرائيليـة بإضـافـة مـوضـوع

" الإنتخابات الفلسطينية " إلى جدول أعمال المفاوضات وفى هذا تسليم ضمنى من جانبه بعدم جواز الإحتجاج بـ " إعلان المبادئ " لرفض إدخال تعديلات على ما سبق وجرى إتفاق بشأنه .. والحقيقة أن قصر صفة القدس على أنها " عاصمة إسرائيل الأبدية " وحسب تشخيص خطر وضار ولا ينسجم مع روح عصر لم يعد فيه مكان لكيانات منغلقة فى تحد سافر لمشاعر قطاعات واسعة من الجنس البشرى .. إن مسلمى العالم ومسيحييه لن يقبلوا أبداً أن تكون القدس قصراً على إسرائيل واليهود فقط ، وأن تملك إسرائيل وحدها حق بسط سيادتها المنفردة عليها .. خاصة فى عالم لم تعد لـ " سيادة " الدول فيها صلاحيتها " المطلقة " السابقة . إن هناك آفات عديدة تميز عالمنا المعاصر ، آفات البيئة ، والتلوث ، والإشعاع النووى ، والأوبئة ، وتجارة المخدرات وحركات الهجرة ، والإنتهاكات التى تتعرض لها حقوق الإنسان .. الخ ، وهى آفات لم يعد محتملاً التذرع بـ سيادة " الدول لمنع تصدى المجتمع الدولى لها ومعالجتها ، ذلك أنها آفات لا يمكن وقفها عند الحدود الجغرافية لأية دولة فى عالم يزداد تداخلاً وتكاملاً !

إن " السيادة " تتجه كى تصبح " نسبية بل وكى تصبح متعددة الطبقات " كما يثبت من تجربة " الإتحاد الأوروبى " ، لقد أسفرت عملية بناء الإتحاد عن صلاحيات ذات سمات سيادية لأوروبا المندمجة بحكم إنتمائها إلى سوق واحدة ، وبحكم تيسيرات كثيرة كرستها معاهدة ماسترخيت .. ثم إن هناك الصلاحيات الممنوحة للأقاليم ، وهى بسبيلها أن تتسع وأن تتنوع بصفة مطردة .. إن إتسام مفهوم " السيادة " بصفة " النسبية " إنما أفسح المجال لأعمال أكثر من سيادة " فى وقت واحد .. وهذا مجال خصب لاجتهاد فقهاء القانون الدولى المعاصر .. وكما اكتشفت لفكرة " السيادة " خواص لمعالجة متطلبات الإندماج الأوروبى العويصة . فلماذا استبعاد أن تبتدع لها خواص كفيلة بمعالجة مشكلة القدس ؟

* * *



د . أحمد صدقى الدجانى

رئيس المجلس الفلسطينى للثقافة والعلوم

عربية قبل قدوم اليهود بـ ٢٠ قرناً

حاجتنا ماسة – نحن العرب – هذه الأيام لقراءة صحيحة لتاريخ القدس ، كي نحسن التعامل مع ملف القضية ، وذلك فى وقت نشهد فيه قيام الحركة الصهيونية بهجمة قوية لتعميم قراءة خاطئة لتاريخ القدس على العالم أجمع وستبلغ هذه الهجمة أوجها فى الإحتفال الذى ستقيمه الحكومة الإسرائيلية " بمناسبة مضى ثلاثة آلاف سنة على دخول الملك داود القدس". والهدف الصهيونى هو إستكمال تهويد المدينة بعد احتلالها واغتصابها " وتعميم الزعم الإسرائيلى " بأنها عاصمة أبدية لدولة إسرائيل التى لها السيادة على المدينة وحصر قضية القدس فى " كونها خلافاً مع مسلمين ومسيحيين حول أماكنهم المقدسة فيها وكيف تتم إدارتها " .. لقد دأبت الحركة الصهيونية على العمل لتحقيق هذا الهدف منذ إنعقاد مؤتمر مدريد يوم ٣٠/ ١٠/ ١٩٩١ بعد أن نجحت فى إقناع " مصمم عملية التسوية " الأمريكية بتأجيل البحث فى قضية القدس ودعمها فى عملية التهويد وفرض الأمر الواقع فى المدينة وأغرى الدعم " العاصمة الأبدية " فى حواضر عربية ، وأن تقدم على مصادرة أراضٍ أخرى لأهلنا المقدسيين العرب فى الربيع الماضى " لإقامة مساكن ليهود عليها معلنة هذا الهدف العنصرى بلا مواربة " .

عمدت الحكومة الإسرائيلية فى الوقت نفسه بينما هى توجد واقعاً جديداً فى المدينة إلى تعميم قراءتها المضللة لتاريخ القدس فى عدد من الندوات انعقدت إحداها فى مدينة عربية وفى محفل الأمم المتحدة .. من المؤسف أنها نجحت فى المنظمة الأممية فى استدراج بعض المندوبين العرب إلى مناقشة قضية القدس على أنها نزاع مع مسلمين ومسيحيين حول إدارة أماكنهم المقدسة ، وقد سمعنا أحد هؤلاء المندوبين وهو يجهر

بتقديم حجج بأن للمسلمين والمسيحيين فى القدس أكثر من اليهود دون أن يتحدث بكلمة عن القدس الوطن عاصمة فلسطين وطن الشعب العربى الفلسطينى الذى غالبيته من المسلمين يعيشون مع أخوتهم المسيحيين ويعتزون بأنهم ورثوا مسئولية إستضافة المؤمنين الذين يرون فى القدس قبلة لهم يزورونها ويحجون إليها .

واضح أن في وطننا من أحس بضرورة تلبية هذه الحاجة الماسة للقراءة الصحيحة لتاريخ القدس بغية التعامل مع قضية القدس باعتبارها جزءاً من قضية فلسطين التى هى وطن لشعبها وقبلة للمؤمنين ومطمع للغزاة ، وقد أحسنت منظمة تضامن الشعوب الأسيوية الأفريقية حين نظمت ندوة بعنوان " دفاعا عن عروبة القدس " يوم ١٩٩٥/٦/٢٦ بالقاهرة وخصصت فيها محوراً لقراءة تاريخ القدس ، حرصت على أن أسهم فيها بتقديم علامات من خلال الوقوف أمام علامات بارزة فى هذا التاريخ وإستخلاص نتائج .

مسرح الأحداث

نستهل قراءة تاريخ القدس بوقفة أمام المكان والواقع ونستحضر حقائق جغرافية .. والجغرافيا - كما قال المرحوم جمال حمدان - هى مسرح الأحداث التاريخية والمكان هو القسم الجنوبى من بلاد الشام فى موقع متميز من أرض فلسطين فى موقع القلب من الوطن العربى ، وفى مركز حيوى من دائرة الحضارة العربية الإسلامية وموقع القدس يبين مدى أهميتها لفلسطين والوطن العربى والعالم الإسلامى ، ويتداعى إلى الخاطر ما أورده فيليب متى فى كتابه تاريخ « سوريا ولبنان وفلسطين » والنتيجة التى نستخلصها من هذه الوقفة هى أن تاريخ القدس لا ينفصل عن تاريخ فلسطين وتاريخ الوطن العربى بمغربه ووادى نيله وشامه وعراقه وجزيرته العربية وتاريخ ديار الإسلام عامة ، وأن موقع القدس يتميز بأهمية إستراتيجية بالغة بالنسبة لجميع " الحواضر " فى منطقتنا من القاهرة إلى دمشق إلى بغداد إلى مكة وصنعاء .. وصولاً للرباط وطهران والأستانة وقد شاء الله أن يجمع أهل القدس من هذا الموقع فى رباط إلى يوم القيامة.. حين ننتقل إلى بعد الزمان فى تاريخ القدس نجد أن هذا التاريخ جزء من تاريخ فلسطين والمنطقة ، وأنه موغل فى القدم ومتصل على عصور وحافل بأحداث كثيرة ، ويمكن أن نميز فيه بين قسمين تصل بينهما

الإنطلاقة العربية بالإسلام فى القرن السابع الميلادى الأول الهجرى ، لما لهذا الحدث من تأثير كبير.. لقد سكن الإنسان فى منطقة القدس منذ فترة ما قبل التاريخ - حسب إصطلاح المؤرخين - وهناك آثار له فيها تم إكتشافها تعود إلى العصر البليستوسينى وأخرى من المعهد الباليوليثى وثالثة من العهد النيوليثى الذى شهد حدوث الثورة الزراعية وظهرت القدس مدينة فى بدايات العصر البرونزى حين بناها الكنعانيون مع مجموعة مدن على طريق الميساة بين الشمال والجنوب حوالى الألف الرابعة قبل الميلاد على مرتفع الضهور قرب عين ماء جيمون فى موقع حيوى .واكتسبت القدس منذ إنشائها مكانة دينية وكان ملكها هو عبد الإله " السلام "وهى مدينة سالم "أورسالم"وقد عرفت بإسم سالم وكونت مملكة مدينة وعرف من أسماء ملوكها قدوم سالم وملكى صادق وجاء ذكرها فى نصوص مصرية قديمة تعود إلى القرنين التاسع عشر والثامن عشر قبل الميلاد وهناك حديث فى كتب كثيرة عما جاء فى هذه النصوص وعن أسماء القدس عبر العصور .

إن النتيجة الأولى التى نستخلصها من حديث النشأة أن القدس ظهرت قبل قدوم نبى الله داود عليه السلام إليها فى القرن العاشر الميلادى بزمان طويل يمتد عشرين قرناً ، وأن محاولات الصهيونية التوسعية اليوم ربط تأسيسها " بالملك داود "، والإحتفال بمضى ثلاثة آلاف سنة على هذه المناسبة هو استمرار فى القفز فوق الحقائق التاريخية الذى دأبت عليه هذه الحركة العنصرية ، كما أنه تحوير وتزييف للقراءة الصحيحة لتاريخ نبى الله داود كما سنرى فى جزء آخر من هذا الحديث .

فى بعد الزمان نقف أمام علامات سكانية ، ولجد أن القدس سكنها منذ نشأت جزء من شعب فلسطين وأن هذا الشعب هو واحد من شعوب المنطقة التى تعود جميعها إلى أصول واحدة تحركت بين أجزائها فى هجرات متتالية وحملت هذه الهجرات إلى فلسطين من قلب الجزيرة العربية العموريين والكنعانيين ثم العبرانيين والأراميين وكان للهجرة الكنعانية أثر كبير فسميت فلسطين أرض كنعان مع أجزاء من سوريا ولبنان ، اندمجت فى الكنعانيين موجات هجرة تالية وانصهرت فى بوتقة شعب فلسطين جماعات من شعوب أخرى مرت بالبلاد أو اقتربت منها مثل الحيثيين والحوريين أو استقرت بها مثل الفلسطينيين الذين أعطوا أرض كنعان اسمهم كما انصهرت فى بوتقة شعب فلسطين

جماعات من شعوب حكمت البلد من فرس ويونان ورومان آثرت البقاء وتوطنت بعد أن استأمنت واستكمل شعب فلسطين صورته وتحددت هويته فى أعقاب الإنطلاقة العربية بالإسلام والفتح الذى حمل موجة جديدة من عرب الجزيرة ، وأنتقل من الحديث بالآرامية إلى اللسان العربى بسهولة لأن اللغتين تنحدران من أرومة واحدة وكان اسم العرب قد تردد فى تاريخ فلسطين من قبل واعتنق جزء من شعب فلسطين الإسلام وبقى جزء آخر يدين بالنصرانية واليهودية واستمرت فلسطين بعد الفتح وطناً لشعبها العربى هذا بملله كلها واندمج فى هذا الشعب مهاجرون جاءوا إليها آمنين ومستأمنين حملتهم غزوات اندحرت .

أما النتيجة الثانية التى نخلص إليها من الوقوف أمام هذه العلامات السكانية أن القدس وفلسطين وطن لشعب فلسطين العربى الذى تمتد جذوره فيها إلى أقدم العصور والذى فيه مسلمون ونصارى ويهود .. وهى لم تكن قط وطناً لشعبين كما تحاول الحركة الصهيونية أن تفرض بالقوة وبالأمر الواقع أن يتبنى هذا الزعم بعض أبناء فلسطين والعروبة ، توطئة لفرض زعمها أنها وطن لشعب يهودى يسعى للإستئثار بها ، وما العبرانيون الذين جاءوا إلى فلسطين إلا جماعة من جماعات عدة أتوا - كما يقول فيليب متى - بشكل متجولين ومغامرين ومرتزقة وجنود استقروا تدريجياً بين سكان كانوا أرقى منهم فتعلموا الحرث والبناء والقراءة والكتابة وورثوا المظاهر الأساسية للحضارة الكنعانية وتحاول الصهيونية اليوم بعد إبرام إتفاق " أوسلو - واشنطن " عام ١٩٩٣ أن تنزع صفة الوطن عن قضية القدس وتقدمها للعالم على أنها قضية أماكن مقدسة يقوم نزاعهم حول كيفية إدارتها . ومن المؤسف أن البعض ينساق وراء هذه المحاولة فيخوض غمار حديث حول الأماكن المقدسة ويغفل عن أن القدس وفلسطين وطن لشعبها بداية وأن قضية القدس هى قضية وطن فى الأساس هو وطن فلسطين العربى الواحد بمسلميه ونصرانيه ويهوديه وكل من يلجأ إليه مستأمناً لاغازياً وهذا الشعب هو جزء من أمة عربية واحدة فى وطنها العربى الكبير .. نقف فى بعد الزمان أمام علامات دينية ، لها أهميتها العظيمة وبخاصة فى هذه المرحلة من مراحل هذا الصراع العربى الصهيونى التى يحتدم فيها الصراع حول القدس .

وقد حدثنا المستشرق الروسى أغناطيوس كراتشكوفسكى فى كتابه الشهير « تاريخ الأدب الجغرافى العربى » كيف برزت أهمية البعد الدينى للقدس إبان الغزو الفرنجى لمنطقتنا ، فكثر التأليف عن المدينة المقدسة فى الأوساط العربية والإسلامية ؟

البعد الدينى للقدس يتمثل فى إرتباط هذه المدينة المقدسة بأنبياء الله سبحانه عند المؤمنين وإنا واجدون فى التراث الدينى قصصاً عن هذا الإرتباط منذ آدم عليه السلام ، وتاريخاً واضحاً منذ إبراهيم عليه السلام أبى الأنبياء .. وهو الذى جاء فلسطين مهاجراً ونزل " يبوس " ضيفاً على العرب اليبوسيين وزار مصر وعاد منها ليستقر فى الخليل ، وليحمل زوجته هاجر وإبنه إسماعيل إلى واد غير ذى زرع عند بيت الله المقدس فى مكة وقد تولى إرتباط الأنبياء من أبنائه بالقدس فى سلسلة مباركة فيها اسحق ويعقوب ويوسف وموسى وداود وسليمان وزكريا وعيسى عليهم السلام وصولاً إلى محمد ﷺ الذى أسرى الله به إلى المسجد الأقصى وعرج به منه إلى السماء " ويبوس " هو أقدم أسماء القدس .. إن هذا البعد الدينى جعل القدس قبلة للمؤمنين يحج إليها اليهود والنصارى ويزورها المسلمون مقدسين حجتهم إلى بيت الله الحرام . وقد اعتز شعب فلسطين العربى بهذا الأمر ونهض بمسئولية إستضافة الحجيج ورعايتهم أثناءحجتهم وزيارتهم لبيست المقدس من موقع إيمانه بالله وبرسله لا يفرق بين أحد من رسله ، ونظر شعب فلسطين العربى إلى أنبياء الله نظرة إحترام وإجلال باعتبارهم مسلمين لله سبحانه يدعون إلى الصراط المستقيم ، ومنهم نبى الله داود الذى ينزهه المسلمون عما جاء فى روايات دينية إسرائيلية عنه وعن ابنه نبى الله سليمان عليهما السلام ، وهذه النظرة تفسر كيف يشيع فى أوساط شعب فلسطين إطلاق أسماء جميع الأنبياء على الأبناء المولودين أياً كانت ملتهم وقد ميز شعب فلسطين العربى بين مؤمنين يأتون للحج والزيارة ساعتين ، وغزاة طامعين يأتون معتدين أياً كان دينهم . وقد سئل ابن تيمية عن الموقف من المغول المسلمين الذين جاءوا غزاة فأجاب بوضوح « قاتلوا الفئة الباغية » مشيراً إلى آية سورة الحجرات .

النتيجة الثالثة التى نستخلصها من الوقوف أمام العلامات الدينية فى تاريخ القدس وفلسطين أن القدس قبلة روحية للمؤمنين وأن شعب فلسطين العربى يرحب بمن يحج

إليهـا منهم أو يزورها ويستـضيفـهم ، ولكن ليس لأحد من أتباع الديـانات أن يأتى غازياً طامعاً معـتدياً مستعمـراً مستوطناً بزعم أن فلسطين وطنه لأن القدس قـبلة روحية لأتباع دينه .. نقف فى بعد الزمان أمـام علامات سياسية ونتـأمل فى تاريخ فلسطين القديم فنجد أنهـا كانت جـزءاً من المنطقـة تعـيش حضـارتهـا وتصل بين بابـل ومـصـر ، وقد أكـدت كشوفات حـضارة ايبلا أو " عبلة " فى شمـال سوريا حقيقة التـواصل بين أجزاء منطقتنا والترابط بين حضارة الوديان فى الجزيرة العربية وحـضارة النهر فى العراق ومصر والهلال الخصيب بعامـة .. نجد أيضا أن شعوباً من دائرة أوسع تحيط بوطننا العـربى الكبير حكمت فلسطين وجـاراتها فـترات محدودة فى مـرحلة تاليـة ، شأن الفـرس واليونان والرومـان الغربيين والروم الشـرقيين ويلفت نظرنا ما لاحظه المؤرخ بريسـد من أن تأثير هؤلاء تركز فى المدن وبقى الريف كنـعانى الطابع فـى فلسطين وقد عـاش بعض اليـونانيـين فى المدن الفلسطينية ومنها القدس فى ظل الحضارة الهلستيـة ولكن الحضارة الكنعانية كانت غالبة على حياة الناس الذين عزلوا عنهم الإنغماسيين من أمثال هيردد الملك . وقد جعل المؤرخ توينبى اسمه رمزاً لهؤلاء فساهم الهيرديون فى دراسته الشهيرة للتاريخ.

سنلاحظ أن شعب فلسطين رحب بالفتح العربى الإسلامى وقد رأينا كيف استقبل البطريرك صفـرونيوس الخليفة الراشد عـمر بن الخطاب فى بيت المقدس ، تمامـاً كما رأينا فى مصر البطريرك بينامـين يرحب بعمرو بن العاص ، وأعطى عمرو العهـد الشهير الذى حكم العلاقات بين المؤمنين فى ظل دولة الخلافة الإسلامية من نصارى ومسلمين ويهود .

علامة أخـرى سياسية بـارزة نراها حين بدأت الغزوة الفرنجيـة ونحن مع الصوت الذى سمعناه من الكنسـية القبطية بضرورة تسميـتها باسمها الذى عـرفها أجدادنا به باسم الحـروب الصليبيـة الذى سمـاها به الأوروبيـون ، وقـد استـهدفـت هذه الغزوة القـدس واحتلتها وتطلعت بعد ذلك للسيطرة على حواضر المنطقة الأخرى ونذكر كيف استهدفت الفرنجة دمشق والقاهرة ثم كيف تجـرأ أرناط على التفكير بغزو مكة والمدينة ونقف فى هذه العلامة أمام الصـحوة الرائعة التى حدثت فى المنطقة إستجـابة لتحدى هذه الغزوة وبدأت على صعيدى الفكر والروح وكـان من روادها علماء عظماء ثم قادة سياسـيون كبار منهم عماد الدين ونور الدين زنكى وصلاح الدين الأيوبى وبعض سلاطين المماليك وقد عبرت

السيرة الشعبية " الظاهر بيبرس " عن مدى ما اختزنه الوجدان الشعبى من عبر هذه الفترة ودروس هذه الصحوة ، ونذكر أيضا كيف تحررت فلسطين واندحر الفرنج مخلفين وراءهم مستأمين سرعان ما انصهروا فى بوتقة شعب فلسطين العربى ووفوا بحق انتمائهم له ولوطنهم ، كما نذكر كيف هزم المغول فى عين جالوت على أرض فلسطين أيضاً فى معركة فاصلة تذكرنا بسابقتها معركة حطين الفاصلة التى هزم فيها صلاح الدين الفرنج .

والنتيجة التى نستخلصها من الوقوف أمام هذه العلامات السياسية فى تاريخ القدس وفلسطين أن القدس بقيت مطمعاً لغزاه معتدين ، وأن جميع الغزوات العدوانية انتهيت بالهزيمة والإندحار ، وأن أرض فلسطين شهدت المواقع الفاصلة بعد أن قامت الأقطار العربية الأخرى بأدوارها . . لقد عاد الغزو الفرنجى فى صورة جديدة يستهدف فلسطين والقدس والمنطقة فى نهاية القرن الثامن عشر الميلادى حين قام بونابرت بقيادة الحملة الفرنسية على مصر ١٧٩٨ ، ومع أن هذه الحملة كان مصيرها الإندحار والهزيمة ، واضطر بونابرت أن يرتد عن أسوار عكا ثم يقفل راجعاً إلى مصر ويخرج منها مهزوماً بعد أن واجه مقاومة شعبية قادها الأزهر ، الذى منه خرج سليمان الحلبى ليقتل كليبر المعتدى الذى خلف بونابرت ومع ذلك بقى الإستعمار الأوروبى فى فصائله المختلفة مستهدفا القدس وفلسطين والمنطقة ، منذ ذلك الحين ، وباشر مرحلة الإستعمار الإستيطانى فى فلسطين والقدس التى لانزال نعيشها ونخوض الصراع لإنهائها وهذه المرحلة تستحق حديثاً آخر .

* * *



فهمي هويدى

الكاتب والمفكر العربي



قبل الغرق

ليس ما أقوله مرثية للقدس ، التى أيد الكونجرس الأمريكى رسمياً - ولأول مرة - اغتصاب إسرائيل لها ، فى جولة المزادات الإنتخابية سواء الأمريكية أو الإسرائيلية ، لكنها مجموعة من الإفادات والشهادات أضعها بين يدى الجميع ، لكى يكونوا على بينة مما جرى ويجرى من ناحية .. ومن باب إبراء الذمة من ناحية ثانية .. بيعت القدس فى جولة لمزادات الإنتخابات الأمريكية حين قرر الكونجرس الإعتراف بها عاصمة لدولة إسرائيل ، وألزم الحكومة بنقل سفارتها إليها من تل أبيب مع حلول نهاية شهر مايو فى عام ١٩٩٩ ولكى يوضع القرار موضع التنفيذ على الفور ، فقد اعتمد الكونجرس مبلغ ٢٥ مليون دولار للشروع فى إقامة مقر السفارة فى العام القادم ، تضاف إليها ٧٥ مليونا أخرى فى العام الذى يليه ، وهو ما يعنى عملياً أن تبدأ إقامة المبنى مع فتح ملف مباحثات الوضع النهائى ، وتنتهى العملية مع نهاية تلك المباحثات ، التى ظن المتفائلون أن مستقبل مدينة القدس سيكون أحد بنودها !

حتى لو لم يكن الخبر مفاجئاً ، فإنه يصفعك بقوة حين تقرؤه بعينيك ، حتى يكاد يصيبك بالدوار ويشعرك بالانكسار والمهانة ، على الأقل فذلك ما حدث معى ، أخفيت الحزن وابتلعت الغضب ، ومضيت أتابع التفاصيل والأصداء ، وأقلب ملف المدينة المقدسة الذى احتفظ فيه بقصاصات القضيه عنت لى بعض الملاحظات واستوقفتنى بعض العبر والشهادات التى وجدتها جديرة بالإثبات فى المناسبة .. قاومت تحذيرات صاحبى الذى

ادعى بأن مثل شهادتى - هذه - نفخ فى " قربة " مقطوعة أو سباحة ضد التيار . قلت : ليكن حتى أذانا فى مالطة ، لأن المهم هو أن يرفع الأذان فى الآذان.

كانت **ملاحظتى الأولى** : أن موسم الانتخابات الأمريكية ، رئاسية كانت أم نيابية صار موسم التنافس على مجاملة إسرائيل على حساب العرب ، لأنهم يريدون أصوات اليهود أو يتطلعون إلى الفوز بتبرعات أثريائهم ، لتمويل حملاتهم الإنتخابية ، فإنهم لا يجدون سوى جثة فلسطين يقتطعون منها ما يشاءون وينهشون لحمها وعرضها لكى يقدموه لهم قرباناً مجانياً ، يقبضون هم عائده .. كأنما كتب على فلسطين أن تتحمل وحدها ثمن اضطهاد الأوروبيين لليهود فى الماضى ، وأن تدفع ثمن إسترضاء المرشحين الأمريكيين لليهود فى الحاضر !

لقد وعى الإسرائيليون ذلك منذ وقت مبكر ، فحرب ٤٨ والجرائم التى استصحبتها تمت فى سنة انتخابية .. عدوان ٥٦ الثلاثى تم فى سنة انتخابية .. وحرب ٦٧ تمت فى سنة انتخابية .. ومذبحة الكرامة تمت فى سنة انتخابية ، وها هو قرار نقل السفارة الأمريكية إلى القدس يصدر بدوره فى سنة انتخابية .

- **الملاحظة الثانية** : أن أعضاء الكونجرس تصرفوا فى المسألة وكأنهم يتعاملون مع فضاء واسع فى العالم العربى ليس فيه سوى إسرائيل .. من ثم فإنهم أعطوا لأنفسهم الحق فى أن يهبوا لها المدينة المقدسة بعد ما أفتوا فى ديباجة قرارهم بأنها " المركز الروحى للديانة اليهودية " ، ولم يخطر على بالهم أن لشعب فلسطين فيها حقوقاً ، أو أن للمسلمين والمسيحيين بدورهم فيها حقوق تتجاوز ما لليهود ، وتماثلها فى الحد الأدنى .. هم فى ذلك لم يخطئوا فى قراءة الجغرافيا فحسب ، وإنما أخطأوا فى قراءة التاريخ أيضا .. لقد عموا فى الأولى ، وجهلوا أو صموا فى الثانية . ذلك أن تلك المدينة التى أرادوا نقل السفارة الأمريكية إليها بحسبانها عاصمة أبدية ، لم تكن عاصمة لمملكة بنى إسرائيل إلا لمدة ٧٣ عاماً فقط فى القرن الثالث عشر أو الرابع عشر قبل الميلاد .. بعدها أمر الرب "بتمزيق المملكة " كما ذكرت التوراة .. آنذاك تمزقت القبائل العبرانية (الإسرائيلية) أرض فلسطين التى سكنها الكنعانيون منذ العصر الحجرى احتلوا أجزاء محدودة فى فلسطين بكثير دون الأراضى التى تحتلها إسرائيل الآن . الأمر الذى يعنى أن أولئك العبرانيين كانوا

أجانب فى فلسطين ولم يولدوا بها ، ثم أنهم قضوا فيها فترة من زمن هى بمثابة لحظة عابرة فى مسيرة أربعة آلاف سنة من عمر القدس وفلسطين .. وبعد مجيئهم وبعد رحيلهم كان العرب الكنعانيون هناك هم الذين أقاموا القدس وعمروها وحصنوها ، وهم أنفسهم الذين أصبحوا الآن مشردين ولاجئين .. تلك اللحظة الخاطفة فى تاريخ القدس العريق والعريض ، هى التى سوغت تعمم أكذوبة العاصمة الأبدية لإسرائيل ، تلك التى صدقها كثيرون ، بما فيهم أعضاء الكونجرس ففعلوا فعلتهم بغير علم ولا هدى ، وإذا عممنا هذا المنطق ، وحتى لكل جماعة استوطنت بلداً من ألف أو ألفين أو ثلاثة آلاف سنة ، ثم عادت لتطالب به ، فإن العالم سيتحول إلى جحيم من الصراعات لا حصر لها .

وكما قال هـ . ج . ويلز : إذا كان سليماً إعادة بناء الدولة اليهودية التى لم توجد من ألفى سنة على الأقل ، ألا يكون من الأسلم العودة ألف سنة أخرى ، وإعادة بناء الدولة الكنعانية (العربية) ؟ .. فالكنعانيون على عكس اليهود ، هم الذين استمروا فى فلسطين ولايزالون ، إن التسليم بالإدعاء الصهيونى يعطى الحق لأحفاد البابليين والمصريين والفرس واليونانيين والرومانيين فى الإستئثار بالأراضى المقدسة ، حيث قضى كل من هؤلاء فى فلسطين أكثر مما قضى أسلاف الإسرائيليين .. من هذه الزاوية فإن أهل العراق الذين هم أحفاد البابليين والأشورين والعرب ، يصبحون أكثر استحقاقاً من اليهود فى إدعاء ملكية فلسطين ، لأن أجدادهم حكموا فلسطين قبل وبعد الإحتلال اليهودى لها ، بل واختلطت دماؤهم مع دماء قبائل إسرائيل العشرة التائهة ، التى حكمت القسم الأكبر من فلسطين أيام العبرانيين ؟ .. ناهيك عن أن سكان العراق الحاليين يرتبطون مع سكان فلسطين من العرب بروابط الدم واللغة والثقافة والدين .

ذات المنطق الذى يسوغ لإسرائيل حق اغتصاب فلسطين وادعاء ملكية القدس ، لابد وأن يعطى المكسيك الحق فى استرداد مساحات كبيرة من الولايات المتحده .. كما يعطى الأسبان حقاً فى المطالبة بالمكسيك . ويبرر مطالبة العرب بأسبانيا ويفرض على الولايات المتحده أن تسلم مقاليد البلاد إلى الهنود !

– **الملاحظة الثالثة :** أن زعيم الجمهوريين فى مجلس الشيوخ " بوب دول" الذى قاد حملة نقل السفارة الأمريكية إلى القدس كان من معارضى هذه الفكرة ، فقد ألقى خطاباً

أمام المجلس فى عام ١٩٩٠ عبر فيه عن معارضته تلك وقال فيه ما نصه " إن من المجازفة بمكان أن يقحم مجلس الشيوخ الأمريكى نفسه فى وضع ينطوى على حساسية شديدة فى الشرق الأوسط " !

غير أن ذلك الموقف انقلب ١٨٠ درجة بحلول عام ٩٥ الذى تحول فيه دول إلى زعيم لحملة المطالبة بنقل السفارة رغم أن الموقف الذى برر به معارضته المعلنة فى سنة ١٩٩٠ لا يزال كما هو لم يتغير فالحساسية مازالت على أشدها ، ولاتزال قضية القدس أحد الألغام التى يمكن أن تفجر عملية السلام ذاتها والذى تغير هو موقف دول نفسه الذى عزم هذه المرة على ترشيح نفسه للرئاسة . الأمر الذى يكشف بطريقة فاضحة المدى الذى يمكن أن يغير به الساسة الأمريكيون مبادئهم ويسترخصون الانتقال من موقف إلى نقيضه ، حتى فيما يتعلق بمصائر الشعوب وحقوقها ، من أجل التزلُّف إلى إسرائيل أملاً فى كسب أصوات اليهود الأمريكيين والفوز بحصة من أموال أثريائهم فى تمويل الحملات الانتخابية .

- **الملاحظة الرابعة :** أن التصويت على القرار كان كاسحاً بدرجة مستفزة ، فالذين أيدوا القرار كانوا ٩٣ عضواً ، والذين عارضوا كانوا خمسة فقط لا غير ، بينما تغيب اثنان عن جلسة التصويت وهو ما يعنى أن الفلسطينيين والعرب ، بقضهم وقضيضهم ، وبنفطهم وذرائعهم بشعوبهم وتحالفاتهم وصداقاتهم للولايات المتحدة ، ذلك كله لم يحظ إلا بنسبة خمسة فى المائة من عناية أعضاء الكونجرس ، بينما ٩٥٪ من الأعضاء تعاملوا مع العرب باحتقار شديد ، وصنفوهم أصفاراً لا تستحق نظراً ولا اعتباراً !ثمه استهتار أو ازدراء !!

وهذا الذى حدث فى الكونجرس ليس أمراً شاذاً فى المؤسسات الأمريكية ، ولكنه يجسد تصاعد مؤشرات الانحياز لإسرائيل فى عموم الموقف الأمريكى ، التى بلغت فى عهد الرئيس كلينتون ذروة غير مسبوقة .. ألم تر آية ذلك فى التقرير الذى نشرته " صحيفة معاريف " لمراسلها فى واشنطن ، فينوام باريوسف فى الثانى من سبتمبر ١٩٩٤ تحت عنوان : اليهود يديرون بلاط كلينتون ، ولئن حدث ذلك على مستوى البيت الأبيض فهل نستكثر حدوثه فى الكونجرس ؟!

- **الملاحظة الخامسة** : أن ذلك القرار الفج لا ينتهك فحسب أهم ما فى ميثاق الأمم المتحـدة حين يؤيد الاستـيلاء على أراضى الغـير بالقوة لكنه يطيـح أيضا وبجرأة مـتناهية بمختلف القـرارات التى أصدرها مجلس الأمـن عن موضوع القـدس بالذات ، منها على سـبيل المثـال القرار الذى أصـدره المجلس فى ٢١ مايـو ٦٨ عندما تقـدمت الدول العربيـة بشكوى إحـتجاجـاً على قرارات إسـرائيل بمصادرة بعض الأراضى وتغـييـر الأوضاع فى القدس ، آنذاك دعـا مجلس الأمن فى قـراره رقم ٢٥٢ إسرائيل إلى إلغـاء كل إجراءاتهـا وقرر إدانـة اسرائيل لفـشلها فى الامـتثـال لقرارى الجـمعـية العـامة الصـادرى فى ٤و١٤ يوليو١٩٦٧ ، واعتبر أن كل الإجراءات الإدارية والتشـريعية وكل الأعمال التى قامت بها إسرائيل بما فـى ذلك مصادرة الأراضى والأمـلاك التى من شأنهـا أن تؤدى إلى تغيـير فى الوضع القانونى للقدس هى إجراءات باطلة ، ولا يمكن أن تغـير فى وضـع القدس " كما دعاها " بإلحاح إلى أن تبطل هذه الإجراءات ، وأن تمتنع فـوراً عن القيام بأى عمل آخر من شأنـه أن يغيـر فى وضع القدس .. هذا القـرار صدر فى عـام ٦٨ بأكثـرية ١٣من أعـضاء مجلس الأمن الخـمسة عشـر ، ولم تجرؤ الولايات المتحدة آنذاك على أن تسـتخدم الفـيتو ضده (لاحظ أن واشنطن استخدمت الفيتو فى سنة ٩٠ لمنع إصدار قرار من مجلس الأمن يدين مصـادرة إسرائيل لبـعض الأراضى فى القدس) .. ثمـة قرار آخر له أهمـية خـاصة أصدره مجلس الأمن فى ٢٠ أغسطس سنة ١٩٨٠، إثر شكوى تقـدمت بها الدول العربية بعد أن أصـدرت إسرائيل قانوناً فى بدايات الشـهر ذاته نص على اعتبار القدس عاصـمة لإسرائـيل ومقـراً للسلطة فيـها القـرار صدر تحت رقم ٤٧٨ وقـد أصدره مـجلس الأمن بالإجماع ، بينما امتنعت الولايات المتحدة عن التصويت ، وجاء فيه ما يلى :

١ - إن المجلس يسـتنكر بأشد العـبارات إقرار إسـرائيل القانون الأسـاسى بشأن القـدس ورفضها الإلتزام بقرارات مجلس الأمن ذات الصلة .

٢ - يؤكد مجلس الأمن أن إقرار إسرائيل القانون الأسـاسى يشكل انتهاكاً للقانون الدولى ، ولا يؤثر فى التنفيذ المستمر لاتفاقية جنيف الرابعة المؤرخة فى ١٢/ ٨/ ٤٩ .

٣- ويؤكد مـجلس الأمن على أن جميع الإجـراءات التشريعـية والإدارية والأعمال التى قامت بهـا إسرائيل - السلطة المحتلة والتى غـيرت أو تهدف إلى تغيير طابع المدينة

المقدسة ووضعها القانونى ، وخاصة القانون الأساسى الأخير بشأن القدس ، باطلة ولاغية ، ويجب أن تلغى .

٤ - ويؤكد أيضا أن هذا العمل يشكل عائقاً خطيراً لتحقيق سلام شامل وعادل ودائم فى منطقة الشرق الأوسط .

٥ - ويقرر مجلس الأمن ألا يعترف بالقانون الأساسى ، وبأعمال إسرائيل الأخرى الناجمة عن هذا القانون ، التى تهدف إلى تغيير طابع المدينة ووضعها القانونى ، ويدعو جميع الدول الأعضاء فى الأمم المتحدة إلى مايلى :

- أن تلتزم بقرار مجلس الأمن هذا (٤٧٨) .

- على الدول التى أقامت بعثات دبلوماسية فى القدس أن تسحب تلك البعثات.

- يقرر (مجلس الأمن) أن يظل مهتما بذلك الوضع الخطير .

اللافت للنظر أن الطرف الفلسطينى لم يستخدم القرار ٤٧٨ فى مفاوضاته مع إسرائيل ، كما تتمسك سوريا مثلا بالقرار ٢٤٢ فيما يتعلق بالجولان .. الأخطر من ذلك والأسوأ أن المفاوض الفلسطينى قبل بالتنازل عملياً عن مرجعية قرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن ، حتى أصبحت اتفاقيات أوسلو واحد واثنين وحدها الحاكم لعلاقاته مع إسرائيل .

فى الوقت ذاته فإن مثل هذه القرارات تفسر لنا إصرار إسرائيل على استبعاد الأمم المتحدة بصورة لا تخلو من نفور وإزدراء - من كافة مراحل عملية السلام ، إبتداءاً من مؤتمر مدريد وحتى إتفاق طابا أو أوسلو اثنين الذى وقع بالبيت الأبيض فى شهر سبتمبر الماضى .

- **الملاحظة السادسة :** أن القرار إذ يكرس إلحاق القدس لشطريها بدولة إسرائيل ، فإنه يدعم عملية تهويدها الجارية الآن على قدم وساق فضلاً عن مخططات توسيعها التى تكاد تبتلع ثلث الضفة الغربية . وهذا التهويد سعت إليه إسرائيل من البداية حين أوقفت نمو الأحياء العربية فى القدس الشرقية خاصة عبر التضييق على العرب فى الحصول على تصاريح البناء كما عمدت إلى حصار تلك الأحياء بالمنشآت السكنية اليهودية ، بل عملت

على اختراق تلك الأحياء وتسكين اليهود فى قلب التجمعات العربية كما أنها لم تتردد فى الإستيلاء على كل ما أمكنها الإستلاء عليه من المساكن المقامة بحجة غياب أصحابها فى الأغلب .. وفى الوقت ذاته فإنها وجهت المستوطنين المستجلبين من شتى أنحاء العالم للإقامة فى المدينة المقدسة ، حتى أصبح ٧٠ ٪ من أولئك المستوطنين يعيشون فى مدينة القدس وحدها ، ومن ثم صار العرب هناك مجرد جزر منعزلة ومقهورة وهى تعيش وسط بحر إسرائيل بل إن القدس الشرقية التى تمتعت تاريخياً بأغلبية عربية ساحقة ، اختل توازن سكانها لصالح اليهود ، الذين أصبح عددهم ١٦٨ ألفا مقابل ١٥٤ ألف عربى (طبقا لإحصاء عام ٩٣) .

الاحتشاد اليهودى فى القدس أدى بقوة الطرد إلى إبعاد العرب عنها مسلمين ومسيحيين وفى دراسة نشرتها الكاتبة الأمريكية " جريس هالسيل " والتى زارت الأراضى الفلسطينية المحتله للتعرف على أوضاع شعبها والمسيحيين منهم بوجه أخص ، ذكرت ما نصه : لم يبق فى أرض المسيحية سوى أربعين ألفا من المسيحيين .. وقبل نصف قرن كان عدد هؤلاء نحو ١٣٥ ألفاً كانوا نصف سكان القدس ، و٩٠٪ من سكان بيت لحم . وقد تناقصوا فى القدس حتى أن طائرتى جامبو يمكنهما الآن نقلهم جميعاً (أى أنهم أصبحوا حوالى ألف شخص) وصاروا فى بيت لحم مجرد ١٠٪ من مجموع سكانها - (مجلة " لينك " الأمريكية عدد أول إبريل ٩٥) .. حملة التهويد هذه سكانياً وعمرانياً لا تنتهك ميثاق الأمم المتحدة وقرارات مجلس الأمن فقط ، ولا تنتهك ميثاق حقوق الإنسان بدورها فقط من حيث أنها تحرم أصحاب الأرض من حق الحياة فيها ، ولكنها تعد نوعاً من التطهير العرقى التدريجى الذى يستبعد المسلمين والمسيحيين بأساليب غاية فى الخبث والدهاء لكى يستبقى المدينة لصالح اليهود فى نهاية المطاف .

ومن شأن ذلك أن يحول المدينة من واقع متعدد الثقافات استقر عبر قرون تحت الحكم الإسلامى إلى واقع يهودى فى الأساس تسيطر فيه إسرائيل على السيادة بدون منازع. الأمر الذى يفقد المدينة المقدسة أحد أهم أرصدتها التاريخية والحضارية .

- **الملاحظة السابعة والأخيرة :** أن هذا الذى حدث لم يلق صداه المتوقع فى الخطاب السياسى العربى والإسلامى ولم يحدث سوى استنكار بعض الدول للقرار ..

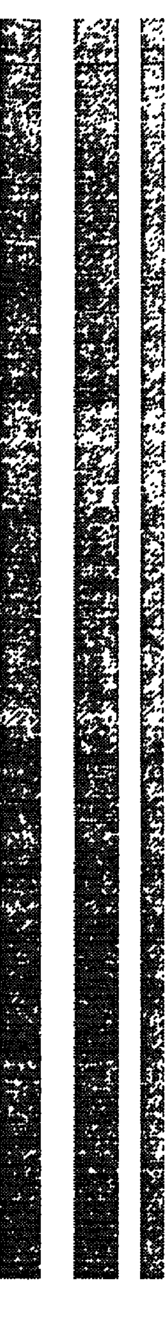
لقد انعقدت القمة الإسلامية لأول مرة فى عام ٦٩ بسبب محاولة حرق المسجد الأقصى فى المدينة المقدسة التى أقدم عليها أحد المستوطنين اليهود .. ولكن ابتلاع المدينة المقدسة كلها لم يحرك شيئاً فى الساحة الإسلامية بعد ربع قرن من وقوع الحادث الأول ، وغاية ما صرنا نملكه أن نتحدث عن " احتمال " انعقاد مجلس الجامعة العربية كأحد الخيارات المحتملة لبحث الأمر !!

إن الشعارات بالنسبة للعرب .. مسلمين ومسيحيين هو أن القدس هى عاصمة فلسطين .. أما الشعار بالنسبة إلى كل المسلمين ، هو أن القدس هى مدينة الأقصى المبارك ومسرى الرسول الأمين .. وأما الشعار بالنسبة إلى كل المسيحيين هو أن القدس هى مدينة قيامة السيد المسيح فكلها شعارات استراتيجية .. لكن ما من شعار منها قد تحول إلى عنوان عمل يومى .. كما تحول شعار الصهيونية بأن القدس هى العاصمة الموحدة والأبدية لإسرائيل .. لكن القدس بالنسبة لإسرائيل موضوع لا يقبل المساومة واعتبارها بقرار حكومى عاصمة موحدة وأبدية حتى العام ١٩٨٠ ما كان مجرد إجراء رسمى أو مجرد شعار .. لكنه كان عملاً سياسياً وشعبياً وعمرانياً متواصلاً .

وإن قرار الكونجرس الأمريكى بنقل السفارة الأمريكية للقدس هو أول تحرك عملى أمريكى باتجاه القول بأن الحل المرحلى الذى تم إنجازه مع السلطة الفلسطينية هو الحل النهائى .. ويبقى أن ينتبه الفلسطينيون والعرب إلى ذلك ، فيتحركون بسرعة ويرتبون أوراقهم لخوض المعركة بموقف تفاوضى موحد وإلا خسروا المعركة تماماً .

لقد تغيرت الدنيا حقاً بأبعد وأعمق مما نتصور .

***



د . صالح حسن المسلوت

الأستاذ بجامعة الأزهر بالقاهرة

بين الحقوق العربية والأطماع الإسرائيلية

القدس هى " يبوس " كما ورد فى سجلات الفراعنة وهى " أوروسالم " كما كان اسمها عند الكنعانيين ، وهى " أورشليم " كما سماها العبرانيون ، وهى " بروساليم " عند اليونانيين وهى " هيروسلما " أو " سوليموس" أو " أيليا " عند الرومان ، وهى " القرية " أو " بيت المقدس " أو " البيت المقدس " أو " القدس " كما سماها العرب المسلمون .. ومدينة القدس مدينة قديمة يرجع تاريخها إلى أكثر من ثلاثين قرناً قبل الميلاد وتذكر المصادر التاريخية أنها كانت فى إبتداء الزمان صحراء خالية بين أودية وجبال ، وكان أول من اختطها سام بن نوح عليه السلام ، حيث يذكره البعض باسم " ملكى صادق " ومعناها بالعبرية ملك الصدق ، ويبدو لنا أن " ملكى صادق " متأخر فى الزمن عن الجيل الأول الذى عاش فى هذه البقعة المباركة ، فى أول الأمر ، وكان ذلك قبل أن يفكر "ملكى صادق "فى تخطيط مدينته على أى شكل من الأشكال ، ويظهر أن أول من أقام بها هم بطن من بطون العرب الأوائل التى عاشت فى فجر التاريخ فى الجزيرة العربية .

ويذكر المؤرخون أنهم كانوا يسمون " اليبوسيين " تسمية أطلقها عليهم الفراعنة كما يظهر فى آثارهم ، ولقد رحل هؤلاء اليبوسيون إلى أرض مدينة القدس حوالى ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد ، واستوطنوا بها وارتبطوا بترابها حتى أنهم كانوا بعد ذلك أصحابها الشرعيين صدوا عنها غارات المصريين كما صدوا عنها قبائل العبرانيين التائهة فى صحراء سيناء ولقد لجحوا فى بناء مدينتهم وعمارتها .. ونجحوا فى صد الغزاة عنها أزماناً طوالاً إذ كانوا متحدين ، فلما تفرقت كلمتهم اشتد طمع العبرانيين فيهم مما

اضطرهم إلى التحالف مع المصريين وطلبوا عون " تحتمس الأول " عام ١٥٥٠ ق . م فلبى رغبتهم وساعدهم فى صد غارات القبائل العبرانية وأدت بهم هذه الإستعانة إلى نوع من الخضوع لسلسلة من فراعنة مصر : تحتمس الثالث ١٤٧٩ ق.م ، امنحتب الثالث ١٤١٣ ق.م ، إخناتون ١٣٧٥ ق.م ، توت عنخ آمون ١٣٥١ ق.م ، سيتى الأول ١٣١٤ ق.م " رمسيس الثانى ١٢٩٢ ق . م .. وجدير بالذكر أن هذه الاستعانة أو هذا الخضوع لم يفقدهم كيانهم كشعب واحد متماسك يمارس حياة قومية خاصة ، ويحتفظ بحقه فى حكم نفسه ، إذ كان المصريون يكتفون بتحصيل الجزية من أهلها .. ولما كان العبرانيون يبحثون لهم عن مستقر يقيهم تيه الصحراء فإنهم استمروا فى محاولتهم دخول " يبوس " وأخيراً وبعد جهد شديد تمكنوا من ذلك فى عهد داود عليه السلام حوالى ١٠٤٩ ق .م .

وتؤكد لنا التوراة أيضاً غربة اليهود عن القدس ففى سفر القضاه ١٩ ، ١١ ، ١٣ نجد قصة رجل غريب وفد مع جماعة له إلى مشارف يبوس .. وفيما هم عند يبوس والنهار قد انحدر جدا قال الغلام لسيده : تعالى نميل إلى مدينة اليبوسيين هذه ونبيت فيها ، فقال سيده: لا نميل إلى مدينة غريبة حيث ليس أحد من بنى إسرائيل هنا .. إذن فلقد دخل اليهود يبوس فى عصر جد متأخر على يد داود عليه السلام واضطر أهل البلاد الأصليين إلى التعايش مع الغزاة مرغمين .. ويؤكد التاريخ أنه حتى فى الفترة التى كان لاسرائيل فيها كيان ونفوذ فى يبوس وفى عصرهم الذهبى من داود إلى سليمان عليهما السلام كان ملك إسرائيل آنذاك بمثابة والٍ على فلسطين تحت السيطرة المصرية .. ومما سبق يتضح لنا أن داود وسليمان عليهما السلام لم يكونا مؤسسى مدينة القدس وإنما أتيا إليها بعد ألفى سنة من وجودها وكانت عمارتهما لها بعد ذلك كما يقول المؤرخون بمثابة " تجديد البناء القديم " .. فإلى متى استمر الكيان السياسي لليهود فى يبوس ؟

بعد موت سليمان عليه السلام حوالى ٩٧٥ ق . م انقسمت المملكة اليهودية إلى شطرين : إسرائيل فى الشمال وعاصمتها " نابلس " ودامت نحو ٢٥٠ عاماً وانتهت عام ٧١ ق . م وقضى عليها ملك آشور ولم تقم لها قائمة بعد ذلك وأورشليم مملكة يهوذا فى الجنوب ، وقد عاشت أكثر من أختها وفى عام ٥٩٩ ق . م دمرها نبوخذ نصر وسبى

جميع أهلها وأرسلهم إلى بابل وهو ما يعرف فى التاريخ بالشتات البابلى الأول وراح اليهود يعيشون بعد مملكتهم هذه كطائفة دينية يرأسها كاهن حتى ظهر المكابيون وقاموا بثورتهم واستولوا على أورشليم عام ١٦٧ق .م وظهر منهم الرؤساء والملوك وبعد فترة وجيزة كانوا خاضعين للحكم اليونانى مرة والحكم الرومانى مرة أخرى رازحين تحت عبء التنازع السياسى والفساد الداخلي وذاقوا الدمار ثلاث مرات متوالية على أيدي الأباطرة : بومبى وتيطس وأدريانوس ، وكان أن قضى على دولتهم الهزيلة ولم تقم لهم دولة أو كيان بعد ذلك وهو ما يعرف فى التاريخ أيضاً بالشتات الرومانى الثانى أو ما يطلق عليه " الدياسبورا " .

مما تقدم يتبين لنا عدة حقائق هى :

أولا : أن وجود اليهود بمدينة القدس لم يكن إلا بعد وجودها بعشرين قرناً وبعد أن تحضرت على يد أصحابها الفلسطينيين ذوى الأصل العربى ، الذين نشأوا فى صميم الجزيرة العربية .

ثانيا : إن وجودهم بها حدث واستمر كغزاة تقوم العلاقة بينهم وبين أصحاب الأرض الأصليين على هذا الأساس .

ثالثا : إن كيانهم السياسى لم يقم بهذه الأرض إلا فى فترة متأخرة جداً ولبضع سنوات لا تكاد تتجاوز خمساً وسبعين عاماً من بين خمسين قرناً على هذه الأرض وهى مأهولة متحضرة .

وليس أدل على ضعف ارتباط اليهود بأرض فلسطين من أن زعماء الصهيونية فى العصر الحديث عندما بدأوا يفكرون فى بناء وطن قومى لهم ساغ لبعضهم أن يتجهوا بتفكيرهم إلى بلاد أخرى غير فلسطين ، فهذا البارون هيرشي اليهودى الألمانى الثرى يرى أن الأرجنتين هى أصلح مكان يمكن أن تقام عليه دوله لليهود .

بل إن هرتزل نفسه كان على استعداد لقبوله فى سوريا أو البرتغال أو سيناء أو قبرص أو العريش أو موزمبيق أو طرابلس أو أوغندا أو الكونغو لولا أن بادرت المصالح الاستعمارية إلى ربط عجلتها بالمطامع الصهيونية فتكاتفا على إحداث المأساة .

الفتح الإسلامى لبيت المقدس

ونعود إلى القدس مرة أخرى وكيف دخلها الإسلام بعدما عانت من الحكم الرومانى تم فتح بيت المقدس فى عهد الفاروق عمر ثانى الخلفاء الراشدين بأكرم وأرفع وأخلد مجموعة عرفها هذا الكون من البشر ومن الملائكة اجتمعت لأول مرة بقيادة الرسول الكريم ليلة الإسراء ، ووضعت حجر الأساس فى الوجود الإسلامى فى المنطقة ولقد تابع سيدنا محمد ﷺ تنفيذ هذه الغزوة الملائكية بغزوة تبوك وسار من بعده على الدرب أصحابه فأذن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لقائد جيشه على الشام بفتح بيت المقدس فأرسل أبو عبيدة بن الجراح – وقد عسكر بالأردن – " إلى بطارقة أهل ايليا وسكانها " سلاماً ودعوة إلى الإسلام .. ﴿ " فإن شهدتم بذلك ، حرمت علينا دماؤكم وأموالكم وذرياتكم وكنتم لنا إخوانا ، وإن أبيتم فأقروا لنا بأداء الجزية " ﴾ .

دعوة إلى الحق والسلام والإخوة لا يأباها منصف ولا يمتنع عنها مؤمن بالقيم الدينية والمثل الإنسانية ، وبعد القتال أرسلوا إليه يطلبون الصلح على أن يعطيهم الخليفة بنفسه العهد والأمان ، وقد انتقل إليهم الخليفة عمر بن الخطاب حقناً للدم وتوفيراً للجهد وأعطاهم العهد الذى جاء فيه :

١- ألاّ يسكن بايليا معهم أحد من اليهود .

٢- وأن يخرجوا منها الروم .

ونقف هنا لنتساءل : لماذا نص فى العهد على هذين الشرطين ؟! يذهب بعض الباحثين إلى أن النص على ألا يسكن القدس أحد من اليهود كان بناء على طلب البطريرك .. ونحن نرى أن نظرة عمر كانت أبعد من مجرد الاستجابة لطلب البطريك خاصة إذا لاحظنا الارتباط بين استبعاد اليهود واستبعاد الروم ، إننا على إقتناع بأن الإلهام العمرى كان يقوم بدوره عند عقد هذا العهد أن نكبة فلسطين التى نعيشها اليوم بأقسى ظروفها إنما كانت نتيجة الإخلال بهذين الشرطين ، فقد سمح للإستعمار بأن يدوسوا بأقدامهم تلك الأرض المطهرة وتلك كانت بداية الكارثة ، رحم الله عمر ورضى عنه .

لقد كان طلب البطريرك دليلاً على عدم وجود اليهود بتلك الأرض ، ولكن اليهود تسللوا بعد ذلك من نافذه التسامح الإسلامى ، بل نقول من ثغور التساهل الذى كان المظهر المنحرف للتسامح الحكيم ، فقد سمح لبعض اليهود أن يكونوا بين خدام المسجد الأقصى يسرجون مصابيحه بعد أن بناه عبد الملك بن مروان ، وهنا تظهر لمحة أخرى من لمحات عمر رضى الله عنه فى تصرف حفيده عمر بن عبد العزيز الذى منع ذلك بعد أن ولى الخلافة ، ولقد استمر بيت المقدس بأيدى المسلمين من حين الفتح العمرى إلى سنة ٤٩٢ هـ عندما استولى الفرنجة على بيت المقدس ، واستمر بيت المقدس وما جاوره من السواحل بيد الفرنجة ٩١ عاماً حتى استرد البيت صلاح الدين الأيوبى عام ٥٨٣ هـ ثم استرجعوه فى عام ٦٢٦ هـ وتم استرداده مرة أخرى على يد الملك الصالح عام ٦٤٢ هـ .

وعد مشئوم ومؤامرة دنيئة

لم ينس الفرنجة أن لهم مأرباً فى بيت المقدس لم يقضوه فبيتوا للأمر وخططوا له طويلاً ودبروا وتآمروا حتى استوى لهم فى عام ١٩١٧ م فاحتلوا القدس تحت راية الجيش البريطانى وبعثوا إليها طلائع الصهيونية تحت إعلام وعد بلفور ، وقد حدث ذلك فى نفس الوقت الذي كانوا يقطعون فيه علي أنفسهم وعد الخديعة والغدر للشريف حسين أن تعترف بريطانيا باستقلال البلاد العربية من مرسين حتي الخليج الفارسي شمالاً ومن بلاد فارس حتي خليج البصرة شرقاً ومن المحيط الهندي للجزيرة جنوباً ومن البحر الأحمر والبحر المتوسط حتي سيناء غرباً .. وتنادي المسلمون برفض وعد بلفور ، ورفض الإنتداب البريطاني ومقاومة الحركة الصهيونية وأعلنوا إدراكهم لنوايا الصهيونية نحو السكان غير اليهود وبتبييتهم النية علي إجلائهم عنها وفتح الباب للهجرة اليهودية .. ونقف هنا لنسأل :

كم كان عدد اليهود في بيت المقدس في الفترات التي عرضنا لها ؟

علمنا أنه في الفتح العربي لم يكن بها أحد من اليهود .

فإذا إنتقلنا سريعا إلي وقت الاحتلال الصليبي عرفنا أنه لم يكن بها غير المسلمين والمسيحيين وأنه لم يكن بها يهودي واحد .

وعندما فتحها صلاح الدين لم يكن بها يهودي واحد كذلك .

وفي عهد السلطان محمد الرابع سنة ١٦٧٠ م كان بها من اليهود عدد لا يزيد علي مائة وخمسين .. ثم أن عددهم أخذ يتزايد منذ أواخر القرن الماضي فجر الحركة الصهيونية مما دعا الدولة العثمانية عام ١٨٨٢م إلي إصدار قانون حرمت فيه الهجرة اليهودية وشراء اليهود للأراضي ثم عدلته بعد ذلك بسبب سعي أمريكي وأعطت اليهود حق الدخول إلي فلسطين والبقاء فيها لمدة لا تزيد علي ثلاثة أشهر ، ولكن الذي حدث إثر ذلك هو أنهم دخلوا الأرض المقدسة وأقاموا بها وتكاثروا ، ولما استقر الأمر للإحتلال البريطاني أخذت الهجرة اليهودية تتزايد ولم يكن لها شيء يبررها من غير منطق الاستعمار ، تشهد بذلك لجنة بريطانية هبطت مدينة القدس برياسة السير والترشو لتدارس المشاكل الناجمة عن الاحتكاك بين اليهود والمسلمين إذ جاء في تقريرها الذي أصدرته اللجنة عام ١٩٣٠ إنه إذا أجيب اليهود إلي طلبهم وسمح لهم بإدخال خمسة وعشرين ألف مهاجر في السنة فإنهم سيصبحون أكثرية في عام ١٩٤٨ .

وننتقل الي الحديث عن خصوصية هذه المدينة بالنسبة للمسلمين عن المسجد الأقصي المبارك ، إن المسجد الأقصي له تاريخ أقدم - فيما نرجح - من تاريخ داود عليه السلام ، قال الإمام أبو العباس القرطبي يجوز أن يكون بناه الملائكة بعد بنائها البيت المعمور بإذن الله ، وظاهر الحديث يدل علي ذلك والله أعلم .. والإمام القرطبي يشير في هذا إلي ما رواه المحدثون عن أبي ذر - رضي الله عنه- أنه قال : " قلت يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أولا ؟ قال : المسجد الحرام . قال : قلت ثم أي ؟ قال المسجد الأقصي : قلت كم بينهما قال : أربعون سنة " .

ومن العلماء من قال : بناه آدم عليه السلام ، ومنهم من قال : بناه سام بن نوح عليهما السلام . ومنهم من قال : أول من بناه وأرسي موضعه يعقوب بن اسحاق عليهما السلام ، وقد تأول بعض العلماء معني الحديث الشريف الوارد في أن بناء المسجد الأقصي كان بعد بناء المسجد الحرام بأربعين سنة علي أن المراد به بناء يعقوب عليه السلام لبيت المقدس بعد بناء إبراهيم الخليل عليه السلام للكعبة الشريفة ، والذي نراه أن هذا المسجد كان موجوداً قبل داود عليه السلام ، ذلك أن هذه المنطقة كانت معمورة قبله . كان ممن عمرها ناس يعبدون الله علي حق سام بن نوح مثلا لابد أن يكون ممن عبدوا الله علي حق

إذ كان ممن لجأ من الطوفان وكان ممن عاش فيها من بين هؤلاء جميعا إبراهيم وإسحاق ويعقوب دون أن يبنوا لله مسجداً بالأرض التي عاشوا فيها ؟ أرجح الظن أنه كان لإبراهيم نصيب في بناء مسجد لله في الأرض التي عاش فيها في فلسطين .

ثم نخطوا خطوة أخرى ونسأل :

عندما يأتي داود عليه السلام بعد ذلك ليبني مسجداً في الأرض التي عاش فيها جده أبو الأنبياء أكان له أن يبحث عن بناء أقامه جده ليجدده ؟ أم يبدأ في بناء جديد كل الجدة ؟ أيهما أقرب الي طبيعة سلوك هذه الثلة الكريمة من الأنبياء التي لم تكن تغفل قط عن تأسي خطوات الأنبياء السابقين والاقتداء بهم والاعتزاز بكل ما أنجزوه والتمسك به في دقة عجيبة ، ألم يكن هذا هو الموقف نفسه عند تجديد الكعبة ؟ وأليس لنا أن نهتدي بطبيعة وسلوك الشخصيات الكريمة بجانب ما نهتدي به من الأخبار المروية ؟

ثم بعد ذلك : عندما نتدبر جمع الأنبياء للصلاة بالمسجد الأقصي في الإسراء نحس بأنهم جمعوا في المكان الذي صلوا فيه يوما وإلا ألم يكن المسجد الحرام أولي إذا كان أقامه إبراهيم أبو الأنبياء .

ثم ما الذي جعل محمد ﷺ يتجه إليه في صلاته أولاً ؟

أكان محمد ﷺ يتجه إلي مكان أنشأه داود عليه السلام ؟

أم كان يتجه إلي المكان الذي أنشأه جده إبراهيم ؟

إذن : نحن نرجح أن البيت أقدم من داود عليه السلام وأنه يمتد إلي زمن إبراهيم عليه السلام وقد يكون أقدم وعلي أية حال :

هل لإسرائيل اليوم أن تزعم لنفسها حقاً يلغي حقوق الآخرين في هذا المكان المقدس ؟

إننا لجزم بأنه ليس لها شيء من ذلك للأسباب الآتية :

أولا : لأن هيكل داود أو سليمان ليس له أثر علي الإطلاق بعد أن دمر أكثر من مرة وأقيم مكانه معبد الاله " جوبيتر " وأصبحت بقاياه هي ما يتمسح به اليهود اليوم .

ثانيا : لأن المسلمين أولي بداود النبي المرسل عليه السلام فهو صاحب دعوة إلي الإسلام شأنه في ذلك شأن جميع الأنبياء .

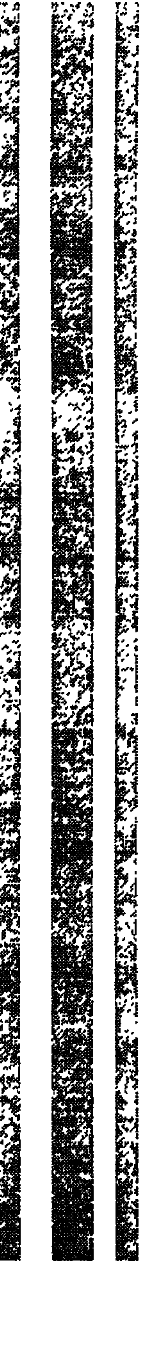
ثالثا : لأن داود عند اليهود ملك ليس له شيء من قداسة الأنبياء التي يقرها المسلمون وإذن فما يبنيه ملك مجرد من القداسة عندهم كيف تكون له عندهم قداسة دينية ؟

رابعا : لأن اليهود هم الذين دنسوا من قبل المعبد الذي بناه داود ذلك أن الملك يهواش ملك إسرائيل أغار علي المدينة واستباح هيكلها ، أما المسلمون فقد كانت عنايتهم بالمسجد وتقديسهم له نابعة من شعورهم الديني الأصيل .

لقد وجد عمر رضي الله عنه المكان ممتلئاً (بالقمامة) التي وضعها النصاري فيه ذلك أن الملكة " هيلانه " عندما زارت إيليا وبنت فيها كنيسة القيامة سنة ٢٣٥ م جعلت مكان الصخرة لقمامات المدينة وعند ذلك جعل عمر يكنس القمامة والمسلمون معه وبعد أن فرغ من ذلك صلي هناك ، وهناك أقيم المسجد ثم جاء عبد الملك بن مروان فبني في نفس المكان مسجد قبة الصخرة وبني بعده المسجد الأقصي ورتب له الخدم ، وباختصار فإنه ما من ملك من ملوك العرب والمسلمين حكم القدس إلا وكان له فضل تجديده والعناية به .. لقد توخينا فيما عرضناه عن المسجد الأقصي إبراز الحقائق التاريخية التي تتعلق بها كل مطالب العرب وأماني إسرائيل .

ولقد وجدنا أن هذه الحقائق التاريخية تبنت أصالة وعراقة الوجود العربي الإسلامي وهي تثبت في نفس الوقت عرضية الوجود الإسرائيلي

* * *



د. أحمد يوسف القرعى
باحث ومفكر استراتيجى

عاصمة إسرائيل

تحتفل إسرائيل - كما تزعم - الألف الثالث - وفقاً للتقويم العبرى - لإعلان القدس عاصمة لمملكة يهودية ، والتى قامت عام ٩٩٦ قبل الميلاد ولسنوات قليلة لا تقاس بتاريخ المدينة المقدسة الطويل والمزمن ومقابل ثلاثة عشر قرنا ظلت المدينة المقدسة خلالها عربية فى أصالتها وإسلامية فى هويتها .

هكذا تغالط إسرائيل مغالطات تاريخية لا تفوت على أى باحث مبتدئ فى التاريخ وحقائق التاريخ تقول أن حقبة مملكة يهودا لا تمثل سوى برهة زمن عابرة من تاريخ طويل وحافل ومتصل تعرضت فيه المدينة للغزاة أكثر من ٤٠ مرة وفى كل مرة ظن المحتلون أن المدينة قد فقدت هويتها العربية .. لكن القدس كانت تلفظ كل دخيل وتعود دائما كما كانت عربيه إسلامية .. وفى محاولة لتنشيط ذاكرة التاريخ لدى الجيل الجديد نقول: إن القدس عربية النشأة والمولد .. واليبوسيون (بطن من الكنعانيين) هم مؤسسو المدينة حوالى ٣٠٠٠ ق . م فهم أول من سكنوا أرضها واستوطنوها وأقاموا الأبنية وتكاثروا وشيدوا معالمها العريقة وجعلوها حاضرة ملك لهم . وظل اليبوسيون محتفظين بإسمهم هذا إلى عهد الميلاد وكانت لغة الكلام كنعانية اشتقت من العربية الأولى التى تولدت فى قلب الجزيرة العربية وظلت القدس تتكلم بتلك اللغة منذ نشأتها القديمة إلى نحو سنة ٤٠٠ ق . م حين إنتشرت اللغة الآرامية وهى أيضا مشتقة من العربية الأولى وظلت الآرامية سائدة حتى حلت محلها اللغة العربية الحديثة بدخول العرب المسلمين إلى البلاد .

أما القبائل اليهودية فقد غزت القدس فى نحو سنة ١٠٠٠ ق . م وأسسوا فيها مملكة داود وسليمان ولم يحكموا فى القدس حكماً موحداً إلا مدة ٧٠ عاماً ثم تجزأت المملكة الى مملكتين - إسرائيل ويهوذا ، وأصبحت القدس عاصمة للأخيرة وسرعان ما أزيلت هذه المملكة على يد نبوخذ نصر عام ٥٨٧ ق . م ودمر هيكل سليمان وسبى

اليهود إلى العـراق إلا أنهم عادوا إلى القدس عام ٥٣٨ ق . م مع القـائد الفارسى قورش الذى حررهـم ونقل ٤٠ ألفاً منهم إلى فلسطين وبـعد الإحتـلال الإغريقى لفلسطـين عام ٣٣٠ ق . م جاء الإحتلال الرومانى عام ٦٣ ق . م كـما طرد الإمبراطور الرومانى هادريان عام ١٣٥ م اليـهود من المدينة وحرم عـليهم الإقتـراب منها .. ومع ظهور الإسـلام أسرى بالرسول الكريم محـمد ﷺ إلى (بيت المقـدس) القدس وإعـتبـرها المسلمون مـدينة لديهم وفتحوها عام ٦٣٦ م فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب بعد حصار طويل .

وحافظ العرب على المدينة المقدسة ودور العبادة فيها وتوسعت وشيد عبد الملك بن مروان فى عهده عام ٦٨٥ م مسجد الصخرة المشرفـة كما شيد خليفته الوليد بن عبد الملك المسجـد الأقصى . وتعـرضت القدس للـغزو الصليـبى عام ١٠٩٩ واستـعادها المسـلمون بقيـادة صلاح الدين الأيوبى عام ١١٨٥ م ودخلت المدينة بعـد ذلك تحت الحكم المملوكى ومن ثم الحكم العثمانى عام ١٥١٥ م وأعاد سليـمان القانون بناء سور القدس البالغ طوله أربعة كيلو مـترات ، وإرتفاعه إثنا عشر مـتراً وله ثمانية أبواب . واستـمرت تحت السيطرة العثمـانية حتى عام ١٩١٧ م حيث سـقطت تحت الإحتلال الإنجليزى فى ١١ ديسـمبر من العام نفسـه وبقيت خاضعة للإدارة العـسكرية البريطانية حتى عـام ١٩٢٢ م عندما فرض الإنتداب البريطانى وثار العرب على سياسة الإنـتداب التى كانت تشجع هجرة اليهود إلى فلسطين ، وقدمت لجنة بيل تقريراً أوصت فيه بتقـسيم فلسطين بين العرب واليهود فأبقت القدس وحيفا تحت الإنتداب ولكن الوضع استمر كما هو عليه حتى ٤ مايو ١٩٤٨ عندما إنسحبت حكومة الإنتداب من فلسطين وأعلنت الحركة الصهيونية قيام دولة إسرائيل بعد، أن وافقت على قرار فلسطين (٢٩ نوفمبر ١٩٤٧) الذى وضع مدينة القدس وما حولها وصولاً إلى بيت لحم تحت وصاية دولية إلا أن إسرائيل سيطرت على جزء كبير من المدينة بعد إنضمام الضفة الغربية بما فـيها القدس إلى الأردن عام ١٩٥٠ وفى العام نفسه أعلنت إسرائيل القدس الغـربية عاصمة لها ونقلت الكنيـست إليها واستمر الوضع كـما هو عليه حتى حرب يونيو ١٩٦٧ عندما ضمت إسـرائيل كل المدينة بعد إحتلالها للأراضى العربية الأخرى وبدأت فى عمـلية التهويد منذ اليـوم الأول للإحتلال .. ولا شك أن اللجـوء إلى إعادة قراءة صفحـات التاريخ العربى للقدس سوف يسلح هذا الجيل بسلاح مـعرفة أبعاد القضية وحقائقها فى مواجهة إفتراءات إسرائيل على التاريخ العربى .

* * *

د. مفيد شهاب
أستاذ القانون الدولى بجامعة القاهرة

القانون الدولى وقضية القدس

يتعين بالتأكيد منذ البداية ضرورة عدم إغفال الجانب القانونى فى أبعاد هذه القضية التاريخية أو الدينية أو السياسية ، التى تعتبر الحجر الأساسى فى قضية الصراع العربى - الإسرائيلى ، ولا أغالى إذا قلت بأننى أعتقد ، بأنه لا سلام ولا أمن فى المنطقة ، إلا بحل عادل يلتزم بحكم القانون ووضع الحقوق ، فى قضية المدينة المقدسة " القدس الشريف " منارة الأديان ، وإذا كنت قد سعدت بعدم إغفال الجانب القانونى ، فذلك لأن هناك فى عالمنا العربى من يعتبر المنهج القانونى درباً من العبث ، طالما أن أحكام القانون الدولى لا تلقى الاحترام من كل الدول ، ولا حتى من المؤسسات الدولية المنوط بها أعمال القواعد القانونية ، ولعل قرارات مجلس الأمن ، التى تكيل بمكيال أو أكثر ، مجرد نموذج على عدم إحترام أحكام القانون من المؤسسات المنوط بها إعمال القانون وإحترامه .

وعلى عكس هؤلاء فإننى ضمن المجموعة التى تؤمن بحتمية الاستناد للمنهج القانونى ، خصوصاً وأننا أصحاب حق ، ولا نطالب إلا بإحترام هذه الحقوق ، هذه الحقوق المؤكدة بالقوانين وبالقرارات الدولية ، وليس غريباً أن نرى المعتدى يتمسح بهذا المنهج القانونى ، لتبرير عدوانه وتسريده ، ولا يرى البعض منا جدوى فى التمسك بهذا المنهج القانونى ، هذا المنهج الذى يدعم ، بلا شك ، ما نطالب به من حقوق . وما ندافع عنه من مصالح مشروعة . ونقول على سبيل المثال .. حرب ١٩٥٦ ، العدوان الإسرائيلى ، والذى بررته إسرائيل بأنه دفاع شرعى مسموح به فى القانون الدولى ، حرب ١٩٦٧ ، بررت إسرائيل عدوانها بأنه دفاع شرعى أما العمل العسكرى السورى المصرى عام ١٩٧٣

فقد قالت عنه إسرائيل إنه فى حكم القانون الدولى ، عدوان . لقد وصلت إسرائيل إلى حد الإستناد إلى نظرية الدفاع الشرعى فى تبرير قتل الأجنة فى بطون الأمهات الفلسطينيات ، وإذا كنت أؤكد على أهمية المنهج القانونى فى مواجهة المعتدى ، وفى مواجهة المجتمع الدولى ، فلست أدعو بذلك أبداً ، إلى التخاذل عن دعم كل مصادر قوتنا العسكرية والإقتصادية والسياسية والعلمية . والتكنولوجية إكتفاء بأننا أصحاب حق ، أو أن القانون فى صفنا . لكننى أزعم أن المنهج القانونى السليم ، لو صح إستخدامه ، سياسياً وإعلاميا ، لكسبنا نحن العرب وضعاً أفضل فى المجتمع الدولى ، ومع المؤسسات الدولية من أجل إسترجاع الحقوق .

والتزاما منى بالأسلوب العلمى فى معالجة هذا الموضوع ، وإحتراما للبرنامج المعد أجد لزاما علىّ أن أقصر حديثى على قضية القدس دون القضايا الأخرى المرتبطة بها ، أو القضايا التى أدت إلى نشأة أزمة القدس : القدس الفلسطينية ، والصراع العربى - الإسرائيلى بصفة عامة ، وأقتصر ، أيضا فى حديثى على ما هو قانونى فقط ، دون ما هو دينى أو تاريخى أو سياسى ، فقد تحدث فى هذا الجوانب من هم أكثر منى خبرة ودراية ولذا أتجاوز عن كل هذه الجوانب وأدخل مباشرة فى الناحية القانونية .

أولا : وضع مدينة القدس فى ظل قرار تقسيم فلسطين :

بموجب قرار تقسيم فلسطين ، الصادر من الجمعية العامة للأمم المتحدة ، بتاريخ ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ ، وقرارين لاحقين ، صدرا فى ١١ ديسمبر ١٩٤٨ ، وفى ديسمبر ١٩٤٩ ، تم وضع نظام للإدارة الدولية لمدينة القدس ، نظراً لإحتوائها على الأماكن المقدسة للمسلمين والمسيحيين واليهود ، ويشمل النظام الدولى بلدية القدس ، أى مدينة القدس بأكملها ، بما فيها من أحياء قديمة وحديثة والقرى المحيطة بها والتى تشكل معها وحدة واحدة ، وتم تحديد مشتملاتها فى خريطة ألحقت بقرار التقسيم الصادر فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ .. وقد تقرر فى هذا التقسيم أن القدس تحت السيادة الجماعية للأمم المتحدة ويكون مجلس الوصاية مسئولاً عن إدارتها ، ويعين مجلس الأمن ، حاكماً للمدينة المقدسة ، يعاونه مجلس تشريعى يتكون من أربعين عضواً ، وتوضع فى حالة حياد دائم ، ويكون لسكانها رعويه خاصة .

لكن النظام الدولى للقدس لم ير الحياة ، وبيان ذلك أن مجلس الوصاية قد كلف بوضع مشروع لهذا النظام تمهيداً لعقد اتفاق دولى بشأنه ، لكن هذا المشروع تعذر إقراره بواسطة الجمعية العامة نتيجة لمعارضة كل من البلاد العربية وإسرائيل لتدويل القدس فبقى التدويل معطلاً .. وظل القسم القديم من القدس تحت سيطرة الأردن ، وهو الجزء الذى يحتوى على الأماكن المقدسة ، أما القسم الحديث فقد إحتلته إسرائيل منذ نشأتها سنة ١٩٤٨ . وفى ٧ يونيو ١٩٦٧ ، إحتلت إسرائيل مدينة القدس بأكملها عقب عدوانها على مصر فى ٥ يونيو ١٩٦٧ ، ومنذ عام ١٩٦٧ وحتى الآن ، هناك إنتهاكات إسرائيلية لايمكن حصرها للحقوق المدنية والمعتقدات فى مدينة القدس .

ثانيا : الإنتهاكات الإسرائيلية للحقوق الدينية والمعتقدات فى مدينة القدس :

لم تكتف سلطات الإحتلال الإسرائيلى ، فى الأراضى العربية المحتلة بانتهاك حقوق الإنسان ، بل امتدت يدها للعبث بالمقدسات ، وخاصة فى مدينة القدس ، حيث عملت على إجراء الحفريات حول الحرم الشريف فى القدس ، وإغتصاب وهدم وإزالة العقارات والمعاهد والمقدسات الإسلامية بها وتشريد سكانها ، مستهدفة إزالة الحرم الشريف ومسجد الصخرة والمسجد الأقصى ، وإزالة ما حولها وما يجاورهما من ثرات إسلامى ومسيحى وحضارى ، وإستبدال الجميع بهيكل جديد لليهودية ، وعملت السلطات الإسرائيلية ، منذ إحتلال القدس ، على مواصلة إجراءات الحفر حتى وصلت أسوار الحرم الشريف من الجهتين الجنوبية والغربية ، وقد حدد أحد علماء الآثار الإسرائيليين طول الحفريات بـ ٤٨٥ متراً ، تم حفر ٢٣٠ متراً منها حتى ١٤ أكتوبر ١٩٧٠ .. وقد تجلت قمة الأعمال الإجرامية للسلطات الإسرائيلية بقيامها بإحراق المسجد الأقصى ، فى ٢١ أغسطس عام ١٩٦٩ ، فى محاولة منها لتهويد القدس العربية والقضاء على أهم معالمها الإسلامية ، كل ذلك من أجل بناء هيكل اليهودية المزعوم مكان المسجد الأقصى .

إن قواعد القانون الدولى تؤكد على حماية الأماكن المقدس والأماكن الأثرية ، وذلك لأنها تعتبر تراثاً إنسانيا وحضاريا لا يقدر بثمن ، كما ألزمت سلطات الإحتلال بإحترام هذه الأماكن وعدم المساس بها ، والعمل على إحترام حرية ممارسة الشعائر الدينية ، وحذرت من التدخل فى هذه الشئون أو العمل على تعطيلها ، وعلى سبيل المثال ،

إتفـاقـيـة لاهاى الرابعـة لسنة ١٩٠٧ فى نص المادة ٥٦ ، من أن " أمـلاك البلديات والمؤسـسات الدينيـة والتـعليمـية ، حتى ولو كـانت للدولة ، يجب أن تعـامل كالأمـلاك الخـاصة ، وأن الإسـتيـلاء ، أو التدمـير أو الإضـرار المتـعمـد لهذه المؤسـسات أو المبـانى التاريخية أو التحف الفنية محظور ويجب أن تتـخذ بحق المخالفين لنصوص هذه الإتفاقية كل الإجراءات القضائية " .. كما جـرى النص أيضا ، على حرية ممارسة الشعائر الدينية ، وإلتزام السلطة المحتلة بوجوب إحتـرام ذلك ، فى نص المادة ٢٧ من إتفاقية جنيف الرابعة لسنة ١٩٤٩ الخاصـة بحماية المدنـيين ، والتى أكدت على حق السكان فـى المناطق المحتلة فى ممارسة شعائرهم الدينية حسب عاداتهم وتقاليدهم .

وقد أكدت محكمة " نورمبـرج " على أن تعرض سلطات الإحتلال للأماكن الدينية أو المساس بها ، وكذلك إعاقة أو تعطيل ممارسة الشعائر الدينية فى الأراضى المحتلة يشكل جريمة من جـرائم الحرب ، تدينها قوانين وأعـراف الحرب والإتفاقيات الدولـية والقوانين الوطنيـة والمبادئ العـامة المعـترف بهـا من قـبل الدول المتمـدينة ، وقد أصـدرت محكمـة "نورمبـرج " أحكاماً عـديدة بإدانة الأشخـاص الذين قامـوا بإغلاق الأديرة وسـلب أموال الكنائس والمعابد وإنتهاك حرمتهـا ، وتدخلوا فى ممارسة السكان المدنيين لعقائدهـم الدينية وإضطهادهم للقساوسة ورجال الدين .

ثالثا : إسرائيل وإجراءات الإستيلاء والمصادرة للممتلكات العربية فى القدس :

نتيجة للغزو الإسرائيلى للدول العربيـة ، فى ٥ يونيو ١٩٦٧ والإستيلاء على الضفة الغربيـة ، أقدمت إسرائيل على ضـم مدينة القـدس واعتبرتهـا عاصمة موحـدة لإسرائيل ، أقدمت إسرائيل على هذه الإجراءات متحدية بذلك المجتمع الدولى بأسره ومنتهكة لمبادئ القانون الدولى التى أخذت جميع الدول على عاتقها إحترامها والإلتزام بها ، ومن ضمنها إسرائيل نفسها ، ولجوء إسرائيل إلى هذه الإجراءات ، الهـدف منه تثبيت أقدامها تدريجيا فى الأراضى العربية المحـتلة ، متبعة فى ذلك سيـاسة إقامة المستـوطنات الإسرائيلية لتكون فى المستقـبل بمثابة أمر واقع تفرضـه إسرائيل على الدول العربية كـما فعلت سنة ١٩٤٨ ، وقامت إسـرائيل فى أعقاب حرب يونيـه سنة ١٩٦٧ بحركة اسـتيطان هائلة وضـم أراضٍ واسعة فى الضفة الغربية ، تنفيذاً لمخططها التوسعى .

ففى ٢٨ يوليو ١٩٦٧ ، بعد العدوان بشهر ونصف ، أصدرت إسرائيل أمراً أطلقت عليه اسم " أمر القانون والنظام رقم ١ لسنة ١٩٦٧ " أعلنت فيه أن " مساحة أرض إسرائيل المشمولة فى الجدول الملحق بالأمر ، خاضعة لمرسوم قانون إدارة الدولة الإسرائيلية " هذا الجدول يتضمن تنظيماً لمدينه القدس بأكملها حتى الجزء الذى كان يقع تحت الحكم الأردنى العربى ، والذى كان يقطنه آنذاك حوالى مائه ألف نسمة من السكان العرب ، ودعا بن جوريون ، فى خطاب له أمام الكنيست الإسرائيلى ، الى الإسراع فى عملية توطين اليهود فى القدس القديمة وغيرها من الأماكن المقدسة وقال فى هذا الصدد ، إن توطين ٢٠,٠٠٠ أسرة يهودية فى المنطقة المحيطة بالقدس سينهى الى الأبد كل حديث حول فكرة تدويل المدينة المقدسة .. وقد قامت إسرائيل بإصدار الأمر رقم (١٤٤٣) المتعلق بمصادرة الأراضى والمبانى داخل أسوار القدس القديمة ، حيث تمتد المساحة المصادرة بين السوار الجنوبى الغربى للحرم القدسى الشريف والحى الأرمنى داخل أسوار المدينة ، وتقدر مساحتها بحوالى ١١٦ دونما ، تشمل ٦٠٠ منزل عربي وخمسة مساجد و٤ مدارس وسوقين ومركزين إسلاميين ، وأصبح ساكنوها والبالغ عددهم ٧٠,٠٠٠ نسمة دون مأوى .. كما صدر إعلان لوزير المالية الإسرائيلى فى ٣٠ أغسطس ١٩٧٠ بمصادرة أرضٍ أخرى فى القدس تقع فى منطقة النبى يعقوب ، وتبلغ مساحتها ٤٧٠ دونما ، وأراضٍ عربية أخرى تقع شمال غربى القدس تبلغ مساحتها ٤٨٤٠ دونما ، وتقدر مساحة الأراضى العربية المصادرة بموجب هذا القرار بحوالى ١١٦٨٠ دونما فى منطقة القدس وحدها ..

وقد وصل عدد اليهود الذين أصبحوا يقطنون فى القدس العربية حتى نهاية ١٩٦٩ ، ثلاثة آلاف نسمة ، وخططت إسرائيل لكى يصل عددهم فى نهاية ١٩٧٣ ، فى القدس العربية إلى ٤٢,٠٠٠ نسمة وإستمرت الزيادة حتى وصلت إلى الأعداد التى أوضحناها منذ قليل .. وقد تعرضت مدينة القدس ووضعيتها ، فى مفاوضات السلام فى الشرق الأوسط للهجوم مرتين ، منذ أن بدأت مسيرة مدريد أخيراً .

الأولى : من جانب إسرائيل التى أعلنت عن مصادرة ٥٣ هتكارا من أراضى القدس الشرقية المحتلة ، لإنشاء حى يهودى جديد يضم ٢٥٠٠ وحدة سكنية كمرحلة أولى من خطة تهدف إلى مصادرة ٥٠٠ هتكار إضافية .

الثانية : من جانب الكونجرس الأمريكى ، عندما أعلن " روبرت دول " زعيم الأغلبية الجمهورى فى مجلس الشيوخ الأمريكى والمرشح للرئاسة الأمريكية القادمة ، عن تقديم مشروع لنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس .

وسواء كان هذا الهجوم أو ذلك هو الأشرس ، فإن كليهما يصيب عملية السلام فى مقتل ، وينسف جهوداً كثيرة سابقة لإقرار الاستقرار أو التعاون فى المنطقة ويضع البذور للصراع بل للحرب ، وبإختصار شديد ، فإن كلا من إسرائيل ، إذا ما إستمرت فى سياستها الحالية لفرض الأمر الواقع الإستيطانى فى القدس الشرقية .. والولايات المتحدة ، إذا إستمرت فى إتخاذ قرار بنقل السفارة ، فسوف ينسفان عملية السلام بأسرها وتعود فى تقديرى الشخصى ، أوضاع المنطقة إلى ما كانت عليه ، من حدة وتوتر فى أكثر فترات الصراع العربى – الإسرائيلى إحتداما .

رابعاً : موقف الأمم المتحدة من قضية القدس ومبدأ عدم الاعتراف بالأوضاع الإقليمية غير المشروعة :

يقر ميثاق الأمم المتحدة حق الشعوب فى تقرير مصيرها وإحترام حقوق الإنسان وعدم التفرقة العنصرية ، ومن ناحية أخرى تنص المادة ٢/ ٤ ، وأيضا يؤكد الميثاق على أن يمتنع أعضاء الهيئة جميعاً فى علاقاتهم الدولية عن التهديد بإستعمال القوة أو إستخدامها ضد سلامة الأراضى أو الإستقلال السياسى .. وبناء عليه ، لو أن دولة ما إنتهكت حكم المادة ٢/ ٤ من الميثاق ، والتى تفرض على كافة الدول الامتناع عن إستخدام القوة ، فإن كافة الدول تلتزم بموجب الميثاق ، بأن تتخذ من التدابير الجماعية ، ما يحول دون المساس بالسيادة الإقليمية والإستقلال السياسى للدولة المعنية وأن تقمع العدوان عليها . هذا الإلتزام " الإيجابى " على كل دول العالم يفترض بداهة أن يقترن بالإلتزام " السلبى " ، مفادة عدم الاعتراف بأى تصرف يأتى مخالفاً للمبادئ المذكورة ، ولا بأى أثر من الآثار الناجمة عنه والقول بغير هذا يجعل من هذه التدابير غير ذات معنى .

وقد شهدت الأجهزة المختلفة للأمم المتحدة – بعد إنشائها – محاولات لتقنين الالتزام بفكرة عدم الاعتراف بالأوضاع الاقليمية غير المشروعة . من ذلك مثلاً : المشروع

الذى تقدمت به لجنة القانون الدولى سنة ١٩٤٩ ، والذى يقرر أن تلتزم كل دولة بالإمتناع عن الإعتراف بأى مكاسب إقليمية تحصل عليها دولة أخرى إنتهاكاً لأحكام المادة التاسعة ويراعى أن المادة التاسعة قد بينت القواعد العامة للقانون الدولى التى تضمن السلامة الإقليمية لكافة الدول .. وقد إعتنقت الجمعية العامة هذا المبدأ ، مبدأ عدم الإعتراف وأكدته فى الإعلان الصادر عنها ، والمتعلق بالعلاقات الدولية والتعاون بين الدول الصادر فى ٢٤ أكتوبر سنة ١٩٧٠ ، والذى جاء فيه : " أن أية مكاسب إقليمية تم الحصول عليها عن طريق استخدام القوة أو التهديد باستخدامها لايمكن الإعتراف بشرعيتها " .. وعليه طبقاً لهذا المبدأ المسلم به فقهياً ، وفى أجهزة الأمم المتحدة ، حول مشكلة الشرق الأوسط ، وكما نعلم أنه فى أعقاب العدوان الإسرائيلى على كل من مصر وسوريا والأردن ، أصدر مجلس الأمن فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ ، قراره الشهير تحت رقم ٢٤٢ ، مقرراً فى ديباجته " عدم قبول الإستيلاء على أقاليم الغير عن طريق الحرب " وأن إرساء السلام العادل فى الشرق الأوسط يقتضى " سحب القوات الإسرائيلية من الأقاليم المحتلة إبان النزاع الأخير " .. وفى أعقاب توصيات عديدة متعلقة بهذا الهدف ، صدر قرار من الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ٤ يوليو ١٩٦٧ يدين كل الإجراءات التى قامت بها إسرائيل لتغيير الوضع القانونى للقدس .

قد يقال أن الجمعية تصدر توصيات غيز ملزمة ، وأن ما هو ملزم يصدر عن مجلس الأمن ، إذن ننتقل إلى مجلس الأمن ، وهنا أذكر بعض القرارات :

١- القرار رقم ٢٥٠ لعام ١٩٦٨ : والذى يدعو إسرائيل إلى الإمتناع عن إقامة العرض العسكرى فى القدس ، بتاريخ الثانى من مايو ١٩٦٨ وطلب من الأمين العام للأمم المتحدة تقديم تقرير للمجلس فى هذا الشأن .

٢- القرار رقم ٢٥١لعام ١٩٦٨ : وفيه يبدى مجلس الأمن أسفه لإقامة العرض العسكرى الإسرائيلى فى القدس فى الثانى من مايو ١٩٦٨.

٣- القرا ر رقم ٢٥٣ لعام ١٩٦٨ : والذى يعتبر جميع الإجراءات الإدارية والتشريعية التى قامت بها إسرائيل ، بما فى ذلك مصادرة الأراضى والأملاك ، التى من شأنها أن تؤدى إلى تغيير فى الوضع القانونى للقدس ، إجراءات باطلة ، ولايمكنها تغيير

الوضع فيها ، ودعا القرار إسرائيل بإلحاح إلى أن تبطل هذه الإجراءات ، وأن تمتنع عن القيام بأى عمل آخر من شأنه تغيير الوضع فى القدس .

٤- القرار رقم ٢٦٧ لعام ١٩٦٩ : يعبر مجلس الأمن عن أسفه لفشل إسرائيل فى إظهار الإحترام لقرارات مجلس الأمن والجمعية العامة المتعلقة بالقدس ، ويؤكد القرار على أن جميع الإجراءات التشريعية والإدارية التى اتخذتها إسرائيل ومن بينها مصادرة الأراضى والممتلكات ، أعمال باطلة ويدعو إسرائيل بإلحاح إلى الإعتراف بأن أى تدمير أو تدنيس للأماكن المقدسة أو المبانى أو المواقع الدينية أو أى تشجيع على ذلك ، يهدد بشدة الأمن والسلم الدوليين ، كما يقرر أن العمل المقيت لتدنيس المسجد الأقصى يؤكد الحاجة الملحة لإمتناع إسرائيل ، عن خرق القرارات الصادرة عن المجلس ، كما طالبها بإبطال جميع الإجراءات والأعمال التى اتخذتها لتغيير وضع القدس ، أضف إلى ذلك أن المجلس دعا إسرائيل إلى التقيد بدقة بنصوص إتفاقية جينيف الرابعة ، وبالقانون الدولى ، الذى ينظم سلطات دولة الإحتلال ، هذه السلطات التى تقتصر على حق الإدارة اليومية للإقليم المحتل دون القيام بأى عمل يؤدى إلى التغيير الجغرافى أو القانونى أو الإدارى للإقليم المحتل ويدعو هذا القرار إلى الإمتناع عن إعاقة المجلس الإسلامى الأعلى للقدس عن القيام بمهماته ، بما فى ذلك أى تعاون يطلبه المجلس .

٥- القرار رقم ٢٩٨ لعام ١٩٧١ : والذى يعتبر ، بعبارات واضحة للغاية ، أن جميع الأعمال الإدارية والتشريعية التى قامت بها إسرائيل لتغيير وضع مدينة القدس ، ومن ضمنها مصادرة الأراضى والممتلكات ونقل السكان والتشريع الهادف إلى ضم القطاع المحتل ، لاغية تماماً ، ولا يمكن أن تغير ذلك الوضع ، ودعا المجلس الإسرائيلى بإلحاح إلى إلغاء جميع الاجراءات والأعمال السابقة وإلى عدم اتخاذ خطوات أخرى فى القطاع المحتل من القدس ، الذى قد يفهم منه تغيير وضع المدينة ، أو قد يجحف بالسكان ، وبمصالح المجموعة الدولية والسلام العادل والدائم .

٦- القرار رقم ٤٦٥ لعام ١٩٨٠ : والذى يدعو إلى إزالة المستوطنات الإسرائيلية القائمة فى الأراضى المحتلة ، وهذا القرار لم يذكر القدس تحديدا ، وإنما قال الأراضى

المحتلة، لكن كل قرارات مجلس الأمن ، بلا استثناء ، صريحة بالنص على أن المقصود بالأراضى المحتلة بما فيها القدس الشرقية ، ومن هنا لا يمكن لإسرائيل أن تتعلل بأى حال بأن الأراضى المحتلة لفظ عام لا ينطبق على القدس الشرقية ، إن القدس الشرقية بحكم القانون وبحكم قرارات مجلس الأمن جزء من الأراضى المحتلة ، تنطبق عليها نفس الأحكام .

٧- القرار رقم ٤٧٨ لعام ١٩٨٠ : والذى دعا جميع الدول إلى عدم نقل بعثاتها الدبلوماسية إلى مدينة القدس ، مع اعتبار جميع التدابير والإجراءات التشريعية والإستيطانية الرامية إلى تغيير الوضع القانونى للمدينة لاغية ومخالفة للقانون الدولى.

٨- القرار رقم ٦٧٢لعام ١٩٩٠ : والذى أدان إسرائيل لإرتكابها أعمال عنف ضد الفلسطينيين ، وذلك بمناسبة المذبحة التى شهدتها ساحة المسجد الأقصى فى أكتوبر عام ١٩٩٠ ، وطالب إسرائيل بصفتها قوة إحتلال ، بالوفاء بمسئولياتها القانونية المقررة بموجب إتفاقية جنيف الرابعة .

٩ - القرار رقم ٦٧٣ لعام ١٩٩٠ : وجاء رداً على رفض إسرائيل للقرار رقم ٦٧٢ أكد فيه مجلس الأمن إصراره على ضرورة إمتثال إسرائيل لقرار المجلس السابق ، وأن تسمح لبعثة تقصى الحقائق بأداء مهمتها المقررة بموجب القرار السابق صدوره عن المجلس .

١٠ - القرار رقم ٩٠٤ لعام ١٩٩٤ : وقد أدان بقوة المذبحة التى ارتكبت فى مدينة الخليل ، وطلب من إسرائيل اتخاذ إجراءات من بينها مصادرة الأسلحة ، بهدف منع أعمال العنف غيرالمشروعة من جانب المستوطنين الإسرائيليين ، وفى الفقرة التمهيدية لهذا القرار يصف القدس من جديد بأنها محتلة ، وفى فقرة أخرى يصف القرار الأراضى التى احتلتها إسرائيل فى حرب ١٩٦٧ ، بأنها أراضى فلسطينية محتلة .

يستفاد مما سبق ، أن الأمم المتحدة إذ تقرر عدم شرعية التغيرات الإقليمية الناجمة عن العدوان الإسرائيلى على الدول الثلاث ، وتقرر بطلان التصرفات التى اتخذتها إسرائيل بمناسبة احتلالها لأقاليم هذه الدول ، فإنها تعتنق بذلك نظرية بطلان التصرفات

التى تصدر بالمخالفة لقواعد القانون الدولى ، وتسعى الأمم المتحدة ، من خلال الجمعية العامة أو مجلس الأمن ، إلى تأكيد مبدأ الشرعية القائم على فكرة سيادة القانون الدولى ، لكى يحل محل مبدأ آخر هو مبدأ الفاعلية ، القائم على أن الأمر الواقع يصحح التصرفات الباطلة ، والفقه والقضاء الدوليين يلتزمان بعدم الاعتراف بأى أوضاع إقليمية غير مشروعة إستناداً إلى مبدأ مسلم به فى القانون ، وهو أن الخطأ لا يولد الحق ، على إعتبار أن ذلك المبدأ يعد من المبادئ العامة فى القانون الدولى ، فإذا كان نوع الخطأ المرتكب ، بسبب التغير الإقليمى أو بمناسبته ، تصبح أمام إنتهاك إحدى القواعد القانونية الدولية المتعلقة بالنظام الدولى العام ، وهى ليست قاعدة عادية ، وإنما هى قاعدة من القواعد الآمرة التى تشكل صلب النظام الدولى العام ،وهى قواعد نصت عليها المواد العديدة فى ميثاق الأمم المتحدة .

أود أن أشير إلى أن إتفاقية أوسلو فى سبتمبر ١٩٩٣ ، تتضمن نصاً صريحاً ، إذ تتحدث فى المادة الخامسة عن إجراءات التفاوض ، والفترة الإنتقالية ، والإنتخابات وغير ذلك ، ونحن نقول إنه من المفهوم أن هذه المفاوضات سوف تغطى القضايا المتبقية بما فيها القدس ، اللاجئين ، المستوطنات ، الترتيبات الأمنية ، الحدود ، العلاقات والتعاون مع جيرانها ، إلى آخره من هذا الكلام ، الأمر الذى يعنى ، إنه وفقاً لأحكام إتفاقية أوسلو ، بين الفلسطينيين وإسرائيل ، فإن قضية القدس مؤجلة إلى مرحلة لاحقة من التفاوض ، وهذا يعنى ، من وجهة نظر القانون ، بأن هناك تعهداً من إسرائيل ، ينتج أثراً مانعاً نحو إسرائيل ، أن تقوم بأى إجراء منفرد ، منذ لحظة توقيع هذا الإتفاق ، ويطلق على هذا الأثر فى القانون " الأثر الواقف " أى أن هناك فترة لتجميد وضع القدس على ما كانت عليه منذ لحظة توقيع الإتفاق حتى الإنتهاء إلى الوضع النهائى المتفق عليه فى التفاوض ، إذن فأى تغير فى هذا الوضع ، بالمصادرة أو غيرها ، يعتبر ، فضلاً عن مخالفته للقرارات الشرعية الدولية ، مخالفاً أيضاً لإلتزام إسرائيل نفسها وفقاً لهذا الإتفاق ، " إتفاق أوسلو " وهو فى كل الأحوال باطل ، ولا يترتب عليه أى أثر قانونى ، بأى حال من الأحوال ، وللأسف فإن الولايات المتحدة الأمريكية تستخدم الفيتو الأمريكى فى القرار الخاص بالقدس .

الفيتو الأمريكي في القرار الخاص بالقدس :

جاء استخدام الولايات المتحدة الأمريكية للفيتو ضد مشروع القرار الذى كان مقدماً لمجلس الأمن لمطالبة إسرائيل بإلغاء مصادرة الأراضي في القدس الشرقية مخيباً للآمال ، ومستفزاً لمشاعر العرب والمسلمين ، فضلا عن مخالفته الصريحة لإدارة المجتمع الدولي ومخالفته لأحكام القانون الدولي .. ثم يأتي تعقيب " مادلين أولبرايت " مندوبة أمريكا سابقا في الأمم المتحدة على التصويت ، ليضاعف من هذا الإستفزاز ، ويؤكد مدى الإبتزاز الإسرائيلي لبلادها ، حين تقول ، إن التصويت كان على مبدأ يتمثل في أن الطريق الوحيد لتحقيق سلام عادل ودائم وشامل في الشرق الأوسط هو إجراء محادثات مباشرة بين الأطراف المعنية ، وأن مجلس الأمن ليس هو المكان المناسب لذلك ، ولقد كان وزير خارجيتنا على حق عندما تساءل إذا لم يكن مجلس الأمن هو المكان المناسب فأين المكان المناسب إذن ؟!

ولعله من المناسب هنا أن نفند هذه المبررات التي جاءت بها مندوبة أمريكا ، وسنقتصر هنا على النواحي القانونية :

١ - إن مجلس الأمن هو المحفل الدولي الأساسي لعرض مصادرة إسرائيل لأراضي القدس الشرقية ، لأنه هوالجهاز المختص بالأمور التي تتعلق بحفظ السلم والأمن الدوليين ، وفقا للفصل السادس والفصل السابع من الميثاق ، وأن ما حدث يهدد السلم والأمن الدوليين ، وذلك هو الإختصاص الأول والأساسي لمجلس الأمن .

٢ - إن الولايات المتحدة الأمريكية ، التي اتخذت هذا الفتيو ، حتى لا يصدر القرار ، قد شاركت في إصدار العديد من القرارات المماثلة التي تبناها مجلس الأمن بشأن قضية القدس ، لقد أقرت الولايات المتحدة في كل القرارات السابقة ، بأن القدس الشرقية جزء من الأراضي المحتلة وأي تغير فيها يخالف القانون الدولي ، ويخالف إتفاقية جنيف ، وأنها لا توافق أبداً على انتقال البعثات الدولية إليها .

٣- إن الأمر الذى كان مطروحاً على المجلس يتعلق بإنتهاك قاعدة من قواعد القانون الدولي الآمرة المتعلقة بالمصلحة العليا والأساسية للمجتمع الدولي ، مما لا يجوز مخالفتها ، أو الإتفاق على ما يخالف أحكامها ، وكان طبيعياً أمام قاعدة آمرة أن يتصدى مجلس لاتخاذ قرار بشأنها .

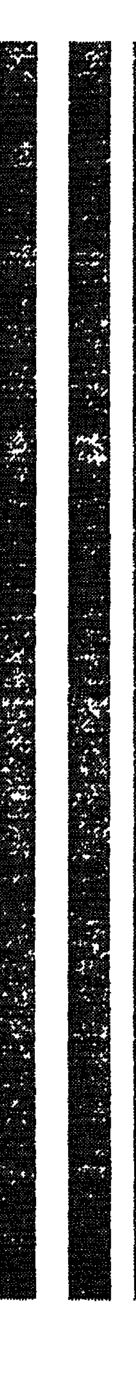
٤- إن الموضوع يتعلق بإنتهاك إسرائيل للعديد من قرارات مجلس الأمن السابقة والمتعلقة بموضـوع القـدس ، والتى تقـر فى مجـمـوعـها ببـطلان جمـيع الإجـراءات الإدارية والتشـريعية التى قامت بهـا إسرائيل بما فى ذلك مصـادرة الأراضى والأملاك التى من شأنها أن تؤدى إلى تغيير فى الوضع القانونى لمدينة القدس .

٥- إن مصـادرة إسرائيل لـلأراضى الفلسطينية فى القـدس الشرقـية - التى هـى جزء من الأراضى المحـتلة - هو إنتـهـاك صريـح لإتفاقـيـة چنيف الرابعـة ، الصـادرة فى ١٣ أغسطس عـام ١٩٤٩ ، والتى تنظم بدقـة صـلاحيـات سلطة الإحـتـلال العـسكرى وتقـصرها علـى الإدارة اليومـية ، دون الإخـلال بالوضع الجـغـرافى والسكانى للأراضى المحتلة .. لقد حرصت على الإلتزام بالجانب القـانونى وحده ، والتزاماً بما قلته فى البداية ، وذلك أننى مـازالت أومن أن الإلتـزام بأحكام القـانون والتمـسك بهـا والدفـاع عنها أمـر يساعـدنا كثيـراً على إسترجـاع الحقوق ، طالما أننا لا نكتـفى ، بالقانون فـقط ، ولا نكتفى بالحـديث فقط ، ولا نكتـفى بالندوات فقط ،وأن نسـتعـد عسكـرياً وسيـاسياً وإقـتصـادياً تكنولوچيا وعلمياً .

* * *

المحور الثانى

مؤامرات التهويد والمصادرة وموقف القانون الدولى



د . ادوارد سعيد

الأستاذ بجامعة كولومبيا الأمريكية

قصة استيلاب عربية

مضى ٢٨ عاماً على قيام إسرائيل بضم القدس وتعرضت جغرافيتها وبيئتها وهالتها التاريخية خلال تلك الفترة إلى تجاوزات بالغة الفظاظة وتغييرات قسرية وعبث ديموغرافى وعلى رغم ذلك ، لم يرشح عن هذا التاريخ المؤلم إلى العالم الخارجى سوى إنه رمز جدير بالإعجاب لنشاط إستيطانى بريء ، ما يعنى طمس ما تعرضت له القدس وما أجبرت على تحمله الغالبية الفلسطينية فى الجزء الشرقى من المدينة من خسارة ومعاناة جسيمتين . لذا فإن أول ما يمكن أن نلاحظه ليس مجرد قدرة إسرائيل على أن تفعل ما تفعله فى وجه مقاومة أولية وإحتجاج عالمى - كان هناك فى أى حال عدد من قرارات الأمم المتحدة التى احتجت على إجراءات إسرائيل المتخذة من طرف واحد فى القدس - بل قدرتها أيضا على أن تعطى العالم إنطباعاً بأن مبادراتها العسفية جاءت لتحقيق ما هو حق ، وأن الإعتراضات التى كانت على نطاق يكفى لردع أية جهة أخرى ، كانت تافهة ومضللة . وهذا مؤشر على مدى جدية إسرائيل فى تعاملها مع مهمتها فى القدس ، التى تمثلت فى تحويلها من واقع متعدد الثقافات إلى واقع يهودى فى الأساس تسيطر فيه إسرائيل وحدها على السيادة من دون منازع وتضمن ذلك الترويج لفكرة عن المدينة لا تناقض تاريخها وحسب بل تناقض أيضا واقعها الفعلى ، مصورة إياها كأنها المركز الوحيد " إلى الأبد " لحياة اليهود فى أنحاء العالم إذ ذاك فقط بعد ما فعلت ذلك أولاً على صعيد التصورات والمعلومات ، مضت إلى القيام بما فعلته على الأرض ، أى تنفيذ المسح المعمارى والديمغرافى والسياسى على نطاق هائل إنسجاماً مع التصورات والانطباعات .

هذه العملية التى تبدأ ببث الإنطباع أولاً ثم البناء والتشريد لاحقاً ، تستمر حتى

اللحظة الراهنة . وبدأت عام ١٩٤٨ فى ما كـان يسمى وقتها القدس الغـربية ، ذلك الجزء من المدينة الذى فـيه ولدت وقـضـيت سنى الأولى .. ومن المهم أن نتـذكر هنا ، كـما قـال رشيـد الخالدى ضـمن " محـاضرة إنطونيوس " فـى كلية سانت إنـطونى عام ١٩٩٠ ، أن كثيرا مما يجرى النظر إليـه اليوم بإعتباره القدس العربية الإسرائيلية كـان يتألف فى الحقيقة من أحياء عـربية قبل القتـال فى ربيع ١٩٤٨ ، عندما شرد أكثر من ٣٠ ألـفاً من سكانها أو هربوا من ديارهم فى أحيـاء مثل البـقعة العلـيا والسفلى وقطمـون والطالبيـة ، وذلك قبل أشهر عدة من إخراج حوالى ألفين من اليهود من الحى اليهودى فى المدينة القديمة .

ولم يجـد أى من هذا التـاريخ الملمـوس عن الخـسـارة والحـرمـان طريقـه أبداً إلى السجلات الرسمية لـ " حرب الإستقلال " الإسرائيلية ، كما أطلق عليها بفجاجة . وكانت القدس مصدر الكثير من الإستحسـان الذى لقيته إسرائيل من العالم بعد ١٩٤٨ . فحسب الرواية الرسمية للواقع كانت القدس أشهر مدينة فى بلد أعتبر مثل مشروع مارشال وإعادة بناء أوروبا واليـابان ، واحداً من الإنجـازات العظيـمة فى فـترة مـا بعد الحـرب التى حظت بالتمجيد والإطراء وكل أنواع التبجيل فإسرائيل هى التى جعلت الصحراء تزهر وزرعت الأراضى القاحلة وأعادت تصميم البيئة وأنشـات الديموقراطية وأقامت فى القدس الغربية نصباً تذكارياً للمحرقة كما شيـدت صرحها الإشتراكى ، الكنيست واقتضى الأمر الإنتظار إلى حين ظهـور جيل آخر من الإسـرائيليين الذين عرفـوا بـ " مراجعى التـاريخ " مثل بنى موريس وتوم سيـغف وآخرين ليكشفـوا بعضاً من الثـمن الذى ترتب على إقامـة إسرائيل وتحمله أساسـاً الفلسطينيون بصـمت . ولم يتسـن التدقـيق فى بعض سـجلات الحكومـة الإسرائيلية فى ١٩٤٨ إلا العام الماضى ، وهى أيضا تتحدث عن سياسات مبرمجة خططت لإخراج الفلسطينيين وإزالة آثارهم رسمياً وإلغاء وجودهم قانونياً ومؤسسياً .

وليس أقل دلالة على عـجز الفلسطينيـين ، أو ما يمـكن أن نسمـيه " عدم الكـفاءة الجماعـى " أن قصة ضيـاع القدس فى ١٩٤٨ ، ١٩٦٧ ، لم تصدر عنهم بل إنها بـقدر ما يتـعلق الأمر بالتـحدث عنـها إطلاقـا ــ أعيـد تركيـبـها فى صـورة جزئيـة اما من جـانب إسرائيليـين من المتعاطفـين وغير المتعـاطفين معـهم أو من جانب أجانب بكلمـة أخرى لا يقتـصر الأمـر على غياب أى قـصة فلسطينيـة للعام ١٩٤٨ ومـا تلاه يمكن على الأقل أن

تتحدى القصة الإسرائيلية المهيمنة ، بل كذلك لا يوجد أى تصوير فلسطينى جماعى للقدس منذ خسارتها المؤكدة فى ١٩٤٨ ومرة أخرى فى ١٩٦٧ وهذه هى النقطة الجوهرية لكلامى أى التركيز على هذا الإهمال التاريخى والسياسى البالغ الغرابة الذى أدى إلى فقداننا الروحى للقدس قبل وقت طويل من فقدانها واقعاً .

أعتقد أن هناك حاجة إلى أن نقول ونكرر أن المطلب العربى الفلسطينى بالقدس القائم على أسس من الحضارة والتاريخ موجود بالفعل ويجب إطلاقه بجد وإجتهاد . لكن أرى أن ليس من سبيل لإطلاقه بصدقية مالم نبدأ بالفهم الدقيق والتام الموضوعى لتاريخ خسارتنا المتدرجة للقدس وعندئذ فقط يمكننا معرفة الشروط الضرورية لإطلاق المطلب مع بعض الأمل فى النجاح . علينا أن ندرك أن عدد العرب مع سكان القدس الشرقية والقرى المحيطة بها عندما احتلتها إسرائيل مبكراً فى حزيران (يونيو) ١٩٦٧ كان نحو ٧٠ ألف نسمة ، مقابل نحو مئتى ألف من اليهود فى القدس الغربية . وبنهاية الشهر نفسه ألغت إسرائيل الحواجز بين القدس الشرقية والغربية ورسمت حدودها البلدية ، متضمنة القدس الشرقية لتغطى ٢٨ ميلاً مربعاً . وتسلم " تيدى كوليك " رئاسة بلدية موحدة للقدس ، وتم ذلك على أساس الحل الفورى لبلدية القدس الغربية . وأمر كوليك بتدمير حارة المغاربة وتشريد سكانها . وتواصل صهر المدينتين فى كيان واحد على مدى السنين ، وعلى رغم أن عدد الفلسطينيين تضاعف بحلول أوائل التسعينات إلى نحو ١٥٠ ألف نسمه فلا تسمح لهم إسرائيل بالبناء إلا على ١٠ إلى ١٥ فى المئة من مساحة الأرض . وخصص نحو٩٠ فى المئة من أعمال البناء لليهود مقابل ١٢ فى المئة للعرب (التفاصيل عن القدس) - كتاب معلومات تأليف مارتا وأجنر ،إصدار : ميريب أيار ــ حزايران ١٩٩٣ واستمرت مصادرة الأراضى فى القدس ومحيطها فى شكل منظم ، ووسعت حدود البلدية ويحيط بالمدينة الآن طوق من المستوطنات اليهودية الضخمة (البالغة البشاعة) المسيطرة استراتيجياً على المنطقة فتشكل إعلاناً إستفزازياً بأن القدس يجب أن تكون وستكون دوماً ، مدينة يهودية ، على رغم وجود عدد كبير لكن مسلوب القوة وتحت الحصار من الفلسطينيين . وأشار الجغرافى الهولندى يان دى يونج إلى ذلك عندما كتب " الذين يتوقعون أن تكون خريطة القدس المطروحة على الطاولة (فى مفاضات الوضع النهائى) مطابقة لوضعها بعد ١٩٦٧ سيفاجأون تماماً فالأرجح أن (الخارطة) ستمتد من

بيت شمس ومدعين فى الغرب (أى نصف الطريق إلى تل أبيب تقريباً) إلى كيلو مترات قليلة عن حلحلول والخليل فى الجنوب ، إلى ما بعد رام الله فى الشمال ، وإلى بضعة كيلو مترات عن أريحا فى الشرق . هذه المساحة الهائلة التى تعتبرها إسرائيل عادة القدس الكبرى تبلغ ١٢٥٠ كيلو متراً مربعاً يقع ثلاثة أرباعها فى الضفة الغربية " .

وهكذا فإن القدس فى شكلها الموسع الحالى (الذى يقل قليلا فقط عن الصورة المستقبلية التى يرسمها دى يونغ) تمثل نحو ربع أراضى الضفه الغربية . وأعطت إسرائيل سكانها الفلسطينيين وضعا إستثنائياً وغريباً . فعلى رغم أن إسرائيل ضمت القدس الشرقية فهى لا تعتبر السكان من غير اليهود مواطنيين ، وليس لهم حق التصويت خارج الإنتخابات البلدية وهم قانونيا " مقيمون أجانب " ولم تسمح إسرائيل ، خلال المسار التفاوضى الإسرائيلى - الأردنى - الفلسطينى الذى بدأ فى واشنطن أواخر ١٩٩١ ، بعد مؤتمر مدريد لأى فلسطينى من القدس بالإنضمام إلى الوفد الفلسطينى المفاوض والآن خلال المفاوضات بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية لايزال السؤال عن إمكان مشاركة فلسطينى القدس فى الانتخابات الفلسطينية المزمعة يمثل مشكلة صعبة.. من جهة أخرى فقد تسبب حظر دخول سكان غزة والضفة الغربية إلى القدس بمشاكل لهؤلاء لأن القدس الشرقية تمثل المركز الإقتصادى الرئيسى لهم ، وهو ما تدركه إسرائيل تماماً . ويعنى الضم الدائم للقدس الشرقية ، ودمجها فى نظام " العزل" الذى تحاول حكومة العمل الإسرائيلية فرضه ، بتر القدس عن علاقاتها الطبيعية مع بقية الأراضى الفلسطينية ، وهو ما يلحق ضرراً دائما بتلك الأراضى .

إلا أن هذه بالضبط هى خطة إسرائيل وهى عملياً ليست هجوماً جغرافياً فحسب ، بل هجوماً يستهدف الحضارة وبالطبع الدين . إن فلسطين التاريخية كانت دوماً بوتقة متماسكة من الحضارات والأديان التى تتعايش وتتمازج على تلك الأرض . إلا أن الطموح الصهيونى ، بلغ من القوة وأيضا فى رأيى من الرفض للتعددية الإجتماعية حتى سيطر على الأرض وعلى الماضى وعلى الحضارات والتقاليد الحية المترابطة وأعمل فى تلك الأرض بتراً وتقطيعاً بهدف الإستئثار الكامل بها وهنا تقدم القدس مثالاً ممتازاً على ما أقصد فإن للقدس تاريخاً مدوناً من عشرة آلاف سنة شهدت خلالها ما لا يمكن تصوره

من عهود الإحتلال إلا أن التعايش بين التقاليد والثقافات المختلفة استمر على رغم ذلك ، ولو بصعوبة أحياناً ومن الصعب جداً القول الآن - بإستعمال أية معادلة رياضية أو أية صيغة أخرى منصفة - أن التأثير الغالب خلال كل تلك الحقب كان يهودياً . لقد كان هناك بالتأكيد خلال الثلاثة آلاف سنة المنصرمة حضور يهودى وكانت هناك لفترة قصيرة قبل الميلاد وفترة قصيرة بعده ، مملكة يهودية عاصمتها القدس . لكن الحضور الإسلامى كان له أصول وأكثر تواصلاً ، كما كان هناك دوما حضور مسيحى كثيف من هنا فإن صرف كل بالقول بالسيادة الكاملة لليهود على المدينة فيه كثير من الإجحاف وإلغاء حقوق الآخرين وأرجو أن تلاحظوا أننى لا أنكر أبداً ما يقوله الكثير من الباحثين التاريخيين والدينيين ، من أن للقدس مكاناً خاصاً في تاريخ اليهود وتقاليدهم ربما أكثر تميزاً مما لأى من الأديان الأخرى . إلا أن الإعتراف بهذا لا يضمن فى أى شكل من الأشكال حق إسرائيل - وهى دوله حديثة فى أواخر القرن العشرين - فى القول أن القدس عاصمتها الأبدية الموحدة ، منكرة بذلك ليس فقط حق سكانها الفلسطينيين الحاليين بل تاريخ المدينة الطويل والمتنوع والمثير من حيث تعدديته الحضارية .

من جهتى أجد النقاش على هذا الأساس عن الملكية الفعلية للقدس كريهاً ومفتقراً إلى معنى . فهولا يتماشى مع هالة البهاء والعظمة المحيطة بالمدينة ، أو مع تاريخها الغنى المتنوع دينياً وحضارياً وحتى سياسياً لكن علينا أن نعترف بأن القدس خصوصاً ، وفلسطين عموماً ، أثارت دوماً لدى مختلف الأقوام مشاعر تمزج ما بين التطلع الروحى ورغبة التملك . هكذا لم يجد ذلك الرجل الصالح" برنار " المنتمى إلى كليرفو حرجاً فى إلقاء المواعظ فى أعماق بورغندى يعلن فيها ما لفلسطين البعيدة ألوف الأميال عن بلاده من موقع متميز فى قلب المسيحية وضرورة إطلاق حملة صليبية للإستحواذ عليها . واتخذ الإسلام فى القرن السابع موقفاً مشابهاً ، على رغم أنه كان أقرب بكثير إلى فلسطين إلا أن الإسلام لم يلجأ إلى إعتبار الآخرين ضرباً من الشياطين - كما يفعل الأوروبيون فى أحيان كثيرة ويصف يورى أيزنتسفايغ فى دراسته الثاقبة لدور الأرض فى المخيلة اليهودية ما أثارته الأراضى المقدسة من تطلعات ومخاوف وإنجذابات عند يهود أوروبا .

لكن هناك بالطبع فرقاً كبيراً بين التفحص العلمى لأنماط الماضى ومواجهة

التدخلات الفجة المعاصرة التى تقوم بها إسرائيل منذ ١٩٦٧ فى القدس لأن خطتها لا تطمح إلى أقل من إلغاء حقوق الفلسطينيين وتحويلهم إلى أقلية وفى الوقت نفسه إقامة وجود إسرائيلي محصن يقزم أو يهمش تماماً واقع التنوع الذى يميز المدينة ، ويقدّم تقرير الصحافية " أيلين روث فلتشر " نشرته فى نيسان (إبريل) الماضى صحيفة " واشنطن بوست " تفاصيل عن حملة البناء الإسرائيلية التى تغطى تلال القدس المتموجة ووديانها التى كانت خضراء وبيئتها الوادعة ، وترتفع الفنادق ومبانى المكاتب على الأسوار القديمة ويريد لها رئيس البلدية الحالى أيهود أولمرت (الذى يكاد يجعلنا نحن إلى عهد كوليك) أن تهيمن على كل معلم عربى أو إسلامى ، وتقول فاتشر " إن هناك فى منطقة عين كريم ، حيث ولد يوحنا المعمدان ، مشروعاً سياحياً مثيراً للجدل يشمل إقامة فندق ومجمع للسياح وشق الطرق يفترض له أن يتزامن مع احتفالات إسرائيل من نهاية السنة الجارية إلى السنة المقبلة بمرور ثلاثة آلاف سنة على إتخاذ الملك داود القدس عاصمة له " وتنتشر الطرق الجديدة والأسواق والعمارات السكنية فى كل مكان ، وتقول فلتشر إن ذلك وصل إلى حد أنه أخذ يمحو الفرق بين القدس وبيت لحم كمدينتين منفصلتين . ومن المهم أن نلاحظ أن عدداً من الإسرائيليين بدأ الكلام عن هذه الإستراتيجية الفجة المفتقرة إلى الإحساس وقرأت فى مكان ما أن عضوة الكنيست يائيل دايان وافقت على حضور لقاء يضم فلسطينيين لتؤكد هناك أن القدس عاصمة لشعبي دولتين ، وتنتقل أيلين فلتشر عن الينوربازرتشى نائبة مدير قسم المعمار فى جامعة تل أبيب وكانت سابقاً رئيسة قسم التخطيط لبلدية القدس قولها إن حملة أولمر البنائية تشبه رسم شاربين لموناليزا !

لكن يبدو أن هذا كله لا يهم إسرائيل كثيراً خصوصاً بعدما نالت مساندة أعضاء فى الكونجرس الأمريكى ، بدأوا بحملة لنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس منتهكين بهذا سياسة الولايات المتحدة المعمول بها منذ ١٩٤٨ . وهذا جزء من حمى جمع المال التى تصيب المسئولين والمنتخبين للإنتخابات الرئاسية . ومن الصحيح بالطبع أن المصادرة الأخيرة للأراضى فى القدس الشرقية ، وهى العملية المئة من نوعها منذ التوقيع على إعلان المبادئ فى أيلول (سبتمبر) ١٩٩٣ ، أوقفت بسبب ضغوط داخلية وخارجية لكن علينا أن نلاحظ أنها " جمدت " فقط ريثما تحقق الوزارت المعنية أكثر فى الأمر ، ما

يترك لإسرائيل خيار الإستيلاء على أراض إضافية لاحقاً متى سمحت الظروف . كما أننا نعلم بفضل تقرير من باتريك كوبرن نشرته صحيفة " أندبندنت البريطانية " فى ٢٨ أيار (مايو) الماضى ، أن المنظمات الصهيونية تتحرك فى الأردن لشراء أراضى فلسطينية أكثر فى القدس إضافة إلى ذلك يمكن كل سكان القدس الشرقية أن يؤكدوا أنهم يواجهون فى أية لحظة خطر اقتحام مساكنهم ومصادرتها وإعطائها للغير .

هكذا فإن كانت إسرائيل أخذت القدس من الفلسطينيين فما هى الخطوات التى يمكن القيام بها .. وما هى القيم والمبادئ التى يجب إعلانها .. و ما هى سبل استعادتها مستقبلاً ؟ إن القدس مع كل ما لها من القدسية والأهمية ، لا تختلف من حيث المبدأ عن بقية الأراضى المحتلة - أى أنها ، حسب القانون الدولى ، ليست ملكاً لإسرائيل وحدها يمكنها التصرف به ، أو القيام بمشاريع بنائية فيه أو أن تستغله بمعزل عن الفلسطينيين وغيرهم .. إذن نحن نحتاج منذ البداية إلى إعلان واضح عن الأهداف والمبادئ التى تهدينا وإذا تطلب هذا بالتالى إعادة النظر فى إتفاق أوسلو وإعادة صياغته ، فهذا ما يجب أن يحدث .

إن إسرائيل تعيد تفسير أوسلو أو بالأحرى تنتهكه طوال هذه الفترة والمبدأ هو الآتى هناك واقع فلسطينى - إسلامى - مسيحى متعدد حضارياً فى القدس ولن نسمح بإزالته أو طمسه من جانب إسرائيل ودورنا كفلسطينيين ، كطرف فى عملية السلام بين إسرائيل والشعب الفلسطينى مؤمن بالعملية هو إدخال هذه الحقيقة فى عملية السلام ، بعد ما كانت أخرجت منها تدريجياً خلال السنوات الماضية ، لكن ليس من فائدة فى قول هذا مالم يكن جزءاً من إستراتيجية عامة للوصول عن طريق التفاوض إلى السلام الذى نريده ولا يكفى أن نكرر ميكانيكياً أن القدس الشرقية عربية بل إننى شخصياً لا أعتقد أبداً أن مصلحتنا كشعب أن نضيف تقسيماً جديداً إلى مدينة بقيت مقسومة عرقياً وإن كانت ملصقة ببعضها بلدياً ، بالشكل الذى عملته إسرائيل بل أعتقد أن الأفضل بكثير أن نقدم مثالاً يحتذى ونوفر بديلاً من الوسائل التى تستعملها إسرائيل ، عن طريق رسم صورة للقدس كلها تكون وفية لمزيجها المعقد من الأديان والتواريخ والحضارات وليس للقدس كشيء نريد أن نعيد شطره من جديد إلى شطرين .

القدس الشرقية بالطبع جزء من الضفة الغربية المحتلة وهذه نقطة يجب التأكيد عليها مراراً وتكراراً ، ولهذا يجب ربطها بالقضية الأكبر قضية تحرير الفلسطينيين من وطأة الإحتلال الإسرائيلى لكن القدس ، بعد ذلك ، وللأسباب التى ذكرت سابقاً هى فى الحقيقة المكان الوحيد الذى يمكن أن يكون فيه اللقاء والتعايش والمشاركة بيننا وبين الإسرائيليين وهذا ما علينا تأكيده ، أى أن نتكلم عن القدس كمدينة ذات سيادة مشتركة ورؤية تعاونية مشتركة وأن نؤسس هذا الموقف على مبدأ حقنا فى تقرير المصير والإستقلال كشعب ومجتمع .

واقع الحال بالطبع أكثر تعقيداً وقسوة من هذا ذلك إن إسرائيل والولايات المتحدة تسيطران الآن سويا على عملية السلام وتستمر إسرائيل منذ ٢٨ سنة فى توسيع المستوطنات وإنشاء مستوطنات جديدة والقدس جزء من هذه السياسة مع فارق أن إسرائيل تطرح محلياً وعالمياً الشعار البشع عن " تهويد القدس " ، وأرى أن من الواجب مجابهة ذلك عن طريق حملة إعلامية منسقة وجيدة التنظيم تضع الحقائق أمام المجموعات الإنسانية الكبيرة فى أنحاء العالم التى يهمها أمر المدينة ، إضافة إلى سياسة حازمة تعيد ربط مصادرة الأراضى وأعمال البناء غير الشرعية وما شابه من الإجراءات بعملية السلام لقد أضعنا مقداراً هائلاً من الوقت لأن إسرائيل بدأت بتغيير طبيعة القدس مباشرة بعد احتلالها ، ويجب وضع سجلها المخزى أمام العالم العربى والإسلامى والمسيحى لأن الجميع أطراف فى القضية ، فوق كل ذلك علينا أن ندحض الإدعاء الزائف بأن القدس جوهرياً مدينة يهودية ، وإنها كانت كذلك دوماً . وهذا ببساطة يناقض الوقائع تماماً ، لكن علينا أن نتذكر أن الوقائع لا تتكلم عن نفسها بل ينبغى إنطاقها ونشرها وتكرارها وإعادة نشرها .

إن إسرائيل فى رأيى تستعمل عملية السلام كحيلة تمكنها من الإستمرار فى السيطرة على الأرض كأنها مالكتها الوحيدة . ومنظورها للمستقبل الفلسطينى يتلخص بـ " الفصل " و " الكانتونات " المشابهة للبانتوستانات ، التى تحاول فرضها على من تعتبرهم بشراً أقل إنسانية من غيرهم من خلال خطة " قوس قزح " لقد قبلنا السلام والأمن ، وبرهنا على ذلك مراراً وتكراراً ، لكن من دون مقابل من إسرائيل هل يتلخص

وضع الفلسطينيين بالضرورة ومن دون إمكان للتغيير فى أنهم الطرف المهزوم الذى عليه الإنصياع لأوامر المنتصر ؟

لا يمكننى أن أقبل منطقاً كهذا بل إن علينا كما أرى أن نتخذ على الصعيد الفكرى تلك الخطوة الأولى البالغة الأهمية ، وهى أن نقول أن أهدافنا قابلة للتحقيق ، وأن من الممكن ، بل من الضرورى العمل من أجل تحقيقها . الخيار الوحيد الآخر هو خيار الإستسلام والإضمحلال الذى تعرضه إسرائيل والولايات المتحدة وتنقاد إليه الأسرة الدولية المفترض أن قرارى مجلس الأمن ٢٤٢ و ٣٣٨ يشكلان أساس السلام بين العرب والإسرائيليين لكن إسرائيل تنتهكهما يومياً ألا يمكن أبداً أن نعود إلى ذكرهما ؟ إضافة إلى ذلك نحن بحاجة إلى تقدير معقول ومنصف لموجوداتنا وهى تشمل أكثر من الـ ١٩ ألف شرطى الذين يخدمون عرفات فى غزة وأريحا وكما قلت فإن هناك عدداً كبيراً من الفلسطينيين فى الشتات وكانت هذه هى المجموعة التى أنتجت منظمة التحرير الفلسطينية ، وأنتجت أيضا الكثير مما لدى الفلسطينيين الآن مادياً ومعنوياً إننا نشكل مورداً إنسانياً غير حكومى كبير ، ويجب أن ندرك الآن أن الأراضى المحتلة هى ذلك الجزء من فلسطين الذى يعود لنا وعلينا العمل من أجله .

وما لم نعد تصوره طرح القدس كعاصمة مزدوجة وليس كعاصمة لليهود وحدهم فإنها ستبقى رهينة لمخططات إسرائيل المهينة . لماذا بقيت خطط إسرائيل فى الإحتفال بمرور ثلاثة آلاف سنة على كون القدس عاصمة يهودية من دون رد جواب جاد ومنظم من الفلسطينيين وغيرهم من الذين يعتبرون أن القدس عاصمتهم أيضاً ؟ إن القول بمرور ثلاثة آلاف سنة متواصلة على سيادة اليهود على القدس دون أساس تاريخى تماماً . أنه تصور يطرح على أذهان يفترض فيها الجهل والسذاجة . ويجب إسماع العالم بمطالبنا وهى لا تقل أهمية عن الإدعاء هذا إن لم تفقه أهمية ولابد من تطوير إستراتيجية قوية فى هذا الإتجاه خارج فلسطين إذ تتوفر لها الفاعلية الأكبر ، إن هذا أمر ساء القياديون الفلسطينيون فهمه دوماً لأسباب أجهلها تمام الجهل ، خصوصاً فى هذا الوقت الذى تعتمد فيه إسرائيل بشدة على الغياب شبه الكامل للصوت الفلسطينى والتصورات والإستراتيجيات المضادة التى يحملها . إن لدينا تعاطفاً هائلاً من العالمين العربى

والإسلامى ، والكثير من التعاطف فى الغرب والأوساط المسيحية . وعلينا العمل على كسب تأييد قطاعات إضافية .

لابد لإستراتيجية مثل هذه أن تشمل مساندة مقاومة فلسطينى القدس ويحاول فلسطينيون فى شكل فردى منذ سنتين التصدى لمخططات إسرائيل فى الإستيلاء على أراضيهم ومساكنهم ، وشكلت قبل عشر سنوات بمساعدة فلسطينية من الخارج لجنة لحماية المساكن فى القدس القديمة وشملت نشاطات اللجنة مساعدة المتضررين على اللجوء إلى المحاكم وتعليم النساء والتدريب المهنى وإقامة نظام للإنذار المبكر عن غارات المستوطنين . ولا أعرف اليوم أين وصلت اللجنة فى أعمالها ، ولا حتى إذا كانت لاتزال موجودة إلا أن شعورى بضرورة التحرك السريع ينبع من الخطر المحيق بوجود الفلسطينيين وممتلكاتهم فى ما يسمى " القدس الكبرى " إن هذا يجعل القدس الخط الأول فى الصراع من أجل تقرير المصير الفلسطينى ولذا يجب تمويلها وإعلام العالم عن وضعها المأسوى وبذل كل الجهود لشن الحملات الإعلامية الجماعية دفاعاً عنها .

استطاعت إسرائيل أن تستفيد من صمتنا وتستغله لمصلحتها تماماً مثلما استغلت لمصلحتها متغيرات الوضع الدولى من الحرب الباردة إلى الفترة التى تلتها . بالمقابل كانت سياسة العرب الإعلامية تجاه القدس وحقيقة المطالب الفلسطينية والعربية فيها من الضعف حتى تدفع إلى التساؤل إذا كان هناك أى وجود لإرادة عربية مشتركة ووعى عربى مشترك .. ومهما كانت الحقيقة هنا فإن من المفيد أن نلاحظ أننا لا نقتصر على إهمال ما للمعلومات والأرقام الصحيحة من تأثير كبير فى العقول والقلوب عندما تفضح الأكاذيب التى تنشرها إسرائيل عن الفلسطينيين والقدس بل إننا كفينا أنفسنا عناء معرفة واقعنا وحقيقة سياسات إسرائيل تجاهنا .. لن أحاول أن أفسر لماذا لم يتم ، خلال السنين الخمس والعشرين الأخيرة التى قامت إسرائيل خلالها بضم القدس بشكل غير شرعى وعملت على تغيير واقع المدينة ، الإعلان أو البدء بتنفيذ ولو مشروع فلسطينى عملى واحد ، كما لا يمكننى أن أفسر لأحد السبب فى أن القيادات العربية والفلسطينية بعد كل هذه السنين من الهجمة الصهيونية الإسرائيلية ضد مصالح الفلسطينيين ، قررت ببساطة أن كل ذلك لا يعنيها فى شىء ، لأن الهدف الآن هو السلام ، ولو كان حسب شروط إسرائيل وأمريكا .

من جهتى أعارض ترك القدس إلى النهاية لأنها حسب القول المكرور القضية الأصعب على المعالجة أن القدس بؤرة كل جهودنا لأنها تقع فى قلب الأراضى المعنية وهى أيضا قلب الصراع الأيديولوجى ومهما كانت الأبعاد الأخرى لقضية القدس فهى تبرز فى شكل درامى ، أيضا الفرق بين منظور أيديولوجى ضيق للتاريخ والمجتمع والرؤيا الشمولية التحررية الجامعية التى علينا صوغها والعمل من أجلها إنها أيضا المكان الذى خصه الإسرائيليون بأكثف ما لديهم من جهود .

ولا أرى كيف يمكن عمل أى شئ لتغيير الإجراءات الإسرائيلية أو إعاقتها أو التأثير فيها فى شكل من الأشكال من دون أن نتعامل أولاً مع الإطار الإعلامى الأيديولوجى الذى أقامته إسرائيل حول المدينة ذلك أن هذا الإطار يشكل نقطة الضعف الإسرائيلى التى يمكن مواجهتها بالنقاش والتعبئة الفكرية والأخلاقية من جانب معارضى إسرائيل ، إن هناك تاريخاً طويلاً من التسامح والتعددية للقدس يجب إبرازه وإدراجه فى النقاش الذى تسيطر عليه إسرائيل حالياً .. كما أن هناك مجموعات قوية من المصالح غير اليهودية ، وأيضا على أقل تقدير خريطة أقرب إلى الحقيقة يمكن رسمها وتوضيحها وتعبئة المساندين حولها وعلينا إلغاء وتبديد هذا الصمت إزاء الإدعاءات الإسرائيلية .. وهذا يعنى بوضوح تقديم منظور فلسطينى للسلام أكثر مبدئية ووضوحاً والقيام فى الوقت نفسه بانتقاد دقيق من منظور فلسطينى لأصل مفاوضات السلام ومجراها ولا يبدو لى أن هذا مطلب دونكيشوتى أو إستراتيجية غير واقعية لأن هناك إستعداداً كبيراً لكنه مضمر إلى حدما لدى الأوروبيين والأمريكيين وبعض اليهود للاستماع إلى الطريق البديل الأكثر إنسانية الذى يمكن أن يوصل إلى السلام الحقيقى .

* * *

الشيخ : عكرمة صبري

إمام ومفتي القدس

الانتهاكات مستمرة

القدس الآن هى مدينة تحت الإحتلال .. وعلى المسلمين فى شتى بقاع الأرض أن يتآزروا لتحريرها وإعادتها إلى الحياض الإسلامى .. ولا يشترط فى الجهاد فقط أن ينحصر فى الجهاد الحربى ، ولكن بأية وسيلة يمكن استرداد القدس ، فمثلاً يقولون أنه لا يجوز إحتلال أرض للغير بالقوة .. إن تم تطبيق ذلك وأعيدت القدس لأهلها فخير ونعمة .. وأعتقد أنه يجب على الأمة الإسلامية أن تعبئ كل طاقاتها للحفاظ على مقدساتها وأوطانها ورعاياها وشعوبها .. إن قضية القدس لابد وأن تمثل مكانة بارزة فى جدول الاهتمام العربى والإسلامى ، نتيجة الخطوات الاستفزازية التى أقدمت عليها إسرائيل فى الفترة الأخيرة ومصادرة إسرائيل المستمرة لأراضى القدس وأن إسرائيل مستمرة فى إنتهاكاتها الصارخة لحرمة القدس رغم التصريحات التى تقول فيها بأنها لن تصادر ولكن السياسة مستمرة فى تهويد المدينة .. إن ما يتم الآن هو مخططات إسرائيلية هدفها امتلاك المزيد من الأراضى العربية ، وإقامة المستوطنات عليها وتوسيع رقعتها بهدف تهويد القدس.

إن أهالى وسكان القدس ممنوعون من الوصول إلى المدينة ومحرومون من الحصول على تراخيص بناء بها بسبب سيطرة اليهود على المجلس البلدى لها .. كما أن الضرائب الباهظة مازالت تضاعف على سكان المدينة .. وتستهدف تصعيب الحياة بها واللجوء للهجرة كبديل لعدم القدرة على المعيشة بالمدينة .. كما أن نسبة خدمات بلدية القدس للمواطن العادى لا تتجاوز ٤٠٪ من مجموع ما تحصله من ضرائب بالإضافة إلى فرض قيود على تحركات الشباب وأعمالهم حتى أصبح دخل العائلة الواحدة فى القدس تحت

خط الصفر ، إن إسرائيل تخطط لحصر مشكلة الفلسطينيين والإسرائيليين فى المسجد الأقصى حتى تنفرد بالقدس ، وتهيمن عليها ، وأنها تقيم المستوطنات لخنقها وعزلها عن سائر الضفة الغربية وتغيير الواقع الديمغرافى للسكان ، وغرض إسرائيل هو أن يصبح عدد الإسرائيليين أكبر من عدد السكان العرب .

إن هناك مشروعاً إسرائيلياً لإقامة هيكل يهودى وهذا الهيكل هو بناء لشكل هيكل فى المتحف الإسرائيلى .. ويشملونه بكل رعاية وعطف .. وهناك تخطيط ضخم لوضعه فى مكان المسجد الأقصى المبارك وقبة الصخرة المشرفة وأن هذا الهيكل وفقاً لخريطة إسرائيل المعدة فى هذا الشأن توضح أن هذا الهيكل سيوضع فوق هذه المساحة التى تبلغ ١٤٣ ألف متر مربع وأنه سيوضع بعد أن يزال من فوقها المسجد الأقصى وقبة الصخرة المشرفة مع بقاء السور الخارجى - إن القدس تمر بأخطر مراحلها وإن لم تتكاتف الأيادى العربية والإسلامية فلن تجد القدس ولن تجد فلسطين ، ولابد من أن يقوى الحس العربى والإسلامى فى هذه الفترة وأن يزداد الإحساس بالموقف والخطر وأن يعيش الجميع مأساتنا فنحن معذبون على أرضنا وهناك تكتم إعلامى على ما يحدث ضدنا .. نحن نشعر بالظلم العالمى تجاهنا والآلام والأحزان تعيش معنا .. وإن لم تكن هناك وقفة فلن نصمد أمام العالم ومخططاته وإزدواجياته فى القرارات وتنفيذها فما ينفذ على العراق لا ينفذ ولا ينظر إليه فى القدس .. وعشنا على الأمل .. والأمل يموت كل يوم .. والأيام تجرى والإنتهاكات فى تزايد والإدارة الأمريكية تنحاز بالكامل ضدنا بل ضد الجميع من أجل عيون إسرائيل - لا أدرى ما أهمية إسرائيل إذا قيست بالعرب بالنسبة لأمريكا - ما الخطر الذى تخشاه الولايات المتحدة من العرب لدرجة أنها تضحى بهم جميعاً من أجل إسرائيل ؟! وهل هذا إيمان من إسرائيل بأن العرب لن تقوم لهم قائمة إلى الأبد ، فأقول لإسرائيل وأمريكا .. العرب آتون والعرب صامدون .. ولن يموت العرب ولن تموت فلسطين ولن ينتهى القدس وسيظل القدس إلى قيام الساعة .

إن عشرات المؤسسات الإسرائيلية تضع مشروع إقامة الهيكل اليهودى هدفاً إستراتيجاً لها ومنها حركة " مجلس أمناء جيل الهيكل " التى كانت وراء مجزرة الحرم الإبراهيمى فى عام ١٩٩٠ والتى شهد عليها العالم وأغلق ملفاتها بمنتهى السرعة فى

الوقت الذى فيه ملفات تفتح من جديد بعد مرور حوالى ٦٠ سنة ، وكانت المجزرة قد وقعت عندما أرادت هذه الحركة إدخال حجر أساس لبناء الهيكل إلى ساحة المسجد الأقصى ، واعترض المصلون المسلمون فما كان من المتطرفين أن أطلقوا الرصاص فى أبشع كارثة تحدث داخل مسجد للمسلمين .. والحركات الصهيونية تسعى إلى خلق أمر واقع فى ساحة المسجد الأقصى .. مع العلم أن تكاليف إقامة الهيكل ستتكلف ملايين الدولارات ، ولكن الحركات الصهيونية فى العالم لن تتوان عن التبرع لإتمام المشروع .. وأن هذا المشروع كفيل بتدمير عملية السلام من أساسها .. قضية الصراع العربى الإسرائيلى هى قضية فلسطين .. وجوهر قضية فلسطين القدس .. ولابد للعرب أن يرسخوا المواقف ويعودوا للتنسيق العربى ، فقضية القدس ليست قضية فلسطينية فقط .. بل قضية عربية إسلامية .. وهى قضية دولية .. والعقلية الإسرائيلية لم تتغير ولن تتغير ، ولابد من استمرار الكفاح الوطنى .

القدس أمانة فى عنق المسلمين جميعاً .. وأهل القدس هم حراس لها .. وعلى جميع المسلمين فى بقاع الأرض تقع مسئولية حمايتها .

* * *

د. عبد المنعم سعيد

مدير مركز الدراسات الاستراتيجية بالأهرام

حالة القدس

ربما لا توجد قضية لها حساسية دينية وعاطفية وتاريخية لدى العالم العربى والإسلامى قدر قضية القدس واحتلالها وضمها من جانب إسرائيل فالقدس فضلاً عن أنها أولى المدن المقدسة للمسيحيين العرب ، وثالث المقدسات للمسلمين . هى المدينة التى تراوح الصراع حولها مع " الآخر " الغربى طوال التاريخ ، وعند أسوارها ومقدساتها تحدد النصر والهزيمة ، وباختصار شديد ، فإن عملية السلام العربية - الإسرائيلية الحالية ستظل " عملية " سلام وليس السلام نفسه حتى يتحدد مصير القدس ، أيا كانت التسويات والإتفاقات التى تجرى على هذه الجبهة أو الأخرى ، ليس معنى ذلك أن بقية الأراضى العربية المحتلة لا تعرف قداسة التمسك بها من جانب الأطراف العربية ، وإنما المقصود هنا أن القدس تعلو على الأراضى الأخرى برموزها الدينية والثقافية التى تجعل استمرار احتلالها ليس احتلالا جغرافياً لقطعة من الأرض وإنما احتلال للثقافة والدين والهوية القومية وكل ما يشكل معنويات الإنسان العربى ووجوده .

ولذا فإن الغضب العربى إزاء خطوة إسرائيل الأخيرة مصادرة الأراضى الفلسطينية وتغيير معالم القدس كان مشروعاً وواجباً تماماً ، والغضب العربى من قرار الكونجرس الأمريكى بنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى المدينة المقدسة لا يقل عن ذلك مشروعية وواجباً ، كذلك المشروعية ظاهرة وواضحة لأن كلتا الخطوتين مخالفة صريحة لا جدال فيها لقرارات دولية أصدرتها الجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن ولالتزامات قطعتها الولايات المتحدة لأطراف عربية عدة ، وكلها أقرت بأن القدس الشرقية هى أرض فلسطينية تحت الإحتلال ولا يحق لإسرائيل العبث بها طبقاً لاتفاقية جنيف الرابعة ، ولا يحق لأى دولة حسب قرار مجلس الأمن رقم ٤٧٨ لعام ١٩٨٠ نقل سفارتها إليها ، أما الواجب فلأن الدول العربية لا تستطيع أن تقف مكتوفة الأيدى إزاء تلك الخطوات الأخيرة ، لأن القدس ليست مدينة عربية أخرى محتلة ، وإنما هى المدينة الرمز إسلامياً وعربياً وفلسطينيا .

وإذا كانت هناك حاجة فى أى وقت لحشد الطاقات العربية فإنها لحظة المساس بالقدس وأرضها وشعبها ومقدساتها . ولكن الأسئلة الجوهرية التى علينا طرحها دوماً ، ولا نتوقع أن تكون مجرد بديهية من البديهيات هى من نوع : من سيحتشد ، وما الذى سيتم حشده ، وكيف ، وما هى الأهداف قصيرة المدى وتلك البعيدة المدى التى نود تحقيقها من حشد ما ؟ وقبل وبعد كل شيء ما هى الإمكانات والقدرات التى نستطيع حشدها ونضعها فى ساحة الفعل حتى نجعل لاعتزازنا بالقدس صدقية حقيقية وليس فقط شعارات مرفوعة مهما كان فيها من نار ولهب؟ الإجابة عن هذه الأسئلة لم تكن واحدة ، وفى الحقيقة كانت هناك إجابتان: أولاهما ، طرحتها الدول العربية . وثانيتهما ، طرحتها النخبة العربية التقليدية ، وكلاهما يستحق قدراً من الاقتراب والفحص .. وما كانت دعوة الدول العربية إلى عقد جلسة طارئة للجامعة العربية وعقد مجلس الأمن الدولى ، وقمة عربية ولو مصغرة لمناقشة الموضوع ، وإصدار القرارات التى تدين خطوات مصادرة إسرائيل لأراضى القدس وتدعو إلى وقفها وتدينها من الناحية القانونية على الأقل .

وكان ذلك كله مطلوباً تماماً ، فهو من ناحية طرح على إسرائيل والولايات المتحدة أن هناك حدوداً لا ينبغى تخطيها لمخالفة القرارات الدولية ، ومن ناحية أخرى فإنها أشارت إلى أن الذين تصوروا العالم العربى بعد حرب الخليج جثة هامدة وقعوا فى خطأ كبير ، وأن رغبة السلام العربية ليست مطلقة أو بلا قيود ، وإنما هى مشروطة تماماً بالعدل الذى لا يوجد مكان لتجسده قدر ما هو موجود فى القدس ، وباختصار شديد فإن هذه الخطوات على الجانب العربى أعطت إشارة إلى إسرائيل والكونجرس أن المساس بالقدس يهدد بعودة الأوضاع فى منطقة الشرق الأوسط بأكملها إلى ما كانت عليه من صراع مستديم تنهار معه كل الجهود التى بذلت على مدى عشرين عاماً من أجل إقامة سلام فى المنطقة .. ومع الضغط الذى قامت به الدول العربية ، حتى ولو تعرض للفيتو الأمريكى فى مجلس الأمن ، فإنها عبرت عن رغبتها فى استمرار عملية السلام ، فإن التحرك الإسرائيلى لمصادرة الأراضى كان محاولة منها لتعظيم مكاسبها باقتطاع قطعة إضافية من القدس ، وكان التحرك العربى هو منعها من هذا العمل على وجه التحديد ، وهو ما تم بالفعل عندما جمدت إسرائيل قرارها .

وفى الحقيقة فإن هدف الحشد هنا كان محدداً كل التحديد ويلقى قبولاً دولياً كاملاً وشاملاً ، وحتى الاعتراض الأمريكى فى مجلس الأمن لم يكن على مضمون القرار ، وإنما كان على مكان الحديث عنه ، وحتى داخل الساحة الإسرائيلية وداخل مجلس الوزراء

الإسرائيلى نفسه كان هناك من يعترض عليه ، وفوق ذلك كله أنه يمكن الدفاع عنه بقوة من قبل النواب العرب فى الكنيست الإسرائيلى فى ظل أوضاعهم بالغة الحساسية ، وهكذا فإنه مع تحديد هدف الحشد ، فإن القوة المدعوة للاحتشاد كانت فى المجتمع الدولى ، وفى الدول العربية القادرة على الحركة السريعة . وفى داخل إسرائيل نفسها من عرب وغير عرب . والنتيجة كان التراجع الإسرائيلى ، الذى لم يكن ، وعلى عكس الشائع ، أول التراجعات الإسرائيلية ، فقد خسرت إسرائيل معركة سيناء التى ادعت أن بقاءها فى شرم الشيخ مع الحرب أفضل من السلام بدونها وخسرت معركة طابا ، وخسرت معركة مرج الزهور عندما نفت أكثر من ٤٠٠ فلسطينى ، ولم يكن مصيرهم كما كان مصير مئات الألوف قبلهم وعادوا إلى ديارهم مرة أخرى ، فى كل هذه الحالات كانت هناك حزمة من السياسات العربية لا تكتفى بمجرد إعلان المواقف ، وتحقيق الرضا عن الذات بأكبر كمية من الصخب الإعلامى ، وإنما كان فيها ما يؤدى إلى الحصول على الحقوق العربية حتى ولو قطعة قطعة كما اقتطعتها إسرائيل من قبل قطعة قطعة كذلك والأهم أننا نجحنا فى تقديم موقف يقبله المجتمع الدولى ويستطيع أن يفهمه ويقبله ، حتى ولو بدا مستعصياً فى بعض الأحيان على قبولنا وفهمنا ، وفى كل الحالات كان الصراع السياسى والدبلوماسى يجرى ، بينما مفاوضات السلام ذاتها مستمرة فالرسالة العربية كانت هى أننا نريد السلام مع الحقوق العربية فى مواجهة مع الرسالة الإسرائيلية التى ترغب فى السلام مع الهيمنة الإسرائيلية .

إجابة النخبة العربية فى مقالاتها واجتماعاتها وندواتها كانت جد مختلفة، فالتيار الغالب فيها دعا إلى وقف مفاوضات السلام الراهنة على كل مساراتها ، ووقف إجراءات التطبيع التى يجرى بعض منها ، وعودة المقاطعة الإقتصادية العربية لإسرائيل إلى ما كانت عليه ، ولدى البعض كان المطلوب إلغاء إتفاق أوسلو ، والعودة إلى الكفاح المسلح من جديد ، أى بعودة الأوضاع إلى ما كانت عليه قبل عملية السلام التى بدأت فى مدريد .

كل هذه الخطوات بالتأكيد كانت سترفع الثمن الذى على إسرائيل دفعه نتيجة خطواتها لضم القدس ، ولكنها لا تشير قطعاً إلى إمكانية عودة المدينة المقدسة إلى اليد العربية مرة أخرى ، ولا حتى كانت تؤدى إلى وقف إجراءات المصادرة الإسرائيلية ، فالواقع أن ما فعلته إسرائيل من مصادرة للأراضى العربية فى القدس كان حادثاً حتى قبل توقيع معاهدة السلام المصرية - الإسرائيلية ، أى عندما كانت كل الشروط المطلوب

تطبيقـها الآن موجودة ومتـوافرة ، ولم تحم القدس من الاغتصـاب الإسرائيلى ولا جعلت إجراءات تهويدها أكـثر بطئاً ، وليس سراً أيضاً أن مـسألة نقل السفارة الأمـريكية للقدس هى موضوع كل انتخابات أمريكية ، وبرنامج كل طامع لاحتلال البيت الأبيض ، بمن فيهم الرئيس بيل كلينتـون والأكـثر من ذلك أهمـية أن الولايات المتحـدة تفاوضت بالفـعل مع إسرائيل على إقـامة " مبان دبلومـاسية " فى القدس ، تحـديد مهمتـها لايزال رهناً للظروف والتوقيتات المناسبة ، وزد على ذلك أن التطبيع العربى مع إسرائيل لا يزال محدوداً للغاية ، وتأثيرات رفع المقـاطعة الإقـتصادية من الدرجـة الثانية لا يقـل محدودية ، ومن ثم فـان ما سوف تدفعـه إسرائيل للتراجع عن هذه الخطوات لن يزيد عن تأثيـراته الرمزية والأهم من ذلك كله أن الوقت أصبح غـير الوقت والزمن غيـر الزمن ، والتغيـرات فى النظام العالمى حتى الآن غـير مواتيـة للمصالح العـربية ، وحتى عندمـا كان الاتحاد السـوفيتى مـوجوداً ، وتوازن القوى كـان أفضل مما هو عليه الآن بالنسبـة للجانب العربى ، وحـتى لم تكن حربا الخليج الأولى والثانية قد حدثتا بعد ، فإن القدس لم يجر احتلالها فقط بل ضمها كذلك .

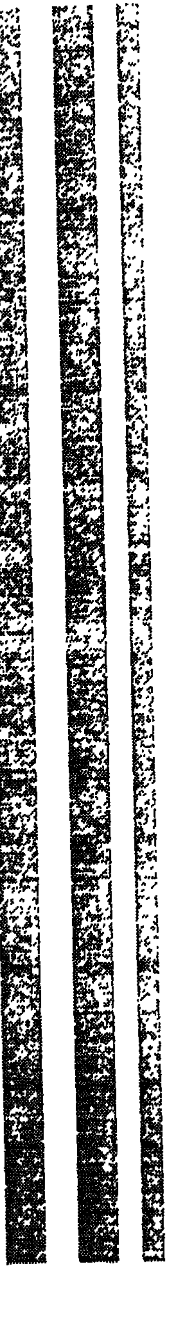
الحشد هنا للطاقـات العربية كان هدفه لـيس التعامل مع معركـة محددة فى صـراع طويل ، وإنما التعامل مع الصراع كله فى لحظة مـعينة لا يوجد فيها التمييـز بين أجل قصير وآجال ممتدة وعندما ينتفى مثل هذا التمييـز لا يصبح للإستراتيجية والتكتيك أى معنى لأنه يعنى التعامل مع كل الأهداف فى وقت واحد ، وفى لحظة دولية معاكسة ، وفى ظل وضع عـربى وتوازن للقوى يـعرف الجـميع حـدوده وإمكاناته المحـدودة ، وكـأنما المطلوب ليس الانتصار فى مـعركة حتى ولو كـانت جزئية وصغـيرة ، وإنما إثبات العجـز وانعدام القدرة ولكنه المرض المتأصل فى الشعار الذائع لدى النخبة العربية حول " حشد الطاقات العربية " فهو حشد على الورق أو فى الإذاعة ، وصلته مقطوعة بالواقع وما فيه من قدرات يمكن أو لا يمكن حشـدها ، وبالتأكيـد لا يوجد من هدف إلا عـودة الأوضاع دائماً إلى مـا كانـت عليه ، حتى ولو كانت تعاستها وبؤسها واضحة كل الوضوح .

الفـارق بين الطريقتـين فى الحـشد - كـما برز فى حـالة معـالجة أزمـة القـدس - مصادرة أراضـيها - يتجلى فى تكيـيف موقعهـا من الصراع العربى - الإسرائيلى وعـملية السلام التى تحـاول تسويته . وجـهة النظر الأولى التى رأت الأزمة نقطة على مـسار طويل ينبغى الحشد لهـا وفقاً للإمكانات المتاحة لإجبار إسرائيل على التـراجع . بينما وجهة النظر الثانـية ترى فى كل نقطة على المسـار تجسـيداً للصـراع كله الذى دام مائة عـام فى معـركة واحدة جـامعة وفـاصلة ، مهمـا كانت المتغيـرات الدولية والإقليـمية وحـتى المحلية داخل

الدول العربية مختلفة عند كل لحظة زمنية فيه . وجهة النظر الأولى معقدة ومركبة وتحتاج قدراً كبيراً من ضبط النفس وأحيانا أكثر من كظم الغيظ ، ولكن السياسة فيها لتحقيق الهدف المحدد أعلى من إعلان المواقف ، أما الثانية فهى بسيطة تصلح للحشد المعنوى الذى لا يعقبه إلا اليأس والإحباط ويصبح إعلان المواقف فيها بديلاً للسياسة .

هل معنى ذلك كله أنه حدث انتصار عربى وأن معركة القدس انتهت ؟ الإجابة عن السؤال هى بالتأكيد لا ، والحاجة إلى " حشد الطاقات العربية " لا يزال مطلوباً وبشدة أيضاً ، فالتراجع الإسرائيلى لايزال محدوداً للغاية ولا يزيد فى الواقع عن مجرد تجميد لقرار ظالم ومناف للشرائع الدولية وحتى للإتفاقات العربية - الإسرائيلية منذ البداية ، وعلى الأغلب فإنه مؤقت ولن يلبث أن يعود مرة أخرى ربما فى صور جديدة . ولكن على ماذا يتم الحشد وكيف ؟ وإذا كان المتصور أن هدف الحشد هو تحديداً تحقيق الجلاء الإسرائيلى عن الأراضى العربية المحتلة وإقامة الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس الشرقية مقابل سلام شامل وعلاقات طبيعية مع إسرائيل فإن الأمر يتطلب حزمة من السياسات التى تمزج بين العصا والجزرة وتضغط وتغرى إسرائيل بقبول هذه المعادلة . لكن لماذا اللقاءات العربية رهناً بما تفعله أو لا تفعله إسرائيل ؟ وذلك فى الحسابات الاستراتيجية خطأ فادح لا يعنى إلا إعطاء المبادرة دوماً للطرف الآخر .. إن الإنسحاب الإسرائيلى من الأراضى العربية المحتلة لن يكون مجرد إنهاء لحالة الحرب أو العودة إلى ما كانت عليه الأوضاع قبل عام ١٩٦٧ ، وإنما هو خطوة ضرورية لإقامة مستقبل جديد فى المنطقة يكون لإسرائيل القبول كدولة لها كل العلاقات الطبيعية التى تقام بين الدول ، وربما كان ممكناً طرح مشروع عربى خاص بالقدس سبق أن طرحته أطراف فلسطينية يجعلها عاصمة لدولتين مع إدارة مشتركة للمدينة نصفها من العرب والآخر من اليهود ، وهكذا نقسم المدينة ونبقى على وحدتها فى الوقت نفسه ، والأهم نصنع عاصمة الدولة الفلسطينية المستقلة .

* * *



موسى المزراوى

المحامى الفلسطينى وعميد كلية الحقوق فى معهد "البوليتكنيك" سابقا

الأمر الواقع الإسرائيلى

القرار الذى صدر عن الكونجرس الأمريكى بغالبية كبيرة يوم ٢٤ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٩٥ بنقل السفارة الأمريكية إلى القدس فى موعد أقصاه ٣١ آيار (مايو) ١٩٩٩ قد أغضب الدول العربية جميعها .. وفى محاولة لتخفيف وطأة هذا الغضب صرح الرئيس كلينتون ، فيما بعد : بأن الخطوة التى اتخذها الكونجرس فى هذا الشأن " غير مناسبة " و " غير مشجعة " فى الظروف الحالية وأنها " لن تساعد المسيرة نحو التسوية " بين الدول العربية وإسرائيل .

الرئيس كلينتون لم يقل أن مشروع القانون هذا لن تنفذه الإدارة الأمريكية أو أنها ستقوم بابطاله ، والسبب بسيط وهو أن الرئيس كلينتون لا يعارض المشروع فى قرارة قلبه ، وقد سبق له أثناء حملته الانتخابية وفى مناسبات أخرى أن أيد صراحة وضمناً " وحدة القدس " ، كما أنه سمح لمؤيديه بل أطلق العنان لهم لإشعار إسرائيل بأن الولايات المتحدة ليست ضد فكرة اعتبار القدس عاصمتها " الأبدية " .

وتجدر الإشارة ، فى هذا الصدد إلى أن الرئيس كلينتون لم يعلن صراحة ومن دون لف أو دوران معارضته قرار الكونجرس من ناحية الأساس والمبدأ ، وإنه لم يقل ببطلانه من الناحية القانونية ، وتجدر الملاحظة - أيضاً - إلى أن الحكومة الإسرائيلية لم تنبس ببنت شفة بشأن تصريح الرئيس كلينتون ، وهناك من يقول بأن المسئولين الأمريكيين قد أوعزوا إلى زملائهم بأن السياسة الأمريكية تجاه القدس لم تتغير ، وأن من المفيد لكل من أمريكا وإسرائيل ، ومما يوفر عليهما قدراً كبيراً من الإحراج أن " تطنش " إسرائيل بشأن بيان الرئيس كلينتون .

أما القرار الذى اتخذه الكونجرس فإنه لم يكن إلا تنفيذاً لسياسة اتبعتها الإدارة الأمريكية منذ وقت طويل ، فقبل أكثر من ست سنوات ، فى آخر أيام عهد الرئيس "رونالد

ريجان" وقعت الإدارة الأمريكية فى ١٨ كانون الثانى (يناير) ١٩٨٩ على إتفاقية مع السلطات الإسرائيلية حول الأرض التى تزمع الحكومة الأمريكية بناء سفارتها عليها فى القدس .. والإتفاق الذى تم بين إسرائيل والولايات المتحدة نصوصه واضحة وصريحة: فى مقدمة الإتفاقية تعرب واشنطن عن رغبتها فى إقامة تسهيلات دبلوماسية جديدة فى القدس . وتقول إنها طلبت من حكومة إسرائيل أن تخصص أراضى لهذه الغاية ، أن الطرفين قد اتفقا على تعيين موقع محدد لهذا الغرض مساحته ٣١٢٥٠ متراً مربعاً .

وتنص المادة الثانية من الإتفاقية : أن على حكومة إسرائيل أن تتخذ كل الإجراءات الكفيلة بالحصول على الملكية الخاصة والشرعية لهذا الموقع خاصة من أية حقوق أو فوائد أو مطالب من الغير ، كما تتعهد إسرائيل بمقتضى هذه المادة أن تؤجر الموقع المذكور إلى حكومة الولايات المتحدة لمدة ٩٩ سنة تبدأ عند تحويل الأرض بالكامل إلى حيازة حكومة الولايات المتحدة بأن تدفع لحكومة إسرائيل مبلغاً وقدره دولار أمريكى واحد فى السنة طوال فترة الإيجار ويدفع هذا المبلغ سلفاً حسبما ترى حكومة الولايات المتحدة مناسباً .

وتنص هذه المادة أيضاً على أن يكون لحكومة الولايات المتحدة الحق ، إذا شاءت خلال فترة الإيجار هذه ، أن تمدد عقد الإيجار بعد انتهائه لفترة ٩٩ سنة إضافية بنفس الشروط والالتزامات السالف ذكرها ، ولكن لا تدفع حكومة الولايات المتحدة فى هذه المناسبة أى مبلغ لحكومة إسرائيل (ولا حتى الدولار الواحد فى السنة) .

وفى المادة الخامسة من الإتفاقية نص مفاده أن لحكومة الولايات المتحدة الحق ، إن هى وجدت أن الموقع فى القدس لا يصلح للاستعمال للأغراض الدبلوماسية ، أن تبلغ حكومة إسرائيل بذلك قبل ١٥أبريل (نيسان) ١٩٩٩ ، وعندئذ يتوجب على حكومة إسرائيل أن توفر للولايات المتحدة موقعاً بديلاً مساوياً فى ميزاته وتفاصيله . (وليس هناك فى المنشورات الأمريكية الرسمية ما يدل على أن حكومة الولايات المتحدة قد أعربت عن أى انتقاد أو تحفظ فى شأن صلاحية هذا الموقع لإقامة السفارة) .. وفى المادة السابعة من الإتفاقية نص يقول أنه على حكومة إسرائيل أن تأخذ بعين الاعتبار أن حكومة الولايات المتحدة تشعر بالقلق إزاء تواجد أية منشآت يزيد علوها على ٢١ متراً فوق المستوى السطحى الحالى على بعد أقل من ٣٠٠ متر من حدود الموقع كما تنص هذه المادة أن على

الطرفين التشاور إذا ما رغبت الولايات المتحدة ذلك حول نوعية النشاط بصورة عامة فى المنطقة المحيطة بالموقع على بعد أقل من ٣٠٠ متر .

وتنص المادة الحادية عشرة من الإتفاق أن على حكومة إسرائيل أن تتولى الدفاع فى المحاكم والمنابر الأخرى ضد أية قضايا تقام على الولايات المتحدة أو الجهات الإسرائيلية فيما يختص بملكية الموقع المخصص للسفارة الأمريكية أو حول أى شيء يتعلق باستعمال الموقع من قبل حكومة الولايات المتحدة ، وأن على حكومة إسرائيل أن تتحمل مصاريف هذه الإجراءات .. وفى هذه الإتفاقية نصوص تتعلق بشراء حكومة الولايات المتحدة من حكومة إسرائيل موقعاً فى تل أبيب للإستعمال لأغراض دبلوماسية إضافية والإتفاقية تحدد الثمن ، إن هذه النصوص التى أوردناها من الإتفاقية الأمريكية - الإسرائيلية غريبة والحق يقال ، والتفسير الوحيد لتسمية الصفقة " عقد إيجار واستئجار " لتسع وتسعين سنة ، وبدولار أمريكى واحد فقط ، تتجدد بعد ذلك لتسع وتسعين سنة أخرى هو أن الولايات المتحدة وقد حاولت نفى صفة الشراء عن هذه العملية خشية ألا يكون لحكومة إسرائيل الحق فى أن تبيع الملك بيعاً كاملاً لأنها لا تملكه حسب القانون ، فإذا ثبت أن حكومة إسرائيل قد تجاوزت صلاحياتها فى هذا الخصوص فإن عليها أن توفر لحكومة الولايات المتحدة موقعاً بديلاً فى القدس بالذات ، ولنفس الغرض .. ويبدو أن حكومة الولايات المتحدة كانت تريد أن تتجنب الدخول فى متاهات قانونية حول شراء أرض من غير صاحبها المفوض بالبيع وحده دون سواه ، والذى فات على حكومة الولايات المتحدة أن هناك سابقة قانونية وأخلاقية مماثلة فى عملية استئجار أرض من غير مالكها الشرعى أو مستأجرها الذى له حق التأجير .

المهم فى هذا الموضوع هو أن هناك وثائق رسمية من عهد الإنتداب البريطانى على فلسطين تثبت أن ملكية جزء لا بأس به من الموقع الذى استأجرته الولايات المتحدة هى لوقف إسلامى هو وقف الخليلى المخصص ريعه ، حسب الشريعة الإسلامية وقوانين حكومة فلسطين ، لذرية آل الخليلى التي لايزال عدد كبير منهم أحياء يرزقون ، ومع أن حكومة إسرائيل قد عدلت وبدلت فى القوانين المتعلقة بالأراضى فى فلسطين إلا أنه لا

تزال هناك علامة إستفهام كبيرة - حتى فى نظر القانون الإسرائيلى - حول شرعية بعض ما فعلته إسرائيل فيما يختص بالأوقاف الإسلامية عامة ، ولا يستبعد فى هذه المناسبة أن يكون الخبراء القانونيون للولايات المتحدة قد لفتوا النظر إلى مشكلة أخرى حول شرعية وجود إسرائيل في القدس خصوصاً وفى القسم الشرقى من المدينة الذى كان تحت سلطة الأردن قبل عام ١٩٦٧ . وصياغة الصفقة بشأن موقع السفارة كعقد إيجار وليس كعقد شراء يوفر على الولايات المتحدة قدراً من الإحراج ، ويضمن لها فى الوقت ذاته موقعاً بديلاً لسفارتها .

إن الوضع القانونى لمدينة القدس كان قد تحدد أصلاً فى القرار رقم ١٨١ (٢) الذى أصدرته الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٤٧ الذى قسم فلسطين إلى دولة عربية وأخرى يهودية . وقد نص هذا القرار على أن مدينة القدس بحدود معينة حسب الخريطة هى " جسم منفصل " (باللاتينية Corpus Scpartum) ومستقل عن الدولتين وقائم بذاته وله نظام حكم منفصل وخاص به ، وقد أشير إلى هذا الوضع مرات عدة فى قرارات للجمعية العامة ولمجلس الوصاية التابع للأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولى .

وفى عام ١٩٤٨ احتلت القوات الإسرائيلية القسم الغربى من المدينة ، كما احتلت قوات شرق الأردن القسم الشرقى وأعلنت المملكة الأردنية الهاشمية عمان عاصمة لها وليس القدس ، واعترفت معظم الدول ، بما فيها الدول الكبرى ، باحتلال كل من الأردن وإسرائيل لمدينة القدس وتعاملت معها على أساس الأمر الواقع لا أكثر ولم يعترف أحد بالقدس عاصمة لأى من هاتين الدولتين ..واستمر هذا الوضع إلى حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ حين احتلت إسرائيل القسم الشرقى من القدس وأعلنت فى ٢٧ حزيران ١٩٦٧ عن ضم القسم العربى من القدس إلى الجزء الذى كان تحت حكم إسرائيل ، واعتبرت - حسب قانون سنه الكنيست الإسرائيلى - أن المدينة بأكملها هى عاصمة إسرائيل وقد استنكرت الأمم المتحدة أكثر من مرة هذا القرار واعتبرت أن الجزء الذى احتلته إسرائيل من القدس عام ١٩٦٧ هو " أراض محتلة " خاضعة لقوانين الحرب واتفاقيات جنيف، ولم يعترف بمطالب إسرائيل فى القدس عاصمة لها حتى الآن إلا قلة قليلة من دول العالم .

ما هو وضع القدس فى نظر منظمة التحرير الفلسطينية فى المناقشات التى دارت فى اللجنة التنفيذية للمنظمة فى كل من تونس والجزائر قبيل إصدار " وثيقة استقلال فلسطين" من قبل المجلس الوطنى الفلسطينى ، وفى ١٥ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٨٨ جرى الحديث عن القدس ووضعها سياسياً وقانونياً ، وفى المسودة الأولى للوثيقة ورد النص التالى : " المجلس الوطنى يعلن ، باسم الله وباسم الشعب العربى الفلسطينى ، قيام دولة فلسطين فوق أرضنا الفلسطينية وعاصمتها القدس العربية " وكان من رأيى أنا أثناء مشاركتى فى النقاش أن وصف القدس بـ " العربية " فيه محاذير ، أولاً لأن حدود هذه المنطقة لم يكن قد تم الإتفاق عليها ، وثانياً لأن وصف جزء من المدينة بـ " العربية " يبرر ويجيز وصف الإسرائيليين للجزء الآخر بـ " الإسرائيلية " أو " اليهودية " ، وقبل أعضاء اللجنة التنفيذية اقتراحى باستعمال عبارة " القدس الشريف " التى تترك الباب مفتوحاً حول الحدود .. وهذه النقطة الحساسة لم تبرز ، مع الأسف ، فى الترجمة الإنجليزية للوثيقة التى لم يكن لى دخل فيها .

يظل أمامنا اليوم السؤال التالى : ما هى حدود " القدس " بالضبط وما هو وضعها بأكملها أو مجزأة من الناحية القانونية هناك محكمة العدل الدولية فى لاهاى ، التى يمثل قضاتها الخمسة عشر مختلف النظم القانونية فى العالم ، ويمكن للجمعية العامة للأمم المتحدة ، حسب المادة ٩٦ من الميثاق ، أن تستفتى محكمة العدل الدولية بشأن وضع القدس . والمطلوب لتحريك هذه العملية قرار من الجمعية العامة بغالبية بسيطة من الأعضاء الحاضرين والمشاركين فى التصويت وعدد أعضاء منظمة الأمم المتحدة فى الوقت الحاضر ١٨٥ دولة ، ولن يكون من الصعب الحصول على غالبية تؤيد مطلباً عربياً فى هذا الخصوص.

* * *



د . عبد الله الأشعل

خبير القانون الدولى : جامعة القاهرة

منهج القانون الدولى

إن اثبات الحق بالمنطق القانوني المعترف بـه دولياً هو المنطق الذى يتفق مع التـوجه نحو حـل قضايا الصـراع العربى الإسـرائيلى بالوسائـل السلميـة والمفاوضات مـالم تكن إسرائيل قد طرحت الخيار السلمى فى إطار السلام الإسرائيلى الذى يناقض مفهوم السلام الشائع عـالمياً وإقليمـياً والذى قبلت بموجـبه الدول العربيـة التفاوض وفق مـرجعيـة دولية نسمـيهـا الشرعيـة الدولية فى شأن الـقدس وبحسن نيـة واضحة مـن جانب كل الأطراف العربية ، بما يفترض معه أن يكون حسن النية هو رائد إسرائيل والولايات المتحدة منزهاً عن الغش والتدليس ، وكلها مفاهيم لا خلاف علـيها فى أصول القانون منذ انحدرت إلينا من الرومان الذين أكدوا أن الغش يفسد كل شيء ، ولا يجوز لمن يرتكب الغش أن يستفيد من عمله .

ولعل طرح الجوانب القـانونية لهذه المسألة الخطيـرة يوجب تحديدها فى الملاحظات الخمس الأساسية التالية :

الملاحظة الأولى ، هناك فى العـالم العربى من يعـتبر المنهج الـقانونى ضرباً من الـعبث فى مواجهة المشروع الصهيونى الثابت على اقـتناعاته الأساسية والتى تتحقق بإطراد أمام التراجع العـربى المستمر ، كمـا أن فى العالم العربى وخـاصة فى الطرف الفلسطينى من اعتقـد أن منهج الرئيس السادات المؤكد للسيـاسة العملية غيـر المكترث بالقانون الذى يكتسح واقع القوة هو الأولى بالإتباع والتغاضى عن الجوانب القانونية أملاً فى خلق واقع يفـرض نفســه ، ويصبح هو القـانون الواقعى . ولـقد حذرت فـى دراسة مبـكرة أظنها الأولى وربما الأخـيرة من هذا المنهج فى تنـاول قضيـة الصراع العـربى الإسرائيلى ، وذلك فى كـتابى الذى تفـضل الأهرام الاقتصـادى بنشره فى الأول من

ديسمبر ١٩٩٣ بعنوان " النظام القانونى للإتفاق الإسرائيلى الفلسطيني" كما سبق أن لفت النظر إليه فى ورقة قدمتها بعد توقيع الإعلان فى واشنطن ، وذلك فى اتحاد المحامين العرب بالقاهرة ، وأكدت يومها ـ ولا يزال ذلك اقتناعى ـ أن إسرائيل وهى تضرب بالقانون الدولى عرض الحائط تؤكد احترامها للقانون الدولى وتسهب فى تبريرها لأعمالها بالقانون وأحكامه ، وليس أدل على ذلك من أن فقهاء إسرائيل نشطوا فى تكييف العمل العسكرى المصرى السورى عام ١٩٧٣ لتحرير الأراضى المحتلة على أنه عدوان بموجب أحكام الميثاق ، وإعلان تعريف العدوان عام ١٩٧٤ ، ونشرت كتاباتهم باللغات الأوروبية وصارت مصدراً وحيداً للباحثين الأجانب ، بينما قنع العرب بشقتهم فى أنهم يحررون أراضيهم وهذه بديهة فى نظر العالم كله لاتحتاج إلى تبرير أو تكييف ، وحتى الولايات المتحدة وهى ترتكب الإخلال الصريح والصراح لمبادئ القانون الدولى تبرز ذلك بنظرية الدفاع الشرعى عن النفس . ولا غرابة أن هذه النظرية قد أصبحت القاسم المشترك بين واشنطن وتل أبيب حتى أن إسرائيل استندت إلى هذه النظرية فى قتل الأجنة فى بطون الأمهات الفلسطينيات، حتى تقطع الطريق على المولود الذى أتى من صلب يعادى إسرائيل إلى رحم لايقل عداء إلى لبن الأم الفلسطينية ، فيشب عدواً حتى النخاع .. لهذا السبب فأنا من أشد المؤمنين بالمنهج القانونى فإذا كان هذا المنهج لازماً للمعتدى لتبرير عدوانه وتسويقه فهو ألزم بداهة للضحية الضعيف .

الملاحظة الثانية ، إنه وإن كانت القدس أرضاً فلسطينية ولأهلها حق تقرير مصيرها ، فإن قدسية المدينة جعلت العالم الإسلامى والعربى كله معنياً بمصيرها ، ولعلنا نذكر بأن البعد الإسلامى للقضية الفلسطينية لم يتضح إلا بعد استيلاء إسرائيل على القدس الشرقية عام ١٩٦٧ مما أدى إلى توحيد الصفوف العربية والإسلامية من أجل القدس ومن أجلها قامت منظمة المؤتمر الإسلامى التى اتخذت من مدينة جدة مقراً مؤقتاً بديلاً عن القدس حتى تتحرر . ولذلك لا يجوز للفلسطينيين أن ينفردوا بالتفاوض حول القدس إلا بقدر ما تمثله المدينة من تراب ووطن محتل ، ولابد من اشتراك العالم الإسلامى بطريقة عملية بوصفه طرفاً ذا مصلحة محققة فى قضية القدس .

ولعلنا نذكر أن مصر وهى تتفاوض مع إسرائيل فى كامب ديفيد ١٩٧٨ ، وواشنطن عام ١٩٧٩ قد استشعرت خطورة قضية القدس التى لا يملك طرف الإنفراد بتقرير مصيرها فأصرت على التحفظ بأن أية تسوية للقضية لا يجب أن تمس مركز القدس المعتبر فى إطار شرعية خاصة تتجاوز كونها أرضاً محتلة تلحق بالضرورة بوضع بقية الأراضى الفلسطينية ، ما دامت مصر لم تتمكن من حسم قضية القدس فى سياق تسوية النزاع فى جانبه المصرى الإسرائيلى ، ولابد أن أؤكد أن تحفظ مصر على وضع القدس لم يكن يعنى كما زعم البعض ممن لا يحسنون تفسير الأحداث الهامة أن مصر قالت كلمتها ومضت وإنما الصحيح أن مصر بثقلها وحسها السياسى والدينى تضع القدس فى مقدمة أولوياتها .

الملاحظة الثالثة ، واتصالاً بالملاحظة السابقة فان الإتفاق فى أوسلو على تأجيل عدد من القضايا ، ومن بينها القدس إلى المرحلة الأخيرة من مفاوضات الحكم الذاتى ، لا يعنى التخلى عن القدس أو التسليم بواقع التهويد وتغيير الهوية الجغرافية والحضارية والديموغرافيه للمدينة ، وفرض أمر واقع مرير لا سبيل إلى مواجهته ولكنه يعنى فى نظرنا النتائج القانونية الآتية .

أولا : أن مجرد موافقة إسرائيل على الإشارة العابرة للقدس ولو لمرة واحدة فى الإتفاق الذى أكده مجلس الأمن ، وصار جزءاً من الشرعية الدولية حول القدس بقدر انسجامه مع قوامها وعناصرها الأساسية ، يعد إقراراً من إسرائيل أن إجراءاتها فى القدس وموقفها من القدس ليس نهائياً ، وأن القدس قضية قابلة للتفاوض ولو فى المرحلة الأخيرة من المفاوضات ، كما أنه لا يتصور أن يؤكد مجلس الأمن عام ١٩٨٠ عدم شرعية قرار ضم القدس واعتبارها عاصمة أبدية لإسرائيل ، ثم يؤكد بعد ذلك أهمية إتفاق أوسلو بمفهوم إسرائيلى وإلا كان عمل المجلس لغواً ننزهه عن الوقوع فيه ، ولقد استشعرت إسرائيل ذلك فحاولت تعديل مضمون الشرعية الدولية حول القدس فى المجلس والجمعية العامة .

ثانياً : أن تعهد إسرائيل فى إتفاق أوسلو حول القدس ينتج أثراً مانعاً لإسرائيل من إتخاذ أى إجراء منفرد منذ لحظة توقيع الإتفاق ، ويطلق على هذا الأثر فى القانون وهو

فترة تجميد وضع القدس على الوضع الذى كانت عنده منذ لحظة توقيع الإتفاق حتى الانتهاء إلى وضع نهائى متفق عليه بالتفاوض .

ثالثاً : تعتبر تصريحات زعماء إسرائيل الذين يؤكدون أن وضع القدس قد تقرر منذ عام ١٩٦٧ ، وخلال أحداثها قرينة ظاهرة على سوء نية إسرائيل فى طرحها للخيار السلمى لأنه لا قيمة لأى خيار سلمى ما دامت الأوضاع الإقليمية قد تقررت نتيجة حرب ١٩٦٧ ، كما أن ذلك يعنى أن المنهج الانتقائى لإسرائيل لمفهوم الخيار السلمى يهدم فكرة السلام من أساسها .

الملاحظة الرابعة : لا يجوز أن يحتكم العالم العربى والإسرائيلى فى شأن تصرفات إسرائيل فى القدس إلى القضاء الإسرائيلى ، وإنما يجب الاحتكام إلى أحكام القانون الدولى باعتبار القدس أراضى محتلة .

الملاحظة الخامسة : لا يجوز لإسرائيل تجاهل قرارات مجلس الأمن وإرغام البعثات الأجنبية على الإنتقال إلى القدس من تل أبيب - صحيح أن الدولة هى التى تقرر مكان عاصمتها ، وعلى الدول الأجنبية أن تقبل ذلك وأن تنقل إلى العاصمة بعثاتها، لكن هذا الوضع لا ينطبق على القدس ذات الوضع الخاص .

وأخيراً فإن من المهم عزل موضوع القدس عن أية تطورات أخرى فى العلاقات بين إسرائيل وسوريا ، فلكل مسار وضعه واعتباراته ، ذلك أن السلام من الجانب العربى ليس صفقة شاملة فى مواجهة إسرائيل ، أى أنه لا تتوزع مكاسب السلام بين الأطراف العربية بحيث يجبر اللين مع طرف الجور مع طرف آخر ، إننى أطالب بعمل جاد فى المجال القانونى لا يصادر على المجالات الأخرى ولكنى أزعم أن المجال القانونى لو أحسن استخدامه سياسياً وإعلامياً لأتى ببعض الثمار فى هذه الجبهة الحيوية ، وقد يكون من المناسب النظر فى جدوى عقد مناظرة عالمية بين الفقهاء المسلمين والعرب والإسرائيليين تذاع وتشاهد على أوسع نطاق حول الجوانب القانونية للقدس ، وبذلك نخلق رأياً عاماً قوياً جنبا إلى جنب مع اللجوء إلى محكمة العدل الدولية وأرجو إن صح العزم على ذلك أن يتم إعداد مشروع قرار بذلك من الجمعية العامة للأمم المتحدة .

***



مستقبل السلام .. مستقبل المفاوضات

فـاروق قـدومى

وزير الخارجية الفلسطينى

مأزق المفاوضات !

إن ما تفعله إسـرائيل فى القدس وما تتحدثه واستباقها للمفاوضات النـهائية تجعل العملية السلمية عـاجزة عن استيعاب المعانى والأهداف الكبيـرة ، التى توختها ، وإسرائيل تضع الشعب الفلسطينى والسلطة فى مأزق تتعرض معه العملية السلمية فى المنطقة برمتها للخطر ، إن القدس هى الأب الـروحى لفلسطين .. وتمثل بالنسبـة للعرب والمسلمـين كل المعانى التاريخـية والوطنية وإحدى حقـائق الإسلام الكبرى ، وإسرائيل تخدع نفـسها إذا ظنت أنها قادرة على تحدى إرداة الشعب الفلسطينى وإرادة الخالق .. وتحويل مجرى القدر وإلغاء مقـدسات العقيدة ومـنطق التاريخ وفرض الاغتصـاب على القدس .. مطلوب من مجلـس الأمن فرض ضغـوط إقتـصادية على إسـرائيل لإرغامـها على الانصـياع لقـضايا التسوية .. ولابد مـن أن يقوم العـرب باتخـاذ موقف مـوحـد تجاه المفـاوضـات المتعـددة الأطراف، وإن أى شيء من تصريحات وأحاديث تمثـل جس نبض من جانب إسرائيل تجاه القدس يمـثل قتلاً ووأداً وانهـياراً كاملاً لعـملية السلام ، وأنه لا يوجـد على ظهر الأرض عـربى أو إسلامى يمكنه أن يدافـع عن عمليـة السلام فى الـوقت الذى تقوم فـيه إسـرائيل بانتهاك مدينة القدس وتغيير مـعالمها .. وكان هناك موقف فلسطينى تجاه ذلك عطل عملهم لفترة وبدأت المحاولات منذ عام ١٩٦٧ وهدفهم واضح هو تهويد مدينة القدس .

إن الاتصالات مستمرة فى دعوة مـجلس الأمن والأمم المتحدة والمنظمات الإقليمية من أجل أن توقف إسرائيل حملتـها الشرسة تجاه القدس ومحاولـة تهويدها وطمس معالم المدينة العربية .. العقلية الإسرائيلية متخيلة أنها بهذه الأعمال يمكنها أن تُنسى الفلسطينيين والمسلميـن والعرب مدينتـهم المقدسـة ، فالقدس فلـسطينية رضيت إسـرائيل أم أبت ولن

توجد قوى فى هذا الكون ستجعل أى فلسطينى يفكر أن يتنازل فى يوم من الأيام عن حبة رمل فى القدس أو حبة رمل محتلة .. وحتى لو قبل الفلسطينيون ترك حبة الرمل سترفض أن تطأها سوى أصحابها الأصليين .. على العرب أن يتجهوا نحو غاية وهدف رئيسى واحد .. وهو تحرير القدس لأن بيت المقدس وطن الروح وأرض العقيدة ورمز الوجود لكل العرب والمسلمين وأنها العاصمة الوطنية لشعب فلسطين العربى لكل طوائفه منذ بناها اليبوسيون العرب وأسموها أورسالم أى مدينة السلام وجاء الإسلام ليسميها بيت المقدس .

القدس بالنسبة للعرب والمسلمين تمثل كل المعانى التاريخية والوطنية وأنها تمثل إحدى حقائق الإسلام الكبرى التى لا يتوفر مثلها فى مدينة أخرى ، فالقدس ترمز لحقيقة الإسلام .. وأتعجب من الفكر اليهودى الذى يخدع نفسه ويظن أن قوة إسرائيل قادرة على تحدى إرادة الشعب الفلسطينى وإرادة الخالق .. وتحويل مجرى التاريخ بقرار يصدر من برلمانها بضم القدس ، وتقوم بإرهاب أهلها العرب والتضييق عليهم ، ليهاجروا من القدس ويتركوا فراغاً يملؤه المحتلون الوافدون من كل بقاع الأرض ، إن أى سلام لا يعيد القدس مرفوض بالكامل ، وأن محبة القدس والإرتباط بها والدفاع عنها جزء من عقيدة راسخة وإيمان ثابت يولد الطفل الفلسطينى وينمو بنموه سواء كان فى أدغال أفريقيا أو فى أوروبا أو فى مواطن الأقليات الإسلامية .. وهذا الإرتباط الأزلى لن تلغيه المعاهدات والإتفاقيات ولا تعطله الإجراءات الإسرائيلية مهما تنوعت وتعددت .

إن إسرائيل تعتمد أسلوباً ماكراً انطلت صلته على الغرب .. ويكاد ينطلى على العرب والمسلمين وهو أن القدس عزيزة على اليهود ومرتبطة بعواطفهم ومتمكنة من نفوسهم لدرجة أنهم يدعون أنهم لا يقبلون مناقشة أوكلاماً بشأن القدس ، يستوى فى ذلك المعتدلون والمتطرفون .. وقد بلغ من تأثير هذه الدعاية المسمومة أن وسطاء السلام من الغرب يرددونها حتى أصبحت جزءاً من استراتيجية السلام وعنصراً ثانياً من عناصره ، العالم لن ينعم بالسلام الحقيقى ما لم تتحرر مدينة القدس من الاحتلال .. وتعود إلى أهلها الشرعيين ولن تستقر الأوضاع فى المنطقة إلا بانسحاب إسرائيل من القدس وأن أى شيء يمس القدس كعاصمة أبدية لدولة فلسطين يجعل مسيرة السلام كأنها لم تكن .

* * *

هـانــى رسـلان

الباحث والمحلل السياسى

موقع المفاوضات

تحتل مدينة القدس بلا جدال مكانة مركزية فى القضية الفلسطينية ، حيث لا مجال للتوصل إلى حل سلمى وعادل لهذه القضية تتوافر له شروط الحد الأدنى من القدرة على التماسك والاستمرارية ، دون أن تكون القدس مشمولة فى هذا الحل وتقع فى القلب منه ، فبالنسبة إلى الفلسطينيين ، فإن القدس ليست فقط تلك المدينة المقدسة فى العالمين العربى الإسلامى والمسيحى ، بل كانت وعلى مدى العصور أمراً حيوياً وجوهرياً وأحد المحددات الأساسية للهوية الفلسطينية ، وأيضاً للثقافة العربية الإسلامية فى المنطقة .. ومن ثم أصبحت قضية القدس هى المسألة الأصعب والأشد حساسية فى كل مفاوضات التسوية ، فالاسرائيليون من الناحية الأخرى يزعمون أنهم بحاجة إلى القدس باعتبارها جزءاً أساسياً من الحلم الصهيونى ، ولأنها التى غذت الهوية اليهودية على مدى ألفى عام ، وهم يتشبثون بالقول بأن القدس الموحدة هى العاصمة الأبدية لدولة إسرائيل ، الأمر الذى يجعل عملية التسوية فى النهاية أمراً معقداً ومحفوفاً بالصعاب ، واليوم ومع تقدم المفاوضات العربية الإسرائيلية يبرز ملف مدينة القدس ، بل يمكن القول أن الإتفاق حول القدس أو عدمه ، سيساهم بشكل أساسى فى تحديد مصير هذه المفاوضات ، ومستقبل الصراع العربى الإسرائيلى إجمالا ، وقبل تناول وضع القدس فى المفاوضات الجارية ، تجدر الإشارة إلى الخطوط العريضة للقرارات التى تناولت القدس والتطورات التى لحقت بها .

بموجب القرار ١٨١ لتقسيم فلسطين الصادر فى ٢٩/ ١١/ ٧٤ أوصت الجمعية العامة للأمم المتحدة بأن يكون لمدينة القدس كيان مستقل خاضع لنظام دولى خاص تحت

إدارة الأمم المتحدة ، وأن يؤلف مجلس وصاية يؤدى مهام السلطة الادارية بالنيابة عن الأمم المتحدة ، أما حدود المدينة (الكيان المستقل) ، فتشمل بلدية القدس مضافاً إليها القرى والبلدان المجاورة .. لكن شروط التقسيم المتعلقة بالقدس لم تنفذ ، وعندئذ تبنت الجمعية العامة القرار ١٩٤ فى ١١/ ١٢/ ١٩٩٤ ، الذى نص على أن منطقة القدس يجب أن تلقى معاملة خاصة ومنفصلة عن بقية فلسطين ويجب أن توضع تحت السلطة الفعلية للأمم المتحدة .

وبعد حرب يونيو ١٩٦٧ ، تركزت قرارات الأمم المتحدة ضد إسرائيل فى إدانتها لما تتخذه من اجراءات لضم وتهويد القدس وتغيير تكوينها الديموجرافى ، ومن بين قراراتها قرارا الجمعية العامة للأمم المتحدة ٢٢٥٣، ٣٢٥٤ فى ٤/ ٧/ ٦٧، ١٤/ ٧/ ٦٧ ، واللذان أعربا عن القلق من الوضع السائد فى القدس ، وطالبا إسرائيل بإلغاء كل الإجراءات التى اتخذتها ، والكف فوراً عن القيام بأى عمل من شأنه تغيير وضع القدس ، ثم صدر قرار مجلس الأمن ٢٤٢ فى نوفمبر ١٩٦٧ ، مطالباً إسرائيل بالجلاء عن الأراضى العربية المحتلة (بما فيها القدس) ، ونتيجة لعدم امتثال إسرائيل أصدر مجلس الأمن القرار ٢٥٢ فى ٢١/ ٥/ ١٩٦٨ والذى نص على اعتبار جميع الإجراءات الإدارية والتشريعية والأعمال التى قامت بها إسرائيل بما فى ذلك مصادرة الأراضى والأملاك التى من شأنها أن تؤدى إلى تغيير الوضع القانونى للقدس هى اجراءات باطلة ، وبالإضافة إلى ذلك فقد أصدر مجلس الأمن طائفة من القرارات تتعلق بالقدس ، كان من أهمها القرار ٦٧٢ فى أكتوبر ١٩٩٠ بإدانة إسرائيل بالإجماع لارتكابها أعمال عنف ضد الفلسطينيين فى ساحة المسجد الأقصى فى ٨/ ١٠/ ٩٠ ، وقد طالب هذا القرار إسرائيل بصفتها " قوة احتلال " بالوفاء بمسئولياتها القانونية المقررة بموجب اتفاقية جنيف الرابعة ، ودعا السكرتير العام للأمم المتحدة إلى إرسال جمعية تقصى حقائق للمنطقة ، وعندما رفضت إسرائيل تنفيذ القرار أصدر المجلس قراراً آخر برقم ٦٧٣ ، صدر بالاجماع فى ٢٤/ ١٠/ ٩٠ أكد فيه المجلس إصراره على أن تمتثل إسرائيل لقرار المجلس السابق رقم ٦٧٢ ، ونخلص من ذلك أن الشرعية الدولية من خلال قرارات الجمعية العامة ومجلس الأمن تؤكد على الموقف القانونى الدولى للقدس ، كما تعتبر القدس الشرقية أرضاً محتلة يجب إعادتها للسيادة العربية ، وذلك بشكل واضح ولا يحتمل الغموض .

وعلى الجانب الإسرائيلى فقد قامت إسرائيل خلال حرب ١٩٤٨ باحتلال القطاع الغربى من القدس (القدس الجديدة) ورغم قرارات الأمم المتحدة أعلنت إسرائيل فى ١١/ ١٢/ ١٩٤٩ ، القدس عاصمة رسمية لها بدلاً من تل أبيب ، وافق الكنيست فى ٢٣/ ١/ ١٩٥٠ على إعلان القدس عاصمة دائمة لاسرائيل ولحق أهم تطور بوضع المدينة المقدسة عندما تمكنت إسرائيل من احتلال القدس الشرقية فى ٧/ ٦/ ١٩٦٧ ، وقامت فور احتلالها باتخاذ إجراءات من شأنها تغيير الطابع العمرانى لمدينة القدس وتكوينها الديموجرافى وهيكلها العام ، وذلك عن طريق إقامة طوق من المستعمرات حول المدينة ومصادرة الأراضى العربية ، وتعريض المقدسات الاسلامية للانتهاك أكثر من مرة ، وكذلك المقدسات المسيحية .

وتماشياً مع الأهداف التوسعية لإسرائيل والرغبة فى فرض أمر واقع جديد ، فقد أعلنت الحكومة الإسرائيلية فى ديسمبر ١٩٧٤ ، عن مشروع القدس الكبرى الذى تضمن توسيع حدود القدس لتنضم إليها ثلاث مدن و٢٧ قرية عربية ، وقد تمخضت هذه السياسات فيما بعد عن اصدار الكنيست قانون فى ٣٠/ ٧/ ١٩٨٠ باعتبار القدس الموحدة عاصمة أبدية لإسرائيل ، ومن الناحية السكانية أشارت المصادر الاسرائيلية فى يوليو ١٩٩٣ إلى أن القدس الشرقية أصبحت تضم ١٥٨ ألف يهودى فى مقابل ١٥٥ ألف عربى ، وأن اليهود أصبحوا يشكلون ٧٣٪ من سكان شطرى القدس ، ويمثل العرب ٢٧٪ فقط من إجمالى سكان المدينة ولذلك فالسؤال المهم الآن هو : أين تقع القدس من عملية التسوية الراهنة ؟

لقد دخلت الأطراف المشاركة إلى مؤتمر مدريد ، وقد غابت مسألة القدس عن الوثائق الداعية إلى المؤتمر ، إذ لم يرد لها ذكر فى كلمتى راعيى المؤتمر وكانت إسرائيل قد أصرت على أن يكون التمثيل الفلسطينى فى مدريد من بين أهالى الضفة الغربية وقطاع غزة فقط ، دون القدس الشرقية ، وذلك تأكيداً على موقفها بأن القدس الموحدة هى العاصمة الأبدية لإسرائيل وأنها غير قابلة للتقسيم ، وأن هذه المسألة غير مطروحة للتفاوض وتجدر الإشارة إلى أن هذا الرأى يعبر عن موقف مشترك ، سواء فى تكتل الليكود أو تخالف العمل ، واللافت للنظر أنه حتى فى ذروة تصاعد الإنتفاضة الفلسطينية

فى الأراضى المحتلة ، فإن كافة مشروعات التسوية التى طرحت من الجانب الإسرائيلى كمبادرات لم تشتمل أى منها على أى بند يتعلق بمناقشة الوضع فى القدس ، باعتبارها خارج نطاق التفاوض ، إلا أن الجانب الفلسطينى كان قد تلقى رسالة تأكيدات من الولايات المتحدة عشية مؤتمر مدريد ، والتى جاء فى بعض بنودها المتعلقة بالقدس مايلى:

- إن ما يقوم به الفلسطينيون لاختيار أعضاء وفدهم فى هذه المرحلة لن يؤثر على مطالبتهم بالقدس الشرقية ولن يضر أو يشكل سابقة لما ستفضى إليه المفاوضات ولهذا لا نعترف بضم إسرائيل للقدس الشرقية ، أو التوسع فى حدودها البلدية ، ونشجع الأطراف على تجنب الإجراءات من جانب واحد ، والتى تزيد من حدة التوتر المحلى أو تصعب المفاوضات .

- بإمكان سكان القدس الشرقية والفلسطينيين خارج الأراضى المحتلة الذين تنطبق عليهم المقاييس الثلاثة ، المشاركة فى المفاوضات حول الوضع النهائى ، وتساند الولايات المتحدة حق الفلسطينيين فى طرح أية مسألة بما فى ذلك القدس الشرقية على طاولة المفاوضات .

- إن الفلسطينيين أحرار فى الدعوة إلى الحل الذى يعتقدون أنه الأفضل بالنسبة لهم .

ومن قراءة هذه البنود يتبين أن ما هدفت إليه رسالة التطمينات الأمريكية للجانب الفلسطينى ، كان فقط لتسهل عملية الجلوس إلى المفاوضات على أمل أن تؤدى هذه العملية إلى تقريب مواقف الأطراف ، وتقديم التنازلات المتبادلة ، خاصة وأن جوهر الموقف الأمريكى من القدس يقوم فى إجماله على عدم الإعتراف بالاجراءات التى اتخذتها إسرائيل مع التمسك بأن القدس يجب أن تظل دون تقسيم ، على أن يتقرر وضعها النهائى عن طريق المفاوضات .

وعندما طرح الوفد الفلسطينى إلى المفاوضات بعض هذه التأكيدات وطالب بمناقشة الموضوعات الواردة فيها ذكر " الياكيم روبنشتاين " رئيس الوفد الإسرائيلى إلى المحادثات مع الوفد الأردنى - الفلسطينى ، " لقد تلقيتم ذلك من الأمريكيين ، لكن الأمر لا يلزمنا ، ونحن لم نتلق ذلك من الولايات المتحدة " .

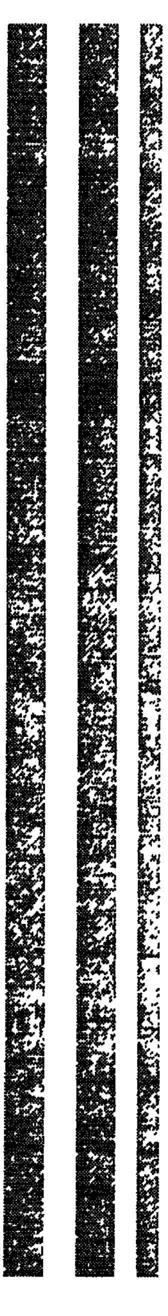
وعلى ذلك يمكن القول أن الجانب الفلسطينى ، ومن خلفه الموقف العربى فى مفاوضات القدس ، لا يستند إلى تأييد قوى من الراعى الأمريكى لعملية التسوية ، بقدر ما يستند إلى حقه الطبيعى ومقررات القانون الدولى والأمم المتحدة بالإضافة إلى قدرته على التفاوض وعلى استظهار القوى المعنوية الهائلة التى يمكن له أن يحشدها خلف موقف صلب بشأن التفريط بالقدس .

وفيما يتعلق بسير المفاوضات التى انطلقت من مدريد ، فقد حاول الجانب الفلسطينى أن يعدل صيغة مدريد التى تم القبول بها كأساس للمشاركة ، رغم افتقادها للحد الأدنى بالنسبة إلى مسألة القدس ، وتعد الأزمة التى حدثت فى بدء المفاوضات المتعددة فى موسكو فى يناير ١٩٩٣ ، مثالاً واضحاً للتكتيك الفلسطينى الرامى إلى إدخال أعضاء فى الوفود الفلسطينية ينتمون إلى القدس ، حيث تقرر أن يكون الوفد الفلسطينى ممثلاً للداخل والخارج والقدس ، وأعلن الفلسطينيون أن هذه مسألة ضرورية لتأكيد وحدة الشعب الفلسطينى بكل فئاته وأن القدس جزء لا يتجزأ من الأراضى الفلسطينية المحتلة ، وذلك على أساس أن المفاوضات المتعددة لا تناقش مسائل مثل الحكم الذاتى أو الإنسحاب أو الإستيطان ، وإنما تناقش المسألة المتعلقة باللاجئين والمياة والحد من التسليح ومن ثم فليس من المقبول استبعاد ٦٠٪ تقريباً من الشعب الفلسطينى من هذه العملية ، وأن على الإدارة الأمريكية أن تلتزم برسالة التطمينات فيما يتعلق بمشاركة فلسطينى الخارج والقدس فى الحل النهائى ، وفى مرحلة تالية كانت مشاركة فيصل الحسينى – وهو من أبناء القدس – فى مفاوضات الجولة التاسعة فى مايو ١٩٩٣ ، من بين الأحداث التى استقطبت الاهتمام ، حيث راجت بعض التحليلات حول الموقف الإسرائيلى من المشاركة المقدسة فى المفاوضات ، وما إذا كانت ارهاصاً لتعديل فى المواقف الاسرائيلية تجاه إدراج مسألة القدس ، فقبيل إفتتاح هذه الجولة كانت أزمة المبعدين وما أحاط بها من تفاعلات داخلية وإقليمية ودولية قد سيطرت على أجواء التسوية وبدأت تمثل محدداً جديداً يؤثر على مواقف الوفود ولذا تم إجراء صفقة أمريكية لتجاوز هذه العقبة تضمنت أربع نقاط ، كان من بينها إشراك فيصل الحسينى فى الوفد حيث توقعت الإدارة الأمريكية أن يؤمن الحسينى رئاسة قوية ومتماسكة للوفد الفلسطينى من خلال الرصيد النضالى لأسرته ، والذى يمكن توظيفه فى تسهيل المهمة التفاوضية فى وجة دعوات حماس والجهاد للمقاطعة ، ورغم موافقة رئيس الوزراء الراحل رابين على هذا التعديل إلا أن شمون بيريز وزير الخارجية أكد أن هذا لن يكون له أى أثر على تغيير وضع القدس ، خصوصاً أن فيصل الحسينى مثل

حنان عشراوى " وسرى نسيبه " له عنوان آخر فى مكان آخر فى الضفة الغربية ، ويبدو أن الموافقة الإسرائيلية على مشاركة الحسينى قد هدفت إلى تقديم تنازل شكلى من خلال الرؤية الإسرائيلية التقليدية أى الاعتراف للسكان بحقهم فى إدارة مناطقهم دون الإعتراف لهم بالسيادة عليها ، الأمر الذى يفتح الباب لاحقاً أمام احتمال طرح حلول إدارية لمسألة القدس على شاكلة القبول بمجلسين بلديين منفصلين يعملان فى إطار مدينة موحدة تحت السيادة الإسرائيلية وهو التصور الذى يحاول رئيس بلدية القدس " تيدى كوليك " ، تسويقه منذ سنوات تحت عنوان " التشارك فى القدس " .

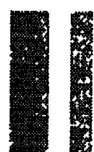
ومن بين التصورات المطروحة ، التصور الذى طرحة عدنان أبو عوده عندما كان رئيساً للديوان الملكى الأردنى فى أبريل ١٩٩٢ ، وهو " أن الأجزاء الواقعة شرقى القدس يمكن أن توضع تحت العلم الفلسطينى ، وتسمى القدس ، بينما توضع المناطق الغربية تحت العلم الإسرائيلى وتسمى " أورشليم " على أن يعمل فى المدينة المقدسة مجلس يمثل الهيئات المختلفة للديانات الثلاث ويحق بموجب هذا الاقتراح لسكان المدينة العرب إنتخاب ممثلين عنهم للمؤسسات الفلسطينية ، بينما يعد سكان المدينة اليهود فى عداد الإسرائيليين ويشاركون فى الإنتخابات الإسرائيلية " ورغم نفى رئيس الوفد الأردنى في المفاوضات أن هذا الإقتراح يمثل وجهة النظر الأردنية ، إلا أنه يمكن اعتباره تصوراً غير رسمى .. وقد أشارت بعض الأنباء إلى وجود مشروع أمريكى - فلسطينى مشترك حول وضع القدس ، وأن هذا المشروع فى طور الإكتمال وينص على إبقاء مدينة القدس الكبرى موحدة ، على أن يتم تشكيل مجلس بلدى فلسطينى يهودى مشترك ، وتشكيل مجلس بلدى عربى فى القدس الشرقية وآخر إسرائيلى فى القدس الغربية وينص المشروع كذلك على تشكيل إدارة من ممثلى الديانات السماوية الثلاث لإدارة القدس القديمة حيث توجد المقدسات الإسلامية والمسيحية واليهودية على ألا تخضع المدينة القديمة لسلطة أى من الجانبين الفلسطينى أو الاسرائيلى ، إن الموقف بشأن القدس موقف دقيق ، وأى تفريط فى الحق العربى فى القدس الشرقية ، سيكون غير مقبول لدى العالمين العربى و الإسلامى ، ومن ثم فإنه من الضرورى الإصرار على هذا الحق بكافة الوسائل الممكنة وحشد كل الطاقات فى الطريق إلى القدس .

* * *



د . حسن وجيه

الأستاذ بجامعة الأزهر والمحاضر بالجامعة الأمريكية بالقاهرة

إعادة بناء هياكل التفاوض !

إحدى مباريات إدارة الصراع الممتد الراهنة فى منطقتنا على وجه الخصوص هى مباراة تعتمد على بنوك البيانات ـــ المعلومات الدقيقة الخاصة بقوة فعل ما يتم رصده فى علاقة الأطراف ورد الفعل تجاهه على مدى الصراع ، وهو الأمر الذى يعطى مؤشراً بالتحرك فى اتجاه ما من عدمه وبصفة مستمرة فى محاولة لسعى الأطراف لتحقيق أجندتها الإستراتيجية ، وهذه المباراة تمارس من الأطراف بنسب مختلفة حسب الأهداف الاستراتيجية لكل طرف وتستخدم بكثافة وبشكل خاص عندما يكون نوع التفاوض الذى يريد ممارسته طرف ما هو من قبيل محاولة إعادة هيكلة المواقف التفاوضية وإدخال شكل جديد أو أشكال جديدة عملية أو تغييرها بشكل رئيسى وهو ذلك النوع الذى قد تمارس معه القوة المسلحة واستراتيجيات الإكراه والإجبار فى العملية التفاوضية .. أى فى إطار شكل من أشكال فرض الإرادة التى يسعى طرف فيها لتحقيق أهدافه على حساب الآخرين .

والفرق الأساسى فى منطلقات استخدام الطرفين العربى والإسرائيلى لهذا النوع من التفاوض على مدى الصراع هو فرق كبير وجوهرى ، فلقد استخدمته إسرائيل منذ زرعها فى هذه المنطقة لتحقيق أحلام إسرائيل الكبرى والتوسع على حساب العرب وأرضهم ومقدساتهم .

ولقد مارست مصر والدول العربية هذا النوع من التفاوض فى عدة مواقف حاسمة من تاريخ الصراع ولكن من منطلق الحقوق المشروعة وكانت البداية القريبة وبعد إحباط مؤامرة العدوان الثلاثى على مصر تتمثل فى حرب رمضان اكتوبر ١٩٧٣ حيث حطمنا نظرية الأمن الإسرائيلية ونظرية أن تفرض علينا إسرائيل الأمر الواقع وأن تجبرنا على التسليم به .

نعم .. لقد كان التحرك فى ذلك الوقت يدخل فى إطار ممارسة مفهوم التفاوض من أجل إعادة هيكلة الموقف التفاوضى برمته ، وإن كان ضد رغبة الوفاق الدولى فى ذلك الوقت .. ولكنه كان فى إطار الشرعية الدولية واسترداد الحقوق المشروعة .

لقد نجحنا فى ممارسة هذا النوع الخاص من التفاوض فى ذلك الوقت وكذلك فيما تلى عام ١٩٧٣ من أحداث هامة حيث نجحت الدبلوماسية المصرية فيما يلى :

١- إعادة هيكلة الموقف العربى حيث تم الخروج من مأزق محاولة عزل مصر عن وطنها العربى وعودتها لقيادة الصف العربى وتجنب مزيد من الكوارث إذا ما كان لهذا الوضع الشاذ أن يستمر .. واليوم تتمسك مصر وبثبات وحكمة بمواقف عديدة فى مجابهة تتعرض فيها لصنوف عديدة من الضغوط الهدف منها مزيد من تمزيق الوطن العربى والعلاقات العربية .

٢- إعادة هيكلة المواقف التفاوضية فى العلاقات مع الغرب خاصة وأن أهداف الخصوم كانت ولا تزال هى تمزيق أى علاقة قوية بين مصر والعالم العربى والغرب . لجحت الدبلوماسية المصرية فى تحويل " الرفض العربى " لعملية السلام إلى اللحاق بمسيرة السلام من منطلق الإيمان بأن مسيرة السلام العادل هى أنسب الطرق لتحقيق الأهداف الإستراتيجية ولكنها ما لبثت أن واجهت ما عرف " بالرفض الاسرائيلى" الصريح فيما قبل والمقنع اليوم للسلام " العادل " وهو الأمر الذى لا نزال فى مواجهة ساخنة معه وهو الذى تجلى وبوضوح ومنذ بداية عملية السلام فى أعمال استفزازية

للغاية من قبيل ممارسة تفاوض إعادة هيكلة المواقف بما يتمشى مع أجندة عدوانية على الشرعية والحقوق وتتجسد فيما يلى :

١- تهويد القدس إلى أن أصبحت مساحة المدينة اليوم ٧٠ ك . م بعد أن كانت ٦,٥ ك .م وبها ٦٠ ألف يهودى و ١٥ مستوطنة و ٣٠ ألف وحدة سكنية لليهود مقابل ٥٥٥ للفلسطينيين .

٢- مجزرة الحرم الإبراهيمى .

٣- غزو لبنان فى يوليو ٩٣ وإلى ما شابه ذلك من أفعال مشابهة بعد الإعلان عن بداية " مسيرة السلام " أما اليوم فنحن بصدد مصادرة جديدة من قبل إسرائيل لـ ٥٣ هتكاراً من أراضى القدس .. مع قرار فيتو أمريكى لإصدار قرار إدانة من مجلس الأمن (ليضاف إلى حوالى ٤٠ قراراً أصدروا ضد إسرائيل ولم ينفذوا) مع تقديم مشروع قرار من الجمهوريين بنقل السفارة الأمريكية للقدس .. كل ذلك قد أحدث ردود فعل عديدة منها ما هو داخل إسرائيل ومنها على الصعيد العربى الإسلامى ومنها على الصعيد الدولى .

ولقد كان نتيجة محصلة ردود الفعل هذه " تجميد " قرار المصادرة الإسرائيلية وقد يبدو للمحلل أن هذا " التجميد " هو نوع من التراجع الإسرائيلى وهو كذلك فى شكله .. إلا أنه قد يكون - وهذا هو التفسير الأقوى - بأنه تكتيك لامتصاص ردود الفعل ثم معاودة إعادة هيكلة الموقف التفاوضى برمته فيما يتعلق بوضع القدس وتهويدها تماماً وكذلك بالشكل النهائى لعملية السلام ككل .

إن ما يحدث اليوم لهو وبلاشك نتيجة لخلل قائم فى ميزان القوى وأن عناصر التوجه لإعادة هيكلة الموقف التفاوضى لصالح أجندة إسرائيل العدوانية وإفراغ السلام الإيجابى من جوهره باتت تتمثل فى العناصر التالية :

١- إنفراد إسرائيل بالقوة النووية .

٢- إحكام القبضة على مقدرات صنع القرار الأمريكى وبشكل صارخ بعد أن أصبح فى

صالح الخط الصهيونى الراعى لمصالح اسرائيل وليس لعملية السلام ووجود ضعف كبير فى صفوف الخط الأمريكى الآخر والمجابه له فى الإدارة الأمريكية.

وللتدليل على ذلك لا يوجد أقوى من مثال تقلب وضع ومواقف سيناتور مثل بوب دول الذى كان حليفاً للعرب بمفردات السياسة الأمريكية ومعادياً لإسرائيل كما ورد فى مقال التايم الأخير بعنوان " تحرك غير دبلوماسى " حيث وصف موقف دول بأنه يمثل صورة صارخة لبيع المواقف وتغييرها ١٨٠ درجة .. فهو المؤيد سابقاً للعرب والمتقدم حالياً بمشروع قرار لنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى " القدس عاصمة إسرائيل الموحدة والأبدية " (التايم ٢٢/ ٥/ ٩٥) .

٣- إن من العناصر التى ساهمت فى إضافة قوة كبيرة للغاية لعناصر إعادة هيكلة المواقف التفاوضية لصالح المنطلقات العدوانية الإسرائيلية هو الخصم المضاعف من قوة العرب بالزج بهم فى معركتين لاطائل منهما ــ وقبولهم المخزى بهذا " الزج " ــ وذلك على حدودهم الشرقية حيث كانت المعركة الأولى متمثلة فى الحرب الإيرانية العراقية والثانية أم " الكوارث " بعد غزو العراق للكويت ١٩٩٠.

إن ما نخلص إليه فى سياق أزمة القدس هو بالرغم من الخلل القائم إلا أنه قد أوضح أموراً هامة مثل :

١- أن رد الفعل على المستوى الرسمى العربى وعلى مستوى الشارع العربى الإسلامى كان قوياً وخلق شعوراً لدى كل من إسرائيل وأمريكا بسوء تقديراتهم لهذا الوضع .

٢- أن العرب حينما ذهبوا لمجلس الأمن لإدانة القرار الإسرائيلى بضم أرض جديدة فى القدس - وعلى حد وصف المصادر الإسرائيلية - قد دفع إسرائيل للتشدد وعقاب التمرد العربى بالإصرار على الموقف وحث أمريكيين على استخدام الفيتو .. إلا أن الطرف العربى لم ينته به المطاف عند ذلك وأعلن عن عقد القمة التى كانت سترد على الفيتو وعلى القرار الإسرائيلى بشكل آخر وربما كانت ستصل إلى تجميد المفاوضات .

٣- إن الصراع داخل إسرائيل معقد وغير أخلاقى .. وأن إسرائيل قررت التراجع لحسابات داخلية لها مغزاها لتدير الصراع العربى .. كما أنها حسبت مجموع ردود الأفعال فتراجعت وأفقدت أمريكا مصداقيتها .

٤- إن اسرائيل والتى يتباهى رؤساء وزرائها بحجم وعدد الدول العربية التى أصبح لها علاقة مع إسرائيل تعى جيداً ــ ورغم الغطرسة التى تمارس وتبدو معها أنها لا تعبأ بالسلام ــ أن تدمير عملية السلام وفشلها سيأتى بخسارة بالغة على إسرائيل والتى حذر وزير خارجيتها من كارثة أن تفقد إسرائيل فرصة اغتنام السلام المتاحة وإعاقة سيناريوهات " إعادة هيكلة المواقف التفاوضية " لصالح اجندة التوسع الإسرائيلى من ناحية أو عناصر قيامنا نحن بتشكيل هياكل التفاوض المبنية على احترام جوهر السلام العادل وإجبار إسرائيل عليه حتى نسترد حقوقنا الشرعية من خلاله خاصة فيما يتعلق بالقدس .. ولا ينبغى أن يتمثل فى حجم ردود أفعالنا ، مهما كانت قوية .

فردود الأفعال لها قوة محدودة مهما بلغت ولا تتمشى مع مبادئ وقواعد نوع التفاوض الذى نحن بصدده فى مباراة إدارة الصراع الراهنة والممتدة .. فهو ليس " تفاوض التمديد الأوتوماتيكى والتنفيذ لقرارات مجلس الأمن .. " وهو ليس " تفاوض التطبيع " وهو ليس تفاوض " إحداث آثار مرحلية وقتية " وبالطبع ليس هو " تفاوض استكشاف " .

هو إذن ليس أى نوع من هذه الأنواع ومن الخطأ أن نفتقد التوجه والتعامل مع نوع التفاوض الذى فرض نفسه وهو نوع " إعادة هيكلة المواقف ذاتها " والذى ذكرنا حيثياته ومعطياته ومتطلباته فهو إذن هذا النوع الذى لا يجدى معه الإنشغال بالأنواع الأخرى أو إنفعال البعض المحاصر فكرياً وجغرافياً من أعدوا بضعة آلاف فى مسيرة لتحرير القدس .

إن الأمر يكمن فى قدرات التفاوض من أجل إعادة هيكلة المواقف التفاوضية والمبادأة لصالح أجندة السلام العادل وإحباط الأجندة التى تستبيح حقوقنا المشروعة وهو الأمر الذى يستلزم المزيد من حشد كافة الطاقات العربية والاسلامية بهدف الفعل الإيجابى لتعظيم القدرة على التحرك بروح الفريق داخلياً وخارجياً ، وهذا يتطلب ما هو أبعد من فكرة التوصيات والإنفعال والمناشدة والغضب والإدانة والإندهاش وإلى ما شابه ذلك من

أفعــال لن تجدى بل العــمل على توظيف مــداخل تفاعل تقنيــة عديدة ومناسـبة على كـافة أصعدة تعظيم القدرات الفعلية والمؤثرة واللازمة لصيـاغة هياكل التفاوض التى تتيح تنفيذ مطالب السلام العادل .. على الصعيدين الدولى والداخلى .

وهذا النوع من العمل هو الذى نسعى إليه .

وهو لا يزال بحاجـة إلى جهود أعظم فى ممارساتنا على الصـعيد الجمـاعى العربى الإسلامى على وجه الخصوص فهو الأمر الذى أصبح لا غنى عنه خاصة فى ظل الأوضاع غيـر المتكافئـة التى تشهـدها ساحـة الصراع وفى ظل منطلقـات حضـارية عمـيقـة الجذور يفرضها نظام قيمنا الأصيل .

نحن نمثل حـضارة تنطلق من فكر إنسـانى يؤمن بالكرامة والمنعـة والعزة ورد كـيد المعتدين وكـذلك بأخوة وإفشاء السلم والتـعايش الإيجابى مع الآخرين وعدم جـواز نفيه، أى وبتعبير آخر .. نحن ننطلق ثقافياً وحـضارياً طبقاً لنظام قيمنا الأصيل من منطلق المباراة غير الصـفرية وعلينا أن نفرض مـعطياتها للصالح الإنسـانى ، ولكن تكمن المشكلة فى أنه من المتـعين علينا أن نسـتخـدمها فى إدارة صـراع شرس تؤمن أطرافـه الأخرى بمنطـلقات المباراة الصفرية واستباحة حقوقنا الشرعية .

ولكن هذا هو قدرنا وهذه هى المعـادلات التى ينبغى أن نتعامل معـها بكل ما نملك من طاقـات واسلوب عـمل مبتكر لا يعـرف اليـأس علـى كـافـة الأصـعـدة .. والله هو الغالب وهو المستعان سبحانه .

* * *



د . محمد شومـان

الأستاذ بجامعة المنيا

الجامعة العربية والحل المنتظر

أولت الجامعة العربية منذ تأسيسها عام ١٩٤٥ مدينة القدس عناية خاصة وذلك ضمن اهتمامها بالقضية الفلسطينية فتابعت ما تقوم به إسرائيل من عمليات تهويد المدينة والاعتداء على عروبتها وسعت فى كافة المحافل الدولية والإقليمية إلى فضح سياسة إسرائيل ضد الحقوق العربية والإسلامية الثابتة فى القدس والتى تتعارض مع القانون الدولى وقرارات الأمم المتحدة ودعت للحفاظ على عروبة القدس وحقوق الشعب الفلسطينى ، كما قدمت فى ضوء امكانياتها المتاحة ، من خلال المنظمات والهيئات العربية التابعة لها مساعدات عديدة وفنية لتوثيق وصيانة الآثار العربية والإسلامية فى القدس .

لكن حصاد ما قامت به الجامعة العربية لم ينجح فى وقف سياسة إسرائيل العدوانية تجاه القدس ، كما لم يتبلور فى إستراتيجية عربية واضحة وثابتة لإنقاذ القدس ، إذ بقيت مواقف وسياسات الجامعة العربية مجرد ردود أفعال على ما تقوم به إسرائيل ، لم ترتق إلى إتخاذ مبادرات عربية وإسلامية للدفاع عن القدس أو حتى ربط مسار التسوية بقضية القدس من هنا فقد نصت إتفاقية غزة - أريحا على تأجيل النظر فى وضع القدس إلى أن تدخل المفاوضات المرحلة النهائية ، كذلك تعثرت أعمال اللجنة العليا للقدس المنبثقة عن المؤتمر الإسلامى والتى حددت استراتيجية للعمل على استعادة القدس وإنشاء وكالة الإنقاذ الإسلامية على غرار الوكالة اليهودية .

وحتى لا نظلم دور الجامعة العربية فى الدفاع عن عروبة القدس فمن المهم أن نشير

إلى أن الجامعة العربية تتحرك فى إطار هامش ضيق يعبر عن مواقف وسياسات الدول الأعضاء فى الجامعة وقد تعرض هذا الهامش لإضطرابات وتحولات نتيجة كامب ديفيد ومعاهدة السلام بين مصر وإسرائيل ، ثم انهيار التضامن العربى بعد أزمة الخليج الثانية ، الذى أفضى إلى دخول العرب منفردين فى مفاوضات سلام مع إسرائيل تمخضت عن إتفاق غزة - أريحا ، ثم الاتفاق الأردنى - الإسرائيلى والذين لم يربطا بوضوح بين استرداد القدس وتحقيق السلام ، بل سمحا لإسرائيل باللعب بورقة القدس للإيقاع بين الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية .

فى هذا السياق كان من الصعب على الجامعة العربية أو لجنة القدس تقديم مساعدة جادة وفاعلة لحماية الحقوق العربية والإسلامية فى القدس خاصة وأن انهيار التضامن العربى تزامن مع تحولات دولية وإقليمية دعمت من دور الولايات المتحدة فى قيادة النظام الدولى ومن توجهات إدارة الرئيس كلينتون وأعضاء الكونجرس للاعتراف بالقدس عاصمة موحدة لإسرائيل .

إن دور وفاعلية الجامعة العربية يرتبط أساساً بمدى قوة التضامن العربى ، وبإرادة الدول الأعضاء فيها لمنحها دوراً أكبر فى عملية السلام ، وفى الدفاع عن عروبة القدس ، أى أن فاعلية الجامعة العربية هى مجرد تحصيل حاصل لمجمل الأوضاع العربية ، وبالتالى من الصعب إلقاء كل المسئولية على الجامعة العربية التى لم يتسن لها حتى الآن ، وبعد مرور نصف قرن على تأسيسها تعديل الميثاق وأنظمة عملها حتى يصبح من الممكن استصدار قرارات بأغلبية الأعضاء وليس باتفاق كل الأعضاء .

إن النظرة الموضوعية تحتم علينا تقييم دور الجامعة فى ضوء إمكانياتها المتاحة والأوضاع العربية والدولية التى تعمل فيها ، فى هذه الحدود يمكن القول أن الجامعة العربية قدمت الكثير لقضية القدس سواء فى المحافل الدولية والإقليمية أو الفاتيكان ومجلس الكنائس العالمى ، أو حركة عدم الإنحياز .

إن المطلوب عربياً وإسلامياً الآن هو بلورة إستراتيجية مشتركة قادرة على الرد العملى ضد قرارات إسرائيل لتهويد القدس ، وضد أى دولة تعترف بالقدس عاصمة لإسرائيل ، ولاشك أن الجامعة العربية قادرة على المساهمة فى وضع مثل هذه الإستراتيجية وتنفيذها جنباً إلى جنب مع منظمة المؤتمر الإسلامى ولجنة القدس ، فهل نشهد إنطلاق هذه الاستراتيجية أم نكتفى بالإجتماعات والمباحثات وإصدار البيانات ، بينما إسرائيل تسير قدماً على طريق إبتلاع القدس ونفى عروبتها .. نأمل أن تكون قمة المغرب بداية للتضامن العربى ولدعم دور الجامعة العربية ، ولانتهاج استراتيجية شاملة للدفاع عن عروبة القدس .

***

أحمد نافع

الكاتب والمحلل السياسى بجريدة " الأهرام "

القدس ومستقبل السلام

تعمد حكومة إسرائيل بين وقت وآخر إلى محاولة زرع اليأس فى نفوس العرب من حل قضية القدس بما يتفق مع وجهة النظر الغربية ، وذلك بإطلاق التصريحات بأن القدس الموحدة تحت السيادة الإسرائيلية ستبقى عاصمة أبدية للدولة العبرية وكان آخر ما ظهر فى هذا الصدد دعوة إسرائيل العرب إلى التوقف عن المطالبة بالقدس الشرقية "العربية " متناسين أن وضع المدينة المقدسة على رأس القضايا التى تم الإتفاق على التفاوض بشأنها فى مفاوضات الحل النهائى (التى تبدأ عام ١٩٩٦) . وهى المفاوضات التى سيتقرر فيها مصير الشعب الفلسطينى وفقاً لمبادئ الشرعية الدولية .

على أن التصريحات رغم إظهارها لنوايا الجانب الإسرائيلى ، ليست هى الأمر المهم فى الموضوع ، ففى كل مفاوضات تلجأ الأطراف المشاركة فيها إلى التعبير عن مواقفها ، مثلما تلجأ إلى استخدام ما يمكن تسميته بالمؤثرات النفسية على الطرف المفاوض ، ولكن الذى يعنينا هنا هو مسلك إسرائيل المخالف للإتفاق الموقع بينها وبين منظمة التحرير الفلسطينية . فقد نص إتفاق أوسلو على عدم قيام أى من الجانبين بأى عمل من شأنه التأثير على الوضع النهائى للقدس قبل بدء المفاوضات المتعلقة بذلك ، ولكن إسرائيل فى كل خطواتها – وخاصة فى تأكيد سيادتها على القدس الشرقية – تواصل

سياسة التهويد فى الوقت الذى تجرى فيه المحادثات المستمرة للتوصل إلى تسوية سلمية تتفق مع الأسس التى انطلقت منها عملية مدريد .

وأخطر ما تنفذه حكومة إسرائيل حالياً هو مواصلة " الاستيطان " وفق خطط تضمن أغلبية يهودية فى الجانب الشرقى من القدس الأمر الذى يعقد من التفاوض بشأنها بعد عامين من الآن ونتيجة لهذه الخطط أصبح الفلسطينيون أقلية ، فقد كان عددهم فى العام الماضى ١٥٥ ألفاً مقابل ١٦٠ ألف إسرائيلى ، وزاد على ذلك أن اسرائيل تمكنت منذ احتلالها للجزء العربى من المدينة من إبعاد أكثر من ٣٠٪ من سكانها الأصليين ، الذين تعيش أكثريتهم فى خيام بالمناطق المحيطة بالقدس الشرقية . كما صادرت إسرائيل منذ عام ١٩٦٧ ثلث مساحة المنطقة العربية من القدس وخصصتها لليهود وحدهم ، وأدت مشروعات الإسكان الإسرائيلية إلى تغيير الطابع المعمارى فى المدينة التى لم يسمح للفلسطينيين فيها إلا ببناء ٤٢٥ وحدة سكنية فقط بالقدس الشرقية طوال فترة الإحتلال .

وأدت السياسة الإسرائيلية فى هذا المجال إلى ظهور مفهوم " القدس الكبرى " الذى عملت لجنة وزارية على بلورته ووضع خطط تنفيذه لعرضها على مجلس الوزراء لإقرارها ، وتحاط هذه الخطط حالياً بسرية تامة بالنظر إلى انعكاساتها على مفاوضات التسوية السلمية على نحو ما ذكرت صحيفة " جيروزاليم بوست " الإسرائيلية . وقد ذكرت الصحيفة أن الإقتراحات المتعلقة بمنطقة القدس الكبرى ، التى تحدها من الشمال رام الله ومن الجنوب بيت لحم ، وتتضمن معالية أوميم شرقاً وبيت شمس غرباً ، تركز حول إنشاء طريقين يربطان الشاطئ بالقدس .

وقالت الصحيفة الاسرائيلية إن الطريق الأول " رقم ٤٥ " الذى ينتظر له أن يعبر القدس من الشمال هو الأكثر إثارة للجدل لأنه سيمر فى مناطق من المتوقع أن تخضع للسلطة الفلسطينية ، وسيبدأ من منطقة تل أبيب ويعبر مطار بن جوريون ويتجه جنوباً نحو القدس وعلى مسافة قريبة قبل رام الله ويتوقع أن يوفر هذا الطريق مجالاً ممتازاً للحركة

التجارية من وإلى القدس ورام الله والمجتمعات العربية واليهودية فى المنطقة أما الطريق الثانى " رقم ٣٩ " فيتوقع أن يبدأ من أسدود ويمر جنوب بيت شمس وتزور هداسا ويدخل القدس من الجنوب الغربى ، وسيكون الطريق كله داخل الخط الأخضر ، وسيستفيد منه – طبقاً لما نشرته جيروزالم بوست – سكان بيت شمس التى تتوسع بشكل ملحوظ ، ويمنحهم إمكانية الوصول بسهولة إلى القدس ، كما يتوقع نفس التوسع لتزور هداسا .

وقالت جيروزاليم بوست إن المتوقع حصول ردود فعل فلسطينية للخطة بسبب التغييرات التى تتطلبها فى مناطق عبر الخط الأخضر والمنتظر وقوعها تحت السيطرة الفلسطينية ثم أضافت : " أنه إذا ما تم تقديم الخطة بشكل صحيح من قبل الحكومة بصفتها راعية للإسرائيليين والفلسطينيين ، فقد يتم اقناع القيادة الفسلطينية بأهميتها ! .. ونقلت الصحيفة الإسرائيلية عن مصادرها قولهم : " إن هذا سيكون الامتحان الرئيسى حول ما إذا كان السلام حقيقيا ، وما إذا كان هناك تعاون حقيقى " !

وواضح أن مفهوم القدس الكبرى – وفقا للتصورات الإسرائيلية – برز بقصد أحكام الحصار حول الجزء العربى من المدينة ووضع المفاوض الفلسطينى بعد عامين ، أمام تعقيدات الأمر الواقع ، ولم يخف معظم المسئولين هذا التفسير فى إشاراتهم إلى ما يدبر للقدس العربية ، وبخاصة لليهود " أولمرت" رئيس البلدية الذى ذكر أنه " سيقوم بتوسيع القدس شرقاً وليس إلى الغرب ، وأنه سيجرى تغييرات على الأرض تضمن بقاء المدينة موحدة وتحت سيطرة إسرائيل إلى الأبد " .

وعندما نتحدث عن " الحصار " فإننا نذكر الحقيقة التى لامراء فيها فقد كان ذلك هو الذى حدث منذ احتلال إسرائيل للقدس العربية فى يونية عام ١٩٦٧ ، حيث بدأت حكومة تل أبيب خطواتها المتسارعة بعزل القدس عن الضفة الغربية ومحاولة إلحاق الجزء العربى بالإقتصاد الإسرائيلى . وقد جرت أكبر عمليات التهويد منذ عام ١٩٨٠ عندما

وافق الكنيست على قانون " توحيد القدس وجعلها عاصمة لإسرائيل " وهو القانون الذى لم تعترف به معظم دول العالم ، واعتبره مجلس الأمن رقم ٤٨٧ لسنة ١٩٨٠ باطلاً ولا وجود له . ولكن إسرائيل مع ذلك مضت فى خطتها التى أدت إلى جعل القرى العربية فى ضواحى المدينة مناطق منعزلة ، وأصبحت أجزاء منها داخل الضفة الغربية وأجزاء أخرى خارجها ، وفقدت قرى كثيرة بعض أراضيها الزراعية الخصبة التى شملتها فيما بعد قرارات المصادرة .

وكانت أكثر خطط الحصار إحكاماً هى محاولة تحقيق التحام شطرى القدس من خلال إزالة المنطقة العازلة بينهما وإحاطة القسم العربى من المدينة بأحياء متعددة أنشئت فوق رؤوس التلال والوديان . واستهدفت هذه الخطط تقسيم الضفة الغربية إلى شقين منفصلين جغرافياً وديمغرافياً ، بتكثيف الاستيطان لزيادة عدد اليهود فى المنطقة .

والواقع أن خطط التهويد وتفصيلاتها متشعبة ، لكن ماظهر منها يكفى للتدليل على خطورة المسألة وضرورة التحرك عربياً وإسلامياً ودولياً لوقف كل الممارسات التى تستهدف فرض واقع معين يتنافى مع أحكام إتفاق أوسلو ويتناقض مع المبادئ التى انطلقت على أساسها عملية التسوية السلمية فى مدريد عام ١٩٩١ . ويبدو وقف الممارسات الإسرائيلية الراهنة فى القدس مسألة ضرورية لسلامة المفاوضات ووصولها إلى غايتها المنشودة ، وهى تحقيق تسوية سلمية شاملة يكتب لها البقاء ، وتفتح صفحات جديدة من الإستقرار والتنمية فى الشرق الأوسط ومن المتوقع أن تنطلق خطط التحرك الجديدة من إجتماع لجنة القدس .

وأول ما يعنيه التحرك الجديد هو التأكيد على مفهوم " القدس الشرقية " باعتبارها جزء لا يتجزأ من الضفة الغربية المحتلة ، وهذا هو ما أكدته الشرعية الدولية فى كل القرارات التى صدرت عن مجلس الأمن والتوصيات التى أقرتها الجمعية العامة للأمم المتحدة . وتقضى أحكام الشرعية الدولية بأن القدس العربية ينطبق عليها قرار مجلس

الأمن رقم ٢٤٢ الذى أرسى أسس التسوية السلمية ، ونص على انسحاب قوات إسرائيل من جميع الأراضى التى احتلتها فى يونيو عام ١٩٦٧ ، كما تقضى بحق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره وإقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس الشريف . كذلك تقضى أحكام الشرعية بأن يبحث موضوع القدس ضمن مفاوضات الحل النهائى الذى يجرى بعد سنتين من تطبيق الحكم الذاتى وبأنه لا يحق لأى طرف فرض أمر واقع يوثر على هذه المفاوضات .

وثانى التوجهات فى التحرك الجديد يتعلق بالموقف الأمريكى باعتبارها راعية لعملية التسوية السلمية وشريكة فيها عند الإقتضاء ، فهذا الموقف كان له دور يذكر فى عدم التأييد العالمى لقرار إسرائيل ضم القدس وإحجام الدول عن نقل سفاراتها إلى المدينة المقدسة . كما كان لأمريكا تفسير للقرار ٢٤٢ مؤداه أن الإنسحاب يشمل جميع الأراضى المحتلة وبينها القدس التى هى جزء لا يتجزأ من الضفة الغربية ، ولكن هذا الموقف الأمريكى يلفه الضباب حالياً على نحو ما ظهر أخيراً فى الأمم المتحدة . فقد أظهرت الولايات المتحدة ميلاً إلى عدم تأكيد القرارات الدولية التى تتناول قضايا السيادة الفلسطينية على القدس وإحتلال إسرائيل للأراضى العربية ، بحجة أن عملية التسوية السلمية جارية ولا ينبغى التأثير عليها .

وثالث التوجهات فى التحرك الجديد يتعلق بالموقف الإسرائيلى نفسه ، من منطلق أن الحرص على مواصلة العملية السلمية بمختلف مراحلها يتطلب الإلتزام الدقيق بإتفاق أوسلو وبمرجعية العملية نفسها . كما يراعى هذا التحرك التطلع إلى شرق أوسط جديد فى ظل السلام الحقيقى وهذا يستدعى إشراك المجتمع الدولى الذى يساهم فى العملية عن طريق المفاوضات الموازية " المتعددة الأطراف " فى تصحيح مسار العملية السلمية بين وقت وآخر . وبلغة أخرى يتعين إفهام إسرائيل بوضوح لا لبس فيه أن الطريق إلى السلام يمر عبر القدس ، وأن التطبيع الذى تنشده إسرائيل والتعاون الإقتصادى الذى تريده لا يتحققان بغير الحل الصحيح لقضية القدس العربية.

ورابع التوجهات فى التحرك الجديد يستهدف إزالة الفجوة بين الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية ، التى نشأت نتيجة ما تضمنه إعلان واشنطن الذى وقعه الملك حسين وإسحق رابين من " موافقة إسرائيل على إعطاء أولوية كبرى لدور الأردن التاريخى حيال الأماكن المقدسة فى المفاوضات الخاصة بالوضع النهائى للقدس " فبالرغم مما أوضحه الأردن فيما بعد أن رعايته للأماكن المقدسة مستمرة إلى حين يتسلمها الفلسطينيون فيما بعد ، إلا أن المخاوف استبدت بالقيادة الفلسطينية نتيجة التفسير الإسرائيلى الذى يريد الإيحاء بأن المفاوضات المقبلة بشأن القدس ستركز على موضوع المقدسات وتتجاهل المسألة بوصفها قضية سياسية كما تتجاهل أنها مدينة محتلة .

وفى انتظار خطط التحرك العربى الإسلامى الجديد ، بشأن القدس ، فإننا نتوقع فى الوقت نفسه تصحيحاً لمسارات التفاوض العربى - الإسرائيلى حتى لا تتعثر المسيرة السلمية .. وسيؤدى هذا التحرك إلى إقناع إسرائيل بأن سياستها لاتزال عاجزة عن الوفاء بمتطلبات السلام ، وأنها مالم تتغير تجاه القدس ، فإن النتيجة ستكون انهيار الحلم الإسرائيلى قبل أى شيء آخر .

* * *

السفير / سعيد كمال

رئيس إدارة فلسطين بالجامعة العربية

المطلوب إنسحاب إسرائيل

الوثيقة الصادرة من جهات مسئولة ومراكز بحوث إسرائيلية تنفى أن القدس عاصمة موحدة إسرائيلية .. وتؤكد أنها جزء من الأراضى المحتلة .. وبالتالى لا يحق لإسرائيل أن تزعم لنفسها أى حقوق تاريخية أو سياسية ، وإسرائيل ستستمر فى تكرار أن القدس عاصمة أبدية ولكنها وقعت فى وثيقة إتفاق المبادئ على أن القدس بند من بنود التفاوض ، فإسرائيل تريد أن تدفع القدس إلى ما بعد إنتخابات ١٩٩٦ .

ولن أستبق الزمن بالحديث عن مصير القدس ، فالقدس بالنسبة لى وللجامعة العربية والأمم المتحدة أرضٍ فلسطينية يجب الإنسحاب منها بموجب القرار ٢٤٢ وهناك خطاب حصلت عليه منظمة التحرير الفلسطينية فى إتفاق أوسلو من إسرائيل يقول أن إسرائيل تلتزم عدم المساس بهوية القدس من جميع النواحى على أساس أنها مؤجلة إلى المرحلة الأخيرة .. وفلسطين يعنيها القدس كأرض وليس كولاية دينية ، وإسرائيل فى هذا الوقت - كما يقول أمين عام جامعة الدول العربية - لا تنشئ مقابل ثغر واقفاً إلى حين استعادة القدس العربية وهى لها مكانة مرموقة لدى الدول الإسلامية والمسيحية ، وحكومة إسرائيل سواء من الليكود أو العمل تتقيد بما التزمت به الحكومة السابقة والتصريحات غير المسئولة لايمكن أن نعتد بها أو نعترف بمشروعيتها أو بمصداقيتها وصحتها والقرارات التى أصدرتها الأمم المتحدة بخصوص القضية الفلسطينية تعطى لمدينة القدس أهمية خاصة باعتبارها جزءا من الضفة الغربية ، والضفة جزء من الأراضى الفلسطينية المتفق على استعادتها كاملة ضمن المرحلة الثانية من مفاوضات الحكم الذاتى بين الجانبين الإسرائيلى والفلسطينى .

والمزاعم الإسرائيلية من أن مدينة القدس عاصمة موحدة للدولة الإسرائيلية عملية للضغط ولممارسة شروط جديدة تصعّب أو تعوق العملية السلمية ، فإسرائيل تعرف جيداً أن القدس أرض فلسطينية محتلة ، ولهذا السبب تحاول التسويف والتقليل من هذا الحق سواء بما نراه من عمليات توسيع للمستوطنات والمستعمرات الإسرائيلية أو بما نلاحظه من عمليات تهويد للمناطق العربية المعروفة بتراثها وهويتها العربية والإسلامية داخل مدينة القدس الشرقية المحتلة ، وفى جميع الأحوال فالقضية هى إحدى الثوابت الفلسطينية التى لا يمكن التنازل عنها لأن القدس هى عاصمة لدولة فلسطين المستقلة .

وبلاشك أن إسرائيل تريد تحقيق مكاسب من عملية السلام وترى أنه بمصادرة أراضى القدس يمكنها الحصول على مكاسب ، وإسرائيل تضع خطوات لتهويد القدس والسلطات المتعاقبة استطاعت خلق واقع جغرافى وسكانى فى القدس الشرقية ، واستطاعت أن تقفز بالسكان اليهود فى القدس من صفر عام ١٩٦٧ إلى ١٦٠ ألف عام ١٩٩٣ وشكلوا لأول مرة أغلبية يهودية فى الجزء الشرقى من المدينة وإسرائيل لا تسمح بالبناء على أكثر من ٥٦% من مساحة الأرض بالنسبة للسكان العرب من خلال خطط وزارة السكان بينما تسمح بالبناء لليهود فى أى مكان ، وأنه من خلال مخططات الإسكان الإسرائيلية جرى تقسيم القرى العربية بالقدس وأحاطوها بالمستعمرات من جميع النواحى وإنهاء وجودها وتحويلها إلى أبنية موزعة وبعيدة إضافة إلى تدميرها وربطها بالسوق الإسرائيلى .. وكان من نتيجة ذلك أن أصبحت القدس واقعة تحت السيطرة الإسرائيلية ولم يعد يتبقى للعرب سوى ٤% من مساحتها.

وقضية القدس ستحل بالإنسحاب الإسرائيلى منها باعتبارها من الأراضى الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ وكل ما تفعله وتصرح به بشأن القدس مراوغة سياسية ، وفى النهاية ستعمل على حل المستوطنات وستترك القدس لأهلها وما سيتم التفاوض حولها ليست القدس الشرقية التى تقع شرقى حدود خط الهدنة إنما القدس بكاملها .. ولا يوجد إقرار على مستوى المجتمع الدولى بما قامت به إسرائيل فى غرب القدس.

* * *

المراجع

أولا : الكتب :

- القرآن الكريم .
- أبو القاسم على بن الحسن بن هبه الله بن عساكر (ت ٥٧١ هـ) - التاريخ الكبير - دمشق - د.ت .
- أبو جعفر بن جرير الطبرى (ت ٢٨٤هـ) - تاريخ الأمم والملوك - لندن - ١٨٨٣ م.
- أبو عبد الله العماد الأصبهانى (ت ٥٩٧ هـ) - الفتح القسى فى الفتح القدسى - القاهرة .
- ادوارد سعيد - الاستشراق - المعرفة ، السلطة ، الانشاء - مؤسسة الأبحاث العربية - بيروت - ١٩٨١ .
- أسعد رزق - اسرائيل الكبرى - مركز الابحاث / منظمة التحرير الفلسطينية - بيروت - ١٩٦٨ .
- أسفار العهد القديم .
- الأمير جمال الدين بن تغرى بردى - النجوم الزاهرة فى أخبار مصر القاهرة - طبعت الأجزاء التسعة منه فى القاهرة ما بين عامى ١٩٣١ و ١٩٤٢ .
- باسيل نقولا خنروفو (ترجمة حنا سمارة) - كلام فى وصف الأرض المقدسة - د . ت - د . ط .

- تقى الدين المقريزى (ت ٨٤٥ هـ) - السلوك لمعرفة دول الملوك - ط القاهرة .
- توفيق الانصارى - مناسك القدس الشريف - المطبعة العثمانية - استنبول ١٣٣٢ هـ .
- حسين عمر حماده - آثار فلسطين - الطبعة الأولى - دار قتيبة - دمشق - ١٩٨٣ .
- حكومة فلسطين - الكتاب الابيض رقم (٣٢٢٩) - د. ت .
- انه خليل بن خطار سركيس - تاريخ اورشليم - ط بيروت - ١٨٧٤ م .
- خليل طوطح - تاريخ فلسطين - مطبعة بيت المقدس - القدس - - ١٩٢٣ .
- روحى الخطيب : تهويد القدس - أمانة القدس - مطبعة التوفيق عمان - الاردن - ١٩٧١ .
- روحى الخطيب : المسجد الأقصى تحت الحظر - فلسطين الثورة (العدد السنوى) بيروت - ١٩٨٢ .
- روحي الخطيب - تهويد القدس - (بحث) - موسوعة فلسطين - طـ منظمة التحرير الفلسطينية .
- د . سالم الكسوانى - وضع القدس فى المحافل العربية والاسلامية - (بحث) - موسوعة فلسطين - طـ منظمة التحرير الفلسطينية .
- سعيد عمارة - النظام الاقتصادى فى فلسطين - ط بيروت - ١٩٣٩ .
- د . سيد فرج راشد - القدس عربية اسلامية - دار المريخ للنشر - الرياض - ١٩٨٦ .
- عارف باشا العارف - تاريخ القدس - الطبعة الثانية - دار المعارف - القاهرة ١٩٩٤ .
- عباس محمود العقاد - الثقافة العربية من ثقافة اليونان والعبريين - المكتبة الثقافية - العدد رقم (١) - القاهرة ١٩٥٩ .
- عبد الحميد السايح - ماذا بعد إحراق المسجد الأقصى ؟ - دار الشعب - القاهرة - ١٩٧٠ .

- د . عبد الفتاح أبو عليه ، د. عبد الحليم عويس - بيت المقدس فى ضوء الحق والتاريخ - دار المريخ - القاهرة - ١٩٨١ .
- كامل العسلى - أجدادنا فى ثرى بيت المقدس - المجمع الملكى لبحوث الحضارة الاسلامية - عمان - ١٩٨١ .
- كامل العسلى - معاهد العلم فى بيت المقدس - جمعية عمان - المطابع التعاونية بعمان - الأردن - ١٩٨١ .
- كامل العسلى - القدس عربياً واسلامياً عبر التاريخ (بحث) - موسوعة فلسطين- ط منظمة التحرير الفلسطينية .
- كيث ماجواير - تهويد القدس (الخطوات الاسرائيلية للاستيلاء على القدس) مركز الدراسات العربية لندن ودار الآفاق الجديدة - بيروت - ١٩٨١ .
- محمد العامرى - عروبة فلسطين فى التاريخ - المكتبة العصرية - صيدا - ١٩٧٢ .
- محمد بن عمر الواقدى (ت ٢٠٧ هـ) - فتوح الشام - القاهرة - د . ت .
- محمد فريد وجدى - دائرة معارف وجدى - دائرة معارف القرن العشرين - القاهرة - ١٣٤١ هـ .
- مجموعة باحثين - الدولة الفلسطينية : حدودها ومعطياتها وسكانها - معهد البحوث والدراسات العربية - القاهرة - د. ت.
- نقولا وشحاده خورى - تاريخ كنيسة أورشليم الارثوذكسية - بيت المقدس ١٩٢٥ .
- وليم أولبرايت - آثار فلسطين - المجلس الاعلى للشئون الاسلامية - القاهرة- ١٩٧١.
- ياقوت بن عبد الله ياقوت الحموى (ت ٦٢٦ هـ) - معجم البلدان - ط ألمانيا ١٨٦٦ م .
- يوسف الحاج - هيكل سليمان - ط بيروت - ١٩٣٤ .

ثانيا : المجلات والصحف

(أ) المجلات :

- " الهلال " - القاهرية - ع فبراير ١٩٩٦ .
- " الفيصل " - السعودية - ع فبراير / مارس ١٩٩٦ .
- " صامد " - عمّان / لبنان - ع آذار / نيسان ١٩٨٤ ، ع آب / زيول ١٩٩١ .
- " العربي " - الكويت - ع أيار / مايو ١٩٨٢ .
- " الموقف العربى " قبرص - ع ١٩ / ١٠ / ١٩٨١ .
- " شؤون عربية " - جامعة الدول العربية - ديسمبر ١٩٨٦ .
- " منبر الاسلام " - القاهرة - اكتوبر / نوفمبر ١٩٩٦ .
- " الدراسات الفلسطينية " - بيروت - ربيع ١٩٩٤ .
- " الوسط " - لندن - ع ٢/ ٥ / ٩٤ ، ٤/٩/٤ / ٤ / ٩٤
- " الوحدة" - المغرب - ع ديسمبر ١٩٩١.

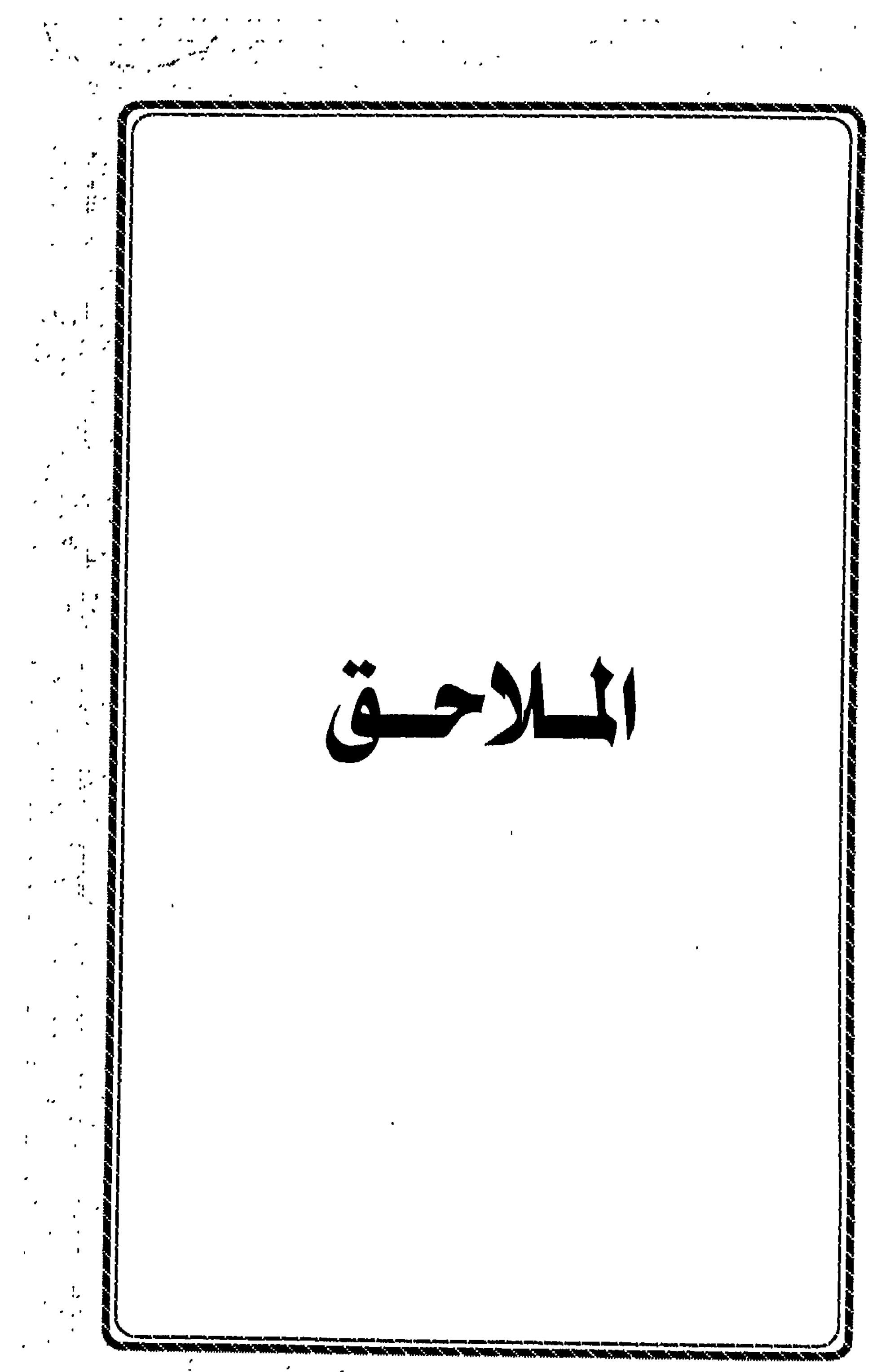
(ب) الصحف :

- " العالم الاسلامي " رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة - ع ١٤٧٥ ، ١٤٧٦ ، ١٤٧٧ ، ١٤٧٨ ، ١٤٧٩ .
- " السفير " - لبنان - ع ٢٦ / ٨ / ١٩٨١ ، ٢ / ٩ / ١٩٨١ .
- " النهار " - لبنان - ع ٢٢ / ٨ / ١٩٨٢ .
- " القدس " - لندن - ع ٣/ ١٠ / ١٩٩٦ .
- " القدس " - القدس - ع ٦ / ٣/ ١٩٧٤ ، ١٤ / ٥ / ١٩٨٦ .
- " الاتحاد " - الامارات العربية المتحدة - ع ١/ ١٠ / ١٩٩٦ ، ٥ / ١٠ / ١٩٩٦ .
- " الشرق الأوسط " - لندن - ع ١٦ / ١١ / ١٩٩٦ .

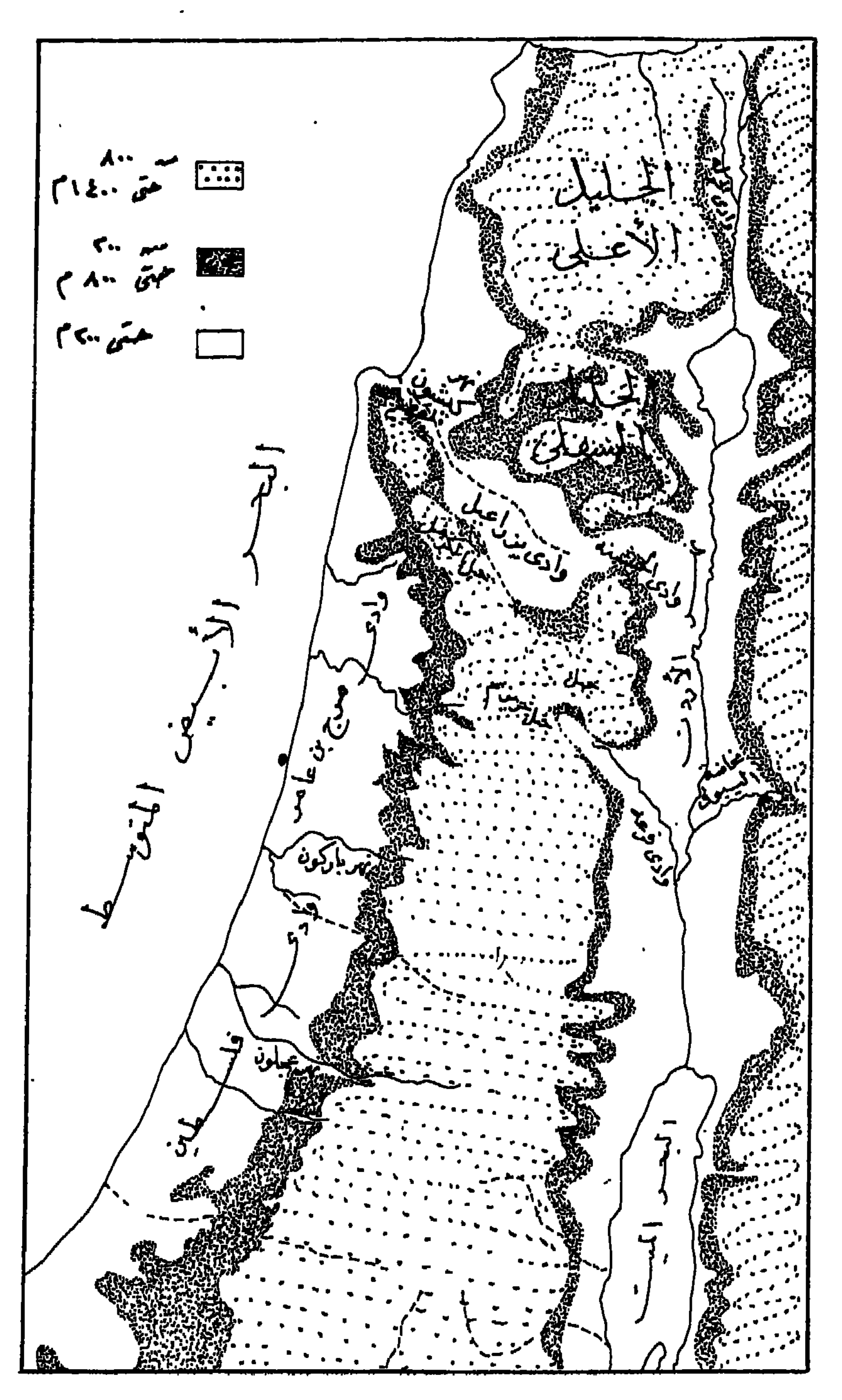
- " الطليعة " - القدس - ع ١٧ / ٦ / ١٩٨٢ .
- " صوت الأرض المقدسة " - القدس - ع ٣٠ ، ٣٢ ، ٧٧، ٩٨ .
- " الأخبار " - مصر - ع٢٦ / ٣ / ١٩٦٩

ثالثا : تقارير ووثائق وقرارات :

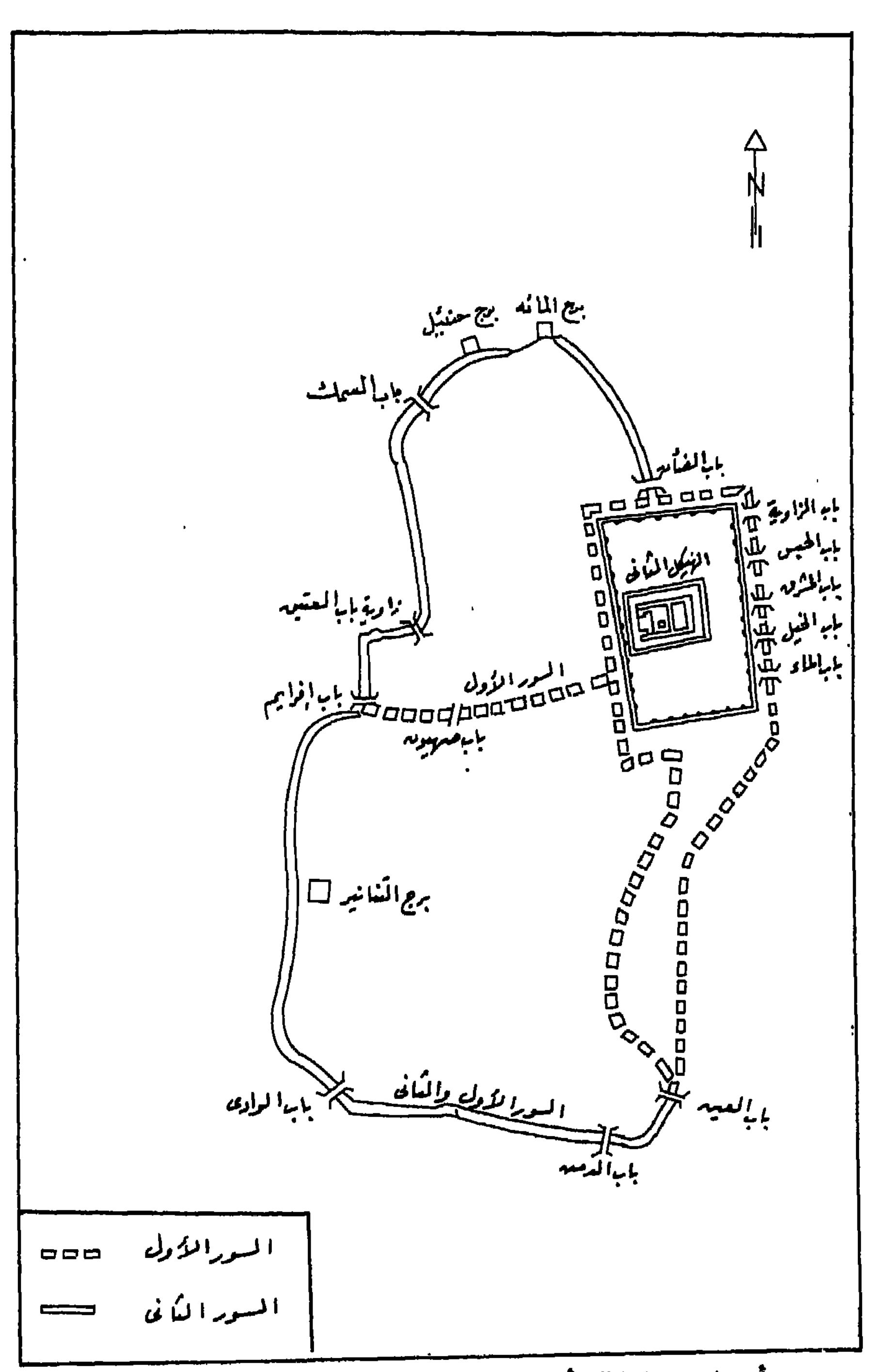
- قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين والصراع العربى - الإسرائيلى ١٩٤٧ - ١٩٧٤ ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية - بيروت ، ومركز الوثائق والدراسات - أبو ظبى ، بيروت ١٩٧٥ .
- الأرض المقدسة : موسوعة تبحث فى القضية الفلسطينية منذ اقدم عصورها حتى الوقت الحاضر ، منشورات رابطة المدرسين بدمشق ، المكتبة الهاشمية بدمشق .
- ملف القدس ١٩٧٧ : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الكسو) .
- الوقائع الفلسطينية : جدول المواقع التاريخية والأبنية الأثرية ، حكومة الانتداب الانكليزى ، القدس ١٩٤٤ .
- تقرير أمانة القدس حول مواصلة سلطات الاحتلال العسكرى الاسرائيلى اعتداءاتها لتغير اوضاع مدينة القدس خلافاً لقرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولى ومنظمة اليونسكو ، اعداد روحى الخطيب ، أمين القدس ، عمان ١٩٧٦ .



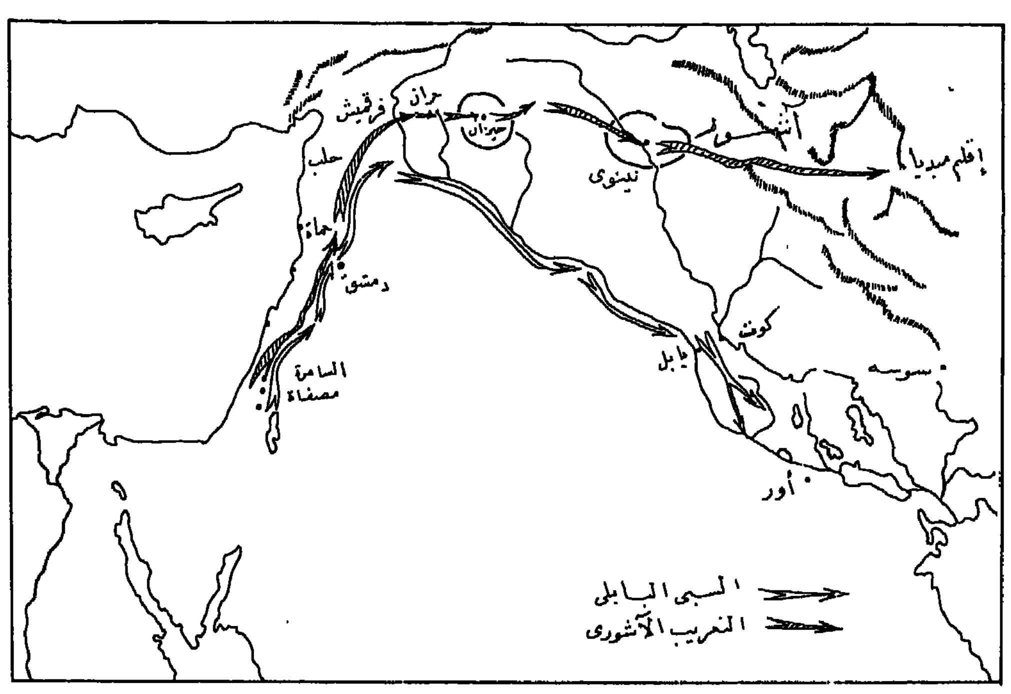
الملاحق



تضاريس فلسطين

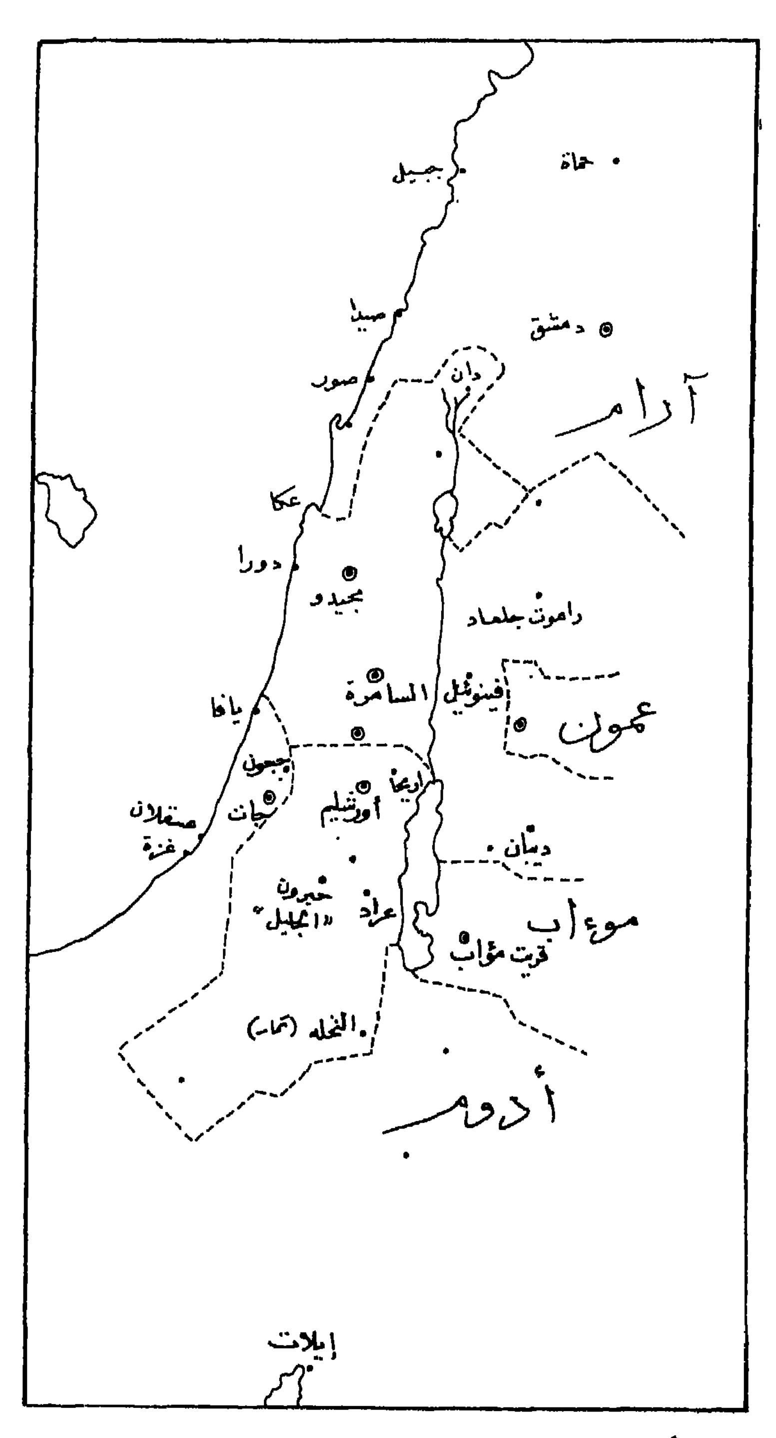


أسوار وبوابات وأبراج القدس فى بداية العصر الرومانى

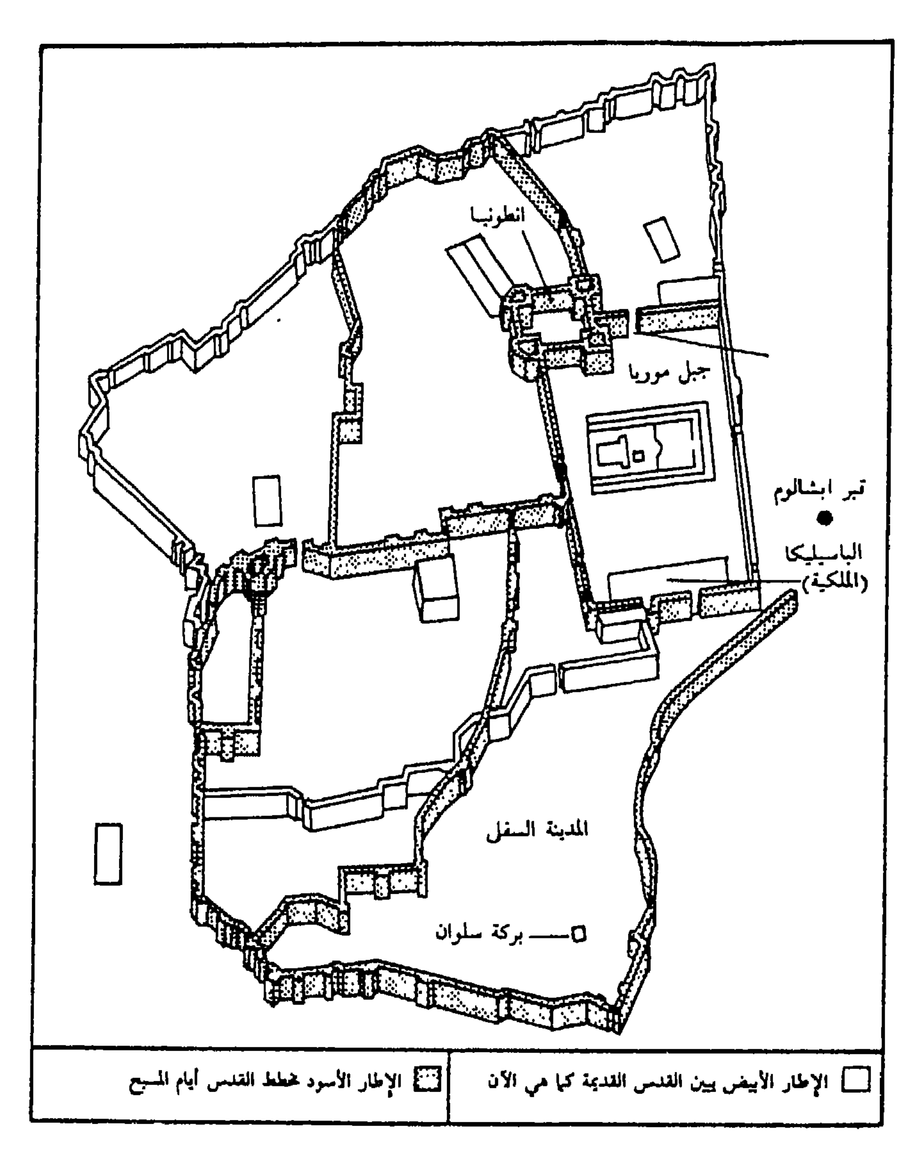


التغريب الآشوري لمملكة اسرائيل ـ ٧٢٢ ق.م والسبي البابلي لمملكة يهوذا ومناطق النفي

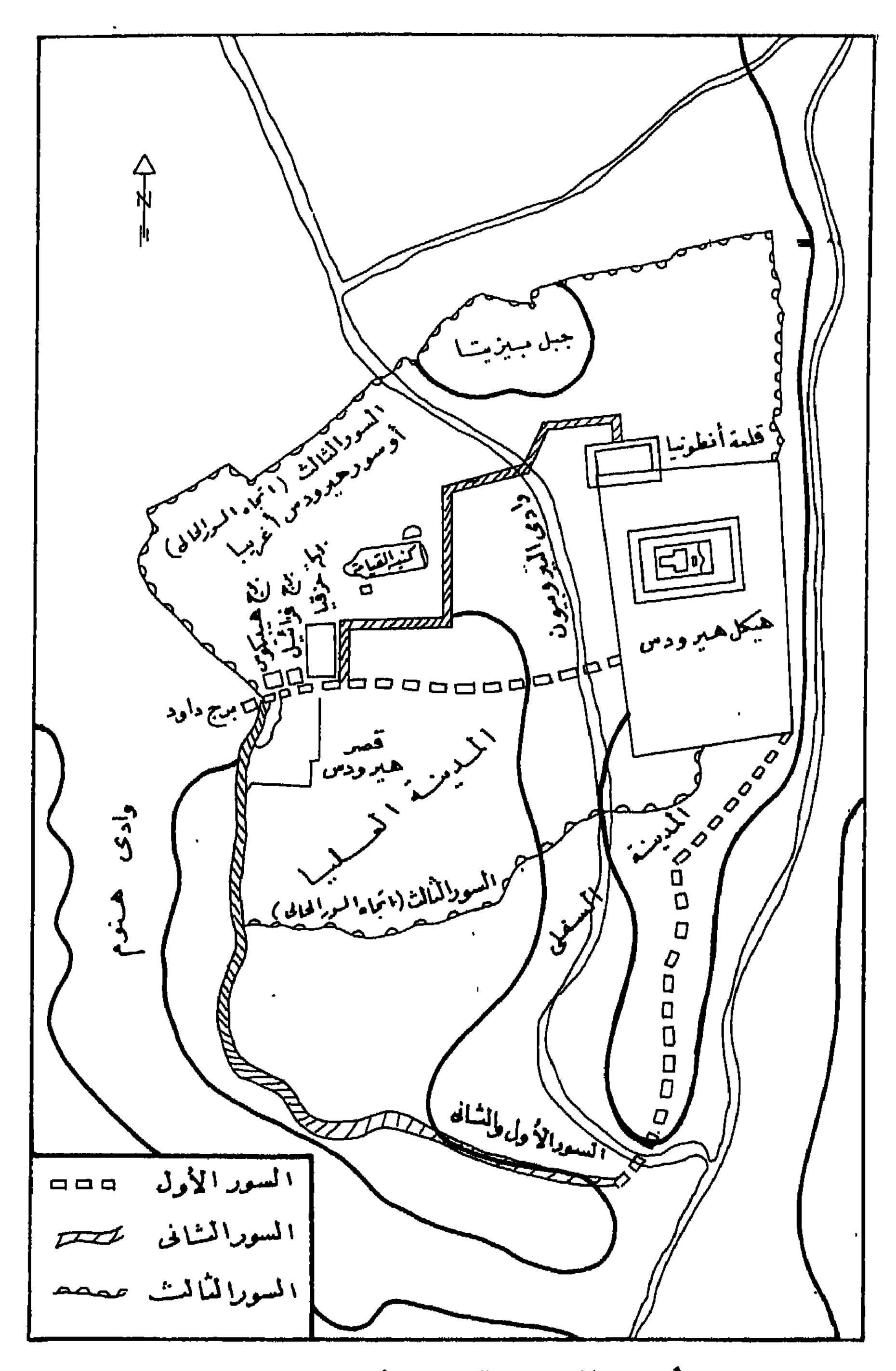
التغريب الآشورى والسبي البابلى لمملكة يهوذا ٧٢٢ ق.م



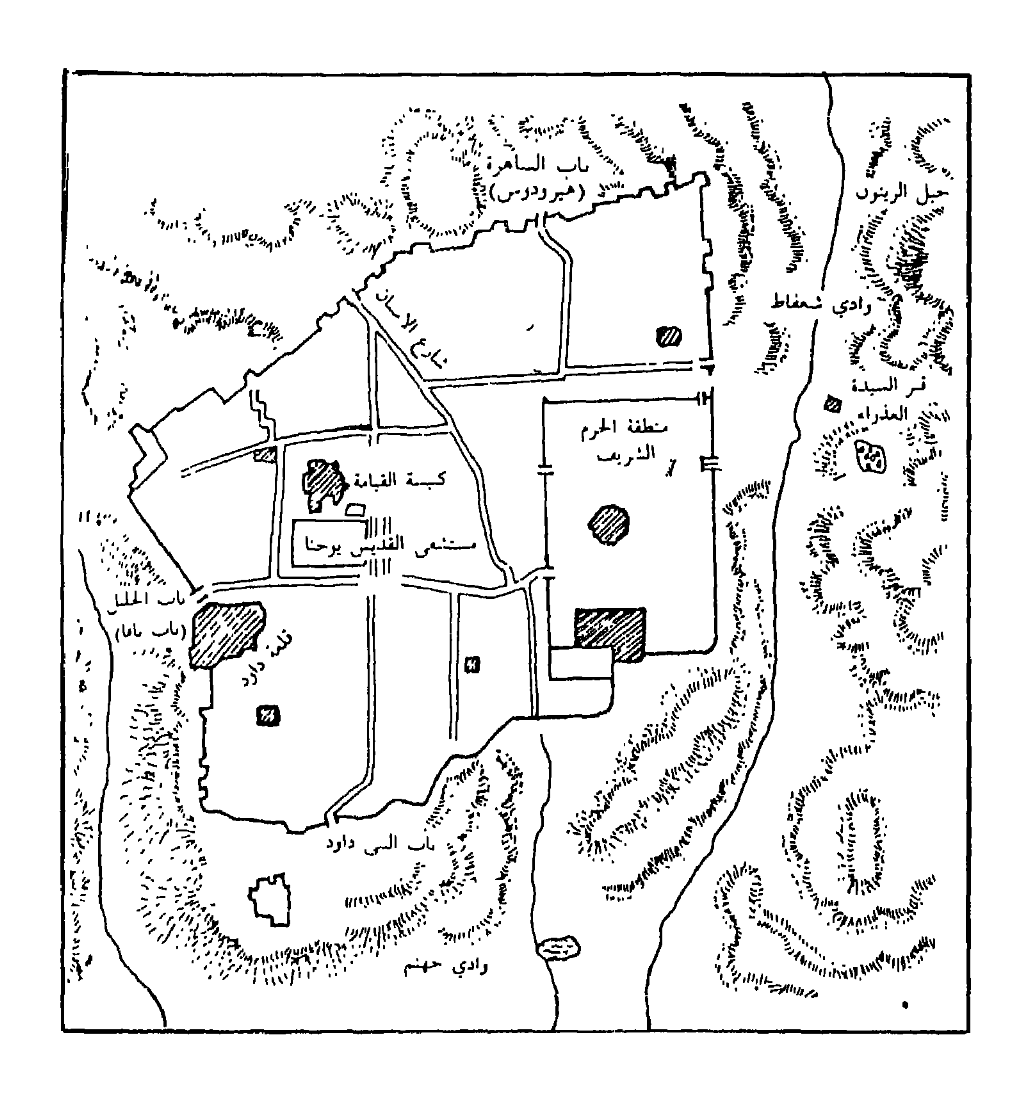
أهم المدن الفلسطينية فى القرن الثامن ق . م



القدس فى عهد السيد المسيح



أسوار القدس وقلاعها وأبراجها عام ٧٠ م



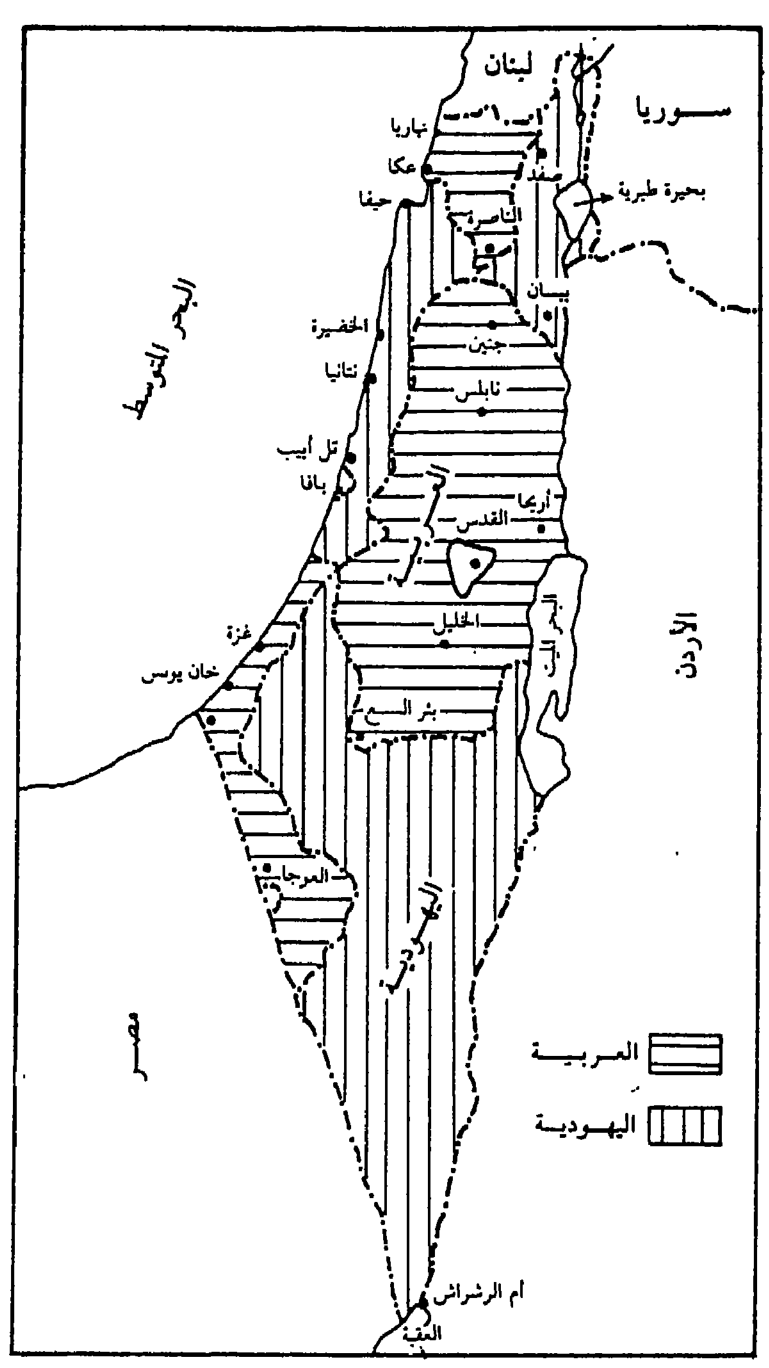
القدس فى القرن الثانى عشر الميلادى



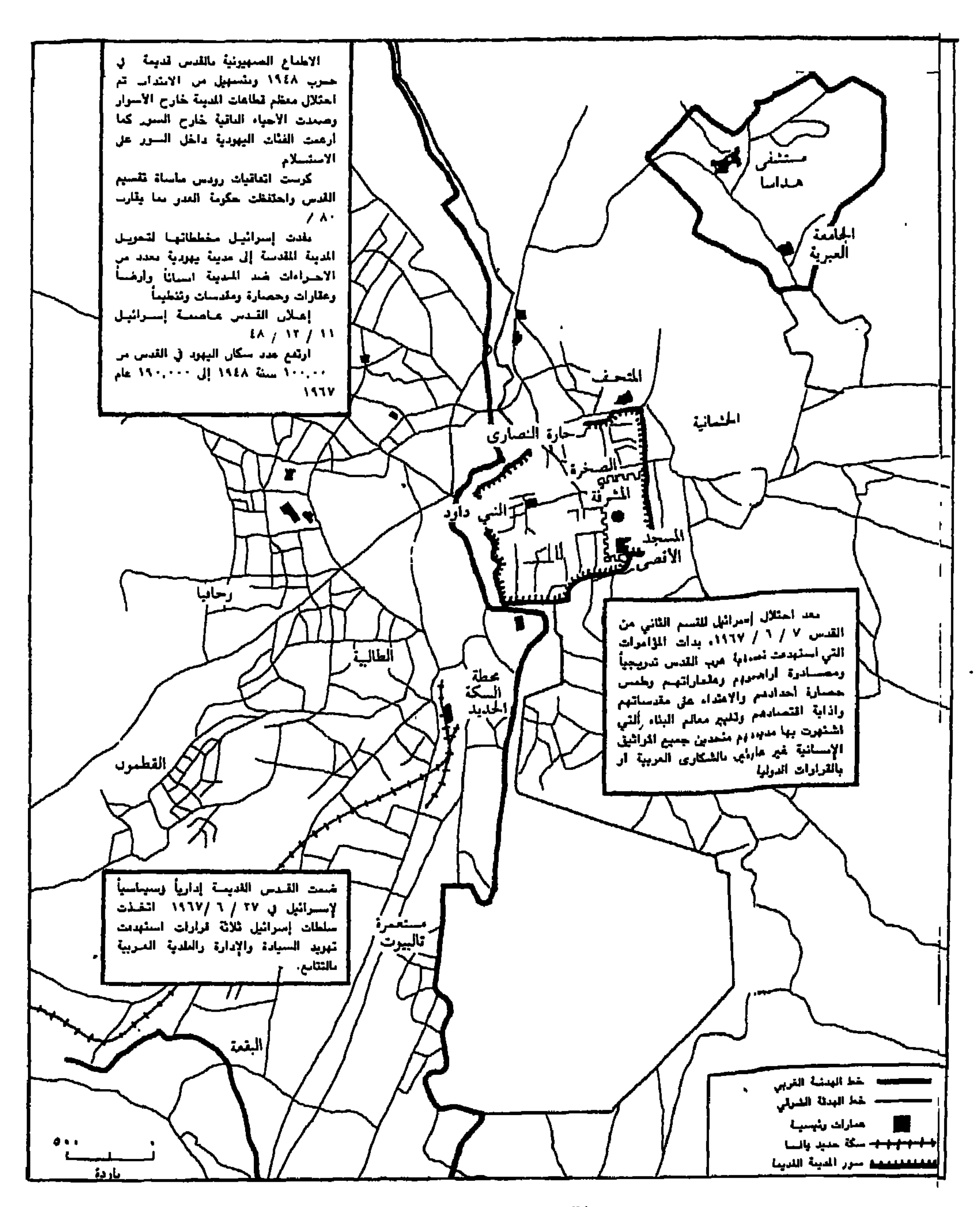
الطريق بين القدس وبيت لحم (خريطة من القرن ١٧)



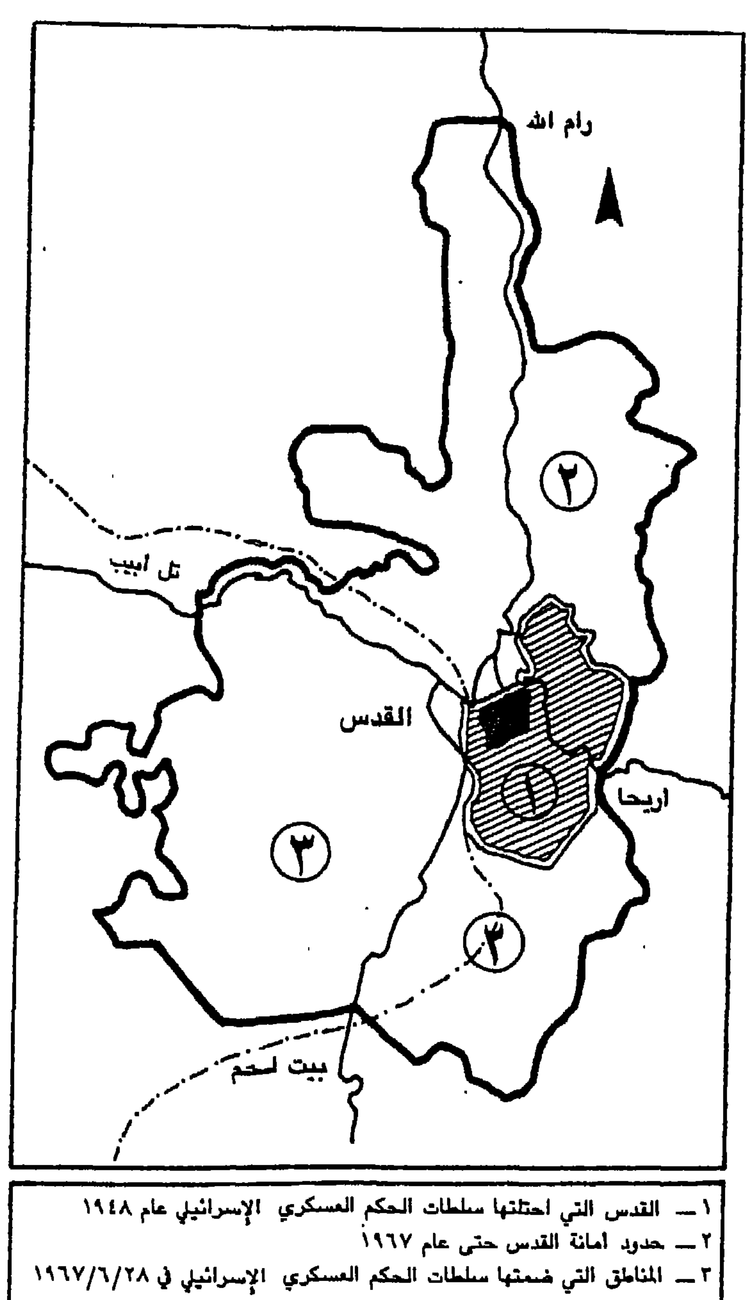
منظر عام للقدس - جبل الزيتون (خريطة من القرن ١٧)



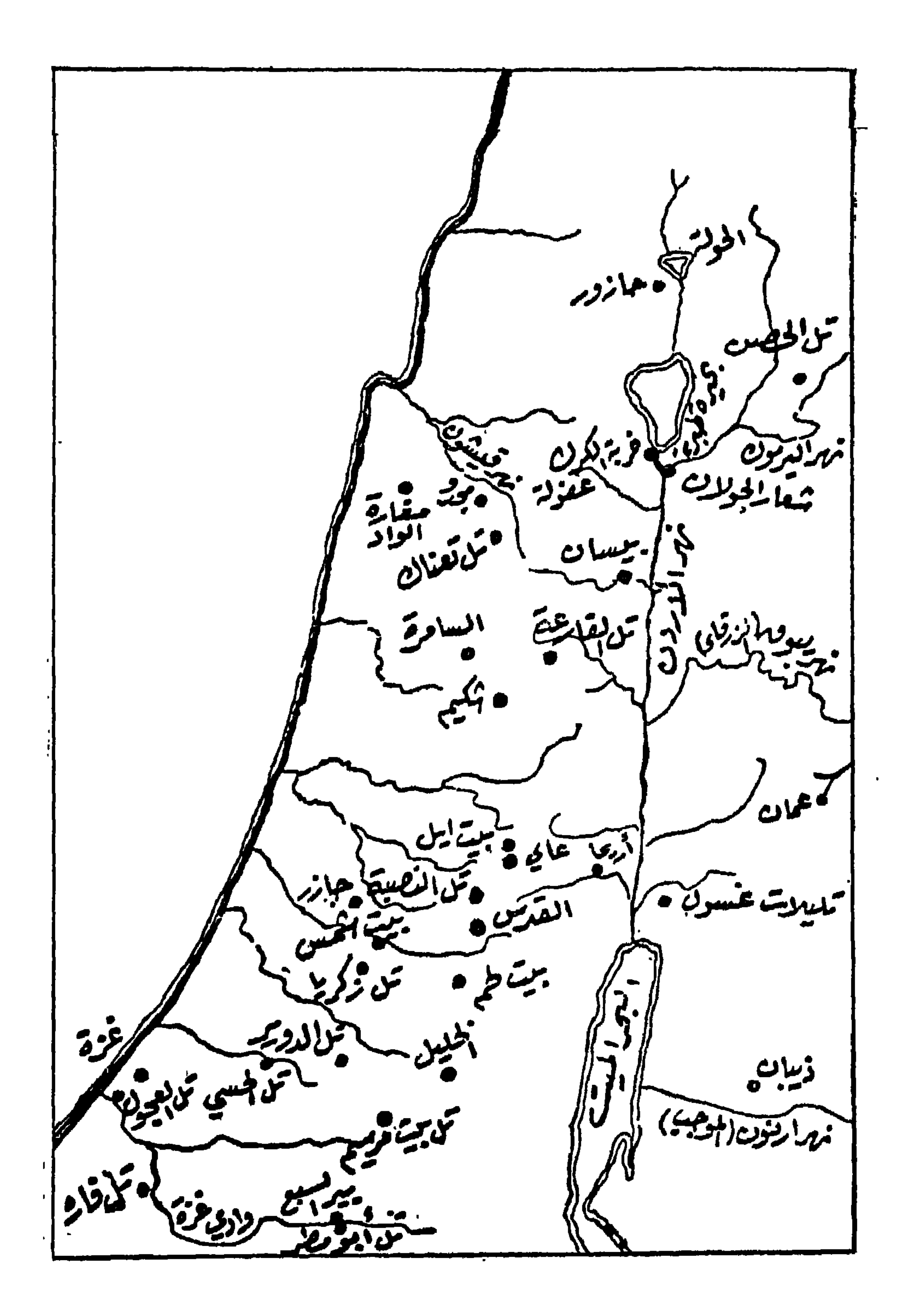
فلسطين حسب مشروع تقسيم ١٩٤٧



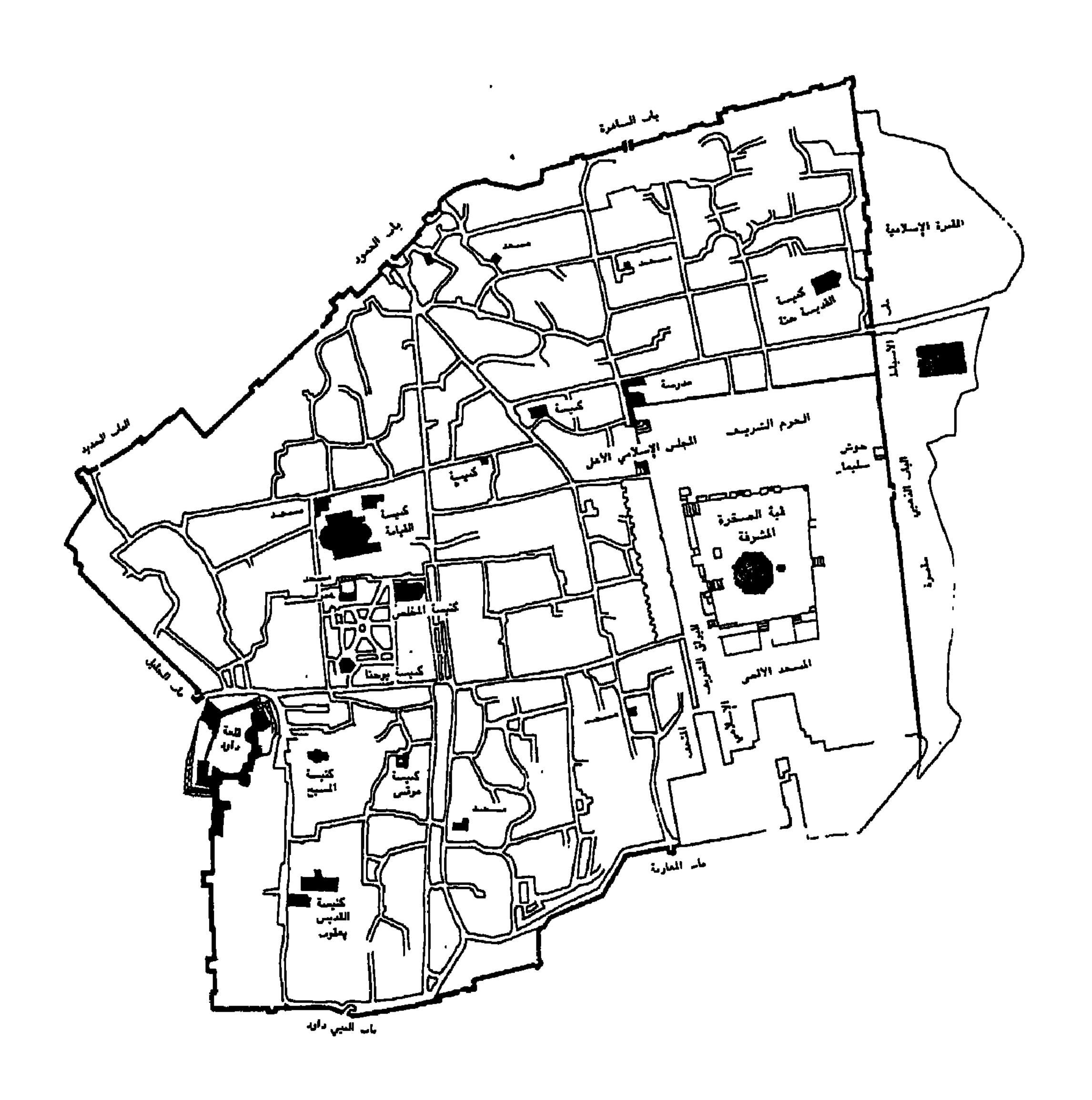
القدس بين ١٩٤٨ و ١٩٦٧



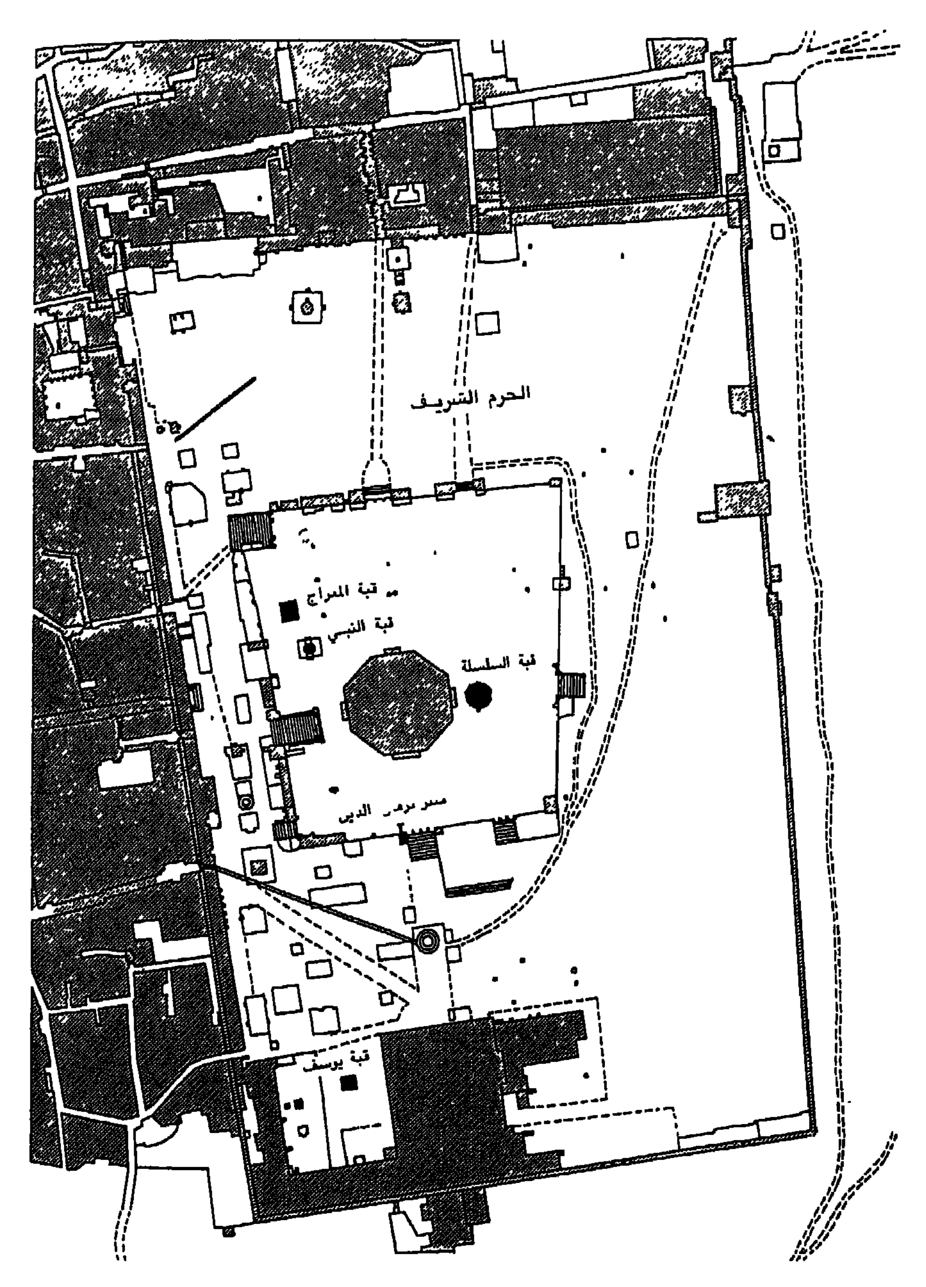
القدس من احتلال ١٩٤٨ إلى احتلال ١٩٦٧



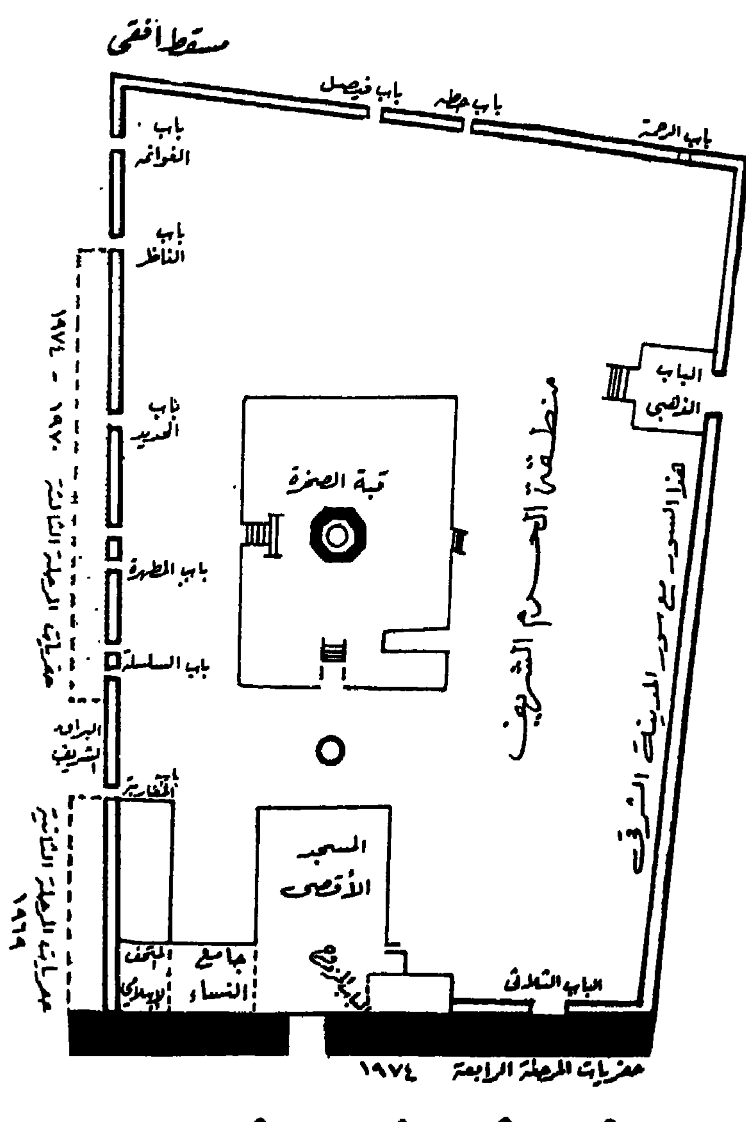
الأماكن الأثرية فى فلسطين المحتلة



الأماكن المقدسة فى القدس القديمة



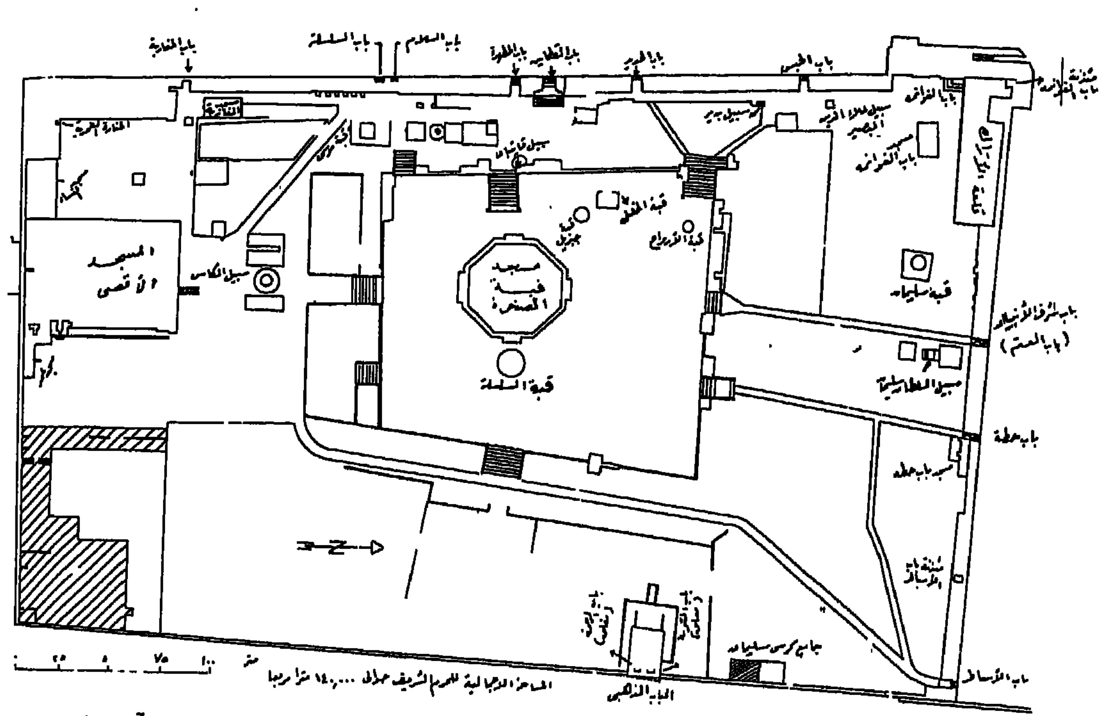
الحرم الشريف المقدسي



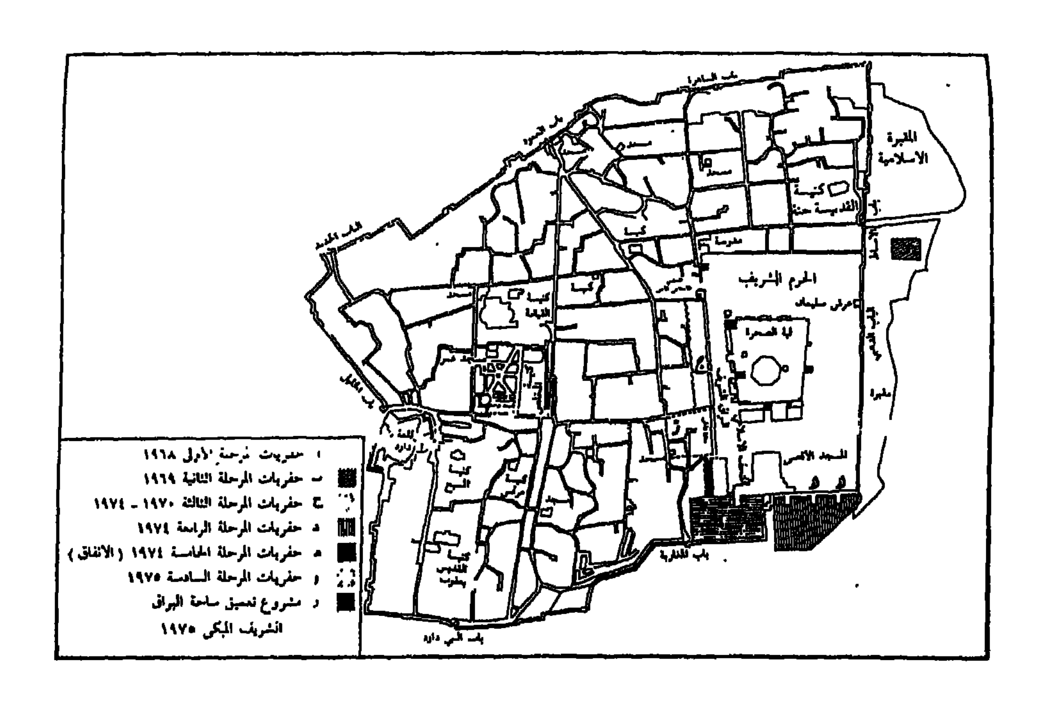
١ ٢ ٣ ٤

أربعة أنفاق حفرت أسفل المسجد الأقصى
والأروقة المجاورة له (يوليو ١٩٧٤)

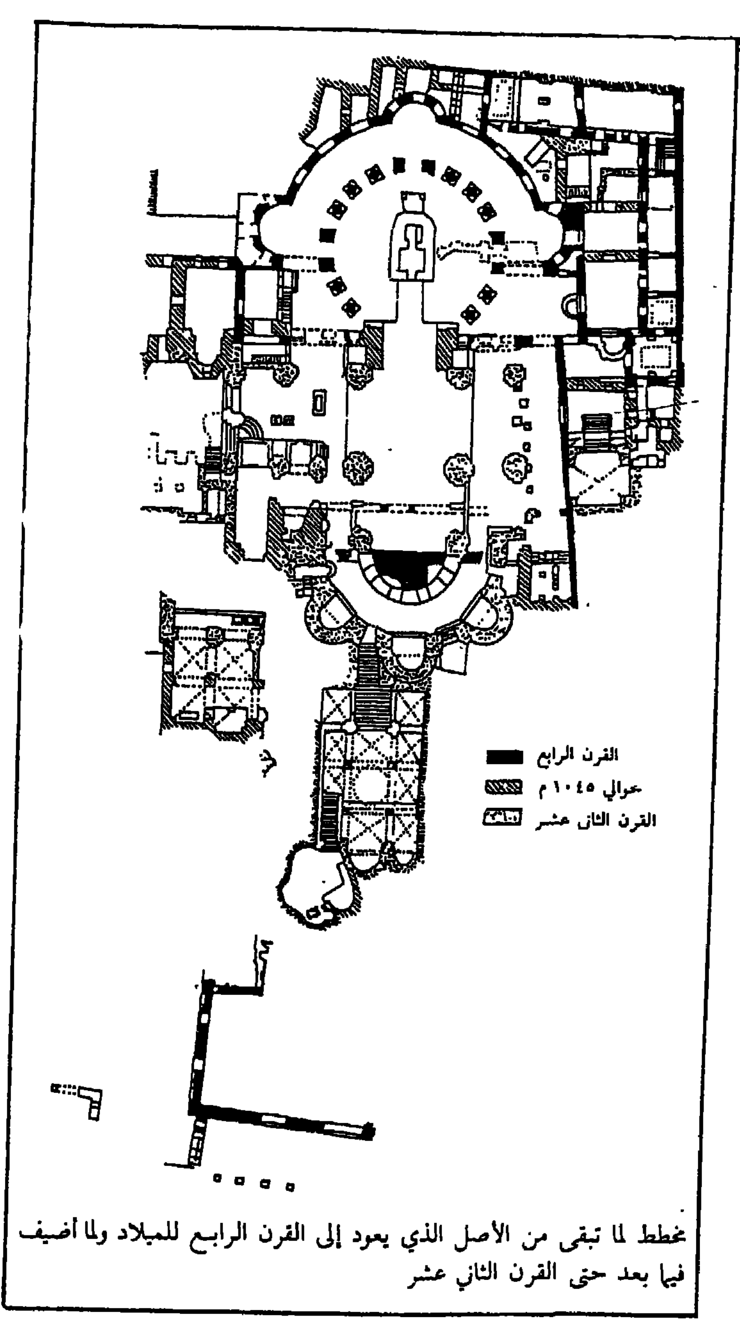
القدس : الحفريات الإسرائيلية بمنطقة الحرم الشريف



مخطط توضيحي للحرم الشريف يبين الأوضاع النسبية لمسجد قبة الصخرة والمسجد الأقصى كما يوضح المآذن والبوابات ومصادر المياه داخل سور الحرم الشريف . وهذا المخطط من عمل عبد الرحمن الرساس من الأردن باشراف حكومة الانتداب البريطاني في فلسطين نقلاً عن كتاب : The Nobla Sanctuoy by Alistair Duncan

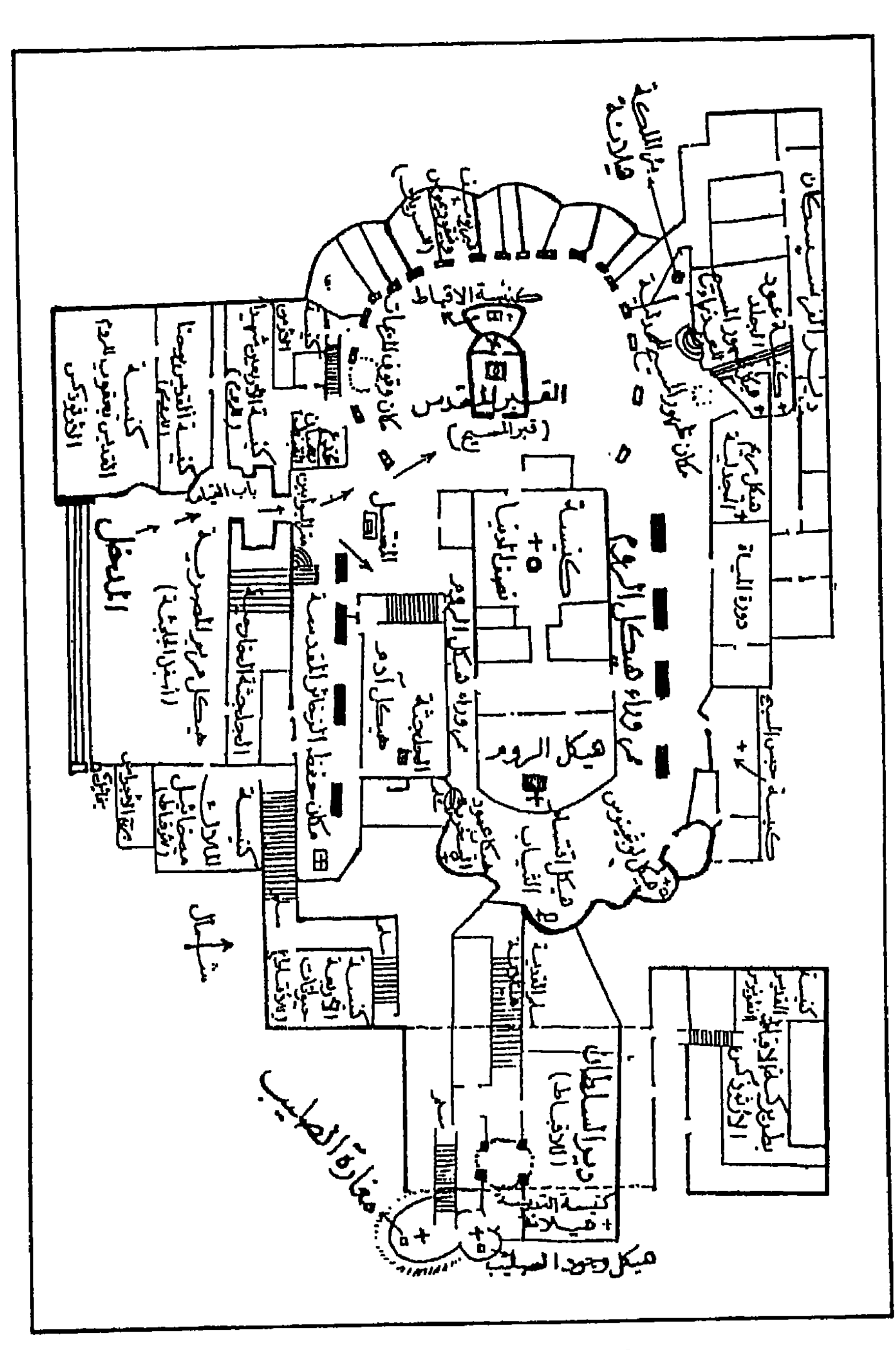


الحفريات الإسرائيلية حول الحرم الشريف وتحت المسجد الأقصى



مخطط لما تبقى من الأصل الذي يعود إلى القرن الرابع للميلاد ولما أضيف فيما بعد حتى القرن الثاني عشر

كنيسة القيامة



كنيسة القيامة (رسم توضيحي)

الفهرس

قصة مدينة

شهادات وآراء

هذا الكتاب:

بعيدا عن المؤامرات والدسائس والمزايدات .. و أبواق الدعاية لندع الحقائق تجيب: من هو صاحب الأرض ؟ ومن هو صاحب الحق فى السيادة عليها ؟وإذا كذب اليهود الحقائق .ورضى العرب بماهو كائن .. علينا إذن أن نتساءل : لماذا يقبل العرب بعد أكثر من ١٤٠٠ عام من عروبة القدس تهويد المدينة راضين بالصلاة فى الأقصى الأسير .. ووفى كنائس مدججة أسوارها ببنادق الاسرائيليين ، ويشترى العرب بما يتوهمونه سلاما .. مصيرا مشكوكا فيه ، ومستقبلا يكتنفه الغموض.

هل يمكن لاسرائيل أن تتنازل عن القدس ، خاصة فى ظل مايعانيه العرب .. وما تتمتع به إسرائيل اليوم ؟! لعل بن جوريون - أول رئيس وزراء لاسرائيل - أجاب عن هذا التساؤل حين قال : مسألة القدس ليست مسألة ترتيبات فى أساسها ، ولا حتى مسألة قدرة عسكرية ، رغم أننا لانستطيع حل كل مشاكل القدس بالقوة العسكرية وحدها ، لكنها المرحلة الأولى لاحتلال القدس تعقبها بعد ذلك عدة مراحل أخرى .

ولعلنا نلمس هذا أيضا من مقولة الحاخام الاسرائيلى « جوناثان بلاس » : إن السلام يعنى الكثير لكن القدس شئ أثمن من السلام ؟ » فهل تصبح القدس بالنسبه للعرب أرخص من السلام الإسرائيلى ؟

إذا كانت تلك المدينة بالنسبة لهم قضية الهوية المفقودة ، فإنها للعرب الكيان المغتصب.. إن ما أراد أن يقوله هذا الكتاب هوالحقيقة .. نعم الحقيقة لا أقل .